الماركسية اللينينية

وقضايا الحرب والجيش

اسباب نشوب الحروب . جذور الاشتباكات الحربية فى عصرنا . انواع الحروب . الطاقة العسكرية الكامنة . العناصر المعنوية للقدرة القتالية لدى القوات المسلحة . وظيفة الجيوش فى البلدان الرأسمالية . المذهب العسكرى السوفييتى . القوات المسلحة فى البلدان الاشتراكية . عم تدافع جيوش البلدان المتحررة ؟ حروب الدول العدوانية من اجل السيطرة على العالم . الجماهير الشعبية ضد العسكرة وضد الحروب

اهداءات ٢٠٠١

اللواء/ محمد ضياء الدين زهدي

القاهرة

الماركسية اللينينية وقضايا الحرب والجيش

باشراف الدكتور فى الفلسفة تيوشكيفيتش



دار التقدم

موسكو

ترجمة خيرى الضامن

МАРКСИЗМ-ЛЕНИНИЗМ О ВОЙНЕ И АРМИИ

На арабском языке

هذا الكتاب

يتضمن عرضا لتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش ، ويكشف عن جوهر الحروب ومصادرها ، وعن طابع الحروب وانواعها ، وعن الطبيعة الاجتماعية للجيش ووظيفته . ويبدى الكتاب اهتماما كبيرا بقضايا الطاقة العسكرية الكامنة والقدرة العسكرية للدول فى الظروف الراهنة وبالثورة فى الشؤون العسكرية . والكتاب مذيل باستعراض تاريخى للحروب والانتفاضات المسلحة والاشتباكات الحربية التى جرت منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى الآن .

صدرت من هذا الكتاب فى الاتحاد السوفييتى خمس طبعات متلاحقة . وهو من تأليف مجموعة من الفلاسفة والمؤرخين واساتذة المؤسسات التعليمية العسكرية : الاستاذ المساعد والعقيد المتقاعد بيلى ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد المقدم فولكوغونوف ؛ الدكتور فى الفلسفة والبروفسور العقيد دزوبا ؛ المرشح فى العلوم العسكرية اللواء المتقاعد كوزلوف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد العقيد كوندراتكوف ؛ الدكتور فى التاريخ العقيد البحرى كولاكوف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد العقيد المتقاعد ميدفيديف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد العقيد موروزوف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد العقيد سبيروف ؛ الدكتور فى الفلسفة والبروفسور اللواء سوليموف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد اللواء المتقاعد سوشكو ؛ الدكتور فى الفلسفة العقيد تيوشكيفيتش ؛ الدكتور فى الفلسفة العقيد فيودوروف ؛ المرشح فى الفلسفة والاستاذ المساعد العقيد المتقاعد خومينكو .

M $\frac{11201-253}{014(01)-74}$ 488-74

مدخل

انه لمعقد ومتناقض سير التطور التاريخي . فالجديد يولد ويرسخ اقدامه فى صراع طاحن مع القديم الذى يحاول الصمود والحفاظ على كيانه بكل الوسائل . وتسعى الاوساط الامبريالية الرجعية الى وقف سير التاريخ الحثيث مهما كلف الامر .

لقد اكتسبت قضية الحرب والسلام فى الظروف الراهنة اهمية وحدة خاصة . ويعود ذلك الى سببين هامين ، اولهما عدم تغير طبيعة الامبريالية التى لا تتورع عن القتال المسلح المباشر ضد الاشتراكية . فالامبريالية تواصل سباق التسلح وتحاول تنشيط الاحلاف العسكرية التى اسستها ، وتشعل لهيب الحروب المحلية ، وتسعى بكل الوسائل الى القضاء على حركة التحرر الوطنى ، وخاضت حربا قرصنية ضد شعوب الفيتنام ولاؤوس وكمبوديا . والسبب الثانى هو الطفرة النوعية الهائلة التى جرت فى تطور التكنيك الحربى خلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية . وفى حالة نشوب حرب عالمية جديدة

سيلحق استخدام السلاح الصاروخى النووى ضررا هائلا فظيعـــا بالبشرية وسيسبب لها تدميرا لم يسبقه مثيل .

وما دامت الامبرياليـــة باقيـــة ، وما دامت قوى التقدم الاجتماعى تواجهها القوى العدوانية ، فستظل قائمة الاراء المختلفة من حيث الاساس بصدد طبيعة الحروب والاسباب التى تولدهـــا وبصدد دور الحروب فى التطور الاجتماعى .

ان تعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش هى عبارة عن مذهب منسجم فى علم الاجتماع يتناول اصل وجوهر الحروب ، وطابعها وانواعها ، ومصادر نشوبها فى العصر الحاضر ، والحتميات والعوامل المؤثرة فى سير ومآل الحروب ، وموقف مختلف فئات المجتمع ازاء الحرب ، والطبيعة الاجتماعية للجيش ووظيفته . وتعود فى هذه التعاليم مكانة خاصـــة لقضايا تصفيـــة الحروب واجتثاثها من حياة المجتمع والذود عن مكتسبات الاشتراكيـــة وحرية الشعوب واستقلالها . وهذه التعاليم هى اساس النظرية والتطبيق فى الفن العسكرى السوفييتى .

لقد طور لينين واستكمل فى الظروف الجديدة تلك المنطلقات التى وضعها ماركس وانجلس لتعاليمهما بصدد الحرب والجيش . فقد رفع مؤسس اول دولة اشتراكيـــة فى العالم هذه التعاليم الى درجة جديدة . وبالاستناد الى التراث اللينينى طور الحزب الشيوعى السوفييتى بثبات ودأب تعاليم الحرب والجيش واستكملها وكيفها طبقا للظروف المتغيرة مع مراعاة تناسب القوى فى مختلف مراحل تطور المجتمع والاتجاهات الموضوعية لمجرى التاريخ . وفى الوقت ذاته يقدر الحزب الشيوعى السوفييتى رفيـــع التقدير منجزات الاحزاب الماركسية-اللينينيـــة الاخرى فى تطوير هذه التعاليم ويأخذها بعين الاعتبار ويستخدمها فى نشاطه النظرى والعملى فى ميدان الذود عن حياض الوطن الاشتراكى .

وباستخدام منهج المادية الديالكتيكية يمكن التكهن بالمستقبل علميا ودراسة القضايا العسكرية من وجهة نظر علم الاجتماع العام . ويتسم ذلك باهمية من الدرجة الاولى لحل القضايا الملحة فى الحرب والسلام وبناء وتعزيز القوات المسلحة للدولة الاشتراكية .

وبالاعتماد على مبادئ الماركسية-اللينينية الراسخة وباستخدام المنهج المادى الديالكتيكى يخوض الماركسيون-اللينينيون النضال ضد ايديولوجيى البرجوازية الامبريالية ، كما ضد التحريفية والجمود العقائدى . وهم يحلون بصورة خلاقة أهم المسائل المعاصرة فى التعاليم عن الحرب والجيش .

ان فضل النظرية الماركسية-اللينينية الذى لا يدحض يتلخص فى انها كشفت ، على اساس الدراسة الشاملة للاتجاهات الرئيسية فى الحياة الاجتماعية المعاصرة ، عن اعمق جذور الاشتباكات الحربية واشارت ، فى الوقت ذاته ، الى الامكانيات الموضوعية للحيلولة دون نشوب الحرب والى القوى القادرة على تحقيق هذه المهمة .

بديهى ان الامبريالية ظلت رجعية من حيث جوهرها ، وظلت منطوية على منابع العدوان وحروب الغزو . الا ان امكانيات الامبريالية تقلصت لدرجة كبيرة ، وتضاءلت قواها نسبيا ، وتعمقت لدرجة اكبر تناقضاتها الداخلية . وفى الوقت ذاته نمت القوى القادرة على مواجهة الامبريالية . وتهيأت امكانية فعلية لدرء الحرب العالمية ، وكذلك الحروب المحلية في ظروف معينة . وقد استخلص هذا الاستنتاج على اساس التحليل العلمى لخصائص العصر الحاضر وتقدير تناسب القوى الاجتماعية العالمية .

الا ان هناك امكانية فعلية لاشعال لهيب حروب جديدة من

قبل الامبرياليين ، بما فيها الحرب العالمية النووية . وتدل على ذلك الحرب العدوانية التي خاضتها الولايات المتحدة في الفيتنام والعدوان الاسرائيلي الذي اعده الامبرياليون ضد الشعوب العربية المحبة للحرية ، وغير ذلك من مظاهر الجوهر الرجعي للامبريالية وكذلك سياسة وايديولوجية معاداة الشيوعية .

وفي الظروف الراهنة ينبغي للنضال ضد الايديولوجية الرجعية ان يصبح اكثر شدة وهجوما . وبالرغم من كل تنوع المبادئ ووجهات النظر بشأن الحرب والسلام نجد ايديولوجيي الامبريالية متفقين في ما هو رئيسي وجوهري . فلديهم منهاج « فكري » مشترك هو معاداة الشيوعية ؛ ولديهم اساس فلسفي ومنهجي واحد هو المثالية والمتافيزيقا ؛ ولديهم اخلاق مشتركة هي الحقد على الانسان . فالايديولوجية البرجوازية مشبعة بفكرة خلود الحرب وحتميتها . وليس هناك خلاف الا في الحجج ودرجة الصراحة التي تجري بها الدعاية لهذه الافكار .

وينبغي ان يكتسب طابعا هجوميا نشيطا كذلك النضال ضد اراء ماو تسي تونغ وكتلته في مسائل الحرب والسلام ، تلك الاراء المنافية للماركسية . فهذه الاراء المغلفة بالعبارات « اليسارية » تروج لحتمية الصدامات الحربية ، بل وتعتبرها امرا مرغوبا فيه ، دون التورع حتى عن الحرب العالمية النووية .

ان تعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش تفضح الاراء الرجعية المنافية للعلم بصدد قضية الحرب والسلام ، وتساعد الحزب الشيوعي السوفييتي والاحزاب الشقيقة الاخرى في اتخاذ موقف صائب من الحرب ورؤية منابع الصدامات الحربية والقوى التي يعتمد عليها درءها .

ثم ان تعاليم الماركسية-اللينينية بصدد الحرب والجيش

تختلف من حيث المبدأ عن الاراء المسالمة بشأن الحرب . فنزعة المسالمة لا تربط موقفها السلبى من الحرب بالنضال ضد منبعها الرئيسى ، نعنى النظام الرأسمالى . وتكمن قوة تعاليم الماركسية-اللينينية فى انها تربط النضال من اجل درء الحرب ومن اجل الأمن العام الشامل ولجم المعتدين بالنضال فى سبيل التحويل الثورى للمجتمع وفى سبيل التقدم الاجتماعى .

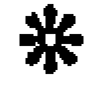
وتبين هذه التعاليم الفرق المبدئى بين الحروب العادلة والحروب الجائرة ، بين الحروب التقدمية والحروب الرجعية . فالحروب التقدمية العادلة تستهدف تحرير الشعوب من الاضطهاد القومى والطبقى ، وحماية الاستقلال الوطنى والسيادة للبلدان الاشتراكية والبلدان النامية ، لكافة الشعوب المحبة للحرية . اما الحروب الرجعية الجائرة فيشنها المعتدون بغية قهر الشعوب الاخرى والاستيلاء على اراضيها ونهب ثرواتها الوطنية وتصفية المكتسبات الاجتماعية للشغيلة .

ان تعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش تعلل نظريا افضل الطرق والوسائل لدرء الحروب فى الظروف الراهنة واستثناء الحروب من حياة المجتمع فى المستقبل .

يتناول الكتاب الحالى جميع هذه المسائل ، فيقدم عرضا منتظما لتعاليم الماركسية-اللينينية بصدد الحرب والجيش ويكشف عن جوهر الحروب ومصادرها ، وعن طابع الحروب وانواعها ، وعن الطبيعة الاجتماعية للجيش ووظيفته ، وعن اسس القدرة العسكرية للدول وقواتها المسلحة وعن جوهر الثورة المعاصرة فى الشؤون العسكرية .

وبما ان القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى والاسرة الاشتراكية جمعاء تكبح مطامع الامبرياليين العدوانية وتضطلع بدور

الوسيلة الامينة لضمان وتوطيد السلم بين الشعوب يتناول الكتاب طرق واساليب تعزيز هذه القدرة والاستعداد الكفاحى لقطع دابر العدوان الامبريالى وردعه . وفضلا عن ذلك يسلط الكتاب النقد على النظريات والاراء الرجعية المنافية للماركسية بصدد المسائل العسكرية ، تلك النظريات والاراء التى تقدم مكافحتها خدمة لقضية السلام والتقدم الاجتماعى .



الحرب كظاهرة اجتماعية-سياسية

شهد تاريخ المجتمـــع الطبقى المديــــد عددا هائلا من الاصطدامات والاشتباكات الحربية . فخلال الآلاف الخمسة والنصف الاخيرة من السنين عانت الشعـــوب من ويلات اكثر من ١٤ الف حرب . وخلال النصف الاول من القرن العشرين وحده تعرضـــت البشرية لحربين عالميتين مدمرتين . واقترنت كل خطوة من التقدم الاجتماعى لدى التشكيلات المتناحرة باراقة الدماء وبمصـــائب البشر . وكان هذا التقدم ، على حد تعبير ماركس ، يشبه «الصنم الوثنى الذى لم يكن يرغب فى احتســـاء العصير الا من جماجـــم القتلى» * .

الا ان الحروب لا تشكل حتمية قدرية فى تطور المجتمـــع البشرى . فالحرب ظاهرة اجتماعية-تاريخية . ولقد مرت ازمان لم يكن البشر فيها يعرفون ما هى الحرب ، وستأتى ازمان تنتفى فيها الحرب من تاريخ المجتمع الى الابد .

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، الطبعة الثانية ، المجلد ٩ ، ص ٢٣٠ .

ان ظهور الحروب وطبيعتها ومكانتها فى التاريخ ، شأنها شأن اية ظاهرة اجتماعية-تاريخية ، خاضعة لقوانين التطور الاجتماعى التى اكتشفتها الماركسية-اللينينية .

وخلافا لاراء ما قبل الماركسية واراء ايديولوجيى البرجوازية الامبريالية الحديثة المنافية للعلم اثبت مؤسسا الماركسية ان تاريخ المجتمع هو عبارة عن عملية حتمية وضرورية طبيعيا . وتستند هذه العملية الى طابع ومستوى معينين تاريخيا لتطور القوى المنتجة الاجتماعية . وتبعا لهذه القاعدة المادية تتكون علاقات الانتاج الموضوعية غير المعتمدة على ارادة البشر والتى تشكل النظام الاقتصادى للمجتمع . وعلى العلاقات الاقتصادية يعتمد طابع التناقضات الاجتماعية واسلوب حلها . ان النظام الاقتصادى يحدد ، فى آخر المطاف ، كافة العلاقات الاجتماعية والسياسية والايديولوجية ، بما فيها ظروف لشوب الحرب .

ان الحرب هى وسيلة حل التناقضات التناحرية للتطور الاجتماعى فى المجتمع الطبقى باستخدام العنف .

ثم ان الاصطدامات المسلحة بين الجماعات العشائرية والقبائل البدائية التى لم تعرف الملكية الخاصة والانقسام الى طبقات لم تكن حروبا بالمعنى الحقيقى للكلمة .

لقد ولدت الحرب كظاهرة اجتماعية-سياسية فى مرحلة معينة من تطور المجتمع ، وهى بالذات مرحلة تحلل نظام المشاعة البدائية وميلاد اسلوب الانتاج العبودى ، عندما ظهرت الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وعندما انقسم المجتمع الى طبقات متناحرة وظهرت الدولة . لقد ولدت الملكية الخاصة العنف الاجتماعى . واضفت الطبقات الاستغلالية صبغة قانونية على القتال المسلح من اجل الاثراء واستعباد الشعوب وتشديد السيطرة الاقتصادية والسياسية لهذه الطبقات .

ولقد بين انجلس فى معرض فضحه «لنظرية العنف» المبتذلة ان الحرب لم تولد الطبقات والتفاوت من حيث مستوى الملكية ، بل على العكس كانت الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات قد حولا الصدامات المسلحة لدى القبائل البدائيـــة الى حرب باعتبارها واحدة من الظواهر الاجتماعية-السياسيـــة . ومنذ ذلك الحين فقط اصبحت الحرب شغلا شاغلا للاستغلاليين .

وهكذا ، **فالحرب ، كظاهرة اجتماعية-سياسيـــة خاضعـــة للاهداف السياسية لدى طبقات معينة ، قد ظهرت لاول مرة فى المجتمع الاستغلالى ؛ انها نتاج المجتمع الطبقى التناحرى ومرافق دائم له .**

١ ـ الحرب والسياسة

لا تتشابه الحروب فيما بينها ، وذلك بسبب تفرد الظروف التاريخية التى نشبت فيها ، والاسباب والاغراض التى شنت من اجلها ، والنتائج التى اسفرت عنها . واختلفت الحروب عن بعضها البعض بالاعتدة الحربية واساليب القتال والنطاق المكانى والزمانى وعدد المعارك والحملات والانتصارات والهزائم . وبالرغم من ذلك كانت الحروب على الدوام شكلا قاسيا لحل التناحرات الاجتماعية . ولئن كانت حروب الغزو الجائرة ولا تزال وسيلة لبلوغ اهداف النهب الاقتصادى والسياسة الرجعية لدى الطبقات الاستغلالية ، فحروب التحرر العادلة تحمل طابعا جوابيا اضطراريا ، اى انها تخاض بغية صد العنف المسلح الذى يمارسه الاستغلاليون ضـــد الشغيلة ، او الغزاة والمستعمرون الاجانب ضد الشعوب المستعبدة . ولذلك فالاغراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الحروب تتسم بطابع عادل نبيل ، بينما يصبح العنف المسلح فيهـــا امرا مشروعا مبررا .

ولذلك بالذات يجهد ايديولوجيو البرجوازيـــة لتشويش وتشويه مسألة مصادر الحروب وطبيعتها وجوهرهـــا الاجتماعى والطبقى . فهم ينظرون الى الحرب خارج ظروف تطور الرأسمالية والعلاقات الاقتصادية والسياسة لدى الطبقات الاستغلاليـــة ، ويتسترون على المذنبين الحقيقيين فى العدوانات الامبريالية . انهم يريدون ارغام الشغيلة على التغاضى عن فظائع الحرب وعلى التسامح معها ، انهم يريدون شل ارادة الشغيلة الطموحة الى النضـــال فى سبيل السلام ومن اجل درء الحروب .

ان مصالح السلام والجماهير الشعبيـــة والتقدم الاجتماعى تتطلب فضح الرياء والافتراء البرجوازيين ، وتلزم المرء بان يدرك ادراكا علميا صائبا قبل كل شىء طبيعة الحرب وجوهرها الطبقى والسياسى .

جوهر الحرب كظاهرة اجتماعية-تاريخية

كتب لينين يقول : «ان موضوعة الديالكتيك الاساسيـــة المطبقة على الحروب ... تتلخص فى ((**ان الحرب هى مجرد استمرار للسياسة بوسائل اخرى**)) (وسائل العنف بالذات) . تلك هى صيغة كلاوزيفيتس الذى هو من اعظم الكتاب فى مسائل تاريخ الحروب والذى جعل هيغل اراءه تعطى ثمارها . وتلك هى بالذات دوما وجهـــة نظر ماركس وإنجلس اللذين اعتبرا **كل** حرب **استمرارا** لسياسة الدول المعنية ذات المصلحة ـ **ومختلف الطبقات** داخلها ـ فى وقت معين » * .

يستند لينين فى كشفه عن جوهر الحرب ، كما رأينا ، على آراء كلاوزيفيتس (١٧٨٠ـ١٨٣١) . وهذا امر مفهـــوم لان

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٢٢٤ .

دراسة كلاوزيفيتس لاعتماد الحرب على السياسة وصيغته عن الحرب كاستمرار للسياسة بوسائل العنف كانتا مساهمة لا يطالها الشك في تطوير الفكر العسكري آنذاك .

ولكن من الخطأ الفادح الظن بان المفهوم الماركسي-اللينيني لجوهر الحرب مطابق كليا لوجهة نظر كلاوزيفيتس . بل الامر على العكس تماما . فهناك فرق جذري بينهما يتجلى ، قبل كل شيء ، في فهم السياسة وطبيعتها الطبقية .

كان كلاوزيفيتس يعتبر السياسة «ممثلة لكافة مصالح المجتمع ككل» * ، اي انه كان ينكر طبيعتها الطبقية . وطبقا لذلك روج كلاوزيفيتس للفهم المثالي الزائف للسياسة زاعما بانها هي «عقل الدولة المتجسدة ...» ** . وينبغي ان نضيف الى ذلك ان كلاوزيفيتس كان يفهم السياسة على انها السياسة الخارجية فقط ، متجاهلا ان الحرب هي قبل كل شيء استمرار للسياسة الداخلية التي تجسد مباشرة البنية الطبقية للمجتمع . علما بان كلاوزيفيتس كان يعني سياسة الدولة فقط ، اي في الواقع سياسة الطبقة المسيطرة في الدولة المعنية . فهو لم يعترف بان الطبقات المضطهدة تنتهج في نضالها ضد الاستغلاليين سياستها الخاصة ، وقد استثنى من مفهوم الحرب نفسه الحروب الاهلية التي تخوضها الجماهير الشعبية ضد الطبقات الاستغلالية ودولها . ولم يتصور كلاوزيفيتس ابدا مشروطية السياسة نفسها باسباب اعمق تكمن في النظام الاقتصادي للمجتمع .

فما هي السياسة من وجهة نظر الماركسية-اللينينية ؟ انها ، قبل كل شيء ، العلاقات بين الطبقات . فلا يجوز ان نفهم من

---

* كلاوزيفيتس . عن الحرب . دار غوسفوينيزدات ، ١٩٣٤ ، ص ٥٦٢ .

** المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

السياسة مجرد نشاط الحكومات وجهاز الدولـــة والاحزاب . فالسياسة تشمل مجمل علاقات الجماهير البشريـــة الهائلـــة ـ عشرات ومئات الملايين من الناس الذين تضمهم هذه او تلك من الطبقات .

ان جذور الفروق الطبقية كامنة فى اسلوب الانتاج الذى يعين طبيعة كل طبقة ومصالحها ومصائرها التاريخية ، ومعها العلاقات السياسية بين الطبقات ، اى العلاقات التى تخص ، بشكل او بآخر ، الدولة التى هى الاداة الحاسمة للطبقة المسيطرة . وما دامت سلطة الدولة فى يد طبقة معينة ، فان هذه الطبقة تسعى الى تأمين منعة الاسس الاقتصادية لسيطرتها . ولذلك تصبح مسألة سلطة الدولة اهم مسألة للصراع الطبقى . وتعنى السياسة صراع الطبقات فى سبيل صيانة وتقوية النظام القائم فى الدولة ، او فى سبيل الاطاحة به . وتدير دفة السياسة وتوجهها هذه الاحزاب او تلك ، بينما تنفذ سياسة الطبقة المسيطرة ، فى المقام الاول ، اجهزة الدولة المكلفة بحماية المصالح الجذرية لهذه الطبقة والتى تستدعيها حالتهـــا الاقتصادية .

وتجد كافة المصالح الجذرية والطويلة الامد لطبقة معينة اكمل تعبير لها واكثره وعيا فى سياسة هذه الطبقة (بالدرجة الاولى فى سياسة حزبها الحاكم ودولتها) . وبهذا المعنى تصبح السياسة تعميما وانجازا للاقتصاد وتعبيرا مركزا عنـــه . ولذلك يعود الدور الحاسم فى اصطدامات القوى الاجتماعية ـ فى صراع الطبقات والدول والائتلافات الدوليـــة ـ الى العلاقات السياسيـــة ، الى السياسة .

ان مسألة الطبيعة الاجتماعية-السياسية للحرب هى المسألة الاساسية من وجهة نظر الماركسية-اللينينية لدى تحليل وتقييم الحرب . فان معرفة الطبيعة الاجتماعية-السياسيـــة للحرب تعنى

الكشف عن جوهرها الطبقي والتثبت من خضوع اهداف الحرب للمصالح الاقتصادية والطبقية للطبقات والدول المتحاربة .

ان الامر الرئيسي في فهم جوهر الحرب هو موضوعة الماركسية-اللينينية بشأن الطبيعة الطبقية للسياسة التي تعتبر الحرب استمرارا لها . وفي ذلك يكمن التعارض الجذري بين النظرة الماركسية-اللينينية للحرب وبين تعاليم الايديولوجيين البرجوازيين الذين يتسترون بكل دقة على ارتباط السياسة التي تؤدي الى الحرب بمصالح طبقات معينة .

وكتب لينين يقول : لاحظ التاريخ منذ قديم الزمان «ان طابع الحرب ونجاحها يعتمدان في المقام الاول على النظام الداخلي في البلد الذي يدخل الحرب ، وان الحرب هي انعكاس للسياسة الداخلية التي ينتهجها هذا البلد قبل الحرب . وكل ذلك لا بد وان ينعكس على خوض الحرب» * .

ان السياسة بمجملها ، الخارجية منها والداخلية ، مشروطة بالنظام الاقتصادي والحكومي للمجتمع المعني ، ببنيته الطبقية ؛ اما اهمية هذه السياسة او تلك فتتغير تبعا للظروف التاريخية الملموسة . وتكتسب السياسة الخارجية عادة في فترات الحروب وفي سنوات ما قبل الحرب اهمية حاسمة كذلك بالنسبة للسياسة الداخلية . ويزداد دور السياسة الخارجية خصوصا اثناء الحروب العالمية التي تتقرر مصائر الشعوب اثناءها .

ان الطابع الطبقي للسياسة يحدد كذلك الطابع الطبقي للحرب . فقد كتب لينين يقول : «ان الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى . وان اية حرب مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالنظام السياسي الذي تنبع منه . وان نفس السياسة التي انتهجتها

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٣١٩ .

دولة معينة، وطبقة معينة داخل هذه الدولة فى غضون فترة طويلة قبل الحرب لا بد وان تواصلها هذه الطبقة ذاتها حتما اثناء الحرب مع تغيير شكل الفعل لا غير » * .

وهكذا ، لا يمكن ادراك كنـــه الحرب ما لم نفهم صلاتهـــا بالسياسة السابقة ، وما لم ندرس السياسة التى انتهجها كلا الطرفين المتحاربين لأمد طويل قبل الحرب . ان الحـــرب هى استمرار للسياسة بوسائل العنف . ان الحرب تنفذ السياسة عن طريـــق خوض القتال المسلح . ولذلك يشكل هذا الاخير السمـــة المميزة الاساسية للحرب . الا انه لا يمكن اعتبار اى قتال مسلح حربا . فبدون الهدف السياسى تصبح اشد المعـــارك مجرد عراك وليس حربا . ان المصالح السياسية للطبقات والدول المتحاربة تحدد **هدف** الحرب ، اما القتال المسلح فهو **وسيلة** بلوغ هذا الهدف . ويشكل هذان الامران معا جانبين جوهريين للحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية . **ان جوهر الحرب ، اى الامر الحاسم فيها والذى يعبر عن طبيعتها واختلافها النوعى عن حالة المجتمع السلمية ، يتلخص فى ان الحرب هى استمرار لسياســـة طبقات ودول (وائتلافات) معينة بوسائل العنف .**

ويتميز التعريف الماركسى-اللينينى للحرب الذى يجسد خبرة القوى الاجتماعية الطليعية وموقفها من الحرب بمغزى نظرى وعملى عميق .

واذا كانت الحرب هى عبـــارة عن شكل خاص للاعمـــال السياسية المرتبطـــة بمجمل نظام العلاقات الاجتماعيـــة ، فان التناقضات الطبقية التى تنهش المجتمع التناحرى فى زمن السلم لا تختفى فى زمن الحرب ايضا ؛ فالصراع الطبقى لا يفسح المجـــال

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٧٩ .

«للوئام الطبقى» ، بل يقتصر على تغيير اشكاله ووجهته المباشرة بسبب حالة الحرب . وكتب لينين يقول : «ان التناقضات الطبقية التى تنهش الشعوب لا تزال موجودة ومتجلية فى زمن الحرب وفى الحرب وبشكل حربى» * . ويكتسب هذا الحكم فى ايامنـــا هذه اهمية كبيرة خاصة فى النضال ضد الامبرياليين-مشعلى لهيب حرب عالمية جديدة .

الحرب كحالة خاصة للمجتمع

ان الحرب هى ظاهرة اجتماعية-سياسيـــة معقدة ومتعددة الجوانب . فهى لا توقف السياسة السابقة ، بل تواصلهـــــا ، وليست ابدا اصطداما بسيطا بين القوات المسلحـــــة للطرفين المتحاربين .

ان الكشف عن مضمون مفهوم الحرب كاملا يعنى ايضاح مجمل العمليات الاجتماعية التى يتجلى فيهـــا جوهر الحرب على نحو او آخر . فقـــد بينت خبرة الحربين العالميتين والحروب الاخرى فى القرن العشرين ان الحرب فى الظروف التاريخية الجديدة تصبح ، اذا نشبت ، حالة للمجتمع بأسره . وتتجلى فى الحرب باكمل شكل جميع التناقضات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية والتناحرات بين الطبقات والدول التى تخوض الحرب . وتتجلى هذه التناقضات فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية وتفترض استخدام الوسائل العنفية وغير العنفية لتطبيق السياسة .

واذا كانت الوسائل غير العنفية لتطبيق السياســـة تلعب ، عادة ، الدور الرئيسى فى زمن السلم ، ولا يحمل استخدام الوسائل العنفية طابع القتال المسلح الواسع ، فان الحال فى زمن الحرب

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٤١ .

يتغير بصورة جذرية ، حيث تحتل مركز الصدارة وسائل العنف المسلح الواسع . ويتحقق الهدف السياسى للطبقـــات والدول فى الحرب عن طريق الوسائل العنفية على الاغلب . اما الوسائل الاخرى (غير العنفية) فتصبح ثانوية . ولذلك يشكل القتال المسلح السمة الحاسمة للحرب وخاصية لها .

وببدء الحرب توجه كافة وسائل السياســـة لاحراز النصر وبلوغ الاهداف السياسية للحرب . والى جانب القوات المسلحة المقاتلة يلعب دورا هائلا فى تحقيق هذه المهمة النضال الاقتصادى والايديولوجى والدبلوماسية السرية والسافرة وغير ذلك من اشكال النضال التى تخدم القتال المسلح ، بل وتكمله لدرجة كبيرة والتى بوسعها ، مع القتال المسلح ، ان تقهر ارادة العدو ومقاومتـــه وتؤمن النصر . كل ذلك هو وسائل خوض الحرب ، وهو من العناصر المكونة لها .

ان جوهر الحرب يتجلى على نحو او آخر فى كل من ظواهرها المذكورة اعلاه . ويتجلى هذا الجوهر مباشرة فى القتال المسلح . اما فى النضال الاقتصادى والايديولوجى والدبلوماسى فان جوهر الحرب يتجلى فى توجيه هذه الاشكال نحو تحقيق النصر ، وفى تغيير اهدافها وطابعها ببدء الحرب . ان النضال الاقتصادى والايديولوجى والدبلوماسى اثناء الحرب يختلف جوهريا عن اشكال هذا النضال فى زمن السلم .

ان الحرب كحالة للمجتمع ليست فقط استمرارا للسياسة ، بل هى اجمال لها ايضا . وينطبق ذلك خصوصا على حروب القرن العشرين . وفى الاهداف السياسية للحرب تتركز الاهداف السياسية الاساسية للطبقات المسيطرة . وتعبأ لبلوغ هذه الاهداف قواها وامكانياتها العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية . وتستخدم الطبقات الحاكمة فى الحروب الجائرة الى اقصى حد كامل قدرة جهاز

القمع والتضليل والخداع لارغام الجماهير الشعبية على القتال فى سبيل مصالح غريبة عليها . اما فى الحروب العادلة فالشعب يرص صفوفه ويبذل قصارى جهده لقضيـــة الانتصـــار على العدوان الامبريالى . وتجر الى الحروب الحديثة القوات المسلحة التى تشن العمليات الحربيـــة مباشرة وكذلك جماهير السكان الواسعة . وكان الحـــال على هذا المنـــوال فى الحربين العالميتين الاولى والثانية .

ويمكن ان ينسب ذلك بدرجة اكبر الى الحرب النووية المحتملة . فهذه الحرب لا يجدر تصورها فقط بشكل اجراء تكنيكى جبار : اطلاق عدد هائل من الصواريخ ذات الشحنات النووية بغية تدمير اهم مواقع العدو وافراد جيشه ، او فقط بشكل عمليات القوات المسلحة . ان الحرب النووية ستكون عملية معقدة متعددة الوجوه يشن فيها ، الى جانب عمليات القوات المسلحة ، كفاح اقتصادى ودبلوماسى وايديولوجى . وسيكون ذلك كله خاضعـا للاهداف السياسية للحرب وموجها حسب هذه الاهداف .

ويتيح لنا ما قيل اعلاه الاستنتاج بان مفهوم الحرب **يجسد كامل نشاط الناس اثناء الحرب ، ذلك النشاط الرامى الى تحقيق النصر** . وطبقا لذلك يمكن ان نخصص فى مفهوم الحرب : المضمون السياسى ؛ والقتال المسلح ، اى العمليات الحربيـــة على مختلف النطاقات ؛ وانواع النشـــاط الاخرى التى تؤمن بلوغ الاهداف السياسية للحرب مباشرة او عن طريق خدمة القتـــال المسلح ـ الشكل الاقتصادى والايديولوجى وكذلك الاشكال غير العسكرية للنشاط السياسى (الدبلوماسية ونشاط الاحزاب والمنظمـــات الاجتماعية والخ .) .

المضمون السياسى للحرب يتجلى من خلال طابع الاهداف السياسية التى تطرحها الدولة او الطبقة المعينة . وهذا المضمون

يتفاوت حسب العهود التاريخية . فالكثير من حروب القرن التاسع عشر ، مثلا ، كان مضمونها الحركة التحررية الوطنية البرجوازية . اما فى اواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين فان اقتسام العالم اصبح المضمون الموضوعى للحروب الامبريالية .

ويمكن للمضمون السياسى للحرب ان يكون متشابها من حيث طابعه لدى كلا الطرفين المتحاربين ، كما كان الامر ، مثلا ، فى الحرب العالمية الاولى ، ولكنه يمكن ان يكون متضادا ، اذا كانت الحرب عادلة بالنسبة لطرف وجائرة بالنسبة لطرف آخر . وفضلا عن ذلك ، ينبغى ان نأخذ بعين الاعتبار ان الاهداف السياسية للحرب غالبا ما تظهر فى تشابك معقد وتتسم بطابع متناقض . فان كلا من الطرفين المتحاربين ، اذ يذود عن مصالح مختلفة ، يمكن ان يضم قوى اجتماعية متباينة تؤثر على سياسة الطبقات المسيطرة وتضفى على طابع هذه الحرب او تلك سمات متفردة متميزة . والى جانب ذلك تجر الحروب الحديثة الى فلكها ائتلافات دولية كاملة قد تكون متماثلة من حيث نظامها الاجتماعى-الاقتصادى او متعارضة (مثل ائتلاف دول الحلفاء ضد الفاشية فى الحرب العالمية الثانية) .

ويتكون المضمون السياسى لكل حرب من المطامح السياسية للقوى الطبقية المنخرطة فى القتال ، ويجسد كافة الاتجاهات الاساسية لتطور الصراع الطبقى والتى تحدد التفرد الملموس للحرب المعنية . انه عنصر يحدد مضمون الحرب .

القتال المسلح يشكل وسيلة اساسية وعنصرا مميزا للحرب .
فحتى الاطر الزمنية للحرب تحدد بتواريخ بدء العمليات الحربية وانتهائها . الا ان القتال المسلح هو سياسة من الفه الى يائه ؛ ولا يمكن فصله عنها .

ويضم مضمون الحرب كذلك كافة انواع النشاط الاخرى

التى ترتبط على نحو او آخر بالقتال المسلح وتكمله وتعزز وتؤمن العمليات الحربية وتخدم بصورة مباشرة او غير مباشرة بلوغ الاهداف السياسية للحرب .

من اجل الحرب تعبأ قوى الشعب المادية والمعنوية . ويكيف الاقتصاد للمهمات الجديدة ـ مهمات تامين كل ما هو ضرورى للقتال المسلح . وبديهى ان تكييف الاقتصاد لمهمات الحرب يجرى بطرق متباينة فى البلدان الراسمالية والاشتراكية ، ولكن المهم هنا ان هذا التكييف يجرى فى كل مكان .

ويتغير بصورة جوهرية كذلك اتجاه تطور العلم . فالعلم يتحول بدرجة كبيرة الى تامين حاجات الحرب . ويساعد علم الطبيعة على استكمال واتقان السلاح وصنع تكنيك جديد ، وكذلك وقاية صحة افراد الجيوش المتحاربة والخ . .

ويصبح النضال الايديولوجى سلاحا للحرب ، فان كافة طرق هذا النضال «ترتدى زرد الحرب» وتخدم مصالحها . وبديهى ان اهداف وطرق التاثير الايديولوجى فى البلدان الرأسمالية والاشتراكية متعارضة من حيث المبدأ .

اذن ، فالحرب ليست مجرد قتال بين القوات المسلحة ، انها كذلك مباراة بين الاقتصادات والسياسات ، انها تصادم بين الايديولوجيات . وتجرى المباراة فى الميدانين الاقتصادى والايديولوجى ليس فقط عن طريق التأمين اللازم لحاجات القتال المسلح، بل وبصورة مباشرة بشكل صراع اقتصادى وايديولوجى .

دور السياسة فى تحضير وشن الحرب

تكمن جذور الحروب ، كما ذكرنا اعلاه ، فى طبيعة التشكيلات الطبقية التناحرية . وتنشب الحروب ليس بصورة عفوية ابدا ، خلافا لنشوب ازمات فيض الانتاج الدورية التى تهز الاقتصاد

الرأسمالى بين الفينة والفينة . فان احدا ما لا يخطط للازمات ولا ينظمها ، وان احدا ما لا يريد هذه الازمات ولا يطمح اليها . فهى تنهال على رؤوس الناس عفويا وبشكل مفاجئ ، كما تنهـــال الكوارث الطبيعية التى لا مرد لها .

ان الحروب التى تشنها الدول العدوانية تولدها عادة مختلف العمليات العفوية ذات النطاق الواسع والتى لم يكن باستطاعة زعماء هذه الدول ان يستشفوها ، بله ان يحولوا دونها او يدرأوهـــا (الازمات المالية وحالات الافلاس ، الطفرات فى التطور الاقتصادى لبعض البلدان وفى التجارة العالمية ، التزايد السريع لتذمر الجماهير الشعبية وتأثيرها ثوريا وهلمجرا) . وان نتائج هذه الحروب ، فى اغلب الحالات ، تختلف اختلافا كبيرا عن الاهداف التى شنت من اجلها ، بل وتتناقض معها احيانا تناقضا تاما . وقد تميزت بذلك خصوصا الحربان العالميتان المنصرمتان .

ومع ذلك فأن الحروب هى اكثر الاجراءات تنظيما واشدها توجيها من بين كافة الاجراءات التى تحققت فى المجتمعات المتطورة عفويا . فالحروب تتطلب بالحاح دائما الحد الاقصى الممكن فى هذه المجتمعات من تذليل التشوش والتشتت والعفوية فى افعال جماهير واسعة من الناس واخضاع هذه الافعال لارادة قياديـــة موحدة . فالطبقات الاستغلالية تمارس تحضير الحروب العدوانية عادة تحت ستار كثيف من السرية ، ولكن عن وعى ودأب طوال سنين عديدة ، بل وحتى عشرات السنين ، وعن وعى ايضا تشن حكومات هذه الطبقات واحزابها هذه الحروب عندما ترى انه حانت اللحظة الاكثر ملاءمة وجدوى لبدء الحرب التى جرى الاعداد لها منذ زمان بعيد . ان هذه الاحزاب والهيئات الحكومية والشخصيات المسؤولة فيها هى بالذات مشعلة نيران الحروب والمسؤولة عن فظائعها .

يجرى التحضير للحرب مسبقا وعلى اتجاهــات عديدة ، فى مختلف ميادين الحياة الاجتماعية وفى مختلف المجالات .

وتمارس الدول الامبريالية فى المقام الاول **التحضير العسكرى** لشن الحروب التى تنوى اشعال نيرانها . ويتلخص هذا التحضير فى تشكيل واستكمال القوات المسلحة وتجهيزها بالآليات والاعتدة الحربية الحديثة ، وفى بناء مختلف انواع القواعد العسكرية ووضع الخطط الستراتيجية وتنظيم التجسس والتخريب ضد ضحايا العدوان المدبر .

ويلعب **التحضير الدبلومـــاسى** دورا كبيرا ، حيث تتلخص مهماته فى : تأمين افضل ما يمكن من تناسب القوى الدوليـــة فى الحرب المرتقبة وعقد الاحلاف العدوانية وزج الخصوم فى صدامات دولية وحروب اخرى ، بل وزج «الاصدقاء» احيانا ، بغيــــة ارغامهم ، بعد استنزاف قواهم ، على السير فى ركاب سياسة الدولة المعنية .

وتمارس الدول الامبريالية كذلك **التحضير الاقتصادى** المنهجى للحروب والذى يكتسب فى الوقت الحاضر اهمية كبيرة خصوصا . ولا يقتصر هذا التحضير على بناء المصانع الحربيــة ، بل يشمل اخضاع الاقتصاد لاهداف الحرب منذ زمن السلم . ويجرى فى الوقت ذاته تكديس المواد الستراتيجية على نطاق هائل . وتخضع البحوث والدراسات العلمية واعمال التصميم والهندسة لاغراض التحضير للحرب .

وتجرى **تغيرات فى الحياة السياسيــة الداخليــة** للبلدان البرجوازية ، حيث تصفى بالتدريج ابسط الحقوق الديمقراطيــة للمواطنين ؛ وتقام الانظمة الفاشية الدكتاتورية بمختلف الاشكال ؛ وتتحول الدول الى دول عسكرية وبوليسية-عسكريــة ؛ وتتخلل الروح العسكرية كافة مجالات حياة المجتمع البرجوازى .

واخيرا ، تمارس الدول الامبرياليـــة **التحضير الايديولوجى** المنتظم المشدد لحروب عدوانية جديدة . ويستهدف هذا التحضير مهمة مزدوجة : ستر الاهداف الحقيقية للحرب التى يجرى اعدادها ، اى الاهداف الاغتصابية الجائرة والمعادية للشعب ، وتأليب شعوب البلدان المنضمة الى الاحلاف العدوانية على شعوب الدول الاشتراكية والدول الاخرى المحبة للسلام .

الا ان التعمد المقصود فى تحضير وشن الحرب لا يستبعد شيئا من الصدفة التى يمكن ان تصبح حجة لاعلان الحرب . فدور الصدفة الذى يؤدى دائماً وظيفة ثانوية يمكن ان يتغير بصورة جوهرية تبعا للظروف التاريخية الملموسة .

وهناك امران يصفان فى سنوات ما بعد الحرب دور الصدفة فى تشوب الحرب .

اولا ، توتر العلاقات الدولية الذى تخلقه وتشدده خلال امد طويل الاوساط العدوانية للدول الامبريالية . فان جو «الحرب الباردة» والهوس الحربى والخوف من «الخطر الاحمر» الذى يعزوه دعاة «الضربة النووية الوقائية» الى المعسكر الاشتراكى ـــ كـــل ذلك يسهم فى ان هذه المصادفات او تلك يمكن ان تصبح حجـــة لاعلان الحرب . ومما يساعد على ذلك تزايد سباق التسلح فى البلدان الامبريالية . فالميزانيات العسكرية لبلدان حلف شمال الاطلنطى تزداد ٢ــ٣ مليارات دولار سنويا . ومما يشكل خطرا على السلم هو التحالف المشؤوم بين العسكريين المحترفين وبين الاحتكارات التى تزداد ربحا من صنع وسائل الحرب . ان هذا التحالف الذى يدعى بالمجموعة العسكرية الصناعية يعتبر ذا قوة مستقلـــــة ويمكن فى لحظات معينة ان يخرج عن نطاق سيطرة الرأى العام . كل هذه القوى الاجتماعية والمنظمات والافراد وما يشابهها تتسبب فى عدم استقرار الوضع الدولى المحفوف بالاعتداءات والحروب .

ومما يزيد من عدم استقرار الحياة الدولية هو السياسة التي ينتهجها قادة الصين .

ثانيا ، توفر احتياطيات السلاح الصاروخي النووي المتزايدة على الدوام في ايدي القوى العدوانية . ان هذا السلاح ، كقاعدة عامة ، جاهز للاستعمال دوما ويمكن تشغيله اوتوماتيكيا . وبالرغم من التحوط لهذا لا توجد ضمانة تامة من خطر المصادفات التكنيكية التي يمكن ان تسفر عن انفجار نووي . وفي ظروف العلاقات السياسية المتوترة يمكن ان يفسر هذا الانفجار بصورة غير صائبة فيصبح حجة لبدء الحرب . ويزداد هذا الاحتمال كلما ازداد تعقد السلاح الحديث . زد على ذلك ان المصادفات يمكن ان تحدث بسبب خطأ في عمل الاشخاص الذين يقومون على خدمة الاجهزة النووية . ويمكن ان يؤدي الى ذلك شلل عقلي لدى البعض او انعدام الشعور بالمسؤولية ووجود النوايا المغامرة لدى البعض الآخر . ويحتمل تماما وقوع اخطاء لدى هيئات توجيه الطائرات او الصواريخ الستراتيجية ؛ مثل الاخطاء في فك رموز التسجيلات الرادارية .

الا ان الامر الرئيسي ، طبعا ، ليس في المصادفات ، بل في الاتجاه الحتمي لدى القوى العدوانية الامبريالية الى شن الحروب . غير ان هذا الاتجاه يواجهه اتجاه آخر متجسد في القوى الاجتماعية الجبارة المناضلة في سبيل تخفيف التوتر الدولي ودرء الحرب وفي سبيل التقدم الاجتماعي . ويسير في طليعة هذه القوى المعسكر الاشتراكي بقدرته الاقتصادية والمعنوية والعلمية والعسكرية الهائلة . ان مواصلة تعزز الاتحاد السوفييتي وجميع البلدان الاشتراكية وتنامي القوى الاجتماعية المناضلة في سبيل صيانة وتوطيد السلام يضيقان امكانية اشعال الامبرياليين لنيران حرب عالمية جديدة .

وعلى النقيض من السياسة الحربية للامبريالية ينتهج الحزب الشيوعي السوفييتي والاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية الاخرى سياسة رص صفوف كافة القوى المحبة للسلام والمعادية للامبريالية ، سياسة النضال ضد قوى الرجعية والحرب . وتطبق في الوقت ذاته سياسة تعزيز القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتي والاسرة الاشتراكية جمعاء .

دور السياسة في توجيه الحرب

ان للسياسة دورا حاسما ليس فقط في التحضير للحرب ، بل وفي توجيهها ايضا . **فالحرب** ، كما قال لينين ، **هي سياسة من الفها الى يائها ، وهي استمرار لتحقيق الطبقات لنفس الاهداف بطريق اخرى .**

فالاهداف السياسية لبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية حددت في الحرب العالمية الثانية طابع ستراتيجيتهما واثرت ، عن طريق الستراتيجية ، تأثيرا حاسما على العمليات الحربية لقواتهما المسلحة . لقد ماطل الامبرياليون الاميركان والبريطانيون بكل الوسائل في فتح الجبهة الثانية ، وكانوا يعدون خطط شن العمليات ليس في فرنسا ، بل في ايطاليا والبلقان . وقد حددت هذه الاهداف الستراتيجية اساليب واشكال القتال التي استخدمتها القوات الانكلو-اميركية ، والطريقة العامة لعملياتها الحربية — التباطؤ والبرود وعدم الحزم .

وعلى غير هذا النحو كانت الخطط السياسية وكذلك الاغراض الحربية-الستراتيجية الاساسية لالمانيا الفاشية . فالاوساط الحاكمة في المانيا ، سعيا منها الى التحطيم السريع لاعدائها الكثيرين الذين كانوا يملكون بمجموعهم تفوقا كبيرا في القوى الكامنة ، كانت تخشى اكثر من اي شيء آخر الحرب على جبهتين : ضد الاتحاد السوفييتي

وضد الدول الغربية . ولذلك احتوى مضمون المذهب العسكرى الالمانى ، الى جانب اتجاهه الطبقى المعادى للاتحاد السوفييتى ، فكرة الحرب الخاطفة ، اى دحر الاعداء كل على انفراد بضربات مباغتة قاضية سريعة ، دون فسح المجال لهم بغية تعبئة وزج كافة مواردهم . وكانت هذه الستراتيجية مبنية بصورة رئيسية على الاستفادة من عنصر المباغتة على اكمل وجه وسرعة العمليات فى القتال المسلح .

ولقد حددت الاغراض الستراتيجية للامبريالية الالمانية الطابع العام لعمليات قواتها المسلحة . وكانت القوات الهتلرية مدربة على خوض العمليات الهجومية النشيطة ، الامر الذى حمل لها انتصارات كبيرة فى بداية الحرب ، حيث لم يكن الوقت لدى اعداء هذه القوات يتسع للتعبئة . الا ان كون الاغراض السياسية والحربية-الستراتيجية لالمانيا الهتلرية مبنية على نزعة المغامرة صار واحدا من اسباب هزيمتها الماحقة ، فقد دحر الجيش السوفييتى قواتها المسلحة الاساسية .

وهكذا ، **تؤثر سياسة الدول المتحاربة ، عن طريق الستراتيجية ، تأثيرا حاسما على طابع القتال المسلح واساليبه واشكاله .**

ان نطاق الحروب وتوترها تحددهما الاهداف السياسية قبل كل شىء . فى مستهل القرون الوسطى كانت الحروب تشن بصورة رئيسية بغية فتح بعض الاقاليم والمدن . ولذلك اتسمت بطابع محلى محدود ، وليس نادرا ان شنت بغير حزم وعلى فترات متقطعة طويلة الامد . اما فى ظل الامبريالية فصارت الحروب تخاض لاول مرة فى التاريخ على النطاق العالمى ، حيث تنجر اليها جميع الدول الكبرى .

ان اتساع نطاق الحروب الى هذا الحد لا يمكن تأويله بمجرد تقدم التكنيك الحربى وحده ، اذ انه لا يحدد الا امكانية خوض

القتال المسلح على نطاق واسع وبتوتر شديد . ان نطاق الحروب رهن ، قبل كل شيء ، باهداف واغراض سياسة الدول المتحاربة . وفي الظروف الجديدة اخذت الدول الامبريالية الكبرى تضع نصب اعينها مهمة تحقيق سيطرتها على العالم في الحروب التي تشنها . وقد كتب لينين يقول: « « ان السيطرة على العالم » هي ، باختصار ، فحوى السياسة الامبريالية التي تعتبر الحرب الامبريالية استمرارا لها » * . وبذلك بالذات يفسر كون الاصطدامات المسلحة بين الدول الامبريالية تحولت الى حروب عالمية .

ان السياسة ، اذ توجه القتال المسلح طبقا لاهدافها ، مضطرة الى ان تراعي بدقة الظروف الاقتصادية والجوانب الاخرى لحياة المجتمع . وهذا ما يصلح خصوصا للحروب الحديثة التي ازداد فيها لدرجة فائقة تفاعل كافة الظواهر والعمليات .

اذن ، فان السياسة تؤثر تأثيرا حاسما على خوض القتال المسلح . ويساعد ادراك هذا الامر ادراكا تاما عميقا على اخضاع الاعتبارات العسكرية الصرفة للاهداف الكبيرة التي تتوخاها الدولة وعلى استخدام الاسلوب العلمي في حل المسائل المعقدة . والى جانب ذلك تحذر الماركسية-اللينينية من الاختلاف الخطير ، بله الهوة ، بين الاعتبارات السياسية وبين الجدوى العسكرية . **وليس غير الوحدة العضوية بين الاسلوب السياسي في معالجة القضايا العسكرية وبين المعرفة الممتازة وكذلك المراعاة الواعية للملابسات العسكرية الصرفة ولقوانين خوض القتال المسلح ما يؤمن افضل الظروف لبلوغ الاهداف المنشودة .**

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٨٥ .

التأثير العكسى للحرب على السياسة

ان الحرب ليست تابعة للسياسة فقط ، بل هى ايضا قادرة على ان تؤثر تأثيرا نشيطا فى السياسة ، حيث تعيق احيانا ، وتعجل غالبا عملية نضج التناقضات الاجتماعية المحركة لتطور المجتمع الطبقى . ان تأثير الحرب على الحياة الاجتماعية لا يقلل من شأن الدور الحاسم الذى تلعبه السياسة فى تحضير وشن الحرب وخوضها . ومع ذلك فان التأثير العكسى للحرب على السياسة هائل ، وهو يتجلى فى العلاقات الخارجية والداخلية على حد سواء للدول المتحاربة .

ان الحرب التى هى استمرار للسياسة تولد متطلبات خاصة بها وملحة جدا ، لا يمكن التغاضى عنها . ويتعلق ذلك خصوصا بالحروب العالمية حيث تزج قوى بشرية هائلة ووسائل تكنيكية جبارة .

وليس نادرا ان تضطر الدول المنخرطة فى فلك الحرب الى اعادة النظر فى هذه او تلك من جوانب سياستها وتكييفها للظروف الجديدة والمهمات الجديدة التى تظهر فى سياق القتال المسلح . وبديهى ان الدول المتحاربة لا تتخلى مع ذلك عن حماية مصالحها الجذرية واهم اهدافها . بل على العكس ، فهى تغير ، عند بدء الحرب ، وفى سياقها ، كامل سياستها بحيث تدافع بترتيب وتعاقب آخر وبطرق اخرى عن نفس تلك المصالح وتناضل من اجل نفس الاهداف التى تشن الحرب فى سبيلها . ويعود الدور الحاسم الى السياسة دوما فى التفاعل بين الحرب والسياسة . فان حاجات القتال المسلح ضد المانيا الفاشية واتباعها اضطرت ، مثلا ، بريطانيا ، والولايات المتحدة الاميركية فيما بعد الى دخول الائتلاف مع الاتحاد السوفييتى ضد المانيا الهتلرية وتقديم مساعدة عسكرية

معينة الى الشعب السوفييتى ، وذلك بصورة رئيسية عن طريق الحصار البحرى لالمانيا وقصف مراكزها الصناعيـــــة وشبكات مواصلاتهـــا ، وكذلك تزويد الاتحـــــاد السوفييتى ، على اساس برنامج «اللنيد ليز» ، ببعض المواد الستراتيجية . علما بان الاوساط الرجعية فى هاتين الدولتين لم تنس ولا للحظـــــة واحدة هدفها الطبقى الرئيسى المتمثل فى افناء او اضعاف الاتحاد السوفييتى .

وتؤثر الانتصارات والهزائم تأثيرا هائلا على سياسة الدول المتحاربة والدول المحايدة على حد سواء . فخلال الحرب العالمية الثانية ، مثلا ، التزمت تركيا رسميا بسياسة الحياد . ولكن بسبب من انتصارات القوات الالمانية الفاشية فى صيف ١٩٤٢ صارت الحكومة التركية تميل بصورة متزايدة الى العمل النشيط الى جانب المانيا . الا ان دحر القوات الهتلرية عند ضفاف الفولغا وفى شمال القفقاس سبب انعطافا شديدا فى سير الاحداث ، وعندها تخلت الحكومة التركية عن فكرة الحرب ضد الاتحاد السوفييتى بالتحالف مع المانيا الهتلرية . زد على ذلك ان تركيا اعلنت الحرب على المانيا فى شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، وكان ذلك طبعا امرا شكليا صرفا فى تلك الآونة .

ان التغيرات الجوهرية ، تبعا لسير الحـــرب ، لا تطرأ على العلاقات الدولية وحسب ، بل تشمل ايضا الحياة السياسية الداخلية فى الدول المتحاربة .

وتبين خبرة الحرب العالمية الثانية انه من المحتم ان تظهر وتنظم قوى التحرر الوطنى فى البلدان التى يستولى عليها الغزاة . وقد هيأت انتصارات الجيش السوفييتى فى الحرب الوطنيـــــة العظمى آفاقا واسعة امام نضال الشعوب التى استعبدها الغزاة الالمـــان الفاشست .

ويتجلى ذلك بوضوح فى الظروف الراهنة ايضا . فان شعب الفيتنام الجنوبية بأسره هب الى القتال المسلح ضد المعتدين الاميركان . وادى عدوان اسرائيل الى تزايد نشاط الشعوب العربية ورص صفوف القوى الديمقراطية ليس فقط من اجل الدفاع عن اراضيها ، بل ومن اجل الدفاع عن التحويلات التقدمية .

وعندما تبدأ الحرب يتسنى للبرجوازية عادة ان تنتزع من الطبقة العاملة بعض مواقعها واحيانا الكثير من هذه المواقع . وتنتهز الطبقة المسيطرة ظروف الحرب فتقمع بالارهاب السافر القسم الاكثر وعيا ونشاطا من البروليتاريا وتوجه ضربات حساسة الى تنظيماتها الثورية . وبواسطة الدعاية الديماغوغية الزائفة الواسعة تسمم البرجوازية الامبريالية فى الوقت ذاته اذهان قسم ما من الطبقة العاملة بسم الشوفينية . وبذلك تستطيع البرجوازية ان تضيق الخناق موقتا على الحركة العمالية الثورية وتزيحها الى المرتبة الخلفية . ومن المعروف ان الدولة البرجوازية ليس نادرا ان تشن الحرب مؤملة بان الانتصار اليسير السريع على العدو الخارجى سيتيح لها قمع القوى الثورية داخل البلاد .

الا ان الحرب التى تعمق التناقضات الملازمة للدولة الاستغلالية يمكن ان تشدد الصراع الطبقى لدرجة كبيرة فتعجل بانتصار الطبقة العاملة . ان الحرب هى ازمة كبرى ، وان اية ازمة ، لدى توفر امكانية التوقف والنكوص موقتا ، تعنى فى آخر المطاف تعجيل التطور وكشف وتشديد التناقضات وانهيار كل ما هو متعفن .

ان الحرب تتطلب توترا هائلا لكافة القوى المادية والمعنوية فى الجبهة والمؤخرة . وكتب ماركس يقول : «ان الحرب تمتحن الامة . . . وكما تتناثر المومياء فور تعرضها لمفعول الجو ، كذلك الحرب تصدر حكمها الاخير على الانظمة الاجتماعية التى فقدت

قدرتها على البقاء» * . فهى تسلط سيف الامتحان القاسى على متانة الانظمة السياسية وقدرتها على البقاء . وغالبا ما اتضح التعفن المنغرز فى صلب الانظمة التى بدت جبارة لا تتزعزع . وهذا ما حدث ، مثلا ، لنظام الحكم المطلق فى روسيا ابان الحرب العالمية الاولى ، وللنظام الفاشى فى المانيا وايطاليا فى سنوات الحرب العالمية الثانية .

تلك هى الخبرة التاريخية للتأثير العكسى للحرب على السياسة فى الحربين العالميتين المنصرمتين . ويتأكد ذلك ايضا فى الحروب الحالية.

٢ ـ السياسة والحرب النووية الحرارية

ان الترابط بين السياسة والحرب لا يظل ثابتا جامدا الى الابد . فهذا الترابط ، شأنه شأن اية صلة وعلاقة فى الطبيعة والمجتمع ، يتغير ويتطور ويتعقد ويكتسب اشكالا جديدة . ويتسم تحليل ومراعاة هذه التغيرات بأهمية نظرية وعملية كبيرة بسبب خطر نشوب حرب نووية حرارية عالمية ، وكذلك بسبب الحروب المحلية المحدودة العديدة التى يشنها المعتدون الامبرياليون فى مختلف مناطق العالم .

الجانبان الثابت والمتغير فى التناسب بين السياسة والحرب وفى جوهر الحرب

ذكرنا اعلاه ان جميع حروب الماضى والحاضر كانت دوما ولا تزال من حيث جوهرها استمرارا لسياسة طبقات ودول معينة ولكن بوسائل العنف المسلح . وينبغى ان نرى فى هذه الحال جانبين مترابطين .

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١١ ، ص ٥٥١ .

اولا ، ان الترابط بين السياسة ، المضمون السياسى ، وبين العنف المسلح ترابط ثابت يشمل كافة الحروب بلا استثناء ويشكل اساسها وهيكلها . ان هذا هو ، على حد تعبير لينين ، الامــــر «الثابت ، الراسخ» . ولذلك فاية حرب نأخذها ، بما فيها الحرب النووية المحتملة ، نجدها من حيث الجوهر استمرارا للسياســـة بوسائل العنف المسلح .

ثانيا ، ان الترابط بين السياسة والحرب متغير متحرك لان كلا جانبى الترابط معرضان للتغيرات . ولذلك فان جوهر الحرب غير ثابت . وقد اكد لينين «ان الاعتراف بعنــــاصر ما ثابتـــة و«بجوهر الاشياء الثابت» وهلمجرا ليس مادية ، بل هو مادية **ميتافيزيقية** ، اى منافية للديالكتيك» * . وليست الظواهر وحدها ، على حد قوله ، عابرة متحركة جارية ومنفصلة عن بعضها البعض بحدود اصطلاحية لا غير ، بل وان جواهر الاشياء كذلك ايضا .

ولذلك لا يعنى ثبات حكم الماركسية-اللينينية عــن الحرب بوصفها استمرارا للسياسة بوسائل العنف ان جوهر الحرب الذى يعبر عنه هذا الحكم يظل ثابتا . فان تغيرات معينة تجرى داخل جوهر الحرب ، فى التناسب بين مضمونها السياسى والعنف المسلح . وتعزى هذه التغيرات الى جملة ملابسات هامة .

ويعزى تحرك وتغير الترابط بين السياسة والحرب الى ان الطبقات الطليعية التقدمية تحل فى مجرى التطور الاجتماعــــى-الاقتصادى محل الطبقات الرجعية ، وتتحول البنية الطبقيـــــة للمجتمع ، وتتغير العلاقات بين الطبقات والامم والدول . ونتيجة لذلك تتعرض السياسة لتغيرات جوهرية وتتشبع فى التشكيلات الاجتماعية المختلفة بمضمون طبقى متباين نوعيا . وتؤثـــر

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

التغيرات الجذرية الجارية فى السياسة بدورها على جوهر الحرب ومضمونها وطابعها . ويساعد هذا النوع من التغيرات على الفصل بين حروب عصر ما عن حروب عصر آخر ، ويهيىء ممهدات التصنيف العلمى للحروب وتحديد موقف الجماهير الشعبية منها ووضع ستراتيجية وتاكتيك الاحزاب الماركسية-اللينينية .

لقد سجل لينين فى ملاحظاته على هوامش كتاب كلاوزيفيتس «عن الحرب» كلمتى «عين الصواب !» امام الحكم التالى الهام لفهم تأثير السياسة على تغيرات جوهر الحرب : «. . . لقد تعرضت الحرب نفسها بجوهرها واشكالها كذلك الى تغيرات كبيرة . . . ولكن هذه التغيرات لم تحدث لان الحكومة الفرنسية حررت الحرب واطلقت سراحها ، ان صح القول ، من اعنة السياسة ، فهذه التغيرات نجمت من السياسة الجديدة التى نبعت من احشاء الثورة الفرنسية ليس فقط لاجل فرنسا وحدها ، بل لاجل اوربا بأسرها» * .

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التى اطاحت بنظام الاستغلال فى روسيا وقضت على سياسة الاضطهاد الاجتماعى والقومى التى انتهجتها الطبقات الاستغلالية واستبدلتها بسياسة مغايرة من حيث المبدأ وبعلاقات سياسية مغايرة نوعيا ظهرت بانتصار الاشتراكية — ان هذه الثورة قد اجرت تغيرات عميقة للغاية فى الترابط بين السياسة والحرب . فالتحولات الثورية فى السياسة اثرت تأثيرا هاما على جوهر ومضمون وطابع الحروب التى اضطرت الدولة السوفييتية الى خوضها دفاعا عن النفس . ولقد كانت هذه الحروب استمرارا لسياسة النضال فى سبيل تحرير الشغيلة من رأسماليى بلادها والعالم بأسره .

---

* المجموعة اللينينية الثانية عشرة ، ص ٤٤١ .

ومع التغيرات فى السياسة وبتأثيرها ـ على اساس تطور القوى المنتجة والتقدم العلمي-التكنيكي ـ اتقنت وتتقن وسائل واساليب واشكال القتال المسلح ويتسع نطاق الحروب واطرها المكانيـــة وتجهيز الجيش بالآليات الحربية والاسلحة المعقدة وتزويده بالقوى البشرية وتكتسب الحروب طابعـــا اكثر تدميرا وابادة ، وتزداد عواقبها الاجتماعية وخامة ، ويشتد تأثير الحـــرب العكسى على السياسة وعلى كافة جوانب حياة البلدان والشعوب المتحاربة . وتتجلى فى ذلك ايضـــا تغيرات جوهر الحـــرب ومضمونهـــا وطابعها .

لقد تعقد الترابط بين السياسة والحرب واضيفت اليه جوانب جديدة بنتيجة التطورات الاجتماعية الجذرية فى العصر الحاضر ، المتمثلة فى تحول المنظومة الاشتراكية العالمية الى عامل حاسم لتطور البشرية وفقدان الامبريالية لهذا الدور ، مما زاد مـــن عدوانيتها ؛ والنطاق الهائل للعلاقات السياسية التى شملت ليس فقط صراع الطبقـــات والامم والدول ، بل والاحلاف العسكرية-السياسيـــة والنظامين العالميين المتعارضين ، ويقظـــة الجماهير بملايينها الغفيرة وممارستها السياسة فى كافة ارجاء المعمورة ، والتطور الحثيث للقوى المنتجة والثورة العلمية-التكنيكية ، مما قدم للسياسة قاعدة مادية-تكنيكية جبارة ، والثورة العظيمة فى الشؤون العسكريـــة التى تحققت فى اكثر الدول تطورا من الناحيـــة الصناعية .

ان التغيرات العميقة فى السياســـة وفى وســـائل خوض الحـــرب ستترك ، ولا بد ان تترك ، اثرا على جوهر حـــرب الامبرياليين المحتملة ضد الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى .

تشويه جوهر الحرب النووية الصاروخية
في الفلسفة وعلم الاجتماع البرجوازيين

ان علـــم الاجتمـــاع والفكر الفلسفى العسكرى البرجوازيين عاجزان عن حل مشكلة جوهر الحرب النووية ، تلك المشكلـــة المعقدة ، انطلاقا من المواقع العلميـــة . فهما يشوهان بمختلف السبل جوهر الحرب النووية الصاروخية ، ومضمونها وطابعهـــا بالتالى . ومن تلك السبل المختلفة تشويه جوهر السياسة قبل كل شئ ، وفصل السياسة عن الاقتصاد وعن نشاط الجماهير الشعبية والطبقات وتجريد السياسة من مضمونها الموضوعى واقتصارها فقط على الحسابات الذاتية لبعض الافراد .

ان التفسير المثالى للسياسة الذى تتخلله عناصر النزعة الغيبية الدينية والمادية المبتذلة يلازم الايديولوجيين البرجوازيين .

وفى الوقت ذاته يعارض الايديولوجيون البرجوازيون بصورة مفتعلة السياسة الداخلية بالسياسة الخارجية ويروجون «لاولوية» السياسة الخارجية على السياسة الداخلية ويحاولون ، على هذا الاساس ، ان يثبتوا بان الحرب هى وليد واستمرار للسياســـة الخارجية فقط . فالنظرى الاميركى أ . رابوبورت ، مثلا ، يقول فى كتابه «الستراتيجية والضمير» لو ان كلاوزيفيتس عاش حتى ايامنا هذه لكان بامكانه ان يستنتج بان السياسة الدولية حاليا هى بالذات استمرار للحرب بوسائل اخرى * . ان من المستحيل ، فى مثل هذه التصورات عن التناسب بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية من جهة ، والسياسة الخارجية والحرب من جهة اخرى ،

A. Rapoport. Strategy and Conscience, N.Y. and London, 1967, p. 16. *

تكوين فكرة صائبة لا عن جوهر السياسة ولا عن جوهر الحرب التى هى استمرار لها .

ويصور الامبرياليون وايديولوجيوهم الجوهر الطبقى لسياستهم واتجاهها المعادى للشعب وكانما هى سياسة «فوق الامم والطبقات» سياسة تستجيب ، كما يزعمون ، لمصالح «الدفاع» عن اوربا «الموحدة» و«الائتلاف الاطلسى» بأسره . وهم يزعمون بان النطاقات الطبقية والوطنية-القومية للسياسة فى العصر النووى قد استنفدت نفسها واصبحت عائقا امام تطور العالم الغربى . ولذا يقترحون ان تضرب عرض الحائط الانظمة الطبقية والوطنية-القومية وسيادة الدول ، وان تستبدل «ببنية فوق القومية» وان يتحقق «التكامل الشامل» ، اى التوحيد السياسى والاقتصادى والعسكرى للدول الامبريالية بغية شن «حملة صليبية» على قوى السلام والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية .

والى جانب تشويه جوهر السياسة يجرى اضفاء طابع مطلق على دورها . ويرى بعض ايديولوجيى البرجوازية ان البشرية دخلت «عصرا سياسيا» جديدا اصبحت السياسة فيه فائقة القوة . ولذلك ينبغى ان يقام الى جانب «السد النووى الصاروخى» «سد سياسى» ضد البلدان الاشتراكية ، وخوض «حرب سياسية» ضارية مستمرة بغية تغيير تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالحهم وتفرقة البلدان الاشتراكية واضعافها والقضاء عليها . الا ان هذه الحسابات مبنية على الرمال ومحكوم عليها بالفشل المحتم .

ان اضفاء طابع مطلق على السياسة الصرفة وامكانياتها يؤدى الى تشويش الترابط بين السياسة والحرب ، والى محو الحدود النوعية بينهما ، والى الخلط بين السياسة والحرب . وليس من قبيل الصدفة ان تروج فى البلدان الرأسمالية الصيغة القائلة «ان السياسة

هى استمرار للحرب بوسائل اخرى» ، تلك الصيغة التى تقلب ، رأسا على عقب ، العلاقات الفعلية بين السياسة والحرب .

ويشوه جوهر الحرب النووية الصاروخية كذلك عن طريق اضفاء الطابع المطلق على العنف المسلح . وهذه الطريقة ليست جديدة . فاقتصار الحرب على القتال المسلح والاعتراف «باستقلال الحرب كليا عن السياسة» فى سياق العمليات الحربية قد استخدمتهما القوى العدوانية المتطرفة فى الماضى ايضا بغية تبرير «تفوق» القيادة العسكرية على القيادة السياسية واثبات ضرورة تركيز سلطة الدولة كاملة فى يدى القائد العسكرى وضرورة اقامة الدكتاتورية العسكرية قبل بدء الحرب .

ان جعل العنف المسلح صنما وعزله عن السياسة قد اكتسبا فى الظروف الراهنة شكلا جديدا «نوويا» . فالبعض من ايديولوجيى البرجوازية يزعم ان السلاح النووى الصاروخى افلت من السياسة وحول الحرب الى مناوشة آلية-تكنيكية على النطاق العالمى ، والى فوضى الدمار والابادة الجسدية بدون اى مضمون طبقى سياسى .

وهكذا فان علماء الاجتماع والنظريين العسكريين البرجوازيين لدى تحليل الترابط بين السياسة والحرب النووية ، يصورون السياسة ، من جهة ، بشكل مضخم ويضعون علامة المساواة بين السياسة والحرب ، ومن جهة اخرى ، يجعلون العنف الحربى ووسائله صنما ، ويحصرون الحرب بالقتال المسلح فقط . ان كلا هذين الموقفين المتطرفين يسدان الطريق فى وجه التفهم الصائب للترابط بين السياسة والحرب ولجوهر الحرب .

والدليل على ذلك مقالة «جوهر الحرب» التى نشرتها مجلة «يونايتيد ستيتس نيفيل اينستيتوت بروسيدينغس» الاميركية . فهذه المقالة تؤكد ان احدى مجموعتى المؤلفين المحدثين ، واغلبهم من «الكواسر» العسكريين ، تمجد العنف المسلح لدى

تحليل الترابط بين السياسة والحرب ، وتكرس جميع بحوثها «اطلاقا لاساليب خوض العمليات الحربية ، اى للستراتيجية بأضيق معنى الكلمة» . وتتكون المجموعة الاخرى من «الحمام» اى المسالمين الذين يستعظمون شأن السياسة ويستصغرون دور العنف فى الحرب ويرفضونه كليا . وتؤكد المجلة «ان اية من هاتين المجموعتين لا تفهم جوهر الحرب . . . فهما ضد الحرب او معها انطلاقا من اعتبارات ايديولوجية . . . دون ان تفهما فى الواقع ما هى الحرب ، ولماذا تشن واى دور تلعبه فى المجتمع ؟» . وتشير المجلة الى «ان الفرق ضئيل جدا» بين المجموعة الاولى والثانية فى فهم جوهر الحرب . ان هذه التعاريف الخاطئة الوحيدة الجانب للحرب ناتجة عن النظرة المثالية الى العالم وهى نتيجة للعجز المنهجى والمواقف الطبقية المتناقضة لدى نظريى الامبريالية .

ويشدد الايديولوجيون البرجوازيون نضالهم ضد مقولة الماركسية-اللينينية بشأن الحرب كاستمرار للسياسة بوسائل العنف . ويشن هذا النضال بشكلين اساسيين . فبعض ايديولوجيى البرجوازية يمتدح كلاوزيفيتس باعتباره «كلاسيكيا عسكريا» لكافة الازمان ويطرى افضاله بلا حد وينعت كتابه «عن الحرب» بانه «الانجيل» العسكرى النظرى الذى لا مثيل له ، وبذلك يشوه الحقيقة التاريخية .

ان ايديولوجيى البرجوازية الرجعية ، وخصوصا المرتبطين منهم اوثق ارتباط بكبار قادة حلف الناتو العدوانى ، عندما يمجدون كلاوزيفيتس ويتجاهلون الخبرة التاريخية يتظاهرون بانهم لا يرون اية تغيرات فى العلاقة بين السياسة والحرب . وهم يبررون سياسة الشانتاج النووى ويصرون على ابقاء الحرب النووية الحرارية فى ترسانة السياسة ويؤيدون سباق التسلح بالاسلحة النووية

الصاروخية وبالاسلحة العادية متغاضين عن خطر نشوب حرب عالمية جديدة .

اما القسم الآخر من ايديولوجيي البرجوازية فقد ادرك الخطر الفتاك الذى تنطوى عليه الحرب النووية بالنسبة للرأسمالية ووقع فى تطرف آخر ، حيث اعلن ان الاراء السابقة بشأن التناسب بين السياسة والحرب قد عتقت وفقدت اهميتها . واخذ هذا القسم يثبت ان السلاح النووى الصاروخى قد ازاح الى الماضى مبدئيا الصيغة القائلة بان الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل العنف .

ومن اهم حجج هؤلاء ، فى معارضتهم لتعريف الحرب بانها استمرار للسياسة بوسائل العنف ، كون الحرب النووية تمحو فى الواقع الخط الفاصل بين الجبهة والمؤخرة وتهدد بعواقب وخيمة فظيعة لكلا الطرفين المتحاربين . وبديهى ان هناك « نصيبا من الصحة » فى هذه الحجج التى يطرحها علماء الاجتماع والكتاب العسكريون الغربيون المتمسكون بمختلف الاراء الفلسفية ومختلف المواقف السياسية . ويكمن « نصيب الصحة » هذا فى ادراكهم لخطر الحرب النووية الاستثنائى باعتبار هذه الحرب اداة لسياسة الامبريالية العدوانية . ولكنه لا يسعنا حتى فى هذه الحالة الا ان نشير الى خطأ هذا النوع من الحجج وكونها وحيدة الجانب .

ويتلخص خطأ هذه الحجج وكونها وحيدة الجانب ، اولا ، فى ان الكتاب البرجوازيين الذين ينتقدون نظرية كلاوزيفيتس ويرفضون ببساطة الصيغة القائلة بان الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل العنف لا يقدمون حلا ايجابيا لمشكلة الترابط بين السياسة والحرب ، ولا يعملون على ادراك كنهها ، بل يشوشونه لا غير .

ثانيا ، ان علماء الاجتماع والكتاب العسكريين البرجوازيين اذ يتحججون « بعتق » الصيغة القائلة بان الحرب هى استمرار

للسياسة بوسائل العنف يسعون الى ان يوجهوا الضربة الى اهم جزء من الماركسية-اللينينية ، تعاليمها بشأن الحرب والسياسة ، ولا يعترفون بانها صالحة «للعصر النووى» . وما ذلك الا نوع حديث ، متستر احيانا بحب السلام ، لانكار الفهم الماركسي-اللينينى للسياسة والحرب والترابط بينهما .

ثالثا ، يخلط علماء الاجتماع والمؤلفون العسكريون الغربيون بين مسألتين مختلفتين بالرغم من الترابط الوثيق بينهما ، ونعنى بهما : المسألة النظرية بشأن جوهر (مضمون وطابع) الحرب النووية والمسألة السياسية والعملية بشأن ما اذا كانت هذه الحرب تصلح لان تكون اداة او وسيلة ناجعة لتحقيق السياسة .

رابعا ، يتلخص خطأ محاججاتهم وكونها وحيدة الجانب فى طمس دور سياسة الامبريالية العدوانية فيما يتعلق بصنع وتطوير السلاح الجديد . فالسلاح النووى الصاروخى ليس مجرد حصيلة لتقدم العلم والتكنيك . ففيه ، كما فى بؤرة التركيز ، تتبلور ماديا سياسة الامبريالية العدوانية المعادية للاشتراكية .

خامسا ، يتلخص العيب الاساسى لهذا النوع من الحجج فى التستر على الطبيعة الوحشية للامبريالية وفى التقليل من خطر سياستها العدوانية . ويتناسى اصحاب هذه الحجج مصير هيروشيما وناجازاكى .

وهكذا فان التهجمات المتزايدة من قبل الايديولوجيين البرجوازيين على الحكم القائل بان الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل العنف لا تستهدف معرفة الحقيقة معرفة عميقة ، بقدر ما تستهدف تشويه جوهر هذه المسألة المعقدة . فالنظريون البرجوازيون يضللون بحججهم هذه ، عن عمد او عن غير عمد ، الجماهير الشعبية بخصوص جوهر الحرب المحتملة وبخصوص

مضمونها السياسى وطابعها الطبقى (واسباب نشوبهـــا) ويجردون هذه الجماهير من سلاحها المعنوى السياسى ويحرمونها من التاكتيك الصائب والوجهة الصائبة والخط المسلكى الواضح .

بصدد جوهر الحرب النووية الصاروخية المحتملة

يهيئ المنهج الماركسي-اللينيني الامكانية لحل مسألة الترابط بين السياسة والعنف المسلح فى الحرب النووية المحتملة حلا علميا حقا . فمثل هذه الحرب ستكـــــون من حيث الجوهر هى ايضـــا استمرارا لسياسة الطبقات والحكومات بوسائل العنف . فالسياسة بالذات هى التى ستحدد موعد البدء بشن القتال المسلح وكيفيـــة خوضه . ولا يمكن للحرب النوويـــة ان تنشب من لا شيء ، مـــن «الفراغ» ، ولا يمكن ان تنشب عفويا بدون سياسة متعمدة شريرة لدى الاوساط الامبريالية العدوانية . وكما كان الحال مـــع الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وليدتى سياسة النهب والاغتصاب التى سلكتها الدول الامبريالية ، وكما هو حال العديد من الحروب المحلية المحدودة التى شنها الامبرياليون بعد عام ١٩٤٥ ، ستكون الحرب النووية الصاروخية ، فى حالة نشوبها ، نتاجا للسياسة العدوانيـــة للامبريالية .

ان السياسة ستحدد المضمون الاجتماعى والطبقى للحرب النووية الصاروخية ، كما ستحدد اهدافها . وستكـــــون الحرب العالمية الجديدة ، من جهة ، استمرارا واداة للسياسة الامبريالية الاجرامية المطبقة بالوسائل النووية الصاروخية . ومن جهة اخرى ، ستكون هذه الحرب مواجهة للعدوان عادلة مشروعة وحقا طبيعيا وواجبا مقدسا للبشرية التقدمية لمحق ألد عدو لهـــا المتمثل فى الامبريالية التي هي منبع حروب الابادة والتدمير .

اذن ، فان الحرب النووية الصاروخية لن تكف ، خلافا لمزاعم بعض ايديولوجيي الامبريالية ، عن ان تكون استمرارا للسياسة ، بل ، على العكس ، تصبح «سياسية» لدرجة اكبر . وقد اشار لينين في ملاحظاته على كتاب كلاوزيفيتس «عن الحرب» الى فكرة عميقة للغاية : «تبدو الحرب اكثر «حربية» كلما كانت اكثر عمقا في السياسة ...» * وتشير هذه الفكرة الى توسع وتعمق تأثير السياسة على الحرب وتعبر عن حتمية فريدة من نوعها هي «تسييس» الحرب الجاري في نفس وقت تصنيعها وتكنكتها . وسيكون القتال المسلح باستخدام السلاح النووي الصاروخي وغيره خاضعا في آخر المطاف لمصالح سياسة معينة ، سيكون وسيلة لبلوغ اهداف سياسية معينة .

غير ان حقيقة كون الحرب النووية ، اذا اشعل الامبرياليون لهيبها ، ستغدو وليدة واستمرارا لسياستهم الهوجاء بوسائل العنف المسلح لا تعني ابدا نفي التغيرات في جوهر الحرب النووية الصاروخية . فهذه التغيرات ، على العكس ، ستكون اكبر شأنا وضخامة مما في السابق .

ان التغيرات النوعية العميقة في السياسة في العصر الحاضر من جهة ، والانقلاب الثوري في وسائل واساليب القتال المسلح من جهة ثانية — كل هذا سيؤثر على الحرب النووية الصاروخية المحتملة وسيجعلها تختلف عن الحروب الماضية والحالية التي استخدم ويستخدم فيها السلاح «الكلاسيكي» العادي .

وسيكون من اسباب اختلاف جوهر الحرب العالمية النووية الصاروخية المحتملة عن الحروب العادية ، اولا ، مضمونها السياسي المحدد وعمق وسعة ونطاق اهدافها السياسية . ففي هذه الحرب

---

* المجموعة اللينينية الثانية عشرة ، ص ٣٩٧ .

ستحل ليس مسائل سياسية جزئية محدودة ، بل قضية ذات اهمية تاريخية هائلة ، قضية مصير البشرية جمعاء . ومثل هذه القضية الهائلة لم تكن لتشكل فى الماضى ابدا المضمون السياسى للحرب . وبذلك يتلخص واحد من الفروق الجذرية بين جوهر الحرب النووية الصاروخية وبين كافة الحروب الماضية والحالية .

ثانيا ، ستكون الميزة الملحوظة لجوهر الحرب النووية رهنا بطرق بلوغ الاهداف السياسية ، وهى طرق تختلف نوعيا عما فى الحروب الاخرى . فلئن كان بلوغ الهدف السياسى للحروب العادية يتحقق بصورة رئيسية عن طريق تدمير قوات العدو المسلحة وفرض ارادة المناوئ عليه، فان بلوغ هذا الهدف فى الحرب النووية سيتم عن طريق تدمير قوات العدو المسلحة وقدرته النووية الى جانب تصفية امكانياته الاقتصادية والعلمية والسياسية والمعنوية .

ثالثا ، سيختلف جوهر الحرب العالمية الجديدة ، اغلب الظن ، عن الحروب العادية بالطابع التكنيكى الحربى الخاص وبوسائل القتال المسلح واساليبه واشكاله المغايرة نوعيا لما استخدم فى الماضى . فستجذب هذه الحرب الى فلكها كثيرا من البلدان والشعوب وستتحول الى حرب ائتلافية عالمية .

رابعا ، ستكون العواقب المحتملة للحرب النووية الصاروخية من الامور التى تستوجب ميزة جوهر هذه الحرب . فقد جاء فى وثائق المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية : «ان الصدام العالمى فى الظروف الراهنة ، حيث تستطيع القنابل النووية ان تبلغ فى دقائق معدودات اية من القارات وتدمر مساحات هائلة ، يعنى هلاك مئات الملايين من الناس وتحويل كنوز المدنية والحضارة العالميتين الى انقاض ورماد» * .. ان هذه الحرب ، اذا لم تتسن

* وثائق المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية ، موسكو ، ١٩٦٩ ، ص ٥٥ .

امكانية الحيلولة دون نشوبها ، ستكون ، تاريخيا ، عديمة الجدوى للامبرياليين وستكون حتفا لهم .

وسيكون النصر فى الحرب الجديدة حليفا لبلدان المنظومة الاشتراكية العالمية التى تذود عن الاتجاه التقدمى الصاعد فى التطور الاجتماعى والتى توجد تحت تصرفها احدث انواع السلاح والتكنيك الحربى ، وتحظى بتأييد شغيلة جميع البلدان . ويفصح عن مآل الحرب هذا تناسب القوى بين النظامين العالميين ومنطق التاريخ وقوانينه الموضوعية التى تجسد استحالة قهر الجديد فى التطور الاجتماعى . ويستند هذا التقدير على الجبروت الفعلى للدولة السوفييتية ولكامل المنظومة الاشتراكية التى تتمتع بالامكانيات الاقتصادية والسياسية والمعنوية والتكنيكية والعسكرية لردع اى معتد ردعا تاما . ولا يجوز ان تغيب عن البال العوامل والقوى الاخرى التى لا بد وان يسرى مفعولها عند اندلاع الحرب ، ونعنى بها نضالات الجماهير الشعبية الحازمة ضد الامبريالية ، وكذلك الاعمال السياسية والدبلوماسية والقانونية-الدولية والايديولوجية وغيرها ضد مشعلى لهيب الحرب النووية .

ولدى تحليل التغيرات الممكنة فى التطور التاريخى وما ينجم عن ذلك من ميزات فى جوهر الحرب النووية الصاروخية والترابط بين هذه الحرب والسياسة لا يخلط الماركسيون-اللينينيون بين هذه المسألة وبين مسألة اخرى قريبة من تلك ولكن غير متماثلة معها ، ونعنى هنا مسالة جواز او عدم جواز استخدام الحرب النووية الحرارية كوسيلة للسياسة ، وحكمة او خطل استخدام سلاح الابادة الجماعية وامكانية او استحالة صيانة السلام . ان الماركسيين-اللينينيين يشجبون الحرب النووية بحزم ويعتبرونها جريمة نكراء بحق البشرية ويناضلون فى سبيل منع وسائل الابادة

الجماعية منعا باتا واتلافها وفى سبيل درء الكارثة النووية وصيانة السلام العالمى .

وعلى ضوء ما ذكرنا هنا تبدو خرقاء تماما التصريحات الافترائية التى يدلى بها التحريفيون «اليساريون» بصدد «ارتداد» الماركسيين السوفييت عن المقولة اللينينية بشأن الحرب كاستمرار للسياسة بوسائل العنف . فهؤلاء التحريفيون الذين يرددون هذه المقولة بصورة جامدة يتجاهلون الخصائص النوعية للسلاح النووى والعواقب الخطيرة التى تنجم عن استخدامه . ويسعى الانعزاليون الى استخدام مقولة الترابط بين السياسة والحرب لاثبات حتمية الحرب النووية بل وحتى لاعلانها امرا مرغوبا فيه كوسيلة للسياسة ، كأداة لدفع وحث التطور الثورى العالمى . ان هذا النوع من الاراء يخدم المعتدين الامبرياليين .

لقد تركت التغيرات المحتملة فى جوهر الحرب النووية الصاروخية والترابط بين هذه الحرب والسياسة اثرا على موقف عدد من شخصيات ونظريى الامبريالية . فان موقفهم من الحرب النووية الصاروخية مزدوج ومتناقض . فهم ، من جهة ، يعتبرون الحرب النووية الصاروخية وسيلة لمكافحة الاشتراكية والشيوعية ؛ ومن جهة اخرى ، يخشون مآل الحرب النووية الحرارية الفتاك بالنسبة للرأسمالية . فقد جاء ، مثلا ، فى مؤلف الكاتب العسكرى الاميركى غالبيرين «الستراتيجية الحربية المعاصرة» بخصوص هذه المسألة ما يلى : «ان التناقض الرئيسى للعصر النووى يتلخص فى النزاع الايديولوجى الشامل زائدا وسائل التدمير الشاملة التى خلقت ظرفا يستحيل فيه تحقيق الحل الشامل» . الا ان القسم الاكثر عدوانية من شخصيات وايديولوجيى البرجوازية الامبريالية المرتبطين اوثق ارتباط بالاحلاف العدوانية يتغاضى عن خطر الحرب النووية الحرارية فيصر على سباق التسلح بلا حدود ويدعو الى تسعير الصدامات الحربية واشعال لهيب الحروب الصغيرة والكبيرة مما يشكل خطرا فعليا لنشوب حرب نووية صاروخية .

وهكذا ، يساعد التحليل الماركسي-اللينيني للترابط بين السياسة والحرب النووية على التفهم الاعمق لجوهر الحرب العالمية المحتملة والكشف عن السمات المشتركة التى تربط هذه الحرب قبل كل شيء ، بالحروب الماضية والحالية ، وتحديد الخصائص والمميزات المتفردة التى تجعل هذه الحرب تختلف عن جميع الحروب الاخرى .

٣ ـ الاساس الاقتصادى للحروب

ليست السياسة التى تولد الحروب وترسم اهدافها شيئا اوليا وكافيا بنفسه . فالسياسة مشروطة بالمصالح الجذرية لمختلف الطبقات ، تلك المصالح النابعة من النظام الاجتماعى والاقتصادى للدولة الاستغلالية . ويتميز هذا النظام الذى ولد الحروب بسيطرة الملكية الخاصة وتركز القسم الاساسى من وسائل الانتاج فى ايدى الطبقات الاستغلالية التى تعيش على حساب الاستئثار بالمنتوج الزائد بعد ان ينتجه الشغيلة . وبذلك تكمن الخاصية المشتركة بين كافة التشكيلات الطبقية التناحرية ؛ ومن هذه الخاصية تنبع المصادر العامة التى تولد مختلف انواع الحروب .

ان منبع كافة الحروب الماضية والحالية بين الدول الاستغلالية من اجل المصالح الانانية لمالكى العبيد والاقطاعيين والبرجوازية وكذلك الانتفاضات والحروب التى شنها الشغيلة ضد مستعبديهم عندما اصبحت حالة هؤلاء الشغيلة لا تطاق ابدا وعندما نفد صبرهم ــ ان منبع كافة هذه الحروب هو علاقات الملكية الخاصة والتناحرات الاجتماعية والطبقية الملازمة للتشكيلات الاستغلالية . الا ان ذلك لا يلغى الفروق الخاصة فى اسباب الحروب ، تلك الفروق الملازمة لكل تشكيلة من هذه التشكيلات او لعهود تاريخية معينة .

الجذور الاقتصادية للحروب
في ظل الرأسمالية

دشنت الرأسمالية التى حلت محل النظام الاقطاعى عهدا جديدا فى تاريخ الحروب . ومن المعروف ان القانون الاساسى للرأسمالية هو انتاج القيمة الزائدة . وان هدف الانتاج الرأسمالى هو تكديس الارباح بلا انقطاع وبلا حدود . ولا يكتفى الرأسماليون بمجمل القيمة الزائدة التى تنتجها البروليتاريا فى بلدهم وحده . فان جشعهم لا حدود له . وهم يجوبون العالم كله ركضا وراء الارباح الطائلة . وتعتبر الحرب واحدة من الوسائل التى تؤمن للرأسماليين الاثراء السريع . فالحرب ترافق الرأسمالية دوما . اذ ان نظام استغلال الانسان للانسان ونظام ابادة الانسان للانسان جانبان للنظام الرأسمالى . ان الحرب هى وسيلة تحقيق مطامع البرجوازية بالعنف للاستيلاء على مصادر جديدة للخامات واسواق جديدة للتصريف ، ولنهب البلدان الاخرى والاثراء اليسير .

عندما انشأت الرأسمالية السوق العالمية لاول مرة فى التاريخ وسّعت بالتالى الى درجة لا مثيل لها الاهداف التى تشن الحروب من اجلها . وفى مقدمتها المستعمرات كمصدر للخامات البخسة والايدى العاملة الرخيصة وكميدان تصدر اليه البضائع والرساميل وكنقاط ارتكاز على الطرق التجارية الدولية . وطوال عدة قرون شنت برجوازية هولندة وبريطانيا وفرنسا والبرتغال وغيرها من الدول الاوربية حروب الغزو ضد البلدان الضعيفة التطور من اجل تحويلها الى مستعمرات لها . ونشبت الحروب كذلك بين الدول الرأسمالية نفسها بغية اقتسام العالم .

وعندما انتقلت الرأسمالية الى المرحلة الامبريالية من تطورها اشتد لدرجة بالغة الطابع العدوانى للدول البرجوازية . ويعزى

ذلك الى الخصائص الاقتصادية للامبريالية . فالامبريالية هى رأسمالية متعفنة محتضرة .

فى اواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين حل التطور العاصف بشكل طفرات مصحوبة بالكوارث محل انتشار الرأسمالية برفق لهذه الدرجة او تلك فى كافة ارجاء المعمورة . ونجم عن ذلك تفاقم واشتداد لم يسبقهما مثيل لكافة تناقضات الرأسمالية ـ الاقتصادية والسياسية والطبقية والقومية . واشتد لدرجة لم يسبقها مثيل الصراع بين الدول الامبريالية من اجل اسواق التصريف وميادين توظيف الرساميل ومن اجل الخامات و الايدى العاملة ومن اجل السيطرة على العالم . وفى عصر سيطرة الامبريالية بلا منازع كان محتما ان يؤدى هذا الصراع الى حروب تدميرية .

ان المنابع الاقتصادية الجذرية للحروب تكمن فى التصادم المتزايد عمقا بين القوى المنتجة العصرية وبين النظام الاقتصادى وكذلك السياسى للامبريالية . وذلك بالذات هو ما يشكل اساس الصدامات الحربية بين الدول الامبريالية .

لقد ضاقت بالرأسمالية اطر الدول القومية القديمة التى لم تكن الرأسمالية لتستطيع الاطاحة بالاقطاعية من دون تأسيسها . فقد تجاوز نمو القوى المنتجة للرأسمالية العالمية الاطر المحدودة للدول البرجوازية . وامتزج العالم كله فاصبح جسما اقتصاديا واحدا ، ولكنه مقسم بين حفنة من الدول الامبريالية الكبرى . ويتجلى هذا التناقض فى طموح البرجوازية الى تصدير الرساميل والى الكفاح فى سبيل اسواق تصريف البضائع التى لم تلق طلبا مقتدرا داخل الدول الاستعمارية والى الاستيلاء على مصادر الخامات والمستعمرات الجديدة والى القضاء على المنافسين فى الاسواق العالمية والى احراز السيطرة على العالم ، والى شن الحروب بالتالى .

ويتجلى التصادم بين القوى المنتجة وبين الاطر الامبرياليـــة القومية لتطورها وعلاقات الانتاج الرأسماليـــة اشد ما يتجلى فى طفرات وتفاوت التطور الاقتصادى والسياسى للبلدان الرأسمالية فى ظل الامبرياليـــة . ففى مستهل القرن الحـــالى لحقت البلدان البرجوازية الفتية من الناحية الصناعية وفى ظروف ملائمة لها بالدول الرأسمالية الكهلة المتطورة صناعيا وسبقتها بشكل طفرة فى اجل قصير نسبيا . وعقب الحرب العالمية الثانية حدث من جديد تغير فى حصة ودور بعض الدول الرأسمالية واشتد التفاوت فى تطورها الاقتصادى .

ان التطور المتفـــاوت لا بد وان يؤدى الى تغير كبير فى تناسب القوى فى المنظومة الرأسمالية العالمية . ومن حين لآخـــر يحدث خلل شديد فى التوازن داخل هذه المنظومة . ويؤدى التوزيع القديم لمناطق النفوذ بين الاحتكارات الى التصادم مع تناسب القوى الجديد على الصعيد العالمى . وبغية جعل توزيع المستعمرات يتفق مع تناسب القوى الجديد لا بد من اعادة تقاسم العالم المتقاسم سابقا بين الحين والآخر . ولا يمكن فى ظل الرأسمالية وجود مبدأ آخر لاقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ غير القوة العسكريـــة . «... لقد ركزت الرأسمالية ثروات الارض فى ايدى بعض الدول وتقاسمت الارض حتى آخر فتر ... ولا يمكن للاثراء اللاحـق ان يتحقق الا على حساب الآخرين ، اثراء دولة على حساب دولـــة اخرى . ولا يمكن حل هذه المسألة الا بالقوة وحدها ، ولذلـــك اصبحت الحرب حتميـــة بين الضوارى العالميين» * . **ونتيجـــة للتناحرات الاجتماعية الملازمة للرأسمالية ومفعول قانون التطور الاقتصادى والسياسى المتفاوت على طفرات للبلدان الرأسمالية فى**

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٦٦ .

ظل الامبريالية تبلغ التناقضات بين الدول البرجوازية اقصى حد من الشدة ، مما يؤدى الى انقسام العالم الرأسمالى الى ائتلافات متعادية والى الحرب فيما بينها .

وعلى هذا الاساس الاقتصادى نشبت الحربان العالميتان الاولى والثانية اللتان يقع الذنب فى اشعال نيرانهما على امبرياليى جميع البلدان ، وعلى كامل نظام الرأسمالية العالمى . وقد اسفرت هاتان الحربان عن عواقب مشؤومة بالنسبة للبرجوازية العالمية وساعدتا على تكوين المعسكر الاشتراكى العالمى وانهيار نظام الامبريالية الاستعمارى . الا ان الاوساط الحاكمة فى الدول الامبريالية لم تستخلص العبر اللازمة من ذلك .

اسباب
عدوانية الدول الامبريالية
فى العصر الحاضر

كان اهم سبب لسعى الدول الامبريالية الى شن الحروب فى السابق اشتداد التناقضات قبل كل شيء بين هذه الدول او بين ائتلافاتها . وتتعمق هذه التناقضات فى الحال الحاضر ايضا . غير انه شغل مكان الصدارة الآن واصبح تناقضا رئيسيا بالذات التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتضادين-الاشتراكية والرأسمالية.

ان التناقضات بين النظامين العالميين تناقضات طبقية . فان وجود المنظومة الاشتراكية بحد ذاته يضيق كثيرا من ميدان الاستغلال الامبريالى والسيطرة الامبريالية ، ويهيئ ظروف فقدان الامتيازات التى لا تزال الرأسمالية تتمتع بها . وتمارس الاشتراكية تأثيرا ثوريا على جماهير الشغيلة فى البلدان الرأسمالية ، وكذلك فى المستعمرات والبلدان التابعة .

والسبب الآخر لعدوانية الامبريالية المعاصرة يكمن فى

ان التناقضـــــات اشتدت حاليــــا بين الدول الامبرياليـــة من جهـــة والبلدان التى كانـــت مستعمرات قبـــل حين فاحرزت استقلالها ، وكذلك البلدان التى لا تزال مستعمرة من جهة اخرى . وبتأثير القدوة العظمى المتمثلة بالاتحاد السوفييتى الذى تحول من بلد زراعى متخلف الى دولة صناعية راقية ، وكذلك بتأثير نجاحات البلدان الاشتراكية الاخرى هبت الجماهير الشعبية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية حاملة مشعل ثورة التحرر الوطنى . ان تناقضا تناحريا عميقا يفصل بين الدول الامبريالية وبين البلدان التى احرزت استقلالها الوطنى والبلدان المناضلة فى سبيل تحررها .

ولا يتورع الضوارى الامبرياليون عن اية افعال للحفاظ على ممتلكاتهم الاستعمارية وتقويتها . وهم يستخدمون قوة السلاح فى محاولة لقمع نضال التحرر الوطنى لشعوب افريقيا والكثير من بلدان جنوب شرقى آسيا ، ويدبرون الانقلابات الرجعية فى دول اميركا اللاتينية . ويتمثل فى الاستعمار والاستعمار الجديد السبب المباشر او غير المباشر لكثير من الصدامات التى تهدد البشرية بحرب جديدة.

ويكمن السبب الثالث فى ان كافة التناقضـــــات الداخليـــة للرأسمالية تفاقمت بشدة بعد الحرب العالمية الثانية . ويعزى ذلك فى المقام الاول الى استمرار عملية اشتداد وتعمق الازمة العامـــة للرأسمالية والى كون التناقض الاساسى للمجتمع الرأسمـــــالى ، التناقض بين العمل والرأسمال ، لا يزال يتعمق ويسرى مفعولـه كالسابق . ثم ان الانتقال من الرأسمالية الاحتكارية الى رأسمالية الدولة الاحتكارية ، حيث تتوحد قوة الاحتكارات مع قوة الدولة ، يشدد استغلال الشغيلة لدرجة اكبر ويخضع التقدم العلمى-التكنيكى ونمو القوى المنتجة لمصالح اثراء حفنة من الاحتكاريين . ولم تكن درجة الاستغلال ابدا عالية كما هى عليـــه الآن . وحتى فى فترات ازدهار الحالة التجارية يعانى ملايين العمال والمثقفين من البطالـة

ويتعرض الفلاحون للدمار ويطردون من الاراضى ، بينما يغتنى عدد ضئيل من الاحتكارات الجبارة على حساب استغلال الشغيلة وعن طريق سباق التسلح والحروب العدوانية .

ويقترن برأسمالية الدولة الاحتكارية تشديد لم يسبقه مثيل لعسكرة كل شيء ابتداء من الاقتصاد وانتهاء بالايديولوجية . وتتخلل العسكرة كافة ميادين حياة المجتمع البرجوازى . ومن اكثر الظواهر تشوها فى العالم البرجوازى عسكرة الاقتصاد . فان انتاج ادوات ابادة البشر يلتهم قسما هائلا من الدخل القومى للدول البرجوازية . وتجاوزت النفقات العسكرية فى الولايات المتحدة الاميركية خلال عشرين عاما بعد الحرب العالمية الثانية نفقاتها العسكرية خلال العقدين اللذين سبقا الحرب ب٤٨ مرة . والآن يصرف اكثر من ثلاثة ارباع نفقات الميزانية العامة للولايات المتحدة الاميركية على الاغراض الحربية بصورة مباشرة او غير مباشرة . ويرغم نمو انتاج ادوات الحرب فى الدول الامبريالية الكبرى البلدان الاخرى على انفاق اموال طائلة بغية تعزيز الدفاع عن النفس .

ان الدول الامبريالية تتحول الى دول بوليسية-عسكرية حربية . ان البناء الفوقى غير الاقتصادى الذى يتنامى على اساس الرأسمال المالى وسياسة هذا الرأسمال وايديولوجيته - كل ذلك يشدد الرغبة فى العدوان الى اقصى حد . وقد اسفرت سيادة رأسمالية الدولة الاحتكارية عن واقع ان كبار رجال الاعمال والزعماء السياسيين وكبار العسكريين يوجهون سياسة الدول الامبريالية نحو التحضير للحرب ضد الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى .

ان التضييق الشديد لمجال عمل القوى الامبريالية واشتداد

التناقضات الى اقصى حد فى ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية قد تجليا فى استمرار تعمق التفاوت فى التطور الاقتصادى والسياسى للبلدان البرجوازية . وفى ذلك يكمن السبب الرابع لتزايد عدوانية الدول الامبريالية .

وقد حدثت فى السنوات الاخيرة تغيرات جدية فى تناسب القوى داخل العالم الرأسمالى . ولا تزال هذه العملية تتطور باطراد .

ونتيجة لذلك اشتدت التناقضات بين الولايات المتحدة الاميركية والبلدان الرأسمالية فى اوربا الغربية واليابان . كما اشتد صراع المزاحمة فى اوربا الغربية نفسها ، بما فى ذلك داخل «السوق المشتركة» وفى اتحادات رأسمالية الدولة الاحتكارية الاخرى . وظهرت اشكال جديدة للاتحادات الاقتصادية الدولية واقتسام الاسواق ، كما ظهرت مراكز جذب جديدة وبؤر جديدة للتناقضات . وينبغى اخذ ذلك بعين الاعتبار لدى حل مسألة الاسس الاقتصادية للاشتباكات والمصادمات الحربية .

ان انتصار الثورات الاشتراكية وانتقال بلدان جديدة دوما الى جادة الاشتراكية يضعفان الامبريالية لدرجة كبيرة جدا . الا ان الامبريالية ليست راغبة فى تسليم مواقعها بلا معركة . ويصبح التناقض الاجتماعى-الطبقى التناحرى بين النظامين الاجتماعيين اكثر تحديدا ويتخذ فى بعض الاحيان اشكالا حادة للغاية .

ان التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية اقوى من التناقضات بين الدول الامبريالية . فهنا تتركز العقدة الرئيسية لتناقضات العهد الراهن والتى تترك اثرها على اهم الاحداث العالمية . ويجب ان لا يغيب عن البال ان نمو قوى الاشتراكية وتعاظم النضال الطبقى والوطنى التحررى يقترنان باشتداد عدوانية البرجوازية الاحتكارية التى تحاول النضال وتناضل بكل الوسائل ضد التقدم

الاجتماعى وتحاول الذود عن امتيازاتها الطبقية وثرواتها مهما كلف الامر .

ان تطور المنظومة الاشتراكية العالمية وعددا من العوامل الاخرى يؤثران تأثيرا غير ضئيل على تفاقـــم التناقضـــات بين الامبرياليين . ويتسم هذا التأثير بطابع مزدوج . فمن جهـــة ، يشتد الطموح الى توحيد الدول الامبريالية والى تشكيل الاحلاف والاتحادات العسكرية-السياسية وغيرها ، ومن جهـــــة اخرى ، تتعمق التناقضـــات بين هذه الدول . وهكذا تتأكد كلمـــات لينين الذى قال : «هناك اتجاهان : احدهمـــــا يحتم اتحاد جميـــع الامبرياليين ، والآخر يجعل بعض الامبرياليين يعـــارض البعض الآخر ـــ اتجاهان ليس لاى منهما اساس متين» * .

وكان لا بد للاتجاه الاول من ان يتقوى طبعا فى نضـــال الدول الامبريالية ضد المنظومة الاشتراكية بعد الحرب العالميـة الثانية ؛ فقد عمدت هذه الدول الى تعزيز الاحلاف العسكريـــة العدوانية بنشاط والى عقد المعاهدات الثنائية وهلمجرا .

ان حربة العدوان الامبريالى الرئيسية موجهة ضد المعسكر الاشتراكى ، ولا يحول دون الرجعية العالمية ودون اشعـال نيران صدام حربى الا القدرة الفعلية لبلدان المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفييتى فى المقام الاول . والى جانب ذلـك يستمر اشتـداد التناقضات بين حفنة من الدول الامبريالية العاليـة التطور وبين البلدان النامية الفتية . وتسعى الامبريالية بكل قواهـا الى وقف سير الشعوب فى طريق التحويل الجذرى للانظمة الاجتماعية . ولهذا الغرض تشعل الامبريالية لهيب الحروب المحلية وتدبر الانقلابات العسكرية والمؤامرات والتدخل المسلح .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٣٣٢ .

الظروف الاجتماعية والاقتصادية
لاحلال السلام

ان الحروب ــ وهذا ما تثبته الماركسية-اللينينيــــة علميا ــ ليست ظاهرة ابدية فى التاريخ . فان الحتمية التاريخية لانتقال جميع البلدان او ، على الاقل ، البلدان الرئيسية الى الاشتراكية تهيئ الاساس الاقتصادى لتلافى الحروب فى حياة المجتمع واحلال السلام الدائم على الارض . ولقد بلغت البشرية مستوى من التطور تكونت فيه المقدمات المادية التى تحدد ليس فقط الامكانية ، بل والضرورة الموضوعية لانتصار النظام الجديد الاشتراكى الــذى تنتفى فيه تربة الحروب والصدامات الحربية . فقد كتب لينين قائلا : «... ان هدفنا هو تحقيق النظام الاجتماعى الاشتراكى الذى يلغى حتما اية امكانية للحروب عموما وذلك بالغاء تقسيم البشرية الى طبقات والغاء اى استغلال للانسان من قبل الانسان ولامة من قبل امم اخرى» *.

لقد هيأت القوى المنتجة الحديثة المقدمـــات الماديـــة والضرورة الموضوعية لانتقال البشرية الى الاشتراكية . ونتيجة للمستوى العالى لتطور هذه القوى وطابعها الاجتماعى تكون التقسيم الواسع للعمل بين البلدان وقام الترابط الاقتصادى الوثيق بين بعضها البعض ، ويتطور النقل البحرى والبرى والجوى الذى يساعد على قطع المسافات بين البلدان بسرعة هائلة .

ان التقدم العلمى-التكنيكى الحديث يفتح آفاقا رحبة امـام التطور السريع للقوى المنتجة والتحسين الجذرى للرفـاه المادى لشعوب جميع البلدان . فان انجازات هذا التقدم الهائلة عندمـا تطبق عمليا وعلى نطاق واسع ، واستخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية استخداما واسعا ، وكذلك استخدام الاتمتة المجموعية

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٧٨ .

فى الانتاج ــ كل ذلك سيقدم للبشرية ثروات لم يسبقها مثيل ، ولا تجوز المخاطرة بهذه الثروات لصالح مشعلى نيران الحروب .

الا ان علاقات الانتاج الرأسمالية التى اكل الدهر عليها وشرب تعيق استخدام المنجزات الهائلة للانتاج والتقدم العلمى-التكنيكى فى صالح كافة افراد المجتمع ، وفى صالح التعاون الاقتصادى المتكافئ بين الشعوب .

ويتجلى بكل وضوح حتى فى ظل الرأسمالية الاتجاه نحو بناء اقتصاد عالمى موحد تضبطه بروليتاريا كافة الامم حسب خطة مشتركة كوحدة متكاملة . وينبغى لهذا الاتجاه ، دون شك ، ان يتطور وينجز كليا لدى اقامة الاشتراكية فى العالم بأسره . فالاشتراكية عندما تلغى الحواجز القائمة فى ظل الرأسمالية بين البلدان والامم توحد البشرية فى مجموعة عاملة موحدة . وسيعنى انتصار الاشتراكية فى كافة البلدان بناء نظام اجتماعى «سيكون مبدأه الدولى ــ **السلام** ، وذلك لانه سيكون لكل شعب نفس السيد ، الا وهو **العمل** ! » * .

لقد وجدت كلمات التنبؤ هذه التى قالها ماركس فى عام ١٨٧٠ تأكيدا تاما لها فى السياسة السلمية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى وفى العلاقات الجديدة المتبادلة فيما بينها . انها علاقات التعاون الاخوى والمساعدة المتبادلة بين بلدان يعود الدور القيادى فيها للطبقة العاملة ، ويقرر الشغيلة مصيرهم بانفسهم ويبنون الحياة الجديدة بدون البرجوازية . ان الاسرة الاشتراكية تجسد سير البشرية الموضوعى الذى لا مرد له نحو السلام الابدى على الارض .

ان المنظومة الاشتراكية العالمية تحدد حاليا الاتجاه الرئيسى للتقدم التاريخى للمجتمع البشرى . وان مواصلة عملية تحول

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١٧ ، ص ٥ .

المنظومة الاشتراكية العالمية الى العامل الحاسم فى تطور المجتمع البشرى ستعبر ليس فقط عن المضمون والاتجاه الرئيسيين والخصائص الاساسية للتاريخ ، بل وعن مجمل هذا التطور وكافة طرقه وخصائصه .

ولكنه ما دام موجودا الاساس الاقتصادى للحروب ومصدرها الوحيد المتمثلان بالامبريالية ، وما دامت سياسة وايديولوجية الامبريالية موجهتين نحو التحضير للصدامات الحربية واشعال لهيبها يظل الدور الهام فى درء الحروب وفى لجم القوى الامبريالية العدوانية منوطا بالقدرة الاقتصادية والعسكرية للاتحاد السوفييتى والاسرة الاشتراكية جمعاء وبسياسة وايديولوجية بناء وصيانة الاشتراكية والشيوعية .

٤ ـ الحرب والايديولوجية

عندما تطرح مسالة الحرب يوجه اهتمام كبير جدا ليس فقط الى الاقتصاد والتناسب الفعلى للقوى الطبقية والسياسية ، بل والى الايديولوجية التى تعبر وتذود دوما عن المصالح الجذرية للطبقات ومطامحها فيما هو رئيسى جوهرى . ان الايديولوجية الامبريالية ـ معاداة الشيوعية ـ هى ايديولوجية الرأسمال الاحتكارى ، اما الايديولوجية الشيوعية ـ الماركسية-اللينينية ـ فهى تعبر عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة وجميع الشغيلة .

وتقوم الايديولوجية بوظيفة الوسيلة الخاصة المتميزة جدا لخوض الحرب . ويتلخص الطابع الخاص لوسائل الكفاح الايديولوجية فى انها تمارس تأثيرها على سير ومآل العمليات الحربية والحرب عموما ليس بصورة مباشرة ، بل عن طريق التأثير على اذهان الناس ونظرتهم الى العالم وآرائهم وسجاياهم الكفاحية-المعنوية . فالوسائل الايديولوجية قادرة على تقوية معنويات

القوات المسلحة وسكان البلاد وزعزعة الاسس السياسية-المعنوية لجيش وسكان بلد العدو .

ومن المهم خصوصا التأكيد بان الايديولوجية تؤثر تأثيرا هائلا على اهداف الحرب (وبالتالى على طابعها) وعلى الستراتيجية وتقدم تعليلا لسياسة الطبقات والدول فى مجرى التحضير للحرب وفى الحرب نفسها . ان كلتا هاتين الوظيفتين المتميزتين باستقلالية نسبية هما ، مع ذلك ، مترابطتان عضويا ومتفاعلتان فيما بينهما ، وذلك لان الايديولوجية تؤثر على الحرب من خلال نشاط الناس .

الحدود التاريخية لمكانة ودور الايديولوجية فى الحروب

ان دور النضال الايديولوجى والايديولوجيـــة عموما فى الحروب ليس متماثلا من الناحية التاريخية . ففى حروب الماضى كان دورها محدودا ، وخصوصا من حيث درجة التأثير على العدو . ولم يتعاظم دور النضال الايديولوجى فى الحرب الا فى القـــرن العشرين ، حيث اتسعت الامكانيات التكنيكية للتأثير على الجماهير وحيث اصبحت الجماهير اكثر تنويرا وصارت تنجذب الى السياسة باطراد . ولعب نشر الايديولوجية الشيوعية فى الحروب العادلة دورا هائلا فى احراز جماهير الشغيلة انتصاراتها على الاعداء .

وفى الظروف الراهنة يجرى النضال الايديولوجى الذى يسبق الحرب ويرافقها على نحو شديد بخاصة ، اما الهزيمة فى الحرب فهى ليست عسكرية واقتصادية وسياسية فقط ، بل انهـــا ايديولوجية ايضا . ومن المستحيل حاليا بدء الحرب وخوضها ، بله الانتصار فيها ، بدون التحضير الايديولوجى الدقيق للشعب والجيش .

ويعتمد دور الايديولوجية فى الحرب على الشكل الذى تكتسبه هذه الايديولوجية فى هذا العهد التاريخى او ذاك ، ويعتمد فى

المقام الاول على نوعية الطبقة التى تعبر الايديولوجية عن مصالحها وعلى نوعية الدور التاريخى الذى تلعبه هذه الطبقة وعلى نوعية الاهداف السياسية التى تبتغى هذه الطبقة تحقيقها فى الحرب المعنية . ويتحدد هذا الدور كذلك بقوانين التطور الاجتماعى وقواه المحركة .

ومنذ قيام الرأسمالية وتأسس الدول القومية البرجوازية اكتسبت أهمية حاسمة فى الحروب التى خاضتها هذه الدول الايديولوجية السياسية التى لم يندر ان واجهت بها البرجوازية ايديولوجية النبلاء ورجال الدين .

واتسمت مرحلة التطور التقدمى للرأسمالية بحروب طرحت مسائل التحويلات البرجوازية-الديمقراطية والاطاحة بالنير الاجنبى والذود عن الحرية القومية . وفى تلك الحقبة برزت ايديولوجية البرجوازية ، بصورة رئيسية ، بشكل ايديولوجية وطنية قومية استخدمت كسلاح للنضال فى سبيل تأسيس الدول القومية البرجوازية بثقافتها القومية .

وقد لعبت هذه الايديولوجية دورا تقدميا ، حيث كانت هى القوة المعنوية التى ساعدت البرجوازية على رص صفوف الجماهير الشعبية . وتلعب الايديولوجية القومية فى الآونة الراهنة ايضا مثل هذا الدور التقدمى نسبيا فى مراحل معينة من نضال التحرر الوطنى لشعوب البلدان المستعمرة والتابعة ضد نير الامبريالية .

ان الايديولوجية القومية التى خلقها عهد الحروب القومية قد تركت اثرا عميقا فى سواد البرجوازية الصغيرة وقسم من البروليتاريا . وقد استخدمت البرجوازية ذلك فى حروب النهب فى مرحلة الامبريالية . وبواسطة الايديولوجية «القومية» واستغلال مفهوم الدفاع عن الوطن خدعت البرجوازية الامبريالية الشعوب فى الحرب العالمية الاولى .

ان الايديولوجية البرجوازية الرجعية المعاصرة تسعى بكل الوسائل الى تزويق وتجميل افكار «العالم الحر» المتهرئة . هذا اولا . وهى ، ثانيا ، تشوه بفظاعة طابع وحتميات التطور التاريخى . وتسعى الدعاية البرجوازية الى التستر على التناحرات والعيوب الاجتماعية الرئيسية للعالم الرأسمالى المعاصر وتحاول ان تعمى الوعى السياسى لدى الشغيلة وان تشل ارادتهم فى النضال من اجل الاشتراكية .

واصبحت معاداة الشيوعية حاليا السلاح الفكرى-السياسى الرئيسى لدى الامبريالية . والمضمون الاساسى لهذا السلاح هو الافتراء على النظام الاشتراكى وتزوير سياسة واهداف الاحزاب الشيوعية وتعاليم الماركسية-اللينينية .

ان معاداة الشيوعية هى اعمق تعبير عن ازمة الايديولوجية البرجوازية المعاصرة . وهذه الازمة مبعثها ان البرجوازية الامبريالية عاجزة عن طرح افكار من شأنها ان تجتذب الجماهير الشعبية . وهذه الازمة هى نتيجة مباشرة لمسيرة الماركسية-اللينينية المظفرة . فالجماهير الشعبية الواسعة تتبنى الافكار الماركسية-اللينينية باطراد وتسترشد بها فى النضال ضد الامبريالية .

وتحت الشعارات الزائفة لمعاداة الشيوعية تلاحق الرجعية الامبريالية وتضطهد كل ما هو تقدمى وطليعى وثورى . وتستخدم معاداة الشيوعية فى مكافحة حركة التحرر الوطنى . وبواسطة معاداة الشيوعية يسعى الامبرياليون الى شق صفوف الشغيلة .

ان جوهر اصناف واشكال الايديولوجية البرجوازية وطرق ووسائل تضليل الشغيلة واحد بالرغم من تنوعها ، وهو يتلخص فى الذود عن النظام الرأسمالى الذى هو بسبيل الاحتضار . ان التعليل الفكرى لسيطرة الاحتكارات وتبرير الاستغلال والحط من سمعة الملكية العامة والروح الجماعية وتمجيد النزعة العسكرية

والحرب وتبرير الاستعمار والعنصرية وتسعير العداء والاحقاد بين الشعوب ـ تلك هى الافكار التى تشبعت بها النظريات السياسية والاقتصادية والفلسفة وعلم الاجتماع وآداب السلوك وعلم الجمال لدى البرجوازية المعاصرة .

لقد اثبتت الخبرة التاريخية ، بما فيها خبرة الحرب الوطنية العظمى ، دور الايديولوجية الهائل فى الحرب . ففى مناوشة الحياة او الموت واجه المانيا الفاشية نظام اجتماعى جديد هو النظام الاشتراكى المتمثل بالاتحاد السوفييتى ، وتنظيم عسكرى جديد هو الجيش السوفييتى ، وايديولوجية جديدة هى الايديولوجية الشيوعية .

ويتجلى بكل وضوح فى خبرة الحرب العالمية الثانية ، ولا سيما الحرب الوطنية العظمى * ، سبب آخر لدور الايديولوجية المتزايد فى الحرب الحديثة . ففى حروب مرحلة الامبريالية ، قبل ظهور النظام الاشتراكى ، كانت ايديولوجية متماثلة تلتزم جانب كلا الطرفين المتحاربين كقاعدة عامة . وكان تماثل هذه الايديولوجية يكمن ، اولا ، فى كونها ايديولوجية للطبقات الاستغلالية ؛ وثانيا ، فى كونها غير علمية او منافية للعلم ؛ وثالثا ، فى كونها تتعارض مباشرة ، او فى آخر المطاف ، مع مصالح التطور التقدمى للمجتمع .

وعندما تتصادم فى الحرب ايديولوجيتان متماثلتان فان تأثيرهما على سير الحرب يتوازن عموما ، وبالتالى ، يصبح اكتشافه اكثر صعوبة . ومع ان الايديولوجية فى هذه الحالة ايضا تلعب

---

* الحرب العالمية الثانية : ١ سبتمبر ١٩٣٩ ـ ٢ سبتمبر ١٩٤٥ ؛ حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى : ٢٢ يونيو ١٩٤١ ـ ٩ مايو ١٩٤٥ (المترجم) .

دورا كبيرا فى اعداد وخوض الحرب فان التفوق الايديولوجى لهذا الطرف المتحارب او ذاك رهن بطابع الاهداف السياسية وليس بطبيعة الايديولوجية .

ولم تتعارض الايديولوجيات المختلفة وجها لوجه فى الماضى الا فى الحروب الاهلية . كان الامر كذلك فى حروب العبيد ضد مالكى العبيد ، وفى حروب الفلاحين ضد الاقطاعيين ، وفى حروب البروليتاريا ضد البرجوازية . صحيح ان الحروب الفلاحية قامت ، كما ذكرنا اعلاه ، تحت ستار الايديولوجية الدينية ، ولكن هذه الايديولوجية كانت تختلف اختلافا جذريا عن ايديولوجية اصحاب الاقنان من حيث مضمونها السياسى .

اما فى الحروب الحديثة فتصطدم ايديولوجيتان متعارضتان كقاعدة عامة . وتصادمت ايديولوجيتان متعارضتان فى حربى اول دولة اشتراكية فى العالم ضد التدخل العسكرى الاجنبى والثورة المضادة الداخلية وضد المانيا الهتلرية ، وفى حروب شعوب كوريا والفيتنام وكوبا ضد المعتدين الامبرياليين . وفى حروب شعوب البلدان المستعمرة فى سبيل استقلالها تواجه الايديولوجية الوطنية التقدمية الايديولوجية الامبريالية الرجعية .

ولقد بينت حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى بكل وضوح اهمية التفوق الايديولوجى فى الحرب . وسوف يتجلى هذا التفوق بوضوح اكبر اذا شن المتهوسون الامبرياليون حربا جديدة ضد البلدان الاشتراكية . وستلعب دورا من الدرجة الاولى فى سير الحرب ومآلها قدرة الايديولوجية الشيوعية المتزايدة باطراد للتأثير على اذهان ونفسية الجماهير الشعبية وارادتها فى الكفاح .

ومن دواعى تزايد دور الايديولوجية فى الحروب الحديثة توسع واستكمال وسائل غرس الايديولوجية فى اذهان الجماهير

الشعبية (الصحافة والسينما والاذاعة والتلفزيون والخ .) . وتسيطر البرجوازية فى البلدان الرأسمالية على هذه الوسائل فتستخدمها لنشر ايديولوجيتها . ولكنه توجد فى الدول الرأسمالية قوى تقدمية تستخدم طرقا متنوعة فى النضال ضد التأثير الفتاك للايديولوجية الامبريالية ، ايديولوجية النزعة العسكرية والعدوان. وتوجد تحت تصرف البلدان الاشتراكية ايضا كافة وسائل الدعاية. زد على ذلك ان قوة وفعالية الايديولوجية الشيوعية قد تأكدتا فى كامل سير التطور التاريخى وفى خبرة البناء الاشتراكى والشيوعى فى الاتحاد السوفييتى طوال اكثر من نصف قرن ، وخبرة الدفاع المسلح المظفر عنه .

بطلان الآراء البرجوازية
بصدد دور الايديولوجية فى الحرب الحديثة

اخذ نظريو البرجوازية الامبريالية يتحدثون عن دور الايديولوجية فى الحرب باسهاب خاص بعد الحرب العالمية الثانية. وهم يستخلصون التعميمات والاستنتاجات من خبرة هذه الحرب لصالح طبقتهم ومن اجل اعداد وشن الحروب المحلية العدوانية والحرب العالمية الثالثة . ويبدو ذلك ، فيما يبدو ، فى الضجة التى يثيرها اغلب ايديولوجيى الامبريالية العسكريين من الجنرالات السابقين والحاليين وكذلك الكثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع «المدنيين» بصدد حلول عهد خاص ، كما يزعمون ، هو عهد الحروب الايديولوجية وكون هذه الحروب سمة خاصة ملازمة للمرحلة التاريخية الراهنة .

ان جميع محاججات ايديولوجيى البرجوازية الحديثة بشأن عهد الحروب الايديولوجية موجهة ضد حجر الزاوية فى الماركسية۔

اللينينية ، نعنى الحكم القائل بان الحرب هى استمرار لسياسة هذه الطبقات او تلك بوسائل العنف وان السياسة نفسها هى «تعبير مركز عن الاقتصاد» . وتهدف هذه المحاججات الى تصوير الامر وكأن وجود الايديولوجيتين المتناقضتين لدى النظامين العالميين هو مصدر الحرب العالمية الثالثة المحتملة ، وكأن الايديولوجية الشيوعية تنطوى على اسباب الحرب .

فالوزير البريطانى السابق مايكل ستيوارت يرى ان رفض الاتحاد السوفييتى للتصالح فى ميدان الايديولوجية هو العامل الذى يعرقل احلال علاقات حسن الجوار الطيبة بين مختلف البلدان والشعوب . ويقول ان مبدأ التعايش السلمى السوفييتى كشكل للنضال الايديولوجى يضع حدودا لتحسين العلاقات بين الشرق والغرب * .

وفى معرض الجدل بصدد الحرب الايديولوجية اضطر بعض الايديولوجيين العسكريين الى الاعتراف بان الهزيمة الايديولوجية هى افدح هزيمة . ولذلك بالذات يعملون باجتهاد على وضع ايديولوجية من شأنها ان تستجيب لمهمات البرجوازية الامبريالية الملحة فى الآونة الراهنة وفى حرب المستقبل ، وان تستطيع ، على حد تعبيرهم ، «الصمود لهجوم الافكار الشيوعية» . ولكن مع الاعتراف بافلاس الايديولوجية الفاشية وبالانتصار التام الذى احرزته الايديولوجية الشيوعية فى الحرب العالمية الثانية عجز ايديولوجيو البرجوازية الامبريالية ، بسبب من طبيعتهم الطبقية ، عن استخلاص استنتاجات صائبة من ذلك .

ان الامبرياليين الذين يصورون فناء الرأسمالية فى كثير من بلدان اوربا على انه فناء لاوربا والحضارة عموما يحلمون ببعث

Foreign Affairs, July, 1970, p. 648 *

الرأسمالية فى البلدان الاشتراكية . وتبعا للموقف السائد تتقمص هذه المطامح جميعا ايديولوجية النزعة الكوسموبوليتية والقومية والعنصرية والمالثوسية و«الرأسمالية الشعبية» و«الشيوعية القومية» وهلمجرا .

ان على ايديولوجية الامبريالية المتفسخة ان تلعب ، فى حساباتهم ، دور قوة التوحيد لخوض حروب القرصنة . الا ان الايديولوجيين البرجوازيين قد اخطأوا الحساب ، فالايديولوجية الجديدة التى يضعونها محكوم عليها بالانهيار .

وفى الوقت ذاته لا يجوز استصغار امكانيات التأثير الفتاك للايديولوجية الامبريالية الرجعية : فان دور الايديولوجية فى الحرب ، كما فى حياة المجتمع بأسره ، رهن بظروف كثيرة ، وليس بطبيعتها وحدها . فحتى الافكار الزائفة تشكل قوة جدية اذا امكن ايحاؤها للجماهير . هذا اولا . وثانيا ، تعمد البرجوازية الرجعية ، لدى استخدام مختلف الافكار لاغراضها الخاصة ، الى استغلال فكرة «الدفاع عن الوطن» والحرية والديمقراطية ، بل وحتى فكرة الاشتراكية . وفى جعبة الايديولوجية البرجوازية وسائل مثل التضليل والديماغوغية والترويج للمصلحة المادية فى الحرب والتخويف «بالخطر الاحمر» والخ ..

الا ان الامر الرئيسى يتلخص فى كون ايديولوجية البرجوازية الحديثة الحاقدة على البشر تتجسد فى سياسة الرجعية النشيطة . واستنادا الى هذه السياسة تتشكل الاحلاف العسكرية للامبرياليين ويوضع مذهبهم العسكرى وستراتيجيتهم الحربية .

كل ذلك يتطلب نضالا دؤوبا ضد الايديولوجية البرجوازية .

موقف الايديولوجيتين الشيوعية
والبرجوازية من الحرب

يجرى فى العالم حاليــــا صراع طاحن بين الايديولوجيتين الشيوعية والبرجوازية . وهذا الصراع هو انعكاس فى حياة البشرية الروحية للعملية التاريخية ، عملية الانتقال من الرأسماليـــة الى الاشتراكية . وتعتبر قضية الحرب والسلام والموقف المتباين منها فى معسكر الاشتراكية ومعسكر الامبريالية واحدة من القضايا الهامة فى هذا الصراع .

ان الشيوعية تحمل للبشرية السلام الابدى . واهم مضمون للايديولوجية الشيوعية هو الاممية والنزعة الانسانية وحب السلام والمساعدة المتبادلـــة بين الشعوب فى جميـــع ميادين الحيـــاة الاجتماعية . وتلهم المناضلين فى سبيل الشيوعية الافكار النبيلة ، افكار تحرير الجمـــاهير الشعبيـــة من الاستغلال . ويكافح هؤلاء المناضلون من اجل ان تترسخ بصورة اعمق فى وعى الشعوب فكرة كون الحرب امرا غير مقبول . ولكنه ما دام خطر الحرب قائما فمن الضرورى شن نضال دائب لا هوادة فيه ضد الايديولوجية العسكرية للامبريالية .

ان الايديولوجيـــة الماركسية-اللينينيـــة المتفوقـــة على الايديولوجية البرجوازية بصورة لا جدال فيها من الناحية النظرية ومن حيث طابع ودرجة عمق ودقة تجسيد الواقع الموضـــوعى وحاجات التطور الاجتماعى المختمرة لهى قادرة على توجيه ضربات قاضية الى ايديولوجية الامبريالية مهما كانت اشكالها ومظاهرها .

وتستند الايديولوجية الشيوعيـــة الى النظام الاقتصـــادى والسياسى للاشتراكية ، ذلك النظام الذى لا ينطوى على مصـــادر الحروب . فالايديولوجية الشيوعية هى ايديولوجية الصداقـــة والسلام بين الشعوب .

اما ايديولوجية البرجوازية الامبريالية فهى ايديولوجية النزعة العسكرية والحروب ، ايديولوجية الحقد على الجماهير الشعبية . وهى زائفة من الفها الى يائها ، حيث تعكس حكم التاريخ على الرأسمالية بالفناء . ان التناقضات التناحرية تنهش المجتمع الرأسمالى القائم على استغلال الانسان للانسان . وبغية خوض الحرب يجد الامبرياليون انفسهم فى حاجة ماسة الى التخفيف من حدة هذه التناقضات وتسويتها بعض الشىء لكى يحققوا «وحدة الشعب» . وهذا الدور بالذات منوط بالايديولوجية البرجوازية . وتحاول البرجوازية تحقيق «وحدة الشعب» عن طريق التضليل الايديولوجى للشغيلة .

ان حكم التاريخ على البرجوازية بالفناء لا بد وان ينعكس على ايديولوجيتها ، حيث يضفى عليها صبغة رجعية عدوانية للغاية . وتتلخص مهمة ايديولوجية الدول الامبريالية بخصوص الحرب فى التستر على اهداف النهب والغزو التى تتوخاها الحرب . وتكمن وظيفة هذه الايديولوجية بالدرجة الاولى فى تضليل الجماهير الشعبية وتمويه الاسباب الفعلية التى تولد الحرب .

وتصطدم الايديولوجية البرجوازية ، مهما كان شكلها ، دوما بالتناقض بين الاهداف الفعلية للحرب الامبريالية وبين التبرير الايديولوجى لهذه الحرب . كما تتميز بالتناقض وجهات نظر مختلف الدول الامبريالية وايديولوجييها وشخصياتها داخل الاحلاف العسكرية . وهذا الامر ملحوظ كليا فى جميع الاحلاف التى جهدت البلدان الامبريالية لتشكيلها عقب الحرب العالمية الثانية .

ومن اكثر الاخطار جسامة على الامبرياليين التناقض النابع من تعارض مصالح الجماهير الشعبية مع مصالح البرجوازية . ويتجلى هذا التناقض فى كون الايديولوجية البرجوازية الحديثة التى تعترف بالدور الحاسم للانسان فى الحرب عاجزة عن طرح مُثل تعبر عن

مصالح الشغيلة وتحفز الجنود فى حروب النهب والغزو . وقد اضطر للاعتراف بذلك الامبرياليـــون انفسهـــم وكذلك صنائعهـــم الايديولوجيون .

وعلى سبيل المثال ، يدرك ايديولوجيو الامبرياليـــة ان الخدمـــة العسكرية فى حاجة ماسة الى الفكرة الموجهة التى تبرر تضحية الجنود بالنفس وتضفى على هذه التضحية مغزى ما . فقد كتبت مجلة حلف الناتو «جينرال ميليترى ريفيو» تقول: «نعيش الآن فى عصر الايديولوجية . وتحتاج شعوب الغرب ، اذا كانت راغبة فى البقاء على قيد الحيـــاة فى هـذا العصر ، الى ايديولوجية من شأنها ان تكون افضل من ايديولوجية الشيوعية . وتحتاج جيوشنا ايضا الى مثل هذه الايديولوجية» * .

تتميز الاسرة الاشتراكية بوحدة الاهداف والاراء والمبادئ ، ومبعث تلك الوحدة العلاقات الاجتماعية الجديدة والوفاق والتضامن بين الشغيلة الذين تسلموا زمام السلطة بغية بناء حياة جديدة . وترص الايديولوجية الشيوعية صفوف شعوب البلدان الاشتراكية وتحثها على النضال فى سبيل انتصار الشيوعية والذود عنها دون العدوان الامبريالى .

ويتلخص تفوق الايديولوجية الشيوعية خلال زمن السلـــم وابان حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى فى سمو الافكار التى يحملها الشيوعيون الى الجماهير . ويطبق الشيوعيون هذه الافكار فى ظروف السلام ويخوضون النضال من اجلها فى زمن الحرب .

ويتجلى تفوق الايديولوجية الشيوعية ليس فقط بالمقارنة مع النظريات البرجوازية الرجعية السافرة ، بل وبالمقارنة مـــع مختلف النظريات المسالمة . فالنزعة المسالمة التى ترفض الحرب ايا كانت وتلح على التصالح العام بغض النظر عن المواقف الطبقية

"General military review". Paris, 1960, N 4, p. 452. *

للاطراف المعنية انما تجرد الشغيلة موضوعيا من السلاح ولا تقدم لهم وللجيش الافكار التى من شأنها ان تترك اثرا عميقا لامد طويل. ولا يجدى نفعا طلب المسالمين النجدة من الدين والكنيسة .

ويكمن تفوق الايديولوجية الشيوعية فى طابعها الشعبى . فان ايديولوجية الطبقات الاستغلالية تتعارض ومصالح الجماهير الشعبية ؛ ويبرز فى حروب النهب الجائرة عاجلا ام آجلا التصادم بين هذه الايديولوجية وبين مصالح الشعب .

اما الايديولوجية الشيوعية فهى تعبر عن المصالح الحيوية للشعب العامل بأسره . وهى تقوم على اكثر الانظمة الاجتماعية تقدمية ، وهى مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بحياة الشعب وبنشاطه وبتطور المجتمع . وبذلك تكمن قوتها التى لا تقهر .

ان الايديولوجية الشيوعية مشبعة بروح التفاؤل المعلل علميا . وهى ترفض جميع اشكال الايديولوجية البرجوازية المتشائمة وتعبر عن حتمية انتصار قوى التقدم على قوى الرجعية السوداء .

ولقد اثبتت الايديولوجية الشيوعية عمليا صوابها التاريخى وحيويتها وقدرتها على ممارسة التأثير المتزايد دوما على جماهير الشغيلة الواسعة وعلى سير التطور التاريخى . وهى تلهم الشعوب وتحثها على النضال فى سبيل انتصار المثل العليا ، مثل الشيوعية والسلام الابدى .

٥ ـ النظريات البرجوازية الحديثة بشأن اسباب وجوهر الحروب ودورها فى التاريخ

يرفض الماركسيون-اللينينيون فى نضالهم النشيط ضد الايديولوجية البرجوازية الحديثة نظريات علم الاجتماع الزائفة

بشأن اسباب وجوهر الحروب . ومن المعروف ان ايديولوجية الامبريالية تمخضت فولدت الكثير من مثل هذه النظريات المنافية للعلم . وهذا امر لا يثير الدهشة ، فالحقيقة واحدة دوما ، بينما يتقمص الزيف عادة اشكالا متنوعة كثيرة . وبالرغم من تنوع النظريات البرجوازية بصدد الحرب نراها تتميز بخاصية عامة واحدة هى تبرير الحروب التى يشنها الامبرياليون .

ان النظريات البرجوازية بشأن الحرب هى مظهر لوجهات النظر غير العلمية بصدد التطور التاريخى . وهى تستند الى المثالية فى مختلف مظاهرها ، وتستعين بالاديان والغيبيات بوجه او بآخر . وهى لا تمارس الحل الصائب منهجيا لاية مسألة من مسائل الحرب : مصادرها ، اسبابها الملموسة ، جوهرها ، دورها فى التاريخ . ونجد اكمل تعبير عن وحدة جميع النظريات البرجوازية بصدد الحرب متجليا فى الجوهر الطبقى لهذه النظريات ، فهى مشبعة بروح العداء للشيوعية ، وهى تبرر السياسة والاهداف العدوانية للدول الامبريالية .

يصعب على المرء ان يميز من بين النظريات البرجوازية العديدة نظريات تدرس «بصورة خالصة» اصل الحروب او جوهرها فقط . فهى ، كقاعدة عامة ، تتضمن هذا التفسير او ذاك لاسباب الحروب ومكانتها فى الحياة الاجتماعية . ويروج ايديولوجيو الامبريالية لحتمية الحروب الى الابد ، بغض النظر عما اذا كانوا يعتبرون نشوبها نتيجة للصدفة او لفعل قوة جبرية خارقة ، وبغض النظر عما اذا كانوا يعتبرونها خيرا للبشرية او شرا عليها .

ان الايديولوجية البرجوازية الحديثة تتخللها كليا فكرة الدور الحاسم للعنف فى التاريخ . وتستند على هذه الفكرة الاغلبية الساحقة من نظريات ايديولوجيى الامبريالية بصدد اسباب وجوهر الحروب .

وتتجلى هذه الفكرة باكمل شكل فيما يسمى بنظرية العنف الاجتماعية . وتزعم هذه الفكرة ان الحرب هى القوة الرئيسية ، ان لم تكن الوحيدة ، المحركة للتاريخ ، وهى التى ترسم مجمل سير التاريخ . ويعتبر العنف هنا العامل الذى يتمتع بالاولوية فى تحديد جميع الاحداث والظواهر فى الحياة الاجتماعية وحتى فى ميدان الاقتصاد . علما بان اصحاب هذه الفكرة ينظرون الى سير التاريخ نفسه ليس كما الى سياق التطور الطبيعى ، بل كما الى عملية تعتمد نتائجها كليا على الاشتباكات الحربية . ولا يعترف انصار فكرة العنف باية قوانين موضوعية للتطور الاجتماعى ، وترفض اغلبيتهم حتى مفهوم التطور الى الامام للمجتمع البشرى .

ويعلن هؤلاء ان الحرب هى ظاهرة دائمة لا يمكن تلافيها فى حياة المجتمع ، بل ويعتبرونها احيانا قوة خيرة تساعد ، كما يزعمون ، على تربية الناس خلقيا . ان نظرية جبروت العنف المسلح هى الاساس الفكرى لنزعة المغامرة البالغة الخطر والتى تشربت بها حتى العظام سياسة الدول الامبريالية وخطط تحضير هذه الدول للحروب واشعال لهيبها .

كان الباحثون الذين درسوا التاريخ من وجهة النظر المثالية لم يروا فيه منذ القدم غير تاريخ للحروب والغزوات والنهب والحملات والمعارك التى شنها هؤلاء او اولئك من القادة العسكريين والفاتحين والقياصرة والاباطرة . وكان من المؤمنين بهذه النظرة المنافية للعلم فى القرن التاسع عشر اوجين دوهرنغ الذى دحض انجلس اراءه بالحجج الدامغة فى كتابه الشهير «ضد دوهرنغ» . وفى الحال الحاضر يروج ايديولوجيو الامبريالية لفكرة العنف باصرار خاص بغية تبرير العدوان والحروب الرجعية وخصوصا الحروب ضد البلدان الاشتراكية .

ان فكرة العنف التى يروجها دعاة الحروب باصرار لا تصمد امام النقد العلمى .

فان كامل سير التطور الاجتماعى تعينه القوانين الاجتماعية الموضوعية ، وليس العنف والحروب . فلا المدافع ولا الصواريخ ولا القنابل النووية بقادرة على ان تساعد الامبريالية فى التخلص من مفعول هذه القوانين ، لا سيما وان هذه الاسلحة جميعها متوفرة لدى البلدان الاشتراكية وليست مقصورة على البلدان الرأسمالية . هذا اولا . وثانيا ، ان العنف لم يكن ابدا هدفا بذاته ، وانما هو وسيلة لا اكثر . واما أهدافه فتحددها المصالح الاقتصادية والسياسية لهذه الدول او تلك ، ولطبقات معينة داخلها . ثالثا ، ان الانتصارات او الهزائم فى الحروب ، اى النتائج التى تنجم عن العنف ، مشروطة بتناسب قوى الدول المتحاربة ، ذلك التناسب الذى يحدده فى آخر المطاف التطور الاقتصادى والنظام الاجتماعى والسياسى لهذه الدول . ان فرض سيطرة الامبريالية الاميركية على العالم بواسطة العنف ما هو الا فكرة طوباوية رجعية هى الهذيان بعينه .

ان انصار نظرية العنف عاجزون عن الاجابة على السؤال التالى : لماذا يستخدم العنف ، يا ترى ، وما هى مصادر واسباب الحروب ؟ ولذلك يسعى علماء الاجتماع والايديولوجيون العسكريون البرجوازيون المحدثون الى اسناد واستكمال نظرية العنف بنظريات اخرى فى علم الاجتماع هى على نفس القدر من البطلان .

نظرية «انقاذ الحضارة»

ومن هذه النظريات نظرية «انقاذ الحضارة» الرجعية . وقد كرس للدعاية لهذه الفكرة كثير من كتب وكراريس ومقالات

علماء الاجتماع الرجعيين والكتاب العسكريين فى البلدان الامبريالية وقبل كل شيء فى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد صيغت نظرية «انقاذ» الراسمالية باكمل شكل فى كتاب «ستراتيجية هجومية لاميركا» الصادر فى عام ١٩٦١ . ويعتبر مؤلفو الكتاب ، وهم عالما الاجتماع ستراوش-هيوبه وبوسوني والعقيد كينتنر ، من اكثر ايديولوجيى معاداة الشيوعية شراسة . وحظى هذا الكتاب قبل صدوره باستحسان المعهد الدبلوماسى لدى وزارة الخارجية الاميركية .

ويحاول مؤلفو الكتاب تعليل ضرورة «انقاذ» الرأسمالية بزعمهم ان «مكافحة العالم الشيوعى» هم عبارة عن «حرب يصبح انقاذ الامة الامل الرئيسى فيها» * . ويستخدم هؤلاء المؤلفون الحجج الافترائية التى اعتاد على استخدامها اعداء الشيوعية فيقولون «ان مجرد وجود قوة على هذا القدر من العدوانية والحركة ، كالشيوعية ، يشكل خطرا على بقاء الديمقراطية فى كل مكان» (والمقصود «بالديمقراطية» هنا الرأسمالية طبعا ــ **المؤلفون**) ** .

ويرفع ايديولوجيو الحرب ومعاداة الشيوعية عقيرتهم زاعمين بان اى تخفيف من سباق التسلح يطرح مسألة «حياة او موت» الحضارة . وهم بحاجة الى ذلك لكى يضفوا على الاهداف الطبقية الضيقة التى تتوخاها البرجوازية الاحتكارية من وراء الحرب ضد الدول الاشتراكية مظهر الاهداف التى يستجيب تحقيقها «بالضرورة القصوى» لمصالح المجتمع ككل .

اذن ، فان جوهر نظرية «انقاذ الحضارة» يتلخص فى الموضوعة القائلة بوجود امكانية مزعومة لتصفية المكتسبات

---

* R. Strausz-Hupé, W. Kintner, S. Possony. Forward Strategy for America. New York, 1961, p. 395.

** المصدر ذاته ، ص ٤٠٢ .

الاجتماعية التقدمية للثورات البروليتارية وثورات التحرر الوطني وذلك بواسطة الاساليب الحربية . وبعبارة اخرى ، يرى اصحاب هذه النظرية أن من الممكن تماما ، بل ومن الضروري ، مواجهة وسائل العنف الحربي ، وخصوصا سلاح الابادة الجماعية ، لمفعول قوانين ومتطلبات التطور الاجتماعي الموضوعية ، وبالتالي تخليد النظام الرأسمالي وعلى رأسه الامبريالية الاميركية .

لقد بين وليم فورستر ، الشخصية البارزة في الحزب الشيوعي الاميركي ، في كتابه «غروب الرأسمالية العالمية» بكل اقناع ان البرجوازية الاحتكارية الاميركية تربط انقاذ الرأسمالية المحتضرة ربطا وثيقا بفرض سيطرتها على العالم عن طريق العنف* . غير ان الحياة تدل على ان الامبريالية عاجزة عن وقف سير التطور التاريخي .

وتنضح بالزيف والرياء محاولات دعاة الحرب للتستر على الاسباب الحقيقية لسباق التسلح والخطط العدوانية للامبرياليين بالدعاوى «لانقاذ الحضارة» . فان نجاحات تطور الاقتصاد الوطني والعلم والتكنيك والثقافة والفن في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى تفضح المزاعم القائلة بان الثورة الاشتراكية تسفر عن تحطيم الحضارة . وتتفوق الاشتراكية على الرأسمالية كنظام اجتماعي من حيث التطور الاقتصادي والسياسي والروحي ، وتؤدي بالتالي الى التعجيل في التقدم الحضاري . وفي ظل الاشتراكية فقط يبدأ السير الى الامام على النطاق الجماهيري فعلا في كافة ميادين حياة المجتمع والفرد ، ويبدأ النمو العاصف للانتاج المادي وازدياد الرفاه المادي للشغيلة وازدهار القوى الخلاقة لدى الشعوب على نحو لم يسبقه مثيل .

---

* راجع و . فورستر . غروب الرأسمالية العالمية . موسكو ، ١٩٥١ ، ص‌ص ١١-١٢ و١٦٠ .

ويتجلى التقدم الحقيقى للبشرية فى تنامى وترسخ الاشتراكية . وتعتبر منجزات بلدان الاسرة الاشتراكية ضمانة لصيانة السلام وأمن الشعوب . ويكمن الخطر الفعلى على البشرية جمعاء حاليا فى النظام الرأسمالى المتعفن ، وفى السياسة الرجعية للدول الامبريالية .

الاراء العنصرية والشوفينية بشأن مصادر وطبيعة الحروب . النزعة الكوسموبوليتانية

تزعم النظرية العنصرية ان البشرية مقسمة منذ الازل الى اجناس «عليا» واجناس «دنيا» ، وان الحرب بين هذه وتلك هى القوة المحركة للتاريخ ؛ ولا بد للاجناس «العليا» ان تنتصر على الاجناس «الدنيا» ، وهى تتمتع «بحق مشروع» فى السيطرة عليها واستعبادها بل وحتى ابادتها . ان النظرية العنصرية المغرقة فى الرجعية هى ما تستند عليه النزعة الشوفينية البرجوازية المحمومة . وهى تستهدف زرع العداء بين الشعوب وتأليب بعضها على البعض الآخر .

ان التفرقة العنصرية هى نظرية منافية للعلم تماما . فعلم البيولوجيا الذى اولع العنصريون بالاستشهاد به يدل على عدم وجود اية براهين على التفوق الفطرى لاجناس وشعوب ما على اجناس وشعوب اخرى .

فجميع الاجناس والشعوب تتمتع بقابليات واحدة للتطور ، اما اختلاف مستوى هذا التطور فيعود الى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لحياة هذه الشعوب او تلك ، وليس الى خصائصها التشريحية والفسلجية كما يزعم العنصريون . ولو كانت هناك فعلا «سلالة» ابدية للشعوب تبعا لقابليتها على التقدم

لكانت شعوب بعينها تسير فى الامام دائما وابدا بينمـــا تتخلف شعوب اخرى فى تاريخ البشرية . اما فى الواقع فقد شهد التاريخ تفاوتا واضحا كل الوضوح فى تطور الشعوب : ففى بعض الحقب الزمنية كانت شعوب معينة اكثر تطورا من غيرها ، بينما اصبحت اكثر تطورا فى حقب اخرى شعوب ثانية تنتمى الى اجناس مغايرة لتلك تماما .

وعلى هذا القدر من البطلان ايضا الموضوعة العنصرية القائلة بان الحروب هى «صراع الاجناس» .

ويزعم العنصريون ان الحرب فى المجتمع البشرى تضاهـــى الصراع بين الحيوانات . وبغية تعليل هذه الموضوعة غالبا مـــا يحاول العنصريون استخدام ما يسمى «بالداروينية الاجتماعية» ، تلك النظريـــة الرجعية المنافية للعلم والتى تزعم ان الاحـــداث التاريخية ، بما فيها الحروب ، مشروطة بقانون الانتقاء الطبيعى . وتجـدر الاشـــارة الى ان هذه النظريـــة لا تمت بصلـــة لتعاليم داروين الذى كان مناوئا للعنصرية والظلم القومى وعـدم المساواة .

واخذ علم الاجتماع البرجوازى بعد الحرب العالمية الثانيـة يستخدم حجج «الداروينية الاجتماعية» الرجعية المنافية للعلم على نطاق واسع بغيـــة تبرير الاستغلال الرأسمـــالى والحرب الامبريالية باعتبارهما شكلين للصراع الطبيعى من اجل البقاء .

ومـــن الامور السخيفة حقا محاولـــة العنصريين تفسير الانتصارات والهزائم فى الحروب بالخصائص العرقية للشعـــوب المتحاربة . فمن المعروف ان آلألمان انتصروا فى حرب ١٨٧١ ضد فرنسا ، ولكنهم انهزموا فى حرب ١٩١٤ـ١٩١٨ . وقـد بدأوا الحرب العالمية الثانية بانتصارات على بعض الدول الاوربية ، بينما انتهت هذه الحرب باندحار ماحق لألمانيا الفاشية . فهل

يعنى ذلك ان طبيعة الالمان العرقية قد تغيرت ثلاث مرات ؟ كلا ، طبعا . ان مآل الحرب رهن ليس بالاسباب البيولوجية ، بل بجملة ظروف وعوامل ذات طابع اقتصادى واجتماعى وسياسى .

وفى حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى احرزت الايديولوجية الماركسية-اللينينية ، ايديولوجية الصداقة والتكافؤ بين جميع الشعوب والاجناس والامم ، انتصارا تاريخيا على ايديولوجية الفاشية الألمانية الشوفينية العنصرية . وقد عاقب التاريخ بقسوة اكثر المعتدين شراسة من حملة الاراء الحاقدة على البشر والذين حاولوا ان يطبقوا النظرية العنصرية عمليا فدبروا الابادة المنظمة المنسقة للشعوب التى اعتبرها الهتلريون اجناسا «دنيا» .

ان الوضع الدولى الذى يعمل فيه الطامعون فى «السيطرة على العالم» حاليا يختلف اختلافا جذريا عن وضع ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث استطاع المعتدون ان يعربوا بصراحة عن «حقهم» فى السيطرة على الشعوب «الدنيا» وذلك بسبب الخصائص البيولوجية «الفريدة» التى يتحلى بها عرقهم ، كما زعموا . اما الآن فان اسطورة «تفوق» نخبة من العروق تدحضها فى كل مكان الانتصارات الجليلة فى بناء الاشتراكية وفى نضال التحرر الوطنى والتطور الاقتصادى والسياسى السريع لكثير من البلدان التى كانت مستعمرات لأمد قريب . فقد اثبتت شعوب هذه البلدان عمليا قدرتها على خلق تاريخها الخاص .

وادى ذلك كله الى جعل نظريى ودعاة الحرب العدوانية حاليا يغيرون موقفهم من النظرية العنصرية ظاهريا . فهم اذ يشنون الحملة على الشيوعية يعارضون بالاقوال فى الوقت ذاته النظرية العنصرية ، بل وحتى التفرقة العنصرية ، وكأنما الامبريالية قادرة

بالفعل على تحقيق التكافؤ بين الامم . ويحاول زعماء وايديولوجيو الامبريالية المعاصرة تمويه العنصرية التى ساءت سمعتها امام الملأ . وبدلا من الاستشهاد ببيولوجيا الانسان اولعوا حاليا بالكلام عن «الوحـــدة السيكولوجية» و«التفوق الروحى» لسكان دولـــة برجوازية ما ، او كتلة امبريالية معينة ـ وهذا هو الاغلب ـ على شعوب البلدان الاخرى .

كان بالامكان فى السابق جعل الجماهير الشعبيـــة تهب للحرب من اجل اقتسام العالم بين الـــدول ، وذلك عن طـــريق تسعير الشوفينية والافكار العنصرية . الا انه فى ظروف التحضير للحرب ضد البلدان الاشتراكية حيث تحتاج البرجوازية الى ضمان توحيد كافة قوى العالم الرأسمالى تقع الافكار الشوفينية والعنصرية بشأن «تفوق» الانكلوسكسونيين او الالمان و«تفوق» الجنس الابيض على الجنسين الاسود والاصفر فى تناقض مع السعى الى تعزيـــز الناتـــو والسياتو والسينتو والاحلاف الاخرى واستخدام الموارد البشرية فى البلدان المستعمرة والتابعة على نطاق واسع بغية صيانة وتوسيع سيطرة الاضطهاديين . ولذلـــك يستخدم الايديولوجيون البرجوازيون على نطاق واسع الكوسموبوليتانية ، تلك النظريـــة الرجعية التى تدعو الى موقف اللامبالاة ازاء الوطن والتخلى عـــن السيادة الوطنية والاستهانة بالمشاعر الوطنية .

وتتميز نظرات الكوسموبوليتانية المعاصرة بمضمونها المعادى للشيوعية والاتحاد السوفييتى عداءاً سافراً ، وبالدعاية المشددة لشعـــار «الحكومة العالمية» على اساس «التضامن الغـــربى» وهلمجرا .

ان النزعة الكوسموبوليتانية من حيث المضمون ما هى الا الجانب الخلفى للقومية البرجوازية والعنصريـــة . فمروجو الافكار الكوسموبوليتانية لا يعملون ابداً من اجل التوحيد المتكافئ فعلا

للامم والدول ، بل على العكس يسعون الى تحقيق فكرة سيطرة امة «مختارة» واحـــدة على الامـــم الاخرى . ولا تعبر فكـــرة «الدولة العالمية» الكوسموبوليتانية الا عن السعى الى سيطرة اكبر الدول الامبريالية على العالم .

المالثوسية واسباب ووظائف الحروب

من المعروف ان النظرية المالثوسية المنافية للعلم والحاقدة على البشر قد سميت باسم الاقتصادى الرجعى الانجليزى القس مالثوس الذى طرح فى كتابه «تجربة بصدد قانون السكان» (١٧٩٨) نظرية زائفة اطلاقا تقول ان انتاج وسائل المعيشة يزداد بمتواليـــــة حسابية ، بينما يزداد عدد السكان بمتوالية هندسية . واستنتج مالثوس من ذلك ان البشرية لن تكون ابدا قادرة على تلبيـــــة حاجاتها المادية .

وانطلاقا من مذهب مالثوس بشأن الحتمية الجبرية لفيض السكان يروج علم الاجتماع البرجوازى المعاصر للموضوعة الزاعمة بان جذور الحروب كامنة فى «ضغط فائض السكان» . وكرســـت «مؤلفات» مالثوسية عديدة لاثبات ان الحروب والاوبئة والمجاعة ظواهر ضرورية ، بل ونافعة ، لانها تساعد على تلافى «فـــائض السكان» .

وانتشر مذهب الحرب المالثوسى على نطاق واسع فى مرحلة الامبريالية واصبح أساسا لنظرية «المجال الحيوى» التى روج لها الفاشيون الالمان والعسكريـــون اليابانيـــون . وتقـــول هذه النظرية ان لألمانيا واليابان حقا طبيعيا مشروعـــا فى غزو اراضى البلدان الاخرى لانهما ، كمـــا زعمت هذه النظرية ، بلدان غاصان بالسكان .

ويحاول اصحاب مختلف الوان النظرية المالثوسية (بينديل وفوغت وكوك وهيل وبيرسون وهاربير وماكلورى وويلر وكثيرون غيرهم) ان يثبتوا «ضرورة» و«منفعة» التقليص الشديد لسكان المعمورة عن طريق الحرب. ان المالثوسيين الجدد الذين يطرحون فكرة كون شعوب الشرق «متدنية» ويزرعون الاستهانة بمصائر اغلبية سكان المعمورة ومصالحهم الحيوية يعدون تبريرا «معنويا» لاستخدام كافة انواع اسلحة الابادة الجماعية.

ان المالثوسيين الذين يعتبرون املاق الشغيلة فى البلدان الرأسمالية والمستعمرة السبب الرئيسى للحروب يخلطون عمدا بين العلة والمعلول. فان اعمق سبب للحروب الامبريالية ليس هو املاق المستغلين، بل تركز ثروات وطنية هائلة فى ايدى الاستغلاليين.

لقد دحض الواقع نظريا وعمليا نظرية السكان المالثوسية. فقد ثبت ان لكل تشكيلة اجتماعية-اقتصادية قانونها الخاص بالسكان. ولا تستند الفكرة المالثوسية القائلة بان وسائل المعيشة تنمو بأبطأ من تزايد السكان على اى اساس. فان مصدر فيض السكان النسبى والبطالة فى المجتمع البرجوازى هو ليس «قانون السكان» المجرد الصالح لكافة العصور، كما تزعم المالثوسية، بل علاقات الانتاج الرأسمالية التى تحكم بالجوع والاملاق حتما على قسم كبير من السكان، وقبل كل شىء فى المستعمرات والبلدان التابعة.

ويزعم المالثوسيون المحدثون أن أهم قضية – اى رفع مستوى معيشة سكان العالم – يمكن ان تحل على الاغلب بالوسائل الحربية، عن طريق الابادة الجماعية للبشر. ان هؤلاء «النظريين» الذين يستبدلون قوانين التطور الاجتماعى بقوانين البيولوجيا يحاولون ان يثبتوا ان اسباب الحرب تكمن فى النمو السريع للغاية للسكان الذين يستحيل اطعامهم، كما يزعمون. والحال فان نقص

الاغذية كان يمكن ان يصبح سببا لهجوم مسلح تقوم به مجموعة من السكان على مجموعة اخرى فقط فى الماضى السحيق ، فيما قبل التاريخ . اما فى الظروف الراهنة فالحروب يولدها النظام الرأسمالى وسياسة الدول الامبريالية .

ان عددا كبيرا من الناس فى المعمورة يعانون حاليا بالفعل من نقص التغذية ، بل ومن الجوع احيانا . ولكن ذلك ليس نتيجة لفيض السكان ، بل هو من العواقب الفظيعة لسيطرة الرأسمالية . ان التصفية التامة للمجاعة ورفع مستوى رفاه الجماهير الشعبية ليسا ابدا مشكلة عسكرية ، بل اجتماعية . وهى لا تحل عن طريق الحرب الامبريالية ، بل عن طريق اعادة بناء المجتمع على اسس اشتراكية وتصفية النظام الاستعمارى المشين .

السياسة الجغرافية
بشأن اصل الحروب وجوهرها

ترتبط نظرية السياسة الجغرافية الرجعية الزائفة ارتباطا وثيقا بنظريات العنف والعنصرية والمالثوسية . فهذه النظريـــة تزعم ان سياسة وستراتيجية الدول تحددهما العوامل الجغرافية . وتبرر السياسة الجغرافية التوسع الامبريالى انطلاقا من الموضوعة المنافية للعلم والزاعمة بان السبب الاول لحروب الغزو هو الظروف الجغرافية ، وليس النظام الاقتصادى للطبقات الاستغلاليـــة وسياستها . علما بان أنصار السياسة الجغرافية يعتبرون الدول بمثابة الاجسام البيولوجية التى اما ان تنمو وتتوسع على حساب اراضى الدول الاخرى واما أن تهلك وتفنى .

ومن واضعى نظرية السياسة الجغرافية فى اوربا الجغرافى الألمـــانى راتسيل (١٨٤٤ ـ ١٩٠٤) والجغرافى السويدى تشيلين (١٨٦٤ ـ ١٩٢٢)

والجغرافى الانجليزى ماكيندير . وفى مستهل القرن العشرين وضع ماكيندير مخططا سياسيا جغرافيا لتحقيق السيطرة على العالم ، وكان انصار السياسة الجغرافية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية يعتبرون هذا المخطط صائبا على الاطلاق . ونص هذا المخطط على ان اراضى الامبراطورية الروسية هى المنطقة الجغرافية الاساسية التى تؤمن السيطرة على العالم . ونعت ماكيندير هذه المنطقة بانها «قلب الارض» . وقال : من يسيطر على اوربا الشرقية يستولى على قلب الارض ، ومن يستولى على قلب الارض يمتلك «جزيرة العالم» (اوربا وآسيا وافريقيا) وبالتالى العالم باجمعه .

ويرى انصار السياسة الجغرافية الاميركان المحدثون ان «جزيرة العالم» ليست اوربا وآسيا وافريقيا ، بل هى اميركا الشمالية . وهم يعتقدون بان من يسيطر على اميركا الشمالية لا بد له ان يسيطر على العالم كله . ومن الواضح ان المخطط السياسى الجغرافى الجديد ظهر بغية تقديم تبرير علمى ولو ظاهريا للسياسة العدوانية للامبريالية الاميركية . ولكن ذلك بالذات هو ما عجز انصار السياسة الجغرافية عنه ، لانهم انفسهم كانوا قد دحضوا الاستنتاجات الاساسية من الحجج الجغرافية التى طرحها اسلافهم الاوربيون . وبذلك اكد الساسة الجغرافيون فى مؤلفاتهم بالرغم منهم ان العوامل الجغرافية لا تمت بأية صلة لاسباب العدوان الفعلية .

ان ظهور «جزيرة» جديدة «للعالم» فى «علم» السياسة الجغرافية مع عدم تغير الجغرافيا الفيزياوية اكد الحكم القائل بان عدوانية هذه الدولة الامبريالية او تلك لا يحددها موقعها الجغرافى .

ولا تصمد للنقد الموضوعة الاساسية للسياسة الجغرافية الزاعمة بان الموقع الجغرافى للدولة يحدد طابع واتجاه سياستها الخارجية وهو سبب الحروب بين البلدان ، وان الحروب تؤمن «النمو الطبيعى» للدولة .

وفى غضون قرون عديدة لم تجر تغيرات ملحوظة على الموقع الجغرافى لاغلبية البلدان ، بينما تتغير سياستها تغيرا جوهريا . ومن اوضح الادلة على هذه الحقيقة بلاد السوفييت . فلئن كانت الحكومة القيصرية قد خاضت حروبا اغتصابية عديدة لصالح الاقطاعيين والبرجوازية ، فان الدولة السوفييتية المدافعة عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة والفلاحين والكادحين تنتهج بثبات سياسة سلمية وتناضل بحزم من اجل درء الحروب واستثنائها من حياة المجتمع . اما الموقع الجغرافى للاتحاد السوفييتى فلم يتغير جوهريا . اذن ، فان النظام الاجتماعى-السياسى ، وليس الجغرافيا ، هو ما يعين مضمون وطابع السياسة الخارجية للدول .

النظرية السيكولوجية
بشأن جوهر واصل الحروب

يعزو انصار المدرسة السيكولوجية فى علم الاجتماع البرجوازى الحروب الى خصائص النفس البشرية . فهم يزعمون ان الرغبة فى العنف والتعطش الى الحروب يكادان يكونان سمة فطرية للنفس البشرية . وعلى هذا النحو يرسى علم الاجتماع السيكولوجى نظرية العنف على «اساس سيكولوجى» . وبالمناسبة فان انصار نظرية العنف انفسهم يتمسكون بوجهة النظر هذه بالذات .

ان محاججات انصار «التفسير السيكولوجى» لاصل الحروب تبين بكل وضوح بطلانه التام . فان السياسة الرامية الى اعداد واشعال الحروب العدوانية تنتهج وتطبق خلافا لنفسية الشعب المحبة للسلام اصلا . وبالعكس ، فان الدول الامبريالية ، بعد ان

تتخذ قرارا سريا بالتحضير للحرب ، تشرع هي بممارسة تأثير شديد على نفسية المواطنين عن طريق الدعاية الشوفينية وتسعير الهوس الحربي وهلمجرا . وقد لوحظ ذلك في ألمانيا الفاشية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية . اذن ، فليست النفسية الشوفينية للفرد هي مصدر الحروب ، بل السياسة العدوانية للدول هي مصدر الهياج الشوفيني الذى تغرسه هذه الدول بصورة مفتعلة في اذهان مواطنيها .

وتتميز النظرية السيكولوجية بشأن الحرب باللاعقلانية . فهي تقول ان جذور الحروب تنبت في «اعماق النفس البشرية» الخفية وفي مجال الولوع الباطنية اللاواعية التي تكمن بعيدا عن العقل ولا تخضع لسيطرته وليست في متناول التحليل العلمي .

وتسترسل وجهة النظر هذه حتى تصل احيانا الى الغيبية الصرفة ، مما يلازم خصوصا الفلاسفة والايديولوجيين العسكريين في ألمانيا الغربية .

يقول بيخت في كتابه «جوهر الحروب والجوهر الحربي للالمان» ان «الحرب هي من اصعب ظواهر الوجود البشرى على الفهم . وهي من اكثر المواقف البشرية ابهاما في وجودنا المشحون بالالغاز» * .

ويقول ريندوليتش في كتابه «الحدود الخطرة للسياسة» : «نعني بالروح الخارقة فعل قوى الجبروت الفظيع والمبهم التي لا يطالها العقل والتي تجتذب البشر بسحرها وهم عاجزون عن ادراكها» ** .

انها لعسيرة ، على ما يبدو ، المهمات المطروحة على ايديولوجيي الامبريالية الحديثة العسكريين ، مهمات جر الجماهير

W. Picht Vom Wesen des Krieges und vom Kriegswesen der Deutschen, S. 27. *

L. Rendulic. Gefährliche Grenzen der Politik. Salzburg, 1954, S. 160. **

الى حرب جديدة بغية اهداف رجعية . انها لعسيرة تلك المهمات اذا كانوا يلجأون اضطرارا الى الترهات الغيبية لتحقيقها .

المبادئ الاكليريكية لاصل الحروب

لم يكف دعاة العدوان والحروب فى الآونة الاخيرة عن اللجوء الى النظريات والمعتقدات الدينيـــــة . فهم لا يفرطون بايـــــة امكانية لاستخدام «الارادة الالهية» بغية تبرير ايـــــة مغامرة حربية يقوم بها الامبرياليون .

ان الرأسمال الاحتكارى كثيرا ما يستغل الدين فى هدافـه الامبريالية .

وفى سنوات الحرب العالمية الثانية ورد فى المنشورات الدينية التى وزعت على افراد القوات المسلحة الاميركية التفسير التالى لاسباب سمـاح الاله بالحرب العالمية الثانية : «اولا ، تنبع الحرب منطقيـــا من ارادة الانسان الحرة . ان سماح الاله بالحرب يرتبط مع سماحه بالشر عموما . وتنبـع الحرب من نوايا الناس الشريرة . ولكن لماذا يسمح الاله بالشر عموما ؟ ذلك لانه اذا لم يكن الانسان قادرا على ان يصبح شريرا فسوف يعجز عن ان يكون خيرا . ويجب ان تكون ابواب الشر مفتوحة بغيـــة جعل العدالة امرا ممكنا» .

وبعد الحرب العالمية الثانية لم يفقد التحالف بين العسكريين وبين الممثلين الرجعيين فى الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرهما مواقعه فى كثير من البلدان الامبريالية بل عززها لدرجة اكبر .

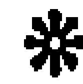
ويعتبر الاكليركيون الرجعيون حرب الابادة النووية «عقابا الهيا» ، ويصورون دعاة الحرب ومشعلى نيرانها بمثابة من ينفذ «الارادة الالهية» .

وتعرب احدث «ابتكارات» الظلاميين هؤلاء عن المصـــالح المنشودة والاهداف الاكثر رجعية للبرجوازية الامبريالية التى تطمح الى الابقاء على النير الطبقى واستغلال الانسان للانسان أبد الدهر .

ان النظريات والتصورات البرجوازية بشأن أسباب وجوهر الحروب ودورها في التاريخ بعيدة عن العلم بعد الارض عن السماء. وهي متعارضة مع المصالح الحيوية والمطامح التقدمية للبشرية جمعاء .

ان النظريات اللاعلمية الزائفة بصدد طبيعة واصل الحروب هي عبارة عن سلاح أيديولوجي استطاع الامبرياليون بواسطته ان يزجوا بالشعوب في حربين عالميتين دمويتين كلفتا البشرية ضحايا هائلة . وتتابع البرجوازية الامبريالية على قدم وساق الترويج لهذه النظريات المزعومة لكي تضلل الشعوب من جديد وتجرها الى مغامرات حربية جديدة .

ويعتبر فضح الجوهر الرجعي لهذه «النظريات» جزء هاما من النضال الايديولوجي ضد النزعة العسكرية والحرب .



الطابع الاجتماعى للحروب وانواعها في العصر الحاضر

ان احكام الماركسية-اللينينية بصدد جوهر الحروب وجذورها الاقتصادية والمصادر الاجتماعية لنشوبها هى الاساس لحل مسألة المضمون السياسى والطابع الاجتماعى لكل حرب على حدة . ويتسم هذا الامر باهمية من الدرجة الاولى لتحديد الخط السياسى للطبقة العاملة والشغيلة كافة ازاء كل حرب على انفراد فى عصرنا الحاضر .

١ ـ الحروب العادلة والحروب الجائرة . مفهوم انواع الحروب

ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية لنشوب الحروب واهدافها السياسية وكذلك الدور التاريخى الذى تلعبه فى حياة المجتمع لعلى اشد ما تكون من التنوع . فالحروب ، على حد تعبير لينين ، «امر غاية فى التباين والتنوع والتعقيد . ولا تجوز معالجته بالكليشيهات المعتادة» * ، فهى بحاجة الى تحليل ملموس لكل حرب على حدة .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٩ ، ص ٣٦٩ .

ان لكل صدام حربى مبعثه التناقضات فى ظروف تاريخية معينـــة خصائصه المميزة له عن غيره كل التمييز . وفى الوقت ذاته لا تنفى الخصائص الملموسة المميزة لكل صدام حربى على انفراد وحـــدة التقييم الاجتماعى لهذه الصدامات تبعا للطبيعة الطبقية للاطراف المتحاربة واهدافها السياسية .

ويساعد التطبيق الدؤوب لمبدأ التحليل الملموس الماركسى للطبيعة الطبقية للحرب على الكشف عن خصائص مضمونها السياسى وطابعها الاجتماعى . ويعنى تحديد المضمون السياسى للحرب التثبت من نوعية الطابع الطبقى الذى تحمله الحرب وسبب تشوبها وهوية الطبقات التى تخوضها ونوعية الظروف التاريخية-الاقتصاديـــة التى ادت الى نشوبها .

وعندما ندرس مضمون واتجاه السياسة التى تنتهجها هذه الطبقات والدول او تلك لامد طويل قبل الحرب نستطيع ان نحـدد طابع الحرب قبل نشوب الصدام الحربى او فى بدايته . ويتسم هذا التحليل باهمية كبيرة جدا لتحديد موقف الطبقات الطليعية الصائب ازاء الحرب ولتعبئتها لدعم هذه الحرب او للوقوف فى وجهها .

الطابع الاجتماعى للحرب

ان المضمون السياسى للحرب يحدد دورها التاريخى فى حياة المجتمع البشرى . وتبعا لذلك يمكن للحرب ان تؤثر تأثيرا معينا على تطور الدول ، وتكتسب طابعا تقدميا او رجعيـــا . وتنطوى الموضوعة اللينينية بصدد المضمون السياسى للحرب على قيمـــة نظرية هائلة واهمية عملية كبيرة لتبيان هذه الحقيقة .

وهناك ارتباط عضوى بين المضمون السياسى للحروب وبين التقييم الاجتماعى لها كحروب عادلة وحروب جائرة .

ويتسم التقييم المعنوى للظواهر التاريخيـــة فى المجتمـــع

التناحرى بمغزى طبقى-سياسى دوما . ولذلك تتجلى الطبيعة الطبقية للحرب فى هويتها المعنوية السياسية . وليست هذه الهوية امرا اعتباطيا ، فهى تعبر عن الدور الموضوعى لكل حرب فى الظروف التاريخية المعنية . وتختلف الحروب العادلة والحروب الجائرة عن بعضها البعض من حيث الاهداف التقدمية او الرجعية ، التحررية او الاغتصابية للطرفين المتحاربين .

ان كل حرب يخوضها الشعب فى سبيل الحرية والتقدم الاجتماعى والتحرر من الاستغلال والاضطهاد القومى او فى سبيل الدفاع عن الاستقلال وسيادة دولته ضد هجوم المعتدى هى حرب عادلة .

وبالعكس ، فان كل حرب يشنها الامبرياليون بغية الاستيلاء على اراضى الغير واستعباد ونهب الشعوب الاخرى هى حرب جائرة غير عادلة . ان مثل هذه الحروب التى هى مواصلة لسياسة البرجوازية الامبريالية تستهدف وقف السير الحتمى للتطور الاجتماعى بالقوة وقمع الحركة التحررية الثورية للطبقات والشعوب المضطهدة وتعزيز النظام الاستغلالى .

لقد ربط لينين دوما عدالة وشرعية الحروب بتقدميتها . فقد كتب يقول : «... توجد حروب عادلة وحروب جائرة ، تقدمية ورجعية ، حروب تخوضها الطبقات الطليعية او الطبقات المتخلفة ، حروب تخدم ترسيخ النير الطبقى وحروب تخدم الاطاحة به» * . ولا يمكن لحروب الغزو الرجعية ان تكون عادلة ، كما ان الحرب الجائرة تتعارض والتقدم التاريخى .

وتتميز الحروب العادلة باتجاه تقدمى . وتشكل مهمة تحرير الشعب من الاضطهاد والاستغلال اللذين يعيقان التطور الاجتماعى والاقتصادى المضمون السياسى للحرب العادلة الشرعية .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٣٣٧ .

وينبغي ان نأخذ بعين الاعتبـــار ان الحروب التقدميـــة التى خاضتها البرجوازية ما قبل الاحتكارية كانت تتسم دوما بميـــول اغتصابية جائرة ، وفى بعض الاحيان كانت هذه الميول تتنامى الى درجة ادت الى تغير الطابع الاجتماعى للحرب وتحول الحرب مـــن تحررية الى اغتصابية . ولقد حدث ذلك ، على سبيل المثال ، ابان الحروب التى خاضتها فرنسا فى اواخر القرن الثامن عشر ، وفى الحرب الفرنسية-البروسية فى ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ . والآن ايضا يمكن للبلدان الرأسمالية ان تخوض فى ظروف معينة حروبا تقدمية ، ولكنه لا بد من ان يظهر اثناء ذلك الاتجاه الامبريالى للسياسة البرجوازية .

كان التقدم فى كافة التشكيلات المتناحرة قد تحقق عن طريق دمار واضطهاد الشغيلة ، وعلى حساب عرقهم ودمائهم خلال الحروب وفى زمن السلم على حد سواء . وكتب انجلس يقـــول «... ان التاريخ يكاد يكون اقسى **جميع الآلهة** ، حيث يجر عربته المظفرة عبر تلال الجثث ليس فقط اثناء الحرب ، بل وفى فترات التطور الاقتصادى «السلمى»» * .

ولذلك فمن الخطأ اعتبـــار جميـــع الاحداث التى اسفرت فى التاريخ عن نتائج تقدمية بانها احداث عادلة . ولا يجوز الخلط بين الاهداف السياسية للحرب وبين نتائجها ، كما لا يجوز الحكم على طابع الحرب بالاستناد الى عواقبها التاريخية (البعيدة وغير المباشرة) . فان هذه العواقب غالبا ما تنجـــم ليس عن الحروب نفسها ، بل عن اسباب اخرى ذات طابع اجتماعى واقتصـــادى وسياسى وثقافى . وبين هذه الاسبـــاب الشديـدة التنوع يعود دور خاص الى حركات الجماهير الشعبية التى تهب للنضال فى سبيـــل مصالحها المتعارضة مع مصالح الاستغلاليين مشعلى نيران الحرب .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣٩ ، ص ٣٥ .

ان مفهوم الحرب العادلة يصلـــح ، بلا ريب ، للتعبير عن حروب التحرر الثورية التى تخوضها الطبقات والشعوب المضطهـدة ضد مضطهديها ، وعن نضال الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة الاخرى فى سبيل الاستقلال الوطنى والديمقراطية والاشتراكية . وتصبـــح هذه الحروب التى يولدها تفاقم التعسف والعنف الامبرياليين وسيلة ضرورية لتحطيم القوى الرجعية فى طريق التقدم التاريخى . وبالرغم من ان جميع الحروب تسفر عن المصـــائب والتدمير فان الحروب الثورية تساعد على تجديد الحياة السياسية وتعجل فى سير التطور الاجتماعى .

ولا يجوز الخلط بين مسألة شرعية وعدالة حروب التحـــرر الثورية وبين مسألة جدوى استخدام الوسائل الحربية للنضال فى سبيل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . فان الطبقات والشعوب المضطهدة تمتشق السلاح ليس برغبة منها . اذ ان الاستغلاليين يضطرونها على ذلك . وتهب الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة كى تقاتل ضد مضطهديها عندما لا تعود الوسائل السلمية كافية لتصفية الاستغلال ولاضطهاد ، او فى حالة هجوم عدوانى من الخارج . وعندها تكتسب الحرب التحررية العادلة طابع رد فعل الشعب على العدوان والاستغلال والعنف من جانب الطبقات الرجعية .

المعيار الموضوعى
فى التحليل الاجتماعى للحروب

انطلق مؤسسا الماركسية لدى تحديد الطابع الاجتمـــاعى لحروب عصرهما من المصالح الطبقية للبروليتاريا وجميع الشغيلة ، تلك المصالح التى استدعتها خصائص مرحلة الرأسمالية ما قبـــل الاحتكارية .

ومن ابرز حروب ذلك الزمان الحروب البرجوازية التقدمية والتحررية الوطنية التى عبرت عن نضال الشعوب فى سبيل تحررها من النير الاجنبى وتأسيس الدول الوطنية . وفى بلدان اوربا الغربية لعبت الحركة القومية ، البرجوازية الديمقراطية من حيث مضمونها الاقتصادى والطبقى ، دورا تقدميا من الناحية التاريخية آنذاك . فبدون تصفية المؤسسات الملكية الاقطاعية وبدون تحرير وتوحيد الامم المضطهدة ما كان بالامكان تطور النضال الثورى للطبقة العاملة فى سبيل الاشتراكية .

ولم يكن قد حان آنذاك اوان الحركة البروليتارية المشتركة ضد البرجوازية فى كافة البلدان المتحاربة . ولذلك حدد ماركس وانجلس موقفهما من الحرب انطلاقا من مدى عدم الضرر (او المنفعة) من انتصار برجوازية هذا البلد او ذاك بالنسبة للبروليتاريا العالمية ، وذادا عن سياسة للطبقة العاملة من شأنها ان تسهم الى اقصى حد فى انجاز التحويلات البرجوازية الديمقراطية وفى تهيئة الظروف لنجاح تطور الحركة الثورية للبروليتاريا .

وانطلاقا من المهمات التاريخية لحروب ذلك الزمان صنف ماركس وانجلس هذه الحروب بانها **دفاعية** او **اغتصابية** . وضمنا هذين المفهومين مغزى **سياسيا** ، حيث كانا يأخذان بالحسبان الاهداف التحررية او الاغتصابية للحرب . وقد بررا الحروب الدفاعية التى كانت تحل المهام التقدمية لتحرر الشعوب من النير الاجنبى وتأسيس الدول الوطنية ، وأهابا بالطبقة العاملة لكى تدعم هذه الحروب . وشجبا الحروب الاغتصابية التى استهدفت اضطهاد الشعوب والحفاظ على الانظمة الرجعية البالية ، ووصما بالعار والشنار مشعلى نيران هذه الحروب .

كانت البرجوازية منذ الايام الاولى لقيام سيطرتها قد خاضت ليس فقط حروبا تحررية ضد الاقطاعية والنير الاجنبى ، بل

وخاضت حروبا اغتصابية استهدفت الحاق اراضى الغير واستعباد الشعوب الاخرى . ومن بين هذه الحروب الحروب الاستعمارية التى شنتها قبل كل شىء البرجوازيـــة الانجليزيـــة فى الشرقين الادنى والاوسط وفى الهند وبورما والصين وبلدان اخرى . ووصف ماركس وانجلس هذه الحروب الرجعية المعادية للشعوب بانها **حروب جائرة الى اقصى حد** . لقد سعرت سياسة الغزو البرجوازيـــة التعطش للاثراء وولدت الهياج الشوفينى الذى يسمم لدرجة ما جميع سكان الدول الاستعمارية ، الامر الذى عزز مواقع الاستغلاليين واصبح وسيلة ليس فقط للاضطهاد السياسى ، بل وكذلك الاضطهاد الروحى المسلط على الشغيلة .

ذلك هو طابع الحروب التى خاضتها البرجوازية فى مرحلـــة الرأسمالية ما قبل الاحتكارية . واختتمت هذه المرحلة بكومونة باريس التى جسدت النضال الثورى للعمال الفرنسيين ضد الغزاة الاجانب والقوى الرجعية الداخلية . وقد فرق ماركس وانجلس تفريقا تاما بين هذا النضال الذى حمل طابعا تقدميا ثابتا وعادلا دون شك وبين الحروب القومية التى شنتها الطبقات الاستغلالية . فالكومونة كان ينبغى ان تصبح اداة للاطاحة بالاستغـــلال الطبقى وبالاسس الاقتصادية التى يقوم عليها هذا الاستغلال .

وبعد كومونة باريس بدت مرحلة جديدة فى حياة المجتمع البرجوازى . فان تطور الاحتكارات الرأسمالية وسيطرة الرأسمـــال المالى وتكون نظام الاستعمار للامبريالية ، كل ذلك غير بصورة جوهرية المضمون السياسى لحروب الدول البرجوازية . وصار هدف الاحتكارات هو النضال من اجل اعادة اقتسام المستعمرات ومن اجل السيطرة على العالم ، ومكافحة نضال البروليتاريـــا الثورى المتعاظم وحركة التحرر الوطنى لشعوب المستعمرات والبلـــدان التابعة .

وتطلب تعمق التناقضات الاجتماعية اسلوبا جديدا فى تحديد طابع الحروب تبعا للمهمات الجديدة لنضال الجماهير الشعبية الثورى التحررى . واصبحت البروليتاريا فى مرحلة الامبريالية الطبقة الطليعية تاريخيا والمناضلة فى سبيل التقدم الاجتماعى اللاحق . وتتفق المثل العليا للبروليتاريا مع المصالح الجذرية لكافة الشغيلة وجميع الشعوب المضطهدة . وتسير الطبقة العاملة فى النضال التحررى المتعاظم فى طليعة الشعب العامل وجميع القوى التقدمية . وهى تحل على اكمل وجه وباكثر الصور ثباتا المهمة التاريخية ، مهمة تصفية نظام الاضطهاد الاجتماعى والقومى بالطرق الثورية .

ولذلك بالذات اصبحت مصالح حركة البروليتاريا الثورية ونضالها ضد الرأسمالية المعيار الاساسى فى التقييم الماركسى لجميع الاحداث الدولية ، بما فيها الحروب . وفى الوقت الحاضر لا يمكن التثبت من شرعية الحرب وعدالتها الا من وجهة نظر البروليتاريا ونضالها فى سبيل تحررها . **وينبغى تحديد الطابع الاجتماعى لكل حرب فى عصرنا الحاضر انطلاقا من مصالح الثورة الاشتراكية للبروليتاريا وثورات التحرر الوطنى للشعوب المضطهدة ومن مواقع القوى المحركة الاساسية للتقدم الاجتماعى ـ المنظومة الاشتراكية العالمية والحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى للشعوب .**

ويعكس هذا الواقع الحتمية الموضوعية لانتقال البشرية ثوريا من الرأسمالية الى الاشتراكية . وبمراعاة هذه الحتمية وتناسب القوى الطبقية الجديد طور لينين تطويرا خلاقا موضوعة ماركس بشأن الاسلوب السياسى فى تحديد الطابع الاجتماعى للحرب . فقد وضع لينين المبدأ السياسى المعنوى العام المستخدم فى التحليل الاجتماعى لجميع الحروب وصاغ بدقة المعيار الطبقى لهذا المبدأ فى العصر التاريخى الجديد .

وكانت هناك جملة من الاسباب التى استدعت تطوير التعريف الماركسى لطابع الحروب .

اولا ، كانت الاطراف المتحاربة تستهدف اغراضا مختلفة من وراء الحروب الوطنية للرأسمالية ما قبل الاحتكارية ، فقد استهدف طرف اغراض الغزو بينما استهدف طرف آخر اغراض التحرر . ولذلك كان التقسيم السابق للحروب الى حروب الفتح او الغزو وحروب الدفاع عن النفس يتفق مع المضمون السياسى لهذه الحروب . اما فى الحروب الامبريالية الملازمة للرأسمالية الاحتكارية من اجل اعادة اقتسام العالم فليس هناك اطراف «تدافع عن نفسها» ، اذ ان كلتا الكتلتين البرجوازيتين تشنان حربا اغتصابية رجعية .

ثانيا ، حاول زعماء الاممية الثانية استخدام هذين المفهومين فى صياغة الاهداف السياسية للدول الامبريالية التى شاركت فى الحرب العالمية الاولى . وكانوا يتسترون بشعار «الدفاع عن النفس» على الاهداف الاغتصابية لهذه الحرب . وبذلك شوه الانتهازيون كليا مفهوم الحرب الدفاعية فى الوضع التاريخى الجديد . وبغية اجتثاث الاشتراكية الشوفينية ووضع تاكتيك جديد للطبقة العاملة ازاء الحرب كان يجب التخلص من المفاهيم القديمة وتعريف حروب مرحلة الامبريالية على نحو جديد .

ثالثا ، كان مبعث الاهمية العملية لهذه المسألة هو جو الصدام العالمى الذى لم يسبقه مثيل . فالجماهير الشعبية بملايينها الكثيرة التى انجرت الى الصراع الامبريالى كانت بحاجة ماسة الى وجهة سياسية دقيقة . وفى هذه الظروف اكتسب تقسيم الحروب الى عادلة وجائرة اهمية حاسمة بالنسبة لرسم الخط السياسى للطبقة العاملة ولتعبئة الشغيلة للحرب الاهلية العادلة ضد الحرب الامبريالية الجائرة .

ان النظرية الماركسية-اللينينية هى وحدها التى تقدم اساسا موضوعيا وعلميا دقيقا للتقييم السياسى المعنوى للحروب تبعا لمضمونها السياسى . ويتسم هذا التقييم ، لكونه صائبا ، بقوة تنظيمية وتعبوية هائلة . فهو ، بتجسده فى المبدأ المعنوى ، يعبر عن موقف الشغيلة الفعال من الحرب ، ذلك الموقف الذى يتلخص فى الحد الاقصى من تأييد الحروب التحررية العادلة والنضال الحازم ضد حروب الغزو العدوانية الجائرة .

موقف الاحزاب الماركسية
من الحروب العادلة والحروب الجائرة

ان تبيان طابع الحرب هو ، بالنسبة للماركسى ، المقدمة اللازمة لتحديد موقفه منها . وتدعو الاحزاب الماركسية الى النضال الحازم ، لحد الانقلاب الثورى ، ضد حروب الغزو الجائرة . وهى فى الوقت ذاته تدعم بتفان ونكران ذات الحروب التحررية الثورية التى تخوضها الشعوب فى سبيل التحرر الوطنى والديمقراطية والاشتراكية . ولقد كتب لينين فى عام ١٩١٦ يقول : «ان الاشتراكيين يلتزمون دوما جانب المضطهدين ، وبالتالى فهم لا يمكن ان يعارضوا الحروب التى تستهدف النضال الديمقراطى او الاشتراكى ضد الاضطهاد» .

ان الاحزاب الشيوعية التى تذود عن التقدم التاريخى والحرية تعبىء شغيلة البلدان الرأسمالية لمكافحة سياسة البرجوازية القرصنية . وهى تكشف عن اسباب الحروب الامبريالية وتفضح سر «ميلاد الحرب» وتهدى الجماهير الشعبية الى طريق الخروج من الحروب التى يشنها الاستغلاليون .

وتعبىء الاحزاب الماركسية-اللينينية فى البلدان الاشتراكية القوى المادية والروحية لدولها بغية لجم المعتدين ودرء الحرب

النووية . وهى تناضل بنشاط فى سبيل الحل السلمى لكافة المسائل المختلف عليها فى الحياة الدولية ، وتشجب الحروب بين الشعوب باعتبارها عملا بربريا فظيعا . وفى الوقت ذاته يؤيد الشيوعيون النضال التحررى الثورى للطبقة العاملة والشعوب المضطهدة فى سبيل الخلاص من الاستغلال ومن اجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . ويناضل الحزب الشيوعى السوفييتى والشعب السوفييتى بأسره نضالا نشيطا ضد جميع حروب الغزو ، بما فيها الحروب بين البلدان الرأسمالية ، وضد الحروب المحلية الرامية الى خنق الحركات الشعبية التحررية ، ويعتبران من واجبهما دعم النضال المقدس للشعوب المضطهدة وحروبها التحررية العادلة ضد الامبريالية .

وفى الموقف الملموس من كل حرب ، تبعا للاهداف الطبقية للاطراف المتحاربة ، يكمن الفرق المبدئى بين الماركسية-اللينينية وبين ايديولوجية النزعة المسالمة البرجوازية التى ترفض بصورة تجريدية كافة الحروب بما فيها الحروب التحررية الثورية . ويرى انصار الايديولوجية المسالمة ان الترويج للسلام سيؤدى لذاته ، وبدون نضال ، الى تصفية الحروب . ولذلك لا تشكل هذه الايديولوجية خطرا على العسكريين المتطرفين . ويمكن ان تستخدم هذه الايديولوجية من قبل الطبقات الرجعية بغية تخدير الجماهير الشعبية .

ان الكشف عن بطلان الايديولوجية المسالمة هو الشرط اللازم لمتابعة تطور حركة انصار السلام المنظمة ورص صفوفهم فى النضال فى سبيل السلام وأمن الشعوب . وفى الوقت ذاته ينبغى توجيه اقصى الدعم لكافة مناوئى الحروب الجائرة وتوحيدهم واشراكهم فى النضال ضد خطر الحرب .

وينيط الامبرياليون بالاحزاب الاشتراكية اليمينية وزعمائها دورا خاصا فى تحضير الحروب العدوانية . الا انه تتنامى فى الاحزاب

الاشتراكية-الديمقراطية مقاومة سياسة الزعماء اليمينيين . وان الاحزاب الماركسية-اللينينية ، فى الوقت الذى تفضح فيه المواقف الايديولوجية لزعماء الاشتراكية-الديمقراطية وسياستهم الانتهازية اليمينية ، تهيب بجماهير الاشتراكيين-الديمقراطيين للانتقال الى مواقف النضال الطبقى الثابت ضد سياسة البرجوازية الامبريالية .

ان التحريفيين اليمينيين المعاصرين يشوهون التقييم الماركسى للحروب تشويها فظا . فهم ، بعد ارتدادهم عن مواقع الطبقة العاملة ، يحاولون محو الفرق المبدئى فى موقف الشغيلة من الحروب العادلة والحروب الجائرة . ويستبدلون وجهة النظر الطبقية بالمسالمة المجردة ، ويتسترون بقناع «عدم التحيز» ، ولكنهم فى الوقت ذاته يلزمون الصمت بشأن الامبريالية التى هى المصدر الوحيد لخطر الحرب . وبذلك يجرد التحريفيون ، شأنهم شأن الاشتراكيين اليمينيين ، الحركة العمالية العالمية من سلاحها الفكرى امام القوى العدوانية للامبريالية .

وتنطوى على خطر جسيم اراء الانشقاقيين الصينيين الذين يلتزمون ، فى تقييم الحرب ، بمواقف شوفينية الدولة الكبرى والنزعة القومية . ويرى الزعماء الصينيون ان العملية الثورية العالمية لا يمكن ان تتطور بنجاح الا عن طريق الحرب . وهم ، فى الوقت الذى يتسترون فيه بالعبارات الثورية ، يدعون ليس الى النضال ضد الحرب ، بل الى اشعال نيران حرب عالمية جديدة ، معتبرين اياها ظاهرة تاريخية ايجابية .

ولا يمكن ، الا من مواقف الفهم الماركسى-اللينينى لطابع الحروب الحديثة ، انتهاج سياسة صائبة للطبقة العاملة العالمية والدول الاشتراكية فى النضال ضد المعتدين الامبرياليين وفى سبيل سلام وطيد ومن اجل الاستقلال الوطنى والديمقراطية والاشتراكية .

الاسس الاجتماعية
لتصنيف الحروب حسب انواعها

ان مراعاة الطابع العادل او الجائر للحروب بالنسبة لكل طرف من الاطراف المتحاربة ترتبط ارتباطا لا ينفصم بتصنيف الحروب حسب انواعها .

وتحدد انواع الحروب بواسطة السمات الاساسية لكل عصر ، فلا يمكن فهم حرب ما بدون فهم العصر الذى تجرى فيه . ويتميز كل عصر تاريخى بتناقضات متنوعة متفردة من حيث مضمونها الاجتماعى . **ولدى تصنيف الحروب تؤخذ بعين الاعتبار التناقضات الرئيسية او جوانبها التى تنطوى على الصدامات الحربية ، والقوى الاجتماعية التى تنخرط فى الصدام المسلح فيما بينها .**

وهناك تناقضات متميزة تلازم ليس فقط التشكيلات التناحرية بكاملها ، بل وتلازم مختلف المراحل فى تشكيلة بعينها (مثل التشكيلة الرأسمالية) . وهذه التناقضات بالذات هى التى تحدد الانواع الاساسية للحروب فى المرحلة المعنية . فالرأسمالية ما قبل الاحتكارية تتميز بالحروب الوطنية التى عبرت عن نضال الشعوب الطويل الامد فى سبيل تحررها وتأسيس الدول القومية . وتتميز مرحلة سيطرة الامبريالية بلا منازع بالحروب الامبريالية (الجائرة من كلا الطرفين المتحاربين) بغية اعادة اقتسام العالم وبغية السيطرة عليه .

وتتحدد انواع حروب عصرنا بالخطوط الرئيسية للصراع الاجتماعى . وهذه الخطوط هى : الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين ــ الاشتراكية والرأسمالية ، ونضال البروليتاريا الثورى ضد البرجوازية ، ونضال الجماهير الشعبية الديمقراطى العام ضد الاتحادات الاحتكارية ، ونضال الشعوب التحررى الوطنى ضد المستعمرين ، والصراع بين البلدان الرأسمالية من اجل تعزيز مواقع

الرأسمـــــال الاحتكارى . **وان الخط الاساسى الحـاسم فى الصراع الاجتماعى هو الصراع بين الاشتراكية والامبريالية .**

ان كافة خطوط الصراع الاجتماعى هذه تعبر عن التناقضات التناحرية العميقة التى يحاول الامبرياليون حلها عن طريق القتال المسلح . ومن هنا تنبع الانواع الاساسية لحروب العصر الحاضر : ١) الحروب بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين ؛ ٢) الحروب الاهلية بين البروليتاريا والبرجوازية ، وكذلك الحروب فى سبيـــل الاهداف الديمقراطية العامة وضد القوى الرجعية للرأسمـــــال الاحتكارى ؛ ٣) الحروب بين المستعمرين والشعوب المناضلـة فى سبيل استقلالها ، ٤)الحروب بين الدول الرأسمالية . والى جانب تلك يمكن ان تنشب فى عصرنا الحاضر صدامات حربية وحروب بين البلدان الضعيفة التطور ، وهذه الصدامات والحروب يدبرهـــا الامبرياليون والرجعية المحلية (الصدام بين الهند وباكستـــان فى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ وفى ١٩٧١ ـ ١٩٧٢) .

من النادر ان تنشب الانواع الرئيسية للحروب بشكلهـــا « الصرف » ، فهى يمكن ان تتشابك فيما بينها ، ويتحول بعضها الى البعض الآخر . فالحروب الاهلية داخل البلد غالبا ما تقترن بالكفاح ضد المتدخلين الاجانب ، ويمكن ان تتحول حروب الغزو الرجعية الى حروب اهلية داخل البلدان المتحاربـــة . وان حروب التحرر الوطنى للشعوب المضطهدة ضد المستعمرين غير مجردة هى ايضا من عناصر الحرب الاهلية ضد القوى الرجعية الداخلية . الا ان هذا التشابك لا يمحو ابدا الحدود والفوارق بين الانواع الرئيسيـــة للحروب .

ونحن ، فى الوقت الذى نصنف فيه الحروب حسب انواعها ، ناخذ كل حرب باعتبارها ظاهرة ذات جانبين تتسم بطابـــع اجتماعى متنـــاقض

بالنسبة لكل من الطرفين المتحاربين (ما عدا الحروب الامبريالية الجائرة من كلا الطرفين المتحاربين) . ان انواع الحروب تعبر ليس عن الفرق الصنفى بين الحروب العادلة والحروب الجائرة ، بل عن الخصـــائص **التاريخيـــة** للحروب ، تلك الخصائص النابعة من التناقضات الرئيسية للعصر المعنى . اما اذا كان المقصود **اصناف** الحروب فعند ذاك ينبغى ان نتناول الحروب العادلة والحروب الجائرة كلا على حدة . وكل من هاتين **المجمـــوعتين** من الحروب ينقسم بدوره الى اصناف تتناسب وطبيعة القوى الاجتماعية التى يحـــدد الصراع فيما بينها الانواع الاساسية للحروب .

وتختلف الحروب ليس فقط من حيث مضمونها السياسى ، بل ومن حيث القاعدة الآلية-الحربية للقتال المسلح . فبوجـــود السلاح النووى-الصاروخى تكتسب مراعـــاة الطابـــع الآلى العسكرى للحروب اهمية كبيرة للغاية بالنسبة لفهم الدور التاريخى للحرب النووية فى حياة المجتمع . وتختلف الحروب كذلك من حيث نطاقها ومدى الصدام الحربى بين بعض البلدان او بين الائتلافات العالمية للدول .

لقد اعتاد النظريون العسكريون البرجوازيـــون على تقسيم الحروب حسب خصائصها الآلية-الحربية فقط . فليس من صالحهم الكشف عن الجوهر الطبقى والطابع الاغتصابى للسياسة الحربية للامبريالية . ولذلك يكتفون بالتصنيف «الآلى-التكنيكى» للحروب ويلزمون الصمت بشان مضمونهـــا الطبقى السياسى .

ان الستراتيجية الحديثة للامبريالية توضع بمراعاة ثلاثة اصناف من الحروب : ١) الحروب النووية الشاملـــة والمحدودة (حسب نطاقها واهدافها) بمشاركة بلدان من النظامين الاجتماعيين المتضادين ؛ ٢) الحروب العالمية والمحلية بدون استخدام السلاح

النووى ؛ ٣) الحروب المحلية ضد حركة التحرر الوطنى للشعوب والدول المستقلة الجديدة .

ويلجأ الامبرياليون بصورة متزايدة دوما الى الحروب المحلية المحدودة من حيث الاقليم ومن حيث وسائل القتال المسلـــح . ويسعى الامبرياليون من وراء شن هذه الحروب الى تقوية مواقعهم فى مختلف مناطق المعمورة واضعاف حركة الشغيلة التحرريـــة الثورية . وفى معرض فضح جوهر «الحروب الصغرى» كشف لينين عن ارتباطها الذى لا ينفصم بالسياسة العدوانية العامة للامبريالية . فقد كتب لينين قبل اكثر من نصف قرن : «... خذوا تاريـــخ الحروب الصغرى التى خاضوهـــا (يعنى الامبرياليين ـ **الناشر**) قبل الحرب الكبرى ـ انها «صغرى» لان عدد الاوربيين الذين قتلوا فيها غير كبير ، بينما قتل فيها مئات الآلاف من الشعوب الى خنقوها والتى لا تعتبر ، من وجهة نظرهم (اى الامبرياليين) ، شعوبا (فهل الاسيويون والافارقة شعوب ؟ !) . لقد شنت ضد هذه الشعوب حروب على النحو التالى : ابيدت هذه الشعوب ، وهى عزلاء ، بنيران الرشاشات ...

ان هذه الحرب هى استمرار لسياسة الاستيلاء ، سياســـة الابادة لاقوام كاملة ، سياسة الاعمال الوحشية الفظيعة ...» * .

ان التقييم اللينينى للحروب الامبريالية «الصغرى» تقييـــم ملحّ اليوم ايضا . وهو يساعد فى ادراك جوهر هذه الحروب وخطرها على التقدم الاجتماعى .فالحرب الامبريالية الصغيرة يمكن ان تتحول الى حرب عالمية ، الى حرب غير محدودة من حيث النطاق والوسائل التكنيكية للقتال .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٨٦ .

٢ ـ الحروب بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين

أسفر انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية وتشكل المعسكر الاشتراكى الجبار وانهيار النظام الكولونيالى المشين عن تغيرات تاريخية فى الوضع الدولى . وتقلص كثيرا مجال سيطرة الاحتكارات ، مما ادى الى تزايد شديد فى عدوانية الدول الامبريالية . واصبحت البرجوازية الاحتكارية الاميركية الحصن الرئيسى للعدوان والرجعية العالمية .

وتجلت الاعمال العدوانية للامبرياليين الاميركان بوضوح فى حرب القرصنة ضد جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وفى تنظيم مؤامرات الردة ضد كوبا وفى غارات المتدخلين الاميركان الوحشية على اراضى جمهورية الفيتنام الديمقراطية . وتحمل جميع هذه الاعمال العدوانية طابع الصدامات المسلحة بين دول تنتمى الى نظامين اجتماعيين متعارضين ، هما الامبريالية والاشتراكية .

الطابع الاجتماعى للحرب العالمية التى يعدها الامبرياليون

فى اواخر الاربعينات شرع الامبرياليون الاميركان بسباق التسلح المسعور . وكانوا يعولون على احتكار السلاح الذرى ، فأخذوا يشكلون الاحلاف العسكرية وينشئون القواعد الذرية ويستكملون القوات المسلحة القادرة على تنفيذ الوظائف العدوانية والبوليسية ـ العسكرية .

ومنذ ذلك الحين خيم على البلدان الاشتراكية والعالم كله خطر حرب الابادة .

ان الاوساط العدوانية للامبريالية ، التى تعد خطط الحرب العدوانية الاجرامية تشدد سباق التسلح بلا انقطاع ، وتحاول تنشيط

الاحلاف العسكرية التى تشكلت بغية العدوان على الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وتقوى النضال الايديولوجى ضدها ، وتسعى الى عرقلة تطورها الاقتصادى .

الا ان الامبريالية عاجزة عن استعادة المبادرة التاريخية التى افلتت من يدها ، وهى عاجزة عن العودة بعجلة تطور العالم الحديث الى الوراء . وانها لمغامرة الاهداف السياسية الرجعية للامبرياليين التى تقف فى وجه الحتمية الموضوعية للتطور الاجتماعى . ولذلك فالحرب النووية التى يعدها الامبرياليون ضد اسرة البلدان الاشتراكية والتى تستهدف وقف سير التاريخ بصورة اجرامية هى حرب رجعية من حيث دورها فى الحياة الاجتماعية ، واكثر الحروب رجعية من حيث مضمونها السياسى . ومن جهة شعوب الدول الاشتراكية والبشرية التقدمية جمعاء ستنقلب هذه الحرب الى حرب مقدسة فى سبيل الحرية والاستقلال والى اكثر الحروب التحررية عدالة . وستصبح الحرب العالمية صراعا طاحنا شديد التوتر بين القوى الاجتماعية المتعارضة وحربا طبقية على النطاق العالمى .

وسوف يستدعى الطابع الطبقى الشديد لهذه الحرب الحزم الفائق فى الاهداف السياسية والعسكرية للاطراف المتحاربة ، ومن شأن استخدام السلاح النووى ان يضفى عليها طابعا تدميريا اباديا لم يسبقه مثيل . وفى هذه الحال ستزهق فى لهيب الحرب النووية الحرارية مئات الملايين من الارواح البشرية وستدمر هذه الحرب بلدانا باكملها وتلحق ضررا لا يعوض بالحضارة المادية والروحية . فمثل هذه الحرب تعود بالبشرية الى ما قبل عقود عديدة من السنين .

وبغية تخدير يقظة الشعوب يناقش العسكريون على نطاق واسع حاليا امكانيات تحديد الحرب النووية . وان تعقل الخصوم ، كما يقول هؤلاء ، سيساعد على «تنسيق» الاعمال

الخاصة باستخدام الوسائل النووية وبتحديد الاهداف المعرضة للضربات . ويؤكد «النظريون» العسكريون الغربيون ان هذه التحديدات ستجعل تدمير القيم المادية ومصائب الشعوب مقتصرة على الحد الادنى .

ولا يصعب فضح الطابع الزائف لهذه التأكيدات . ان الدعاية لنظريات «الحروب المحدودة» تستهدف تهدئة الرأى العام وارغام الشعوب على تقبل امكانية الحرب النووية . وفى الوقت ذاته يراد للمحاججات بشأن اقتصار الضربات النووية على المواقع العسكرية ان تصبح ستارا لخطط الحرب الوقائية (الضربة الاولى) ضد البلدان الاشتراكية .

ان شعوب العالم لا تستطيع التعويل على «تعقل» المعتدين الامبرياليين فى تحديد استخدام الوسائل النووية الصاروخية . فجهود هذه الشعوب ينبغى ان تركز على لجم الامبرياليين فى الوقت اللازم وحرمانهم من امكانية استخدام السلاح الفتاك **ودرء الحرب النووية الحرارية .**

ويتسم باهمية كبيرة فى حل مسالة الحرب والسلام تناسب القوى الطبقية-السياسية وتنظيم الناس وارادتهم الواعية . ففى الظروف الراهنة يمكن لنضال القوى الاجتماعية الطليعية ان يلعب دورا حاسما فى الحيلولة دون نشوب الحرب . وتلعب دورا تنظيميا عظيما فى هذا النضال الشعبى الشامل الطبقة العاملة العالمية التى هى المناضل الاكثر ثباتا ضد الحروب الامبريالية . وتتسم وحدة اعمال البروليتاريا العالمية والوحدة الاممية لكافة قوى الاشتراكية بأهمية حاسمة لنجاح النضال فى سبيل السلام وحرية الشعوب وفى سبيل التطور التقدمى للمجتمع البشرى .

«ان من اهم اشكال النضال ضد خطر شن الامبريالية لحرب عالمية جديدة تنظيم الرد الجماعى على اعمال المعتدين فى حالة ما

اذا بدأوا المغامرات الحربية فى هذه المنطقة او تلك من العالم . ومن اسطع الامثلة على ذلك ردع عدوان الولايات المتحدة الاميركية على الفيتنام » * .

لم تعد الامبريالية حاليا تشغل الموقف المهيمن فى الحياة الدولية ، فقد ازداد دور المنظومة الاشتراكية وتقوى نفوذ الدول المستقلة الجديدة والجماهير الشعبية فى البلدان الرأسمالية . وتتهيأ امكانيات فعلية لكى تحرز الاصول الجديدة للعلاقات الدولية النصر على سياسة الامبرياليين العدوانية .

ويتجلى الطراز الجديد للعلاقات الدولية فى السياسة الخارجية للدول الاشتراكية . فهى تستند على مبدأ التكافؤ والسيادة لجميع البلدان ، مبدأ السلام وأمن الشعوب . ان سياسة البلدان الاشتراكية المحبة للسلام مشبعة بافكار النزعة الانسانية الحقة . وهى تستهدف تأمين التعاون ذى المنفعة المتبادلة والصداقة بين الشعوب كافة . وقدمت الاشتراكية للبشرية المبدأ الحكيم المتعقل الوحيد للعلاقات بين الدول فى ظروف انقسام العالم الى منظومتين ، الا وهو مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ذلك المبدأ الذى طرحه لينين .

ويتلخص الواجب الاممى للطبقة العاملة العالمية فى الدعم النشيط للسياسة السلمية للدول الاشتراكية ومقترحاتها البناءة الرامية الى التخفيف من حدة التوتر الدولى والى توطيد السلام .

«ان حماية السلام مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالنضال من اجل فرض التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية

---

* بريجنيف . فى سبيل رص صفوف الشيوعيين وفى سبيل نهوض جديد للنضال ضد الامبريالية . وثائق ومواد المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية . موسكو ، ١٩٦٩ ، ص ٤٨ .

المختلفة على الامبرياليين» * . وان النضالات النشيطة للجماهير الشعبية ضد الامبريالية هى واحد من شروط تنفيذ سياسة التعايش السلمى .

واذا لم يتسن احباط نوايا الامبرياليين الاجرامية ونشبت الحرب فان الواجب المقدس للطبقة العاملة العالمية والبشرية التقدمية بأسرها هو بذل كل ما فى وسعها لشل المعتدى باية وسيلة وبأسرع ما يمكن وانتزاع السلاح من يديه وحرمانه من امكانية توسيع حرب الابادة . وكلما استطاعت الشعوب ان تصفى حسابها مع نظام الامبريالية الرجعى بسرعة وحزم كلما استطاعت الخروج من هذه الحرب بضحايا اقل .

الحرب العالمية والثورة الاشتراكية

يتلخص القانون الاساسى للثورة الاشتراكية الذى صاغه لينين بكل دقة فى ان الثورة فى كل بلد رأسمالى ممكنة عند توفر الوضع الثورى المباشر الذى تولده الازمة العميقة على نطاق الامة بأسرها ، حيث تتهيأ جميع الظروف الموضوعية والذاتية للانقلاب الثورى .

ولا تستند الثورة الاشتراكية على المؤامرة ولا على الاعمال العفوية لمنظمات معينة ، بل تستند على قوى الطبقة الطليعية والنشاط السياسى لجماهير الشغيلة . ولا يستطيع الا اعداء الاشتراكية ان يرددوا بعناد بليد دعاوى «تصدير» الثورة والتطاول بالعنف على «الانظمة الحرة» فى العالم الرأسمالى من قبل المنظومة الاشتراكية العالمية . فمن المعروف ان الثورات لا تقوم

* المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعالمية . وثائق ومواد ، ص ص ٣١٦ـ٣١٨ .

حسب الطلب ، بل تنضج فى سياق التطور التاريخـــى وتقوم فى لحظة مشروطة بجملة من الاسباب الداخلية والخارجية .

وليست الحرب عنصرا لا مفر منه فى تشكيلة الاسباب هذه ، وليست هى شرطا حاسما للثورة . وليست هناك صلة دائمـــة وحيدة المدلول بين الحرب والثورة . والحرب الامبريالية لا تؤدى دائما الى الثورة ، ولا تسبق كل ثورة حرب بين الدول . الا ان الحرب والثورة كظاهرتين سياسيتين ليستا معزولتين عن بعضهما البعض . فهناك صلة معينة فيما بينهما . وقد تجلت هذه الصلة بشكل متميز فى الحربين العالميتين الاولى والثانية اللتين اثرتـــا تأثيرا جوهريا على التطور الثورى .

ان الحرب العالمية تشدد التناقضات الداخلية والخارجيـــة للامبريالية وتزعزع جهاز الدولة البرجوازى وتولد ازمة سياسية عميقة لمجمل نظام الامبريالية . وتوقظ الحرب لدى الشعب الوعى السياسى وتهيئ الظروف التى تجعل الشغيلة يهبون للنضال ضد النظام البرجوازى . فالمحن والتضحيات الجسام فى الحرب الجائرة تحث الشعب موضوعيا وتهيب به الى الثورة . وبهذا المعنى بالذات قال لينين فى عام ١٩١٧ ان الحرب العالمية لا بد وان تؤدى الى الثورة .

ولقد كشفت الحرب الامبريالية العالمية الاولى عن التعارض الواضح بين مصالح الشعب والحكومة فى كل من البلدان المتحاربة . وشددت هذه الحرب لدرجة كبيرة جدا التناقضات الطبقية للمجتمع الرأسمالى وولـــدت ازمة عميقة شاملة زعزعت الاسس الاجتماعية-السياسية للامبريالية .

لقد ركزت الحرب كل التناقضات فى عقدة واحدة فاضعفت المنظومة الرأسمالية العالمية وايقظت الجماهير الشعبية واهابت بها الى الحياة السياسية والى الابداع التاريخى المستقل . وتهيا جو ملائم لنجاح تطور نضـــــال البروليتاريا الثورى ضد البرجوازية فى سبيل استلام سلطة الدولة .

وفى مثل هذه الظروف يتلخص الواجـــب الاممى للاحزاب الماركسية فى الكشف عن التناقضات الاجتماعية التى تعمقها الحرب ، وفى تكوين الوعى الطبقى للشغيلة ورص صفوف بروليتاريا كافة البلدان للنضال ضد الامبريالية وضـــــد مجرمى الحرب ومشعلى نيرانها .

لقد علمنا لينين فى سنوات الحرب العالمية الاولى انه لا يمكن ان تقوم موضوعيا ومن وجهة نظر التقدم الاجتماعى فى وجه الحرب الرجعية التى يشنها الامبرياليون بغية تقوية العبودية الاجيرة إلا حرب البروليتاريا ضد البرجوزية ، وبالدرجة الاولى الحرب الاهلية فى سبيل تصفية سيطرة الرأسمال . وكان النضال الدائب من اجل تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية يشكل التاكتيك الصائب الوحيد للطبقة العاملة وحزبها . ويبقى هذا التاكتيك صالحا فى وقتنا الحاضر ايضا ، الا ان تطبيقه يتطلب مراعاة دقيقة للوضع الدولى وتناسب القوى .

واكدت الحرب العالمية الثانيـــــة كليا صواب الموضوعة اللينينية بشأن اعتماد انتقاء اشكال وطرائق النضال ضد الحرب على تفرد الوضع الناجم عنها . فهذه الحرب التى شنت بسبب مــن صراع الامبرياليين فى سبيل السيطرة على العالم قد جعلت الشعوب تواجه خطر الاستعباد ، ولذلك اثارت نشاطا سياسيا عظيما لدى الملايين العديدة من الجماهير الشعبية . فالاشهر الاولى للحرب قد كشفت عن التناقض العميـــــق بين ارادة الشعوب وبين الاهداف الرجعية لحكومتى بريطانيا وفرنسا . وتجلى هذا التناقض فى ان القوى التقدمية فى البلدين كانت تدعو الى ردع العدوان الالمانى الفاشى بحزم ، بينما كانت الحكومتان تسعيان الى عقد صفقة مع الهتلريين والتملص من العمليات الحربية النشيطة فالتزمتا بموقف التريث . وكان هذا التناقض بالذات هو الذى حدد كامل الوضع

السياسى فى المرحلة الاولى من الحرب ، تلك المرحلة التى سميت « بالحرب العجيبة » .

ونظرا للاهداف المغرقة فى رجعيتها لدى المانيا الفاشية التى كانت تهدد باستعباد جميع شعوب العالم لم يستطع شيوعيو بريطانيا وفرنسا والبلدان البرجوازية الاخرى ان يطرحوا آنذاك شعار الحاق الهزيمة بحكوماتهم وتحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية . فان هذا الشعار لم يكن يستجيب للوضع السياسى والحربى فى تلك الاثناء ، وكان من شأنه ان يخدم الهتلريين . وفى ظروف هذه المرحلة من الحرب كان على الاحزاب الشيوعية فى البلدان البرجوازية الديمقراطية ان تعزز الجبهة الديمقراطية العامة المناوئة للفاشية وان تفضح المواقف التوفيقية للاوساط الحاكمة وسعيها الى التواطؤ مع الزمرة الهتلرية والالتحاق بالحلف المعادى للاتحاد السوفييتى .

كانت الطبيعة المتناقضة للحرب العالمية الثانية قد استدعت تفرد واصالة تاكتيك البروليتاريا ، ولكنها لم تلغ الصراع الطبقى فى البلدان الرأسمالية المتحالفة ضد هتلر . كانت المطامع الانانية لدى الاحتكاريين وسياستهم الرامية الى نهب الجماهير والمماطلة فى الحرب واطالة امدها عمدا ومحاولات استخدام القوات المسلحة لخنق حركة الشعوب التحررية قد ولدت التذمر والاستنكار لدى الشغيلة وشددت الصراع الطبقى .

وفى اغلبية البلدان الاوربية التى احتلها الهتلريون اخذت حرب الشعوب ضد الفاشية تكتسب باطراد طابع النضال الثورى . ويعزى هذا الامر الى توزيع القوى الطبقية فى حركة التحرر الوطنى . فان الطبقات الاستغلالية فى تشيكوسلوفاكيا وبولونيا ويوغوسلافيا اما تعاونت مع المحتلين ، واما عولت على حكوماتها التى خانت مصالح الشعب وهى فى المهجر .

وكان الرأسماليون والاقطاعيون يخشون النضـــال الشعبى الشامل المسلح ضد الفاشيين ، فحاولوا الوقوف بكل الوسائل فى طريق تعاظمه . ولذلك كان لا بد للقوى الوطنية التى سلكت طريق الحرب ضد المحتلين من ان تصطدم بالطبقات الرجعية داخل البلاد . ولم يكن بالامكان انجاز النضال ضد الغزاة المحتلين بدون دحر القوى الداخلية الموالية للفاشية .

وكان لا بد لحرب التحرر الوطنى فى هذه البلدان من ان تقترن بالنضال فى سبيل التحويل الثورى للنظـــام الاجتماعى-السياسى فيها . وكانت مهمات التحرر الوطنى والاجتماعى للبروليتاريـــا ولجميع الشغيلة مترابطة فيما بينهـــا ترابطا لا ينفصم . فبدون التحرر الوطنى من نير الفاشيـــــة لم يكن بالامكان حل المهمات الديمقراطية واحراز التحويلات الاجتماعية الجذرية . وفى الوقت ذاته كان لا بد للحرب فى سبيل التحرر الوطنى من ان تنطوى على النضال الثورى للقوى الديمقراطية ضد العناصر الموالية للفاشية داخل البلدان البرجوازية الديمقراطية .

ان تأثير الحرب العالمية على اختمار الازمة الثورية فى البلدان الرأسمالية ليس متساويا . فهو ، عادة ، يشتد حيث تنتهج الدول المتحاربة سياسة اغتصابية جائرة . وعند ذاك يتجلى بشدة خاصة الخلاف بين الشعب وبين الحكومة التى تشن الحرب . الا آن هذا القانون العام يتجلى باوجه مختلفة تبعا لسير العمليات الحربيـــة ولمعنويات الشعب وتنظيم الطبقة العاملة وتبعـــا للنظام السياسى السائد فى البلاد وهلمجرا .

وهكذا ، فان اختمار الازمة الثورية ومصائر الحركة الثورية فى البلدان الرأسمالية التى انجرت الى فلك الحرب العالمية الثانية كانت مشروطة بجملة من الاسباب الداخلية والخارجية المعينـــة بالنسبة لكل بلد . ولقد استدعت الحرب ضد الفاشية موضوعيا

ضرورة التحويلات الثورية العميقة لكافة جوانب الحياة الاجتماعية. وكان تنفيذ هذه التحويلات فى كل بلد بعينه ليس فقط التناسب الداخلى للقوى الطبقية ، بل والوضع السياسى-العسكـــرى فى سير الحرب العالمية الثانية .

واكدت خبرة التاريخ ان السبب الحاسم للتحويلات الثورية ليس الحرب ، بل التناقضات الاجتماعية وتطور النضال الطبقى داخل البلاد . وفى ظروف معينة تزيد الحرب العالمية من نشاط الشغيلة وتدفعهم الى الاعمال الثورية .

الا ان الحروب العالمية ، فضلا عن دفع الجماهير على النضال ، قادرة كذلك على عرقلة التطور الثورى موقتا . فالخبرة التاريخية تبين ان الطريق الحربى لتطور العملية الثورية العالمية ليس شاملا وليس اكثر سهولة . وان الثورة التى تعقب الحرب او المرتبطة بالحرب او التى تقوم ابان الحرب هى «حالة عسيرة خصوصـــا لميلاد» النظام الاجتماعى الجديد . فالحرب تشوش الحيـــاة الاقتصادية فى البلاد وتغير العمليات الاجتماعيــــة ووعى الناس واخلاقهم وتعودهم على حل المسائل السياسية بالقوة العسكرية وتخلق الصعوبات امام بناء الاشتراكية .

واذا كان ذلك هو اثر الحروب السابقة التى استخدمت فيها وسائل القتال المسلح العادية فماذا يمكن قوله بشأن تأثير الحرب النووية الحرارية المحتملة على التطور الثورى ؟

مما لا شك فيه ان الحرب العالمية الجديدة اذا اشعـــل الامبرياليون لهيبها ستكون حتفا وقبرا للنظام الرأسمالى . الا ان قضية النضال فى سبيل الاشتراكية فى العالم بأسره مرتبطة بالسلام وليس بالحرب . فالحرب غير لازمة لتطور العملية الثوريـــــة العالمية وانتصار الاشتراكية فى العالم اجمع . ولا يستطيع احد ، الا المغامرون الذين لا يشعرون بالمسؤولية ازاء مصائـر التقدم

التاريخى القول بان الشكل الحربى لتطور الاحداث امر مرغوب فيه بالنسبة للطبقة العاملة اكثر من المباراة السلمية بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة فى سبيل انتصار الشيوعية . ان السلام والاشتراكية غير قابلين للتجزئة : الاشتراكية تهيىء الاسس الاجتماعية والاقتصادية للتعاون السلمى بين الشعوب ، والسلام يخلق الجو الملائم لتطور العملية الثورية العالمية وانتصار الاشتراكية فى كافة البلدان .

٣ ــ الحروب الاهلية بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين الشعب والقوى الرجعية للرأسمال الاحتكارى

ان الصراع الطبقى هو قانون تطور المجتمع الطبقى التناحرى . ويشتد هذا الصراع ويتعاظم فيتحول الى صراع من اجل سلطة الدولة ، ويكتسب فى ظروف معينة اكثر الاشكال حدة فيتحول الى حرب اهلية . وتسعى القوى الرجعية الى قمع النضالات الثورية للجماهير بقوة السلاح والحفاظ على سيطرتها . فهى عادة اول من يلجأ الى العنف والى الحرب الاهلية ، كما يقول لينين .

ان الحرب الاهلية هى صراع مسلح بين الطبقات المتناحرة داخل البلد ، صراع بوسائل العنف من اجل سلطة الدولة . وهى من حيث مضمونها السياسى تقدمية عادلة تواصل النضال الثورى للطبقات المضطهدة فى سبيل تحررها الاجتماعى من جهة ، وهى من الجهة الاخرى جائرة تستهدف الردة واعادة الطبقة الرجعية الى السلطة او ترسيخ سيطرتها السياسية .

الثورة الاشتراكية والحرب الاهلية

لا يجرى النضال الثورى فى سبيل دكتاتورية البروليتاريا بدون عنف سياسى سافر ضد الاستغلاليين ، الا ان هذا العنف لا

يرتبط الزاما بالكفاح المسلح . وكما ان الحرب بين الدول لا تسبق الثورة الاشتراكية الزاما ، كذلك الحرب الاهلية لا تقترن دائما بالثورة . وليس الكفاح المسلح شرطا لازما بالنسبة لجميع البلدان لاقامة دكتاتورية البروليتاريا واجراء التحويلات الاشتراكية في ميدان العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

بديهى ان الرأسماليين لن يتخلوا طوعا عن امتيازاتهم الطبقية وسيطرتهم السياسية . فهم يواجهون الثورة بمقاومة ضارية . وتعتمد درجة حدة الصراع الطبقى واشكاله وطرق العنف لدى الانتقال الى الاشتراكية ليس على البروليتاريا بمقدار ما على شدة المقاومة التى يبديها الاستغلاليون وعلى استخدام البرجوازية نفسها للعنف المسلح . وتحاول البروليتاريا قبل كل شىء استخدام الوسائل السلمية لتغيير النظام السياسى ثوريا . ولا تلجأ البروليتاريا الى امتشاق السلاح والانتقال الى الكفاح المسلح الا بعد ان تستنفد الوسائل السلمية وتواجه مقاومة مسعورة من قبل الطبقات الرجعية . وفى عام ١٨٧١ خاطب كارل ماركس الحكومات البرجوازية قائلا : « ... سنعمل ضدكم بالطرق السلمية حيثما امكن ، وبالسلاح عندما تستدعى الضرورة ذلك » * .

وفى عام ١٩١٧ طرح لينين فى «موضوعات ابريل» الشهيرة شعار استيلاء الطبقة العاملة على سلطة الدولة بالطرق السلمية ، بواسطة احراز الاغلبية فى السوفييتات . ولم تتبدد الآمال بالتطوير السلمى للثورة ولم يصبح انتقال السلطة الى السوفييتات مستحيلا بدون الانتفاضة المسلحة الا بعد احداث تموز (يوليو) ، حيث اطلقت قوات الحكومة الموقتة النار على مظاهرة العمال السلمية فى شوارع بتروغراد وحيث انتقلت السلطة كاملة الى ايدى البرجوازية

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١٧ ، ص ٦٤٩ .

المعادية للثورة . ولم يكن باستطاعة البروليتاريين الروس الذين هم اول من رفع راية الثورة الاشتراكية ان يتحاشوا الصراع المسلح بين الطبقات . فالاستغلاليون ، سعيا منهم الى بعث النظام القديم ، شهروا السلاح بوجه العمال وافقر الفلاحين . وفى هذه الظروف كان لزاما على الانقلاب الاشتراكى ان يتخذ طابع الحرب الاهلية الثورية .

تلك هى خاصية ميلاد النظام الاجتماعى الجديد فى روسيا ، ولكنه لا يجوز نشر هذه الخاصية بصورة جامدة فى البلدان الاخرى وفى كامل مجرى تطور الثورة العالمية للبروليتاريا .

فالتاريخ شهد انتقالا سلميا لسلطة الدولة الى ايدى الطبقة العاملة . لقد قامت السلطة السوفييتية بالطرق السلمية فى المجر فى آذار (مارس) ١٩١٩ . وظلت قائمة طوال اكثر من اربعة أشهر . وهذه التجربة التاريخية هامة خصوصا بالنسبة للحركة الثورية للبروليتاريا الاوربية .

كانت امكانية التطور السلمى للثورة البروليتارية نادرة الحدوث فى الماضى . فالطبقات الرجعية التى تتصرف بالقوات العسكرية والبوليس داخل البلاد وتتمتع بالمساعدة من قبل الدول الامبريالية الاخرى كانت تعرقل حل المهمات الثورية بالوسائل السلمية . اما الآن ، حيث ازدادت كثيرا قدرة الطبقة العاملة واتسعت القاعدة الاجتماعية للثورة وحيث توجد المنظومة الاشتراكية العالمية ، فقد تهيأت امكانية الانتقال الثورى لبعض البلدان الى الاشتراكية بالطرق السلمية وبدون حرب اهلية .

ومع ذلك فالماركسيون لا ينكرون ، من حيث المبدأ ، الحرب الاهلية فى كافة الملابسات ولكافة البلدان الرأسمالية . ففى ظروف العنف السافر ضد الشعب من قبل الطبقات الرجعية يعنى تخلى البروليتاريا عن الحرب الاهلية تخليها عن النضال من اجل السلطة ،

تخليها عن الثورة . وفى الوضع الجديد لدى توفر ظروف معينة لا تستبعد امكانية استخدام الوسائل الحربية للنضال الثورى بغيـــة استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية . وتستدعى الضرورة فى بعض الاحيان استخدام السلاح كذلك لقمع تمرد الردة ضـــــد دكتاتورية البروليتاريا القائمة ، كما حدث ، مثلا ، فى المجر عام ١٩٥٦ .

ان التطور السلمى للثورة الاشتراكية لا يستبعد ، بل ، على العكس ، يتطلب القضاء الحازم على اية محاولة من الرجعية لبعث النظام القديم . فعندما تلجأ الطبقات الاستغلالية الى وسائل الكفاح الحربى بغية خنق النضال الثورى للشغيلة تصبح الحرب الاهليـــة للطبقات الطليعية ضد القوى الرجعية ضرورة تاريخية .

ويمكن ان يتكون مثل هذا الوضع فى البلدان الرأسمالية التى تمتلك برجوازيتها جهازا عسكريا-بوليسيا قويا وتلجأ الى الطرق الفاشية فى تحقيق دكتاتوريتها . وفى هذه الظروف لا بد لاستلام الطبقة العاملة لسلطة الدولة من ان يقترن باستخدام العنف للاطاحة بدكتاتورية الرأسماليين عن طريق النضال الثورى الشديد والحرب الاهلية .

الانواع الاساسية للحروب الاهلية

تتسم الحروب الاهلية بخصائص تميزها عن انواع الحروب الاخرى . ولذلك فمن الخطأ التوسع فى تفسير مفهوم الحرب الاهلية وجعله يشمل جميع نضالات الشعب المسلحة ضد مضطهديه .

كما لا يجوز جعل مفهوم الحرب الاهلية يشمل اى صـــدام مسلح بين الطبقة العاملة والبوليس او قوات الحكومـــة . ان رد المتظاهرين او المضربين بالسلاح على هجوم الوحدات العسكريـــة ليس بعد حربا اهلية . فالحرب الاهليـــة ، حسب تعريف لينين ،

هى «... اكثر اشكال الصراع الطبقى حدة ، حيث يصل عدد من الصدامات والمعارك الاقتصادية والسياسية ، المتكررة المحتدة ، المتسعة المشتدة ، الى حد تحول هذه الصدامات الى قتال بالسلاح لطبقة ضد طبقة اخرى» * .

ويمكن للحرب الاهلية ان تنشب قبل استيلاء الطبقة العاملة عل سلطة الدولة ، ويمكن ان ترافق نضال الطبقة العاملة فى سبيل السلطة ، وان تندلع بعد اقامة دكتاتورية البروليتاريا .

ان النضال الثورى للطبقة العاملة والفلاحين الكادحين ضد البرجوازية والقوى الرجعية شبه الاقطاعية غالبا ما يكتسب حتى ابان الثورة الديمقراطية العامة طابع الحرب الاهلية السافرة . ففى عام ١٩٠٥ اكد لينين ان كامل تطور الثورة الروسية كان يؤدى حتما الى معركة مسلحة حاسمة بين الحكومة القيصرية وبين طليعة البروليتاريا الواعية من الناحية الطبقية . وقد اثارت هذا الكفاح الطبقات الرجعية نفسها بتألبها ضد الحركة الثورية المتعاظمة .

وتعتبر الانتفاضة المسلحة نوعا خاصا من انواع الحرب الاهلية . ففى ظروف الوضع الثورى المباشر ، حيث تحل البروليتاريا مهمة الاستيلاء على سلطة الدولة يتفاقم الصراع الطبقى الى اقصى حد . فالمقاومة العسكرية التى تبديها الرجعية ـ فصائل البرجوازية المسلحة والبوليس وقوات الحكومة ـ تؤدى الى الانتفاضة المسلحة للطبقة العاملة ضد السلطة السياسية للبرجوازية ؛ وهذه الانتفاضة تحظى ، كقاعدة عامة ، بدعم انتفاضات الفلاحين لها ، وكذلك الانتفاضات فى الجيش والاسطول .

ان الانتفاضة المسلحة هى الوسيلة الاكثر حزما للانقلاب السياسى . ولكى تؤدى الانتفاضة مهمتها يجب ان تعتمد على الطبقة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٢١٥ .

الطليعية وعلى النهوض الثورى للشعب وتشمل اهم المناطق الاقتصادية والمراكز السياسية فى البلاد . ويقوم حزب البروليتاريا الثورى بتنظيم الانتفاضة . والمثال الكلاسيكى لهذا التنظيم هو الانتفاضة المسلحة للعمال والفلاحين والجنود والبحارة فى روسيا بزعامة الحزب البلشفى وقيادة لينين العظيم فى اكتوبر ١٩١٧ .

ان الحرب الاهلية للجماهير الشعبية وعلى رأسها الطبقة العاملة فى سبيل الاهداف الديمقراطية العامة ضد العنف المسلح من قبل القوى الرجعية للرأسمال الاحتكارى هى نوع خاص من الحروب الاهلية فى عصرنا .

وعلى سبيل المثال نذكر ان هذا الطابع هو ما كان يميز الحرب الاهلية بين الجماهير الشعبية وبين قوى الرجعية البرجوازية-الاقطاعية فى اسبانيا (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، حيث حظى المتمردون بدعم سافر من قبل الفاشيين الايطاليين والألمان ، وبدعم خفى من قبل الاحتكارات والاوساط الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية والبلدان الامبريالية الاخرى .

ان قيام الحرب الاهلية فى سبيل الاهداف الديمقراطية العامة ضد اكثر قوى المجتمع رجعية امر ممكن حاليا فى البلدان الضعيفة التطور ، حيث يتشابك تعسف الرأسمال الاحتكارى الاجنبى والرأسمال الداخلى مع النير شبه الاقطاعى لمالكى الارض الذين يشكلون الانظمة الدكتاتورية العسكرية-الفاشية الرجعية (بلدان آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية) .

وفى البلدان الرأسمالية المتطورة لا يندر ان يؤدى اشتداد التناقضات الى اقصى حد بين غالبية الامة وبين الاحتكارات الرأسمالية الى ان الاوساط الرجعية والعسكرية للبرجوازية الاحتكارية تصفى بقايا الحريات الديمقراطية البرجوازية عن طريق الانقلابات الرجعية . وهذا الامر يمكن ان يؤدى الى الثورة

الديمقراطية العامة والحرب الاهلية بين جماهير الشعب وبين القوى الرجعية للرأسمال الاحتكارى .

ان استيلاء البروليتاريا على السلطة يلحق هزيمة ماحقة بالطبقات الرجعية ، ولكنه لا يجردها من قوة المقاومة بغية بعث النظام المباد . وفى ظروف معينة تكتسب هذه المقاومة شكلا مسلحا ، وعندها يصل الصدام بين الطبقات الى حد الحرب الاهلية . وفى ظل السيطرة السياسية للبروليتاريا يصبح هدف هذه الحرب بالنسبة للشغيلة هو الحفاظ على سلطتهم السياسية وترسيخها . علما بان لدى الطبقة العاملة امكانيات سياسية وعسكرية اكبر بكثير مما كان لديها قبل الثورة ، فهى الآن تعتمد على سلطة الدولة وعلى الاقتصاد المؤمم فى البلاد .

ومن امثلة الحرب الاهلية دفاعا عن دكتاتورية البروليتاريا ضد محاولات بعث الراسمالية ذلك القتال المسلح الذى خاضه الشغيلة السوفييت ضد قوى الردة فى ١٩١٨ــ١٩٢٠ .

الخصائص الاجتماعية والستراتيجية للحرب الاهلية

ان الحرب الاهلية داخل الدولة هى اكثر اشكال الصراع الطبقى حدة وحزما . ومهمتها هى حل اشد الخلافات الاجتماعية . وفى مثل هذه الحرب يجرى بشدة خاصة تمايز واستقطاب القوى المتناحرة : فليس هناك ولا يمكن ان يوجد تصالح بين الجانبين ، كما هو الحال فى الحروب بين الدول الاستغلالية المتماثلة .

وتتميز الحرب الاهلية بمنتهى الضراوة فى المعارك الطبقية ، وبتفرد اساليب خوض العمليات الحربية ، واصالة اساليب خوض المعارك والاستبدال السريع لطرق واشكال الكفاح المسلح تبعا

للظروف القائمة . **ان المبدأ الستراتيجي الاساسي للحرب الطبقية هو الطابع الهجومي النشيط للعمليات الحربية من قبل القوى الثورية** . ولقد قدم مؤسسا الماركسية التعليل النظري لهذا المبدأ لدى تحليل الانتفاضة المسلحة للبروليتاريا .

تواجه انتفاضة الطبقات الثورية عادة قوات حكومية حسنة التنظيم ، هي القوات المسلحة للدولة البرجوازية ، في حين يوجد بين الجماهير التي تهب للانتفاضة او المنضمة اليها عدد كبير من العناصر غير المنظمة ، وعدد اكبر من العناصر الخاملة والمترددة بالرغم من تعاطفها مع الانتفاضة . وفي هذه الظروف تصبح المهمة الرئيسية للثوريين وحزبهم القائد هي تأمين التفوق المعنوي للثوار بالعمليات الحازمة النشيطة وتأجيج الحماس الثوري لدى الخاملين والمترددين واجتذاب الجموع غير المنظمة الى النضال النشيط واخضاعها لقيادة الحزب .

واذا اختمرت الظروف الموضوعية واشتد الصراع الطبقي الى اقصى حد فان انتصار الانتفاضة المسلحة رهن ببسالة الجماهير الثورية وحماسها الهجومي . ان الدفاع هو حتف الانتفاضة المسلحة . ولقد حذر مؤسسا الماركسية من اللعب بالانتفاضة باي حال من الاحوال ، ولكنه «ما دامت الانتقاضة قد اندلعت فيجب العمل باعظم قدر من **الحزم** والانتقال الى **الهجوم** حتما ودون تردد» * . وعندما تأخذ البروليتاريا العدو على حين غرة يجب ان تحطم قوى الرجعية وتستولي على سلطة الدولة بعمليات باسلة حازمة .

وتتسم المهارة الستراتيجية للحزب الشيوعي باهمية هائلة في ظروف المعارك الطبقية السافرة . فعندما يصل الصراع الطبقي الى حد الحرب الاهلية يصبح الحزب هيئة اركان حرب الثورة ومنظم الهجوم المسلح وقائد القوات الثورية ، **وحزبا محاربا** .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٣٨٣ .

كانت الطبيعة الطبقية والطابع الثورى للحرب الاهليـــة فى روسيا قد استدعيا الحزم الهادف فى الستراتيجية الحربية للدولة السوفييتية . وتطلبت الاهداف السياسية للحرب الاهلية بالنسبة للشغيلة ــ نعنى دحر القوات المسلحة للاعداء الطبقيين دحرا تاما ــ خوض عمليات نشيطة حازمة . ولم يكن بالامكان دحر اعداء الثورة وتأمين ظروف بناء الحياة الجديدة الا بالعمليات الهجوميـــة الجسورة .

ومن هنا تنبع السمات المميزة للستراتيجية الحربيـــة السوفييتية آنذاك : الجمع بين العمليات الهجومية وبين ملاحقة العدو بصلابة وعناد ، والاستبدال السريع لمختلف اساليب واشكال القتال ، واستخدام مختلف اساليـــب المناورة الستراتيجية ـ السوقية ، والسرعة فى اعادة توزيع وتحشيد القوات فى الاتجاهات الرئيسية وهلمجرا . وكان هناك ترابط منسق وثيق بين عمليات الجيش الاحمر الهجومية وعمليات الانصار فى مؤخرة العدو . وقد لعبت حركة الانصار دورا كبيرا فى دحر قوى الردة الداخليـــة والخارجية .

الحروب الاهلية
وتدخلات الامبرياليين المسلحة

ان الحرب الاهلية الثورية داخل البلاد غالبا ما تتشابك مع الكفاح ضد التدخل المسلح للامبرياليين الاجانب . فما اكثر مـــا تتدخل الدول الرجعية فى الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى بغية دعم قوى الثورة المضادة وبعث النظام البائد .

وليس نادرا ان استطاع المتدخلون خنق الثورة . ففى عام ١٩١٩ صفت دول الوفاق السلطة السوفييتية فى المجر . وفى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ تدخل الفاشيون الالمان والايطاليون فى الحرب الاهلية فى اسبانيا لصالح الثورة

المضادة وساعدوا على اقامة نظام فرانكو الفاشى . وانتهى بالهزيمة النضال الثورى للشعب اليونانى (١٩٤٦ ـ ١٩٤٩) بسبب التدخل المسلح من قبل الامبرياليين الانكلواميركان .

ويجرى تدخل الدول الامبريالية فى الشؤون الداخلية للبلدان الثورية اما عن طريق التدخل السافر للقوات المسلحة فى اراضى الغير ، واما عن طريق تدبير الحرب الاهلية وتزويد الكتل المعادية للثورة بالسلاح والالبسة والذخيرة والاغذية ، واما عن طريق الجمع بين الاسلوبين الاول والثانى كما حدث فى روسيا خلال سنوات ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ .

كانت الحرب الاهلية فى روسيا قد بدأتها القوى الداخلية المضادة للثورة . ولكنها اكتسبت نطاقا واسعا عندما هب المتدخلون الاجانب لنجدة الطبقات الاستغلالية المخلوعة . كانت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية واليابان وبلدان رأسمالية اخرى قد مولت افراد الحرس الابيض بسخاء وزودتهم بالسلاح والالبسة ، كما انزلت قواتها المسلحة على اراضى الجمهورية السوفييتية . واعلن الامبرياليون «الحملة الصليبية لـ١٤ دولة» على معقل الحركة الثورية فى العالم بأسره . وما كان باستطاعة روسيا السوفييتية ان تأمل بمساعدة حكومية من الخارج . ولم يكن تضامن البروليتاريا العالمية كافيا لارغام الامبرياليين على التخلى عن التدخل المسلح . ومع ذلك قدمت البروليتاريا العالمية فى سياق الحرب الاهلية دعما جديا للشعب السوفييتى . واصبح هذا الدعم سببا حاسما جعل كل الحملات الموجهة ضد روسيا تنتهى بالفشل ، وجعل الخطط الرجعية للامبرياليين تمنى بالخسران .

كان الامبرياليون يسعون ليس فقط الى خنق سلطة العمال والفلاحين وبعث النظام البرجوازى ، بل والى حرمان روسيا من

الاستقلال والسيادة وتجزئة اراضيها واستعباد شعوبها . ولذلك ينبغى اعتبار الحرب الاهلية للشغيلة فى سبيل صيانة دكتاتورية البروليتاريا حربا **وطنية** للشعب السوفييتى ضـــــد البرجوازية الامبريالية العالمية فى الوقت ذاته . وفى هذه الحرب العادلة ذادت الطبقة العاملة مع الفلاحين الكادحين عن مكتسبات ثورة اكتوبر العظمى وعن استقلال وسيادة الوطن .

ان تغير تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالح الاشتراكية والديمقراطية يضيق لدرجـــــة كبيرة من امكانيات الامبرياليين لتدبير التدخل المسلـــــح فى هذه البلدان او تلك . الا ان هذه الامكانيات لم تنتف نهائيا .

ومما يدل على ذلك دسائس القوى العدوانية الاميركية ضد كوبا الثائرة . ففى البداية حاولت هذه القوى خنق الثورة بالحصار الاقتصادى . وفيما بعد قامت فى نيسان (ابريل) ١٩٦١ بمحاولة للتدخل المسلح فى جزيرة الحرية . ودحر الشعب الكوبى المتدخلين . ومنيت بالخيبة مغامرة الامبرياليين الاميركان . الا ان اعداء كوبا يتابعون سياستهم العدوانية . وتتابع البلدان الاشتراكية والبشرية التقدمية جمعاء بكل اهتمام دسائس الامبرياليين وهى عازمة كل العزم على تأدية واجبها الأممى .

وشن الامبرياليون الاميركان الحرب على حركة التحرر الوطنى فى الهند الصينية واستهدفوا مقاصد عدوانية ازاء جمهوريـــــة الفيتنام الديمقراطية .

ويدل ذلك كله على ان خطر التدخل المسلح لم ينتف . وان اى بلد هب شعبه للنضال فى سبيل الاشتراكية يمكن ان يتعرض لهجوم الامبرياليين . ولذلك فان الواجب الأممى للطبقة العاملة العالمية يتلخص فى الردع الحازم ، وبالاعتماد على قدرة المنظومة

الاشتراكية العالمية ، لتدخل الامبرياليين فى شؤون شعب اى بلد يهب للثورة ، وبالتالى الحيلولة دون التصدير الامبريالى للثورة المضادة .

٤ ــ الحروب بين المستعمرين والشعوب المناضلة فى سبيل استقلالها

ان النضال الثورى للطبقة العاملة فى سبيل الاشتراكيـــــة يتشابك تشابكا وثيقا مع حركة التحرر الوطنى لشعوب المستعمرات والبلدان التابعة . وقال لينين : « ... ان الثورة الاشتراكية لن تكون فقط وبصورة رئيسية نضالا للبروليتاريين الثوريين فى كل بلد ضـــــــد برجوازيتهم ، كلا ، فهى ستكون نضالا لجميــــــع المستعمرات والبلدان المضطهدة من قبل الامبريالية ، لجميـــــع البلدان التابعة ضد الامبريالية العالمية » * .

لقد ولدت ثورة اكتوبر فى روسيا ازمة عميقة لكل النظام الاستعمارى للامبريالية . ووجهت الثورة اشد ضربة الى مجمل نظام السيطرة الاستعمارية الامبريالية ، وكانت حافزا جبارا لتطور حركة التحرر الوطنى . كما وجهت الثورة الاشتراكية فى عدد من بلدان اوربا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية ضربة جبارة جديدة الى العبودية الاستعمارية . واستنادا الى المنظومة الاشتراكيـــة العالمية اصبح النضال التحررى للشعوب المضطهدة فى سبيـــــل التصفية الكلية للنظام الاستعمارى قوة محركـــــة هائلة للتقدم التاريخى . وفى جو الضعف العام للامبريالية وظهور المنظومـــــة الاشتراكية العالمية والنهوض الجبار للحركة العمالية والديمقراطية وتحت ضربات ثورات التحرر الوطنى المعادية للامبريالية انهار

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٣٢٧ .

النظام الاستعماري الذى انشأته الرأسمالية لاضطهـــاد الشعوب . وعلى انقاض عالم المستعمرات ظهرت اكثر من ٧٠ دولة وطنية مستقلـــة . «**ان انهيار نظام العبودية الاستعمارية تحت ضغط حركة التحرر الوطنى هو الظاهرة الثانية من حيث الاهمية التاريخية بعد تشكل المنظومة الاشتراكية العالمية**» * .

القوى الاجتماعية لنضال التحرر الوطنى

ان حركة التحرر الوطنى الثورية هى عملية اجتماعية معقدة للغاية يجرى فيها تكون مختلف القوى المعادية للاستعمار ويقوم التفاعل فيما بين هذه القوى . علما بانه لا بد من ظهور تشابكات متناقضة وتصادمات فى مصالح مختلف الكتل الاجتماعية والسكانية والطبقات والاحزاب . وفى سياق النضـــــال من اجل الاستقلال والسيادة وحل المهمات الديمقراطية الوطنية العامة تتوحد القوى الوطنية جمعاء ـ البروليتاريا والفلاحون والبرجوازية الوطنيـــــة والمثقفون الديمقراطيون .

ان الطبقة العاملة فى المستعمرات والبلدان الضعيفة التطور من الناحية الاقتصادية ضئيلة العدد عادة وليست منظمة لدرجة كافية على الدوام . وفى كثير من البلدان الافريقية ، نتيجة للاقتصاد الاستعمارى وانخفاض مستوى القوى المنتجة ، لم تتبلور الطبقة العاملة بعد فى قوة سياسية مستقلة . ولم تتوفر هناك بعد الظروف اللازمة لتحقيق القيادة البروليتارية . وبقدر سير هذه البلدان فى طريق الاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، بقدر ذلك فقط ، تتكون الكوادر الوطنية للطبقة العاملة ويزداد دورها السياسى . وتلتف

---

* الوثائق المنهاجيـة للنضـــال فى سبيل السلام والديمقراطيـــة والاشتراكية ، ص ٦٤ .

حول الطبقة العاملة الجماهير شبه البروليتارية والفلاحية . وفى بعض البلدان المتحررة يشكل التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين نواة الجبهة الوطنية ؛ فعلى متانة هذا التحالف يعتمد كذلك سلوك البرجوازية الوطنية التى غالبا ما تضطلع بدور القيادة فى الجبهة الوطنية .

ويشغل الفلاحون مكانة هامة فى الحركة الجماهيرية من اجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . ولكونهم الطبقة الاكثر عددا ، فانهم يحددون طابع النضال التحررى الثورى الديمقراطى العام المعادى للاقطاع . وبدون الحركة الثورية الفلاحية لا يمكن تصفية بقايا ومخلفات الاقطاع . وتشكل الجماهير الفلاحية الكادحة قاعدة اجتماعية جبارة لتكوين القوى الديمقراطية الثورية التى يمكن بقيادتها ايضا فى الظروف الراهنة انتقال البلدان الضعيفة التطور الى طريق التطور اللاراسمالى .

وتضطلع البرجوازية الوطنية بدور كبير فى الحركة التحررية . فهى تتمتع بامكانيات كبيرة للنضال ضد الامبريالية ، ولا تتفق مصالحها مع مصالح وسياسة الاحتكارات الاجنبية . ولكن فيها ايضا عناصر رجعية تسعى الى وقف تطور النضال التحررى . ولذلك فان البرجوازية الوطنية غير ثابتة وذات وجهين فى السياسة . فهى ، بسبب من خشيتها من النهوض الثورى للجماهير الشعبية ، مستعدة للاتفاق مع الامبرياليين . ولا يمكن للبرجوازية الوطنية ان تنتزع الحركة التحررية الا عندما تحل مسالة استقلال البلاد وسيادتها . ومن ثم ، بقدر تطور النضال ضد الاستعمار واشتداد التناقضات الطبقية داخل البلد المتحرر ، وبقدر تعزز المواقع الاقتصادية والسياسية للبرجوازية ، يميل قسم منها بصورة متزايدة الى الاتفاق مع الامبريالية والرجعية الداخلية .

ان التوزيع المتناقض للقوى الاجتماعية فى حركة التحرر الوطنى يخلق العراقيل امام تطور البلدان المتحررة . فبعد احراز الاستقلال السياسى لا ينتهى النضال الثورى . وتطرح الحياة قضايا جديدة ترتبط بتعزيز سيادة الدول الوطنية الفتية . وتصبح الحرية السياسية بعيدة عن الاستقرار وتتحول الى حرية وهمية ، اذا لم

تؤد الثورة الى تغيرات عميقة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، واذا لم تحل المهمات الملحة للبعث الوطنى .

ان قوى المنظومة الاشتراكية العالمية تساعد بشكل حازم نضال شعوب المستعمرات والبلدان التابعة من اجل التحرر من النير الامبريالى . واصبحت المنظومة الاشتراكية السند الامين للتطور الوطنى المستقل للبلدان المتحررة ، وكذلك الشعوب التابعة والمتخلفة .

حروب الشعوب المضطهدة فى سبيل الاستقلال والسيادة

ان كون القوى الاجتماعية متناقضة وتعقد الظروف الداخلية والخارجية يستدعيان تنوع اشكال نضال التحرر الوطنى . وتشغل مكانا خاصا بين هذه الاشكال الانتفاضات المسلحة والحروب . ويعتمد اختيار اساليب واشكال النضال ضد الاستعمار ليس على رغبة الشعوب ، بل على درجة العنف الذى يحاول المستعمرون ترسيخ سيطرتهم بواسطته .

وتحمل حرب التحرر الوطنى دوما طابع الرد على الاضطهاد والعنف اللذين يمارسهما المستعمرون . وكانت سياسة الاستعمار والاستعمار الجديد التى ينتهجها الامبرياليون ولا تزال مبعث الانتفاضات الشعبية وحروب التحرر الوطنى .

ان الامبرياليين يحاولون ابقاء المستعمرات السابقة فى شرك التبعية الاقتصادية والاجتماعية وعرقلة تقدمها الاجتماعى والثقافى . الا ان الشعوب لا تنوى البقاء عرضة للاستغلال الامبريالى .

لقد اعترف الشيوعيون دوما بالاهمية التقدمية للحروب التحررية . ويرى الحزب الشيوعى السوفييتى ان من واجبه الاممى

مساعدة الشعوب السائرة فى طريـق احراز وترسيخ الاستقـلال الوطنى ، وكافة الشعوب المناضلـة فى سبيل تصفيـة النظام الاستعمارى تصفية تامة .

تضم حروب التحرر الوطنى ضد الاستعمـار : أ) الكفاح المسلح للشعوب المضطهدة فى سبيـل الاستقلال والسيادة ، ب) حروب الدول المستقلة الجديدة ضـد المعتدين الامبرياليين الساعين الى بعث الانظمة الاستعمارية .

ان النوع الاول من الحروب ضد الاستعمـار هو استمرار مباشر لسياسة حركة التحرر الوطنى الثورية التى تزعزع آخـر اسس العبودية الاستعمارية . ومن امثلة هذه الحروب حرب الشعب الجزائرى ضد المستعمرين الفرنسيين (١٩٥٤ـ١٩٦٢) وكذلـك نضال شعب كينيا ضد تحكم الامبرياليين البريطانيين (١٩٥٢ـ١٩٥٦) ونضال انغولا ضد المستعمرين البرتغاليين .

ان الطابع الشعبى للحروب ضد الاستعمار يحدد كذلـك اساليب خوض هذه الحروب والاشكال التاكتيكيـة للانتفاضات الجماهيرية والنضال الوطنى . ولقد استنتج انجلس من تحليل خبرة الحروب الوطنية فى عصره «ان الشعب الذى يريد احراز الاستقلال لنفسه يجب ان لا يكتفى بالوسائـل **العادية** لخوض الحرب . فالانتفاضة الجماهيرية والحرب الثورية وفصائل الانصار فى كل مكان ــ ذلك هو الاسلوب الوحيد الذى يستطيـع الشعب الصغير بواسطته ان يقهر شعبا اكبر ...» * ويصمد فى وجه جيشـه الاقوى .

ان حروب التحرر الوطنى التى يولدها كل من الامبرياليـة والاستعمار تبدأ عادة من الانتفاضات الشعبية والنمو الواسـع

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٦ ، ص ٤١٦ .

لحركة الانصار . وهذا الامر يعجل عملية تكون الوعى الطبقى وتعبئة المؤيدين النشطاء للنضال فى سبيل الحرية والاستقلال . وان المساهمة النشيطة من قبل السكان هى منبع لا ينضب لحيوية حركة الانصار والشرط الاساسى للانتصـــار فى النضال التحررى الثورى .

وفى مرحلة معينة من تطور هذا النضال ، بعد ترسيخ قواعد الارتكاز وتأمين السلاح ، تطرح مهمة تشكيل الجيش النظامى القادر على توسيع نطاق العمليات الحربية بالترابط مع عمليات فصائل الانصار . ويتهيأ للوحدات النظامية مجال واسع لانتقاء افضل الظروف للمعركة ولاستخدام تاكتيك المناورة المرن بغية اجراء العمليات الهجومية الواسعة النطاق من اجل دحر العدو . وفى سياق الكفاح المسلح العملى تتكون السمات المميزة لاساليب خوض حروب التحرر الوطنى ، تلك السمــــات التى يمكــــن ان تتجلى فى الحدة الخاصة لاشكال العمليات الحربية وحزم اهدافها وتنوع طرائقهـــا وهلمجرا .

حروب الدول المستقلة الجديدة ضد المعتدين الامبرياليين

لقد ظهرت ولا تزال تظهر دول مستقلة جديدة فى اراضى المستعمرات واشباه المستعمرات السابقة . واعلنت دول كثيرة منها عن رفضها الحازم للانحياز الى الاحلاف العسكرية العدوانية ، وهى تنتهج سياسة ثابتة فى عدائها للاستعمار . الا ان عددا غير قليل من الدول النامية الجديدة لا تزال فى حالة تبعية للاحتكارات الاجنبية ، ولم تخرج بعد من نطاق الاقتصاد الرأسمالى العالمى ، بالرغم من انها تشغل فيه مكانة خاصة . ويتسم باهمية متزايدة

حاليا نضال شعوب هذه البلدان فى سبيل الاستقلال الاقتصادى ومن اجل تصفية القواعد العسكرية ومراكز استنـــــاد الامبرياليين فى اراضيها وهلمجرا .

ان جهود المستعمرين الاساسية موجهة نحو ابقاء شعوب البلدان التى فصمت قيود النير الاستعمارى فى اطـــار المنظومـــة الرأسمالية العالمية . وتستند سياسة الاستعمار الجديد على سعى الامبرياليين الى الاستعباد الاقتصادى للبلدان التى احرزت الاستقلال السياسى . لقد كانت الامبريالية ولا تزال العدو الرئيسى والعائق الاساسى فى طريق حل المهمات الوطنية العامة التى تواجه الدول المستقلة الفتية وكافة البلدان التابعة .

والى جانب سياسة مغازلة البرجوازية الوطنيـــــة فى الدول المستقلة الجديدة غالبا ما يلجأ الامبرياليون الى تخويفها بالوسائل الحربية . فان الصدامات الحربية مثل العدوان على مصر والتدخل المسلح فى لبنان والاردن والتآمر على سوريا ولاؤوس والعدوان على الفيتنام الجنوبيـــة ــ كل ذلك ظهر بسبب محاولـــة الامبرياليين لاستخدام قوة السلاح بغية عرقلة التطور الوطنى للدول الفتية . ان سياسة المستعمرين العدوانية تشكل خطرا على السلام وأمن الشعوب ليس فى هذه البلدان وحدها او فى مناطق منفردة ، بل فى العالم بأسره .

ان نضال الشعوب التحررى الوطنى يتعقد كثيرا لان الذى يقاومها حاليا ليس بلد استعمارى واحد ما ، بل ائتلاف للدول الامبريالية . وواضح تماما انه لولا هذا الائتلاف ودعمه لمـــــا استطاع بلد ضعيف التطور فى اوربا مثل البرتغـــــال ان يحتفظ بسيطرته على مستعمرات افريقية تزيد مساحتها على مساحتـــه بـ۲۳ مرة ويزيد سكانها على سكانه بـ١,٥ مرة .

وان النشاط العدوانى لعدد من الدول الامبريالية ظاهر للعيان تماما كذلك فى التدخل المسلح اكثر من مرة فى الشؤون الداخلية لشعب الكونغو . وان دسائس الامبرياليين العدوانية موجهة كذلك ضد الشعوب الافريقيـــة الاخرى التى احرزت استقلالها الوطنى مؤخرا ، وضد جميع شعوب اميركا اللاتينية المناضلة فى سبيـــل الحريات الديمقراطية . ومن الادلة الواضحة على ذلـــك الاحداث الدامية فى شيلى ، حيث اقدمت الرجعية الخارجية والداخلية على الاجرام وانتهكت بشكل مفضوح تماما دستور البلاد ، كما داست على التقاليد الديمقراطية للامة وما زالت تقـــوم بالاعدامـــات والتعذيب والارهاب الوحشى وتجعل من الكتب حطبا للمشاعل والى غير ذلك من الاعمال اللاانسانية .

وكانت من اكثر مظاهر السياسة العدوانية للامبريالية الاميركية وقاحة حرب الولايات المتحدة الاميركية فى الفيتنام . كان المعتدى يستهدف من وراء التدخل المسلح قمع واحد من المعاقـــل الاشتراكية الامامية فى آسيا وتوجيه الضربة الى حركة التحرر الوطنى وامتحان متانة التضامن البروليتارى للبلدان الاشتراكيـــة وشغيلة العالم بأسره . الا ان نوايا الامبرياليين تحطمت على صخرة هذا التضامن الكفاحى الاممى والمساعدة المتنوعة التى قدمتها البلدان الاشتراكية والاتحـــاد السوفييتى بالدرجـــة الاولى الى الشعب الفيتنامى .

«ان الحرب فى الفيتنام هى اكثر الادلة اقناعا على التناقض بين الخطط العدوانية للامبريالية وبين قدرتها على تنفيـــذ هذه الخطط . فالهزيمة التى تمنى بهـــا فى الفيتنام اقوى امبريالية هى الامبريالية الاميركية تتسم بأهمية تاريخية» * .

* المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية . وثائق ومواد ، ص ٢٩٩ .

٥ ـ الحروب بين الدول الرأسمالية

لقد اقترن قيام النظام الرأسمالى وتطوره دومـــا بالحروب الاغتصابية بين الدول البرجوازية . وكانت تستهدف النهب ايضا الحروب من اجل اقتسام العالم بين البلدان الرأسمالية . وكانت السياسة الخارجية للدول الامبريالية تجسد حتما الصراع من اجل السيطرة على العالم . واتسعت الصدامات الحربية بين الامبرياليين فى هذا الصراع الى نطاق الحروب العالمية .

حروب الدول الامبريالية
من اجل السيطرة على العالم

فى اواخر القرن التاسع عشر انجز تكون نظام الامبرياليـــة العالمى . وكان العالم بأسره قد قسم بين الدول الاستعمارية . وحلت الاتحادات الاحتكارية الكبرى محل المزاحمـــة الحرة . وتجاوز الصراع بين الاحتكارات الاطر الوطنية وتحول الى صراع بين الدول الامبريالية الرئيسيـــة من اجل اعادة اقتسام العالم بالعنف بعد ان قسم سابقا . **وخلافا لما فى الماضى اصبح الصراع بين الاحتكاريين من اجل السيطرة على العالم هو المضمون السياسى لحروب الغزو فى مرحلة الامبريالية .**

ومن الحروب النموذجية التى شنتها الامبريالية فى سبيـــل اعادة اقتسام المستعمرات وسيطرة الامبرياليين على العالم حرب ١٩١٤ـ١٩١٨ العالمية التى نشبت بنتيجة الاخلال الشديـــد بتوازن القوى غير المستقر اصلا بين الدول الامبريالية . وخرج الى حلبة الصراع من اجل المستعمرات وحش شديد البأس هـــو المانيا الامبريالية التى اعلنت صراحة عن «حقها» بحصة الأسـد فى نهب الشعوب المضطهدة . وكانت دول الوفاق تستهدف بدورها

اغراض الغزو والنهب . وكانت تأمل بان تزيح منافسيها ــ الاحتكاريين الالمان من السوق العالمية .

ومنذ الايام الاولى للحرب كشف لينين وحزب البلاشفة عن اسبابها الاقتصادية العميقة ومضمونها السياسى . وبينا للطبقة العاملة فى جميع البلدان ان هذه الحرب تتسم بطابع اغتصابى جائر ، وهى حرب امبريالية تستهدف الحفاظ على النظام الاستغلالى وتقويته . وكانت البرجوازية تسعى من وراء الحرب الى خنق النضال الطبقى للبروليتاريا المتصاعد فى بلدانها واخماد الحركة التحررية الوطنية فى المستعمرات واضعاف القوى الثورية عن طريق تأليب الشعوب بعضها على البعض الآخر .

وطرح البلاشفة تعبيرا عن مصالح البروليتاريا العالمية ، تاكتيك الخروج ثوريا من هذه الحرب المعادية للشعوب . وفضحوا بحزم الاشتراكيين الشوفينيين فى الاممية الثانية ، بمن فيهم المناشفة الروس ، الذين روجوا لشعار «الهدنة الاهلية» والدفاع عن الوطن البرجوازى فى الحرب الامبريالية .

كان لينين اثناء نضاله ضد الاشتراكيين الشوفينيين قد فضح فى الوقت ذاته ايديولوجية النزعة المسالمة البرجوازية وعارض الاحلام المجردة بشأن التخلص من فظائع الحرب بدون عنف ثورى ضد الامبرياليين . فالنضال من اجل السلام يجب ان لا يجرى بالشجب المعسول للعنف ، بل بالدعاية للنضال الطبقى حتى ابان الحرب عندما تجهد البرجوازية بكل الوسائل لكى تسمم اذهان جماهير الشغيلة بالنزعة الشوفينية . وفى هذه الظروف اشار لينين الى مسؤولية الاشتراكيين الكبيرة خصوصا ، لان مهمتهم كانت تتلخص ليس فى مجرد احلال السلام محل الحرب ، بل فى احلال الاشتراكية محل الرأسمالية ، وليس فى مجرد الحيلولة دون نشوب الحرب ، بل «وفى استخدام الازمة التى تخلقها الحرب للتعجيل

باسقاط البرجوازية » * . ان مثل هذا النشاط الثورى وحده هو الذى يستجيب للقوانين الموضوعية لتطور المجتمع .

لقد خلقت الحرب العالمية الاولى وضعـــا ثوريا فى اغلب البلدان المتحاربة ودشنت عصر الثورة الاجتماعيـــة . وفى هذه الظروف كان واجب الاشتراكيين يتلخص فى تطوير الوعى الطبقى لدى العمال ودعم اى نضال ثورى وانتهاج خط تحويل الحرب الامبريالية بين الشعوب الى حرب اهليـــــة تخوضها الطبقات المضطهدة فى سبيل الاشتراكية .

ذلك هو التاكتيك الجديد الذى كان يعكس بعمق تناسب القوى الطبقية فى مرحلة الامبريالية والمهمات الجديدة للبروليتاريا فى النضال من اجل الخروج ثوريا من الحرب العالميـــة . وكان ينبغى لهذا الخط ان يطبق من قبل الامميين فى كل بلد محارب ، وذلك بغية تحطيم الامبريالية بالجهود المشتركة للبروليتاريـــا العالمية .

لم تحل حرب ١٩١٤ــ١٩١٨ تناقضات الرأسمالية ، بـــل عمقتها لدرجة اكبر . واضيفت الى تناقضاتها الاساسية السابقة ــ بين البروليتاريـــا والبرجوازيـــة ، بين المستعمرات والدول الاستعمارية ، بين الدول الامبريالية نفسها ــ التناقضات بين البلدان المنتصرة والبلدان المقهورة ، وكذلك بين معسكر الامبريالية واول بلد للاشتراكية فى العالم . واصبحـــت التناقضات بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين هى التناقضات الرئيسية فى الحياة الدولية كلها .

كانت سياسة الدول الامبريالية موجهة بالدرجة الاولى الى اعداد وشن الحرب ضد الاتحاد السوفييتى . وانيط دور هام فى

---

* لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٦ ، ص ٧٢ .

تنفيذ الخطط العدوانية بألمانيا الفاشيـــــة التى قدم لهـــا احتكاريو الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والبلدان الاخرى مساعدة مالية هائلة ، امكن بواسطتها تجهيز الجيش الالمانى باحدث الآليات الحربية . واستعدت ألمانيا الهتلرية بصورة مشددة لحرب كبرى من اجل الفتوحات والغزو . واعد الاحتكاريون الالمان خطط تحقيق السيطرة على العالم .

وبالهجوم على بولونيا (فى الاول من ايلول ـ سبتمبر ١٩٣٩) بدأت المانيا الفاشية الحرب العالمية الثانيـــة . **وكانت مذنبة فى هذه الحرب جميع الدول الامبريالية وكامل نظام الامبريالية** . الا ان البادئ بالحرب هو حلف الدول الفاشية الذى كان يستهدف القضاء على الاتحاد السوفييتى وابادة ملايين الناس واستعباد شعوب الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى . وكانت الحرب من جانب المانيا تحمل الطابع الاكثر رجعية وعدوانية ، وذلك لان الفاشية الالمانية هى اكثر فصائل الامبريالية العالمية شراسة وقرصنة . وحتى قبل الحرب صفى الهتلريون اى مظهر لبقايا الديمقراطية البرجوازية فى بلادهم ، واستولوا على عدد من البلدان الاوربيـــــة واعلنوا على المكشوف عن نيتهم فى استعباد العالم بأسره .

لم تكن المانيا الفاشية وحدها تبتغى تحقيق اهداف اغتصابية رجعية فى الحرب العالمية الثانية . فقد كانت تلك ايضا اهداف الاوساط الحاكمة فى بريطانيا وفرنسا . **كانت الحرب التى بدأت آنذاك تحمل من كلا الجانبين طابعا امبرياليا** * .

---

* هذا هو حكم الاحزاب الشيوعية على الحرب بعد اندلاعهـــــا مباشرة . وجاء فى نداء اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لثورة اكتوبر «ان الحرب قائمة فى قلب اوربا . وتخوض الطبقات الحاكمة فى بريطانيا وفرنسا والمانيا الحرب من اجل **السيطرة على العالم** . وهذه الحرب هى استمرار للخصام الامبريالى طوال سنين فى معسكر

وفى الوقت ذاته كانت الحرب العالمية الثانية تختلف اختلافا جوهريا عن الحرب الامبريالية الاولى . فآنذاك كان الطرفان المتحاربان يتصارعان بالدرجة الاولى من اجل اعادة اقتسام المستعمرات . اما فى الحرب العالمية الثانية فكانت المانيا الهتلرية تسعى الى القضاء على الاتحاد السوفييتى وتحقيق السيطرة على العالم واقامة النظام الفاشى فى جميع البلدان . وحمل العدوان الهتلرى اعظم الخطر على البشرية وكان قد حكم بالابادة على كثير من الشعوب .

فى هذه الظروف لم يكن بالامكان فى البلدان البرجوازية الديمقراطية استخدام تاكتيك الطبقة العاملة الخاص بمرحلة الحرب العالمية الاولى استخداما جامدا . فقد طرح النضال ضد « النظام الجديد » الفاشى فى مكان الصدارة مهمات وطنية عامة ، هى مهمات رص صفوف جميع القوى المحبة للحرية . وايد الحزبان الشيوعيان البريطانى والاميركى الاجراءات الحربية لحكومتيهما وعملا على تعزيز الجبهة الوطنية الموحدة . وفى الوقت ذاته فضحا نوايا الامبرياليين الغادرة الرامية الى المماطلة فى الحرب بغية اضعاف الاتحاد السوفييتى وقمع حركة المقاومة .

لقد ادى نضال شعوب البلدان المحتلة المتعاظم الى تغير المضمون السياسى للحرب . فهذا النضال صار بالتدريج يضفى على الحرب طابعا تحرريا . **وكان دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ضد المانيا الهتلرية التى هجمت عليه غدرا قد انجز عملية تحول الحرب العالمية الثانية الى حرب تحررية مناوئة للفاشية من قبل بلدان الائتلاف المعادى للهتلرية .**

الرأسمالية ... ذلك هو المغزى الحقيقى لهذه الحرب ، هذه الحرب الجائرة الرجعية الامبريالية » . (مجلة « الاممية الشيوعية » ، ١٩٣٩ ، العدد ٨ـ٩ ، ص ٣ـ٤) .

ان اتجاه النضال المناوئ للفاشية والذى اصبح هو الاتجاه السائد بعد هجوم الهتلريين على الاتحاد السوفييتى قد اثر تأثيرا هائلا على التطور اللاحق للحرب ونهايتها المظفرة . ولم تستطع نوايا الامبرياليين الغادرة أن تضعف هذا الاتجاه . فقد واجهت هذه النوايا ردا حازما شديدا من قبل الشعوب المحبة للحرية ، بمن فيها ملايين الناس فى بريطانيا وامريكا الذين سعوا الى السير بالحرب حتى دحر القوات الالمانية الفاشية دحرا تاما .

كانت قدرة الدولة السوفييتية وارادة الجماهير الشعبية اهم عامل للنصر . فالشعب بالذات كان القوة الاساسية للائتلاف المعادى للهتلرية ، وهو الذى حدد طابع الحرب بمساهمته النشيطة فيها . وتجسد هذه الحقيقة الخطوات التاريخية العالمية التى جرت فى تناسب القوى الاجتماعية على الصعيد الدولى بعد انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى .

فالاتحاد السوفييتى الذى تزعم ائتلاف الشعوب الجبار لعب الدور الحاسم فى دحر المانيا الفاشية واليابان العسكرية . واثر الاتحاد السوفييتى بانتصاره هذا تأثيرا عظيما على التطور الاجتماعى لشعوب اوربا وآسيا . ومهما زور الامبرياليون وايديولوجيوهم نتائج الحرب العالمية الثانية ومهما كانت الحجج التى يلجأون اليها فى افترائهم على الاتحاد السوفييتى فانهم لن يستطيعوا دحض الحقيقة التاريخية . ان النصر على الغزاة الالمان الفاشست قد تحقق بالجهود المشتركة لشعوب عديدة . واثناء سير الحرب تكون ائتلاف جبار معاد للهتلرية . ووجهت جيوش الحلفاء الغربيين ضربات جدية الى العدو ، وقاتلت ببسالة القوات البولونية والتشيكوسلوفاكية واليوغوسلافية الحليفة ، كما قاتل ببسالة المساهمون فى حركة المقاومة . ولكن الشعب السوفييتى بالذات وجيشه البطل هما اللذان تحملا العبء الرئيسى للحرب واضطلعا بالدور الحاسم فى الانتصار على المانيا الفاشية .

احتمال نشوب
حروب جديدة بين الدول البرجوازية

ان التناقض الاساسى للعصر الحاضر ـ التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين ـ لا يمحو التناقضات العميقة التى تنهش الامبريالية . فالى جانب الاتجاه نحوتوحيد جميع القوى الرجعية ضد الاشتراكية يوجد ثمة اتجاه مغاير لذلك تماما ، وهو اتجاه تنامى التناقضات بين الدول الامبريالية .

ومن سابق الاوان حاليا الاستنتاج بان القوى التى تفرق الدول البرجوازية متفوقة على القوى التى توحدها . ولكنه يمكن القول بكل ثقة ان حسابات الولايات المتحدة الاميركية « لتوحيد » العالم الرأسمالى باجمعه تحت زعامتها اتضح بطلانها . فبعد ان بعثت بلدان اوربا الرأسمالية واليابان جهازها الانتاجي ووسعته انتقلت الى منافسة الاحتكارات الاميركية ، واستعادت مواقعها المفقودة فى الاسواق العالمية وازاحت الولايات المتحدة الاميركية جزئيا منها .

وتجرى عملية التكامل الاقتصادى فى اوربا مع عملية الافتراق السياسى للدول الاوربية الغربية وتفاقم التناقضات فيما بينها . وتظهر هذه التناقضات فى حل المسائل الدولية ، كما فى حل المسائل المتعلقة با لقضايا « الداخلية » للمعسكر الامبريالى نفسه مثلا ، فى حل المسائل السياسية والستراتيجية-الحربية لحلف الناتو) . وقد ادت التناقضات بين فرنسا من جهة وبين الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية والبلدان الامبريالية الاخرى من جهة ثانية الى خروج فرنسا من المنظمة العسكرية لحلف الناتو . وادت الحرب الاجرامية فى الفيتنام الى العزلة المعنوية والسياسية للولايات المتحدة الاميركية وشددت التناقضات القائمة بين الدول الامبريالية وولدت تناقضات جديدة بينها .

بديهى ان وجود التناقضات الامبريالية الداخلية الشديدة بين الولايات المتحدة الاميركية وبين بلدان اوربا الغربية ، وفى اوربا الغربية نفسها لا يضعف التضامن الطبقى للامبرياليين على كلا ساحلى الاطلسى فى مواجهة الاشتراكية العالمية والحركة التحررية الثورية . الا ان هذا التضامن لا يمكن ان يذلل تناقضات الامبريالية ، فهى تنبع من جوهرها نفسه وهى منبع للحروب . وبالرغم من ان الاحتمال الاكبر فى الظرف الراهن هو للحروب ليس بين البلدان الرأسمالية ، فلا يجوز استبعاد الحروب بينها ايضا . ففى ظروف معينة يمكن ان يؤدى الصراع بين الاحتكاريين الى صدام حربى بين الدول الرأسمالية .

ان الصدامات الحربية المحتملة داخل المعسكر الرأسمالى يمكن ان تكون اما حربا امبريالية من كلا الجانبين المتحاربين واما عدوانا وحيد الجانب من قبل وحش امبريالى اقوى على بلد رأسمالى اضعف ، واما ، فى الاخير ، محاولة لبلد برجوازى ما ، وقع فى تبعية للرأسمال الاجنبى ، للذود عن سيادته واستقلاله .

وفى الحالة الاولى يستهدف كلا الطرفين المتحاربين اغراضا اغتصابية معادية للشعب ، وتحمل الحرب من كلا الطرفين طابعا جائرا . وفى الحالتين الثانية والثالثة يعبر احد الطرفين موضوعيا (ولو بصورة غير ثابتة) عن مصالح اغلبية السكان فيخوض حربا تحررية .

ويتبادر الى الذهن السؤال التالى : هل يمكن فى مرحلة الامبريالية قيام حرب وطنية عادلة لبلد رأسمالى ضد الاعمال العدوانية لبلد آخر ؟ لقد كانت مسألة الحروب الوطنية للدول الرأسمالية مدارا للنقاش منذ مستهل القرن العشرين . وفى سنوات الحرب العالمية الاولى اعلن الاشتراكيون-الديمقراطيون اليساريون فى المانيا انه لا يمكن فى ظل الامبريالية وجود اية حروب وطنية .

وقد عارض لينين آنذاك هذا الحكم القاطع . وكان يرى ان تقييم الحرب العالمية الاولى كحرب امبريالية لا يجوز نسبته الى كافة الحروب المحتملة فى ظل الامبريالية ، اذ لا يجوز نسيان الحركات الوطنية ضد الامبريالية .

واعاد لينين الى الاذهان محاججات روزا لوكسمبورغ بصدد تحول الحروب الوطنية الى حروب امبريالية ، ولكنه بين ان هذا التحول لا يمنح احدا الحق فى محو الفرق النوعى بين هذه الحروب وانكار تقدمية حروب التحرر الوطنى . واثبت لينين ان مثل هذه الحروب فى ظل الامبريالية امر حتمى ليس فقط من قبل شعوب المستعمرات واشباه المستعمرات ، بل ومن قبل البلدان الرأسمالية التى وقعت ضحية لعدوان الدول الامبريالية الاخرى عليها .

وحتى فى اوربا لا يجوز القول باستحالة الحروب الوطنية فى عصر الامبريالية . هذا ما كتبه لينين فى مقالته « بصدد كراس يونيوس » الموجهة ضد اراء روزا لوكسمبورغ الخاطئة ، حيث قال : « ... ان هذا « العصر » لا ينفى ولو لقيد شعرة الحروب الوطنية ، مثلا ، من قبل الدول الصغيرة (الملحقة او المضطهدة قوميا على سبيل الافتراض) ضد الدول الامبريالية ... » * . وقال لينين بامكانية قيام حرب وطنية عظمى فى اوربا لو ان عدة دول وطنية قادرة على الحياة وقعت فى عبودية لدى وحش امبريالى اقوى يسعى الى السيطرة على العالم .

ولقد قام مثل هذا الوضع بعد عقدين من السنين حينما داست ألمانيا الفاشية السيادة الوطنية لعدد من الدول الاوربية واعلنت على المكشوف عن نيتها فى استعباد العالم وجعله تابعا « للجنس الآرى » ، اى للاسياد الألمان . وخيم على الشعوب جميعا

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٨ .

خطر الاستعباد والابادة الجماعية ، ووقعت شعوب عديدة ضحية الجزارين الفاشست . وهبت الشعوب المحبة للحرية للدفاع عن حياتها فشنت حربا وطنية عظمى ضد المستعبدين . وذادت شعوب العالم فى هذه الحرب عن الحقوق والحريات الديمقراطية وعن استقلالها وسيادتها .

وبينت الحرب العالمية الثانية ان الدول البرجوازية فى العصر الحاضر ايضا تستطيع خوض حرب التحرر الوطنى اذا كانت تعبر عن مصالح الامة جمعاء . ان مثل هذه الحروب لن تستبعد فى ظروف معينة فى المستقبل ايضا ضد الطامعين الجدد بالسيطرة على العالم .

ان الحروب الوطنية الموجهة ضد المعتدين والمضطهدين تحمل طابعا عادلا وتساعد على التطور التقدمى للمجتمع . وان شعار الدفاع عن الوطن فى مثل هذه الحروب شعار مشروع تماما . فهو يعبر عن المصالح الفعلية للشغيلة ولا يتعارض ومبادئ الاممية البروليتارية . فالبروليتاريا لا يمكن ان تتخذ موقف اللامبالاة ازاء مصير بلادها .

ان الاحزاب الماركسية للطبقة العاملة تتزعم نضال الشعوب فى سبيل الحرية والديمقراطية ضد القوى الرجعية الخارجية والداخلية التى تخون مصالح الامة . وهذا النضال مشروع وعادل ، وهو يمتزج بالحركة الديمقراطية العامة والاشتراكية الواسعة .

٦ ـ دور الجماهير الشعبية فى حروب العصر الحاضر

تؤكد حروب العصر الحاضر بكامل مضمونها وبكل اقناع ان القانون العام لعلم الاجتماع بشأن تعاظم دور الجماهير الشعبية فى العملية التاريخية ، سارى المفعول كذلك فى هذا الميدان الخاص .

ولقد تجلى ذلك بكل وضوح ابان الحرب العالمية الاولى ، وبقوة اكبر ابان الحرب العالمية الثانية ، كما اكدت هذا الامر بعد الحرب العالمية الثانية حروب التحرر الوطنى والحروب الاهلية وغيرها .

ان الجماهير الشعبية تشارك فى الحروب وتقرر مصائرها تبعا لكثير من الملابسات . الا ان الامر الحاسم هو طابع الحروب نفسها ، والنظام الاجتماعى والحكومى الذى تعيش الجماهير وتناضل فى ظله ، وكذلك درجة وعى وتنظيم الشغيلة .

وعندما تبرز الجماهير الشعبية باعتبارها قوة رئيسية فى تقرير مصير الحرب لا يسعنا الا ان ناخذ بعين الاعتبار واقع ان الطبقات الرجعية ، تلك القوى المعادية للشعب ، تشارك فى الحروب مشاركة نشيطة وتؤثر عليها تاثيرا جوهريا . وهى بالذات التى تتحمل مسؤولية اشعال نيران مختلف الحروب ، بما فيها الحروب الاهلية وحروب التحرر الوطنى . وفى الدول الاستغلالية يعود لممثلى الطبقات المالكة الرجعية الدور القيادى فى القوات المسلحة وفى الدوائر والمؤسسات العسكرية وغيرها من هيئات الدولة المسؤولة عن اعداد وشن الحروب وتنفيذ اى عدوان .

وفى الوقت الحاضر تقتنع الجماهير الشعبية اقتناعا راسخا متزايدا بان ذنب العدوان يقع على الدول الامبريالية وحدها ، وبان اى عدوان يشنه الامبرياليون يمكن بسهولة ان يشمل البلدان الاخرى ، بما فيها البلدان المحايدة . ويتطلب ذلك بصورة الزامية طرائق متنوعة مشتركة جيدة التنظيم لنضال الجماهير الشعبية ضد مشعلى الحروب .

ان الدور الحاسم للجماهير الشعبية فى حروب العصر الحاضر يحدده طابع مفعول القوانين الاجتماعية وكامل مضمون العمليات الاجتماعية ، وكذلك تعقد وتناقض الحروب نفسها طبعا .

العوامل الاساسية
لتزايد دور الجماهير الشعبية فى الحروب الحديثة

ان تزايد دور الجماهير الشعبية فى الحروب الحديثة هو اتجاه عام يعكس عمليات التطور التاريخى . ويعزى ذلك قبل كل شيء الى التغير النوعى للجماهير نفسها ، والى مكانتها فى الانتاج المادى والبنية الاجتماعية للمجتمع والى نضوجها السياسى وتنظيمها المتزايدين . فقوة الجماهير الشعبية فى الماضى لم تستطع ان تتجلى بصورة كاملة ولم تكن تتناسب ابدا وتعداد الجماهير . وفى كل مجتمع استغلالى تخنق مبادرات الجماهير وقابلياتها الخلاقة وتخمد من قبل سلطة الطبقات المسيطرة ، بينما الشغيلة مشتتون بسبب من ملابسات اقتصادية واجتماعية معينة ، وبسبب من انتشار الايديولوجية الرجعية والشوفينية والقومية ، الامر الذى يترك اثرا فتاكا خصوصا فى ظروف الحرب .

ولا يتغير هذا الوضع جوهريا الا بظهور الطبقة العاملة وبانتشار الماركسية . ان الطبقة العاملة من حيث مكانتها فى الانتاج والمجتمع هى الطبقة الاكثر ثورية ، وهى الوحيدة القادرة على الاضطلاع برسالتها التاريخية العظمى ، الا وهى القضاء على نظام الاستغلال وجميع اشكال الاضطهاد الطبقى والقومى . ولذلك فان نضال الطبقة العاملة من حيث الجوهر يحمل طابعا امميا انسانيا عميقا ومنافيا للنزعة العسكرية .

ان مصالح العمال الطبقية تتفق كليا والمصالح الجذرية لجميع فئات الشغيلة الاخرى ، ولذلك تتزعم البروليتاريا كل حركة ثورية تحررية شعبية حقا . وبالنتيجة تزداد لدرجة لا تقاس قوة الشعب وعلى رأسه الطبقة العاملة وحزبها ودور الجماهير الشعبية فى جميع ميادين الحياة الاجتماعية ، بما فيها الحرب .

كان انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا والنجاحات فى تطور المنظومة الاشتراكية العالمية ، ذلك الانتصار وتلك النجاحات التى غيرت طابع العصر تغييرا جذريا ، هى العامل الجبار الذى ساعد على تزايد دور الجماهير الشعبية فى الحروب . فبتأثير المنظومة الاشتراكية العالمية وبفضل مساعدتها الشاملة ازداد نشاط ودور الجماهير الشعبية فى البلدان الضعيفة التطور التى لم تتكون الطبقة العاملة فيها بعد ، وليس لديها احزاب ماركسية-لينينية .

ان ظهور الدول الاشتراكية ونجاحاتها فى المجالات الاقتصادى والثقافى والعسكرى لا تسفر عن زيادة القوة المعنوية للشغيلة الذين يخوضون الحروب العادلة وحسب ، بل تعجل فى رفع الغشاوة عن اعين الشعوب المنجرة الى حروب الغزو . زد على ذلك ان الجماهير الشعبية الواسعة تهيأت لها الآن امكانية الاعتماد على الصناعة الحديثة والعلم الطليعى وعلى افضل انواع السلاح وعلى جبروت القوات المسلحة . فبظهور الدول الاشتراكية ونمو قدرتها الحربية ظهرت وتعززت لاول مرة فى التاريخ قوة مادية قادرة على شل العدوان الامبريالى ودحره . وهذا الواقع بذاته يتسم بأهمية اممية هائلة . وبتأثير من الثورة الاشتراكية والنجاحات التى احرزها الشعب السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى والتعزز السريع للمنظومة الاشتراكية العالمية ، تطور بشكل هائل نشاط شعوب بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية حيث تتنامى وتتعزز حركة التحرر الوطنى . ان نهوض حركة التحرر الوطنى وميلاد عشرات من الدول الجديدة المحبة للسلام يدلان بدورهما على ظهور عامل جدى جديد لزيادة دور الجماهير الشعبية فى مكافحة العدوان الامبريالى .

ان الشرط الحاسم لتزايد دور الجماهير الشعبية فى الحروب الحديثة هو خصائص هذه الحروب نفسها . فان مضمونها السياسى

وطابعها التكنيكي ونطاقها وسير العمليات الحربية ــ كل ذلك اصبح على نحو يتطلب مشاركة جماهير شعبية واسعة وموقفا واعيا لدى كل شخص ازاءها . وفى الواقع فان اى حرب ، فى اى بلد ، ومهما كان طولها وامدها ، تجعل كل شخص ، بنحو او بآخر ، مساهما نشيطا فيها يتحمل كامل ثقل اعبائها . وتتطلب الحروب الحديثة ضحايا جسيمة وتصبح امتحانا لمعنوية الامة بأسرها والنظام الاجتماعى والحكومى بكامله .

ان دور الجماهير الشعبية المتزايد فى حروب عصرنا يتجلى فى ميادين مختلفة ــ فى سوح القتال وفى النضال الاقتصادى وفى العلاقات الاجتماعية ـ السياسية وفى ميدان الايديولوجية .

ويحدد نوع الحرب درجة جهود الجماهير وطابع نشاطها . فلننظر فى هذه المسألة حسب الانواع المعروفة للحروب الحديثة .

الجماهير الشعبية فى الحروب العادلة

ان تماثل اهداف كافة الحروب العادلة ــ تخليص الشعوب من الاضطهاد (القومى والطبقى ، ومن هذا وذاك معا فى بعض الاحيان) ، او الحيلولة دون فقدان السيادة الوطنية والحرية المكتسبة ــ يعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الشعبية ويحدد مجمل نشاطها فى مثل هذه الحروب . وان هذا النشاط بذاته متنوع للغاية . وهو يتجلى بخطوطه العريضة فى تأييد الشعب لجميع اجراءات الحكومة والحزب الحاكم الرامية الى دحر العدو ، وفى الموقف الوطنى من العمل ومن جميع الواجبات الاجتماعية التى يعتبرها الناس مساهمة ملموسة منهم فى قضية الانتصار على الغزاة . وفى فترة الحرب العادلة يرتدى الصراع الطبقى فى المجتمع المتناحر اشكالا اخرى .

وتتسم بأهمية خاصة فى الحروب العادلة بطولـــة المواطنين الواسعة فى سوح القتال وكفاح الانصار .

ان اشكال نضال الجماهير الشعبية ونطاق هذا النضال وعمقه ليست متماثلة فى مختلف الحروب العادلة . فهى رهن قبل كل شيء بخصائص الحرب وتوزيع القوى ، طبعـــا ، على الصعيد الدولى وبمتانة العلاقات الاممية بين الشغيلة ، وباعمال الحلفاء فى الكفاح وبدرجة تزويد القوى المحاربة بالسلاح ونضوج القيادة السياسية-العسكرية .

وفى الحروب الاهلية تتمايز القوى المتحاربة حسب المبدأ الطبقى : فمن جهة تقف الجماهير الشعبية الثورية ومن جهة اخرى خصومها السياسيون . الا ان هذا التمايز ليس واحدا من الناحية الاجتماعية بالنسبة للبلدان المختلفة ، وبالتالى ليس على درجة واحدة تلاحم الشعب الثورى وقوته . ففى البلدان التى توجد لديها طبقة عاملة تشكل هذه الطبقة بالاشتراك مع الفلاحين الكادحين القوة المحركة الرئيسية للحروب الاهليـــة ، فيما تمارس الاحزاب الماركسية-الليتينية دور القائد الأمين . وفى هذه الحروب تشكل الجماهير الثورية قوة رهيبة ، ويكلل نضالها ، مهما كان عسيرا ، بالنصر تاريخيا .

اما بخصوص قوام قوى الرجعية فى مثل هذه البلدان ، فان ذلك يعتمد على الظروف الداخلية والخارجية التى تخاض فيها الحرب الاهلية ، وعلى المهمات التى يجب ان تحلهـــا ، وعلى نوع الحرب وصنفها .

ففى الحروب الاهلية التى تشنها الشعوب ضد الزمرة الحاكمة الموالية للامبريالية ، وفى سبيل اشاعة الديمقراطيـــة وفى سبيل الاستقلال السياسى والاقتصادى لبلدانها تشكل الطبقة العاملـــة والفلاحون القوة الضاربة الرئيسية . والى جانب العمال والفلاحين

يحارب قسم معين من البرجوازية الوطنية المستاءة من تعسف كبار الملاك العقاريين والبرجوازية الاجنبية . ويراعى هذا القسم من البرجوازية لدرجة ما تناسب القوى الجديد على الصعيد الدولى وتزايد الوعى السياسى للشغيلة . ويلتزم جانب اعداء الشعب فى هذه الحروب عادة كبار ملاك الاراضى وكبار ممثلى البرجوازية الوطنية الذين يمسكون بزمام الحكم والمرتبطون بالرأسمال المصرفى والاجنبى .

وتواجه الجماهير الشعبية فى مثل هذه الحالات مهمات عسيرة جدا ، هى الانتصار على القوى الموحدة للرجعية الداخلية والخارجية التى تمتلك وسائل مادية هائلة ، بما فيها الوسائل الحربية ، وتتمتع بخبرة كبيرة فى خوض القتال . وتبين خبرة جميع الحروب الاهلية فى السنوات الاخيرة ان هذه المهمات تحل بنجاح حيثما تتحقق القيادة الموحدة للنضال الثورى للجماهير الشعبية على اساس التحالف المتين بين الطبقة العاملة والفلاحين ، وتوسيع الصلات الاممية مع كافة القوى التقدمية والاهتمام بلا كلل بتربية الجماهير حسب تجربتها السياسية الخاصة .

وفى حروب التحرر الوطنى يكون قوام المحاربين عادة اوسع واكثر تنوعا مما فى الحروب الاهلية . فالبرجوازية الوطنية متمثلة هنا على نطاق اوسع بكثير مما فى الحروب الاهلية . فحتى كبار ممثلى البرجوازية الوطنية لهم مصلحة فى التحرر من الرأسمال الاجنبى . وبديهى ان الجماهير الكادحة تبدى صمودا اكبر من غيرها من الفئات فى مثل هذه الحروب . وتعمل مختلف فئات البرجوازية الوطنية على نحو غير متماثل فى حروب التحرر الوطنى . فان قسمها المرتبط بالرأسمال الاحتكارى والمالى الاجنبى الذى « ليس له وطن » ، على حد تعبير ماركس ، يقدم دائما على خيانة المصالح

الوطنية لبلاده على المكشوف او فى الخفاء ويلجأ الى مساعدة المتدخلين الامبرياليين . ويلازم ذلك ، مثلا ، كبار ممثلى البرجوازية الوطنية فى عدد من بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية المناضلة فى سبيل استقلالها الوطنى .

ان القسم الاساسى من البرجوازية الوطنية المستاء من الركود الاقتصادى وتعسف الاجانب فى البلاد يساهم مساهمة نشيطة فى حروب التحرر الوطنى ويلعب فيها دورا تقدميا . فهذا القسم يسعى الى ازاحة انشط عملاء الامبريالية وصنائعها والحد من ميدان الرأسمال الاجنبى وتشكيل حكومة وطنية وتوجيه البلاد فى طريق التطور الوطنى المستقل .

ويحظى كفاح الجماهير الشعبية المسلح النشيط فى سبيل الاستقلال الوطنى بدعم كبير من قبل جميع القوى التقدمية فى العالم وخاصة بلدان الاسرة الاشتراكية . واصبح من الوقائع التاريخية ان الدعم الحازم من قبل الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الاخرى هو الذى ساعد شعوب جمهورية مصر العربية والجزائر وبعض البلدان الاخرى فى ان تحرز استقلالها الوطنى وتسلك طريقا جديدة لتطور الحياة الاجتماعية . وان النضال البطولى الموفق للشعب الفيتنامى ضد الغزاة الاميركان لم يكن بالامكان لولا المساعدة الهائلة التى قدمتها له الدول الاشتراكية وكافة القوى التقدمية فى العالم . وان تحالف قوى الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى هو المقدمة الهامة للانتصار فى النضال ضد الامبريالية ومن اجل الحرية والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

وفى سياق حرب التحرر الوطنى تنطلق قوى الشعب الثورية . فقد بينت الاحداث فى الهند الصينية وفى الشرق الاوسط ان عدوان الامبرياليين يجعل الشعوب التى وقعت ضحية له وشعوب البلدان

الاخرى اكثر نضوجا ويبين لها عمليا من هو صديقها ومن هو عدوها ويزيدها تمرسا فى النضال ضد الامبرياليـــة . وتتعلم الجماهير بتجربتها الخاصة وتتلاحم وتنمو سياسيا . وهذا هو اكثر ما يخشاه الامبرياليون الاجانب والبرجوازية الوطنية على حد سواء . ولذلك تحاول بعض اوساط البرجوازية الوطنية اثناء قيادة حروب التحرر الوطنى ان تحل فى وقت واحد ثلاث مهمات رئيسية : اولا ، التحرر من تعسف الامبرياليين الاجانب بدون قطع الصلات معهم نهائيا ، ثانيا ، تسعى الى الحيلولة دون اشاعة الديمقراطية على الوجـــه الاكمل ولذلك تدخل فى تناقض مع الجماهير الثوريـــة ، ثالثا ، تحاول شق القوى الثورية .

ان مساهمة مختلف فئات البرجوازية الوطنيـــة فى حروب التحرر الوطنى تلزم الزعماء الحقيقيين للنضال الثورى بانتهـــاج سياسة مرنة ازاء البرجوازية الوطنية مع توجيه اعمالها ضـــد الرجعية الداخلية وضد الامبريالية الاجنبية .

وتبين خبرة الحروب العادلة ان الكفاح المسلح وحده غير كاف للانتصار على العدو . فيجب على الجماهير الشعبية وقيادتها ان تستخدم جميع اساليب ووسائل التأثير السياسى والاقتصادى والايديولوجى على العدو . وتصبح الحرب مظفرة لدرجة اكبر كلما كانت مساهمة الجماهير الشعبية فيها اوسع . وهذا ، مثلا ، ما يفسر انتصار الشعب الكوبى على الدكتاتورية الدامية التى فرضها صنيعة الامبرياليين الاميركان باتيستا . واطيح بنظام الطغيان لان الشعب بأسره هب ضده ، فشارك مشاركة نشيطة فى النضال فى مختلف الميادين مستخدما كل الاشكال الممكنة : الكفاح المسلح والاضرابات الجزئية والاضرات العام والحركـــة الوطنيـــة المتفانيـــة ونضالات جماهير العمال والفلاحين والدعاية والتحريض ومقاطعة الانتخابات المزورة ومكافحة عملاء النظام الدكتاتورى فى مختلف المنظمات .

ان تأييد الحروب العادلة من قبل الناس ذوى الميول التقدمية فى العالم ، بله شغيلة البلدان الاشتراكية ، هو عامل هام للظفر فى هذه الحروب .

الجماهير الشعبية فى الحروب الجائرة

ان حروب الغزو الجائرة هى ، من حيث طابعهـــا ، حروب معادية للشعب . فان مصالح الجماهير الواسعـــة والعدوان على طرفى نقيض . ان الجماهير هى قوة خلاقة . وان عملها هو الذى اوجد الثروة الاجتماعية بأسرها ، وهو الذى يضاعفها ويحميها . اما العدوان فهو يدمر هذه الثروة ويبيد الشغيلة . ومع ذلك فان هذه الحروب تخوضها الشعوب ايضا . فى المــاضى كانت حروب الغزو تشن عادة فى جو السلبية التامة من قبل الشغيلة الذين كانوا ، لمختلف الاسباب ، غير ناضجين سياسيا . فقبيل الحربين العالميتين الاولى والثانية ، مثلا ، تأثرت الجمـــاهير الشعبيـــة فى البلدان الامبريالية بالدعاية الشوفينية ووقعت ضحية للتضليل من قبل الساسة البرجوازيين فلم تلب نداء الاحزاب الشيوعية للعمل بجبهة واحدة ضد العدوان .

كان المعتدون يعملون دوما على ستر الاهداف الحقيقيـــة لحروب النهب عن انظار الشغيلة . وكانوا يشنونها بحجة ما ذات مظهر حسن مثل : «الدفاع عن الوطن» او «عن الدين» و«واجب التحالف» وكسب «المجال الحيوى» والخ .. كان الامبرياليون يستفيدون من ضعف وعى الجماهير ، فيتوصلون بسهولة نسبيا الى تحقيق نواياهم الانانية فى حالات غير نادرة . وبالنتيجة انتهت بعض الحروب الجائرة بانتصار قوى الرجعية (استيلاء اليابانيين على منشوريا وشمال الصين فى عام ١٩٣١ ، احتلال ايطاليـــا لاثيوبيا فى ١٩٣٥ـ١٩٣٦ ، الاستيلاء على السلطة فى اسبانيا من

قبل زمرة الجنرال فرانكو الفاشية بدعم من امبرياليي المانيا وايطاليا فى ١٩٣٦ـ١٩٣٩ والخ .) .

وبتأثير من جملة عوامل ذات طابع اجتماعى وسياسى- عسكرى وبسبب الخسائر والمصائب الجسيمة تنامى الوعى السياسى للشعب بسرعة نسبيا ابان الحروب ، وخصوصا الحربين العالميتين . وبفضل ذلك اقتنعت الجماهير حسب تجربتها الخاصة بالطابع الاغتصابى للحرب من طرف او من كلا الطرفين ، فأدى ذلك الى ظهور الحركة المناوئة للحرب . وكان الامر كذلك فى كثير من البلدان خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

فعندما كشف الغزاة الفاشست كليا عن نواياهم وخططهم العدوانية واجهت الجماهير الشعبية الواسعة فى البلدان الاوربية مهمات الدفاع عن المصالح الوطنية وعن الاستقلال والسيادة وعن حياة شعوب بأكملها . وكان ذلك يعنى ضرورة خوض الحرب بنشاط اكبر ضد دول المحور الهتلرى . الا ان الاوساط الحاكمة الرجعية فى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية تباطأت فى بدء العمليات الحازمة ضد الجيوش الفاشية ، ولم تفعل شيئا لتحرير البلدان المحتلة ، وكانت تنتظر تصادم المانيا الفاشية وحلفائها مع الاتحاد السوفييتى . وكانت القوة الرئيسية التى حلت هذا التناقض هى الجماهير الشعبية .

وظهرت جوانب اخرى فى نشاط الجماهير خلال هذه الفترة . فقد التفت الجماهير حول الاحزاب الشيوعية ونشرت تحت قيادتها حركة المقاومة الشعبية . وقد قامت هذه الحركة لهذه الدرجة او تلك فى جميع البلدان التى احتلتها القوات الفاشية فى سنوات الحرب العالمية الثانية .

ويعود للجماهير الشعبية دور حاسم فى جعل الحكومات البرجوازية للائتلاف المعادى للهتلرية تنشط عملياتها الحربية ضد

العدو المشترك . واثرت الجماهير تأثيرا كبيرا على تغيير طابع الحرب . فالنضال الحازم للجماهير الشعبية بقيادة الحزب الشيوعى ضد الغزاة الفاشست قد غير طابع الحرب بالنسبة لفرنسا . وادرك الشعب البريطانى قبل حكومته خطر الاحتلال الفاشى ، فطالب الحكومة بخوض الحرب التحررية النشيطة ضد الفاشية .

وخلافا للحروب العادلة تشتد التناقضات الطبقية ابان الحروب الجائرة داخل البلدان المتحاربة . وغالبا ما يؤدى تنامى الوعى السياسى للشغيلة الى استخدام السلاح الذى يحصلون عليه فى الحرب لمكافحة الاعداء الطبقيين الخارجيين والداخليين بغية اعادة بناء المجتمع ثوريا . وكان الحال كذلك فى روسيا حيث استطاعت الطبقة العاملة بالتحالف مع الفلاحين الكادحين تحت قيادة الحزب الشيوعى ان توقف لاول مرة الحرب الامبريالية التى خاضتها روسيا البرجوازية-الاقطاعية ، وان تستولى على السلطة . وتجلى دور الجماهير الشعبية الجديد هذا ابان الحرب العالمية الاولى فى المجر والمانيا ايضا . فبسبب من الهزيمة فى الحرب وبتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اشتدت لدرجة كبيرة الحركة الثورية للجماهير الشعبية فى هذين البلدين ، فقامت ثورة فى المجر فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ وثورة فى المانيا فى تشرين الثانى (نوفمبر) من العام ذاته .

وانطلقت الطاقات الثورية لجماهير الشغيلة على اكمل وجه فى سنوات الحرب العالمية الثانية . فان شعبى رومانيا والمجر اللذين جرهما حكامهما البرجوازيون الخونة الى الحرب الاجرامية فى صف المانيا الفاشية هبا فى اواخر الحرب ضد اولئك الذين ارغموهما بالاشتراك مع هتلر على القتال من اجل مصالح غريبة عليهما . واستخدمت شعوب بلغاريا وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وكوريا الشمالية والصين والبانيا والفيتنام الشمالية

خبرتها السياسية والوضع الملائم الناجم عن دحر المعتدى فى الغرب والشرق لكى تأخذ زمام السلطة بايديها .

وهكذا ، فان دور الجماهير الشعبية فى الحروب الجائرة قد ازداد كميا ، وليس ذلك وحسب ، بل واكتسب اهمية نوعية جديدة . فلدى توفر ظروف معينة تستطيع الجماهير الشعبية الواسعة اولا ، المطالبة باستقالة الحكومة او حجب الثقة فى الانتخابات عن الحزب الذى ينتهج سياسة عدوانية ، ثانيا ، تغيير طابع الحرب وتحويل الحرب التى تبدأ جائرة من كلا الطرفين الى حرب عادلة موجهة ضد القوى الرجعية ، ثالثا ، استخدام الوضع الثورى المتكون ابان الحرب لتحقيق الثورة الاشتراكية .

دور الجماهير الشعبية
فى ظروف خطر الحرب العالمية الجديدة

لقد ظهرت تاريخيا امام الجماهير الشعبية مهمات جديدة فى ظروف خطر الحرب العالمية الجديدة . ولان اشعال الامبرياليين للهيب مثل هذه الحرب هو امر ممكن تماما ، فان المهمة الرئيسية فى نشاط الجماهير الشعبية فى الظروف السلمية هى قطع دابر اى عدوان والحيلولة دون تحوله الى حرب عالمية جديدة . ويدعو الشيوعيون الجماهير الشعبية الواسعة وكافة قوى السلام للانخراط فى النضال النشيط بصفوف متراصة وللتأثير بدرجة اكبر على سياسة البلدان الرأسمالية واخذ زمام قضية الحرب والسلام بايديها .

وبنتيجة الاعمال الحازمة للجماهير الشعبية ، خالقة التاريخ الرئيسية ، وبفضل وجود المنظومة الاشتراكية العالمية ظهرت عوائق جدية امام الامبرياليين فى شن وخوض حروب الغزو .

اولا ، ان النظام الاشتراكى ، وليس الرأسمالى ، هو النظـــام الاجتماعى القيادى فى الظروف الراهنة . فان النظـــام الاشتراكى والطبقة العاملة العالمية هما اللذان يقودان اغلبية جماهير الشغيلة الآن .

ثانيا ، اصبح تحلل نظام الاستعمار حقيقة واقعة . فلم تعد الشعوب المستعمرة اداة طيعة للسياسة الامبريالية . وحلت محل مستعمرات الماضى دول ذات سيادة . صحيح ان لدى الامبرياليين صنائعهم فى بعض البلدان المتحررة . ولكن هؤلاء يشغلون مواقع متزعزعة . وعلى كل حال ، فحتى فى هذه البلدان لم يعد المعتدون يأملون بالحصول على موارد ما ابان الحرب كما كان الامر سابقا . فان الشعوب التى احرزت الاستقلال الوطنى ، بله التى سلكت وتسلك طريق التطور اللارأسمالى ، تبدى نشاطا عاصفا . وهى ، طبعا ، بحاجة الى مساعدة من الخارج ، ولكنهـــا تلجأ بصورة متزايدة للحصول على هذه المساعدة الى البلدان المحبة للسلام ، وليس الى قوى الرجعية والحرب .

ثالثا ، يتنامى باطراد (ولو بدرجة متفاوتة) فى الظروف الجديدة الوعى السياسى لسكان البلدان الرأسماليـــــة . وبتأثير الاحداث الخارجية والداخلية صارت جماهير الكادحين تبدى اهتماما متزايدا بمسائل السياســـة الداخليـــة والخارجيـــة على حد سواء . ولم تعد القضايا السياسية (بما فيها الحرب) امـــرا محصورا فى ايدى مجموعة غير كبيرة من النخبة المختارة . وتدل على ذلـــك خبرة نضال الجماهير الشعبية فى عدد من بلدان اوربا وآسيا وفى الولايات المتحدة الاميركية ايضا ضد الحرب . زد على ذلك انـــه توجد فى اغلبية البلدان الرأسمالية احزاب شيوعية قوية وتوجد حركة انصار السلام الجيدة التنظيم ، وقد اكتسبت الجماهير الشعبية الواسعة خبرة النضال ضد العدوان الامبريالى . وليس هناك شك فى

ان كافة قوى السلام ستضاعف نشاطها لدرجة اكبر حالما تنشب حرب عالمية جديدة .

ان النمو السريع للوعى السياسى لدى الجماهير فى عدد من البلدان يهيئ الظروف التى تساعد على طرح وحل مهمـــات اعادة بناء المجتمع جذريا ، بحيث تجتث كليا جذور العدوان . ويتضح من النضـــال البطولى لشعوب كثير من البلدان التى اطاحت بنير السيطرة الامبريالية فى ايامنا هذه تحقق التنبؤ العظيم الذى قال به لينين : «ان اغلبية سكان المعمورة الموجهة فى بادئ الامر نحو التحرر الوطنى ستتحول ضد الرأسمالية والامبريالية ، ومن المحتمل انها ستلعب دورا ثوريا اكبر بكثير مما نتوقع» * .

لقد شمل نطاق النضال ضد العدوان حاليا المعمورة بأسرها ، بينما بلغ عدد المساهمين النشطاء فيه مئات الملايين من الناس . ومن بينهم شعوب البلدان الاشتراكية وشعوب البلدان التى احرزت الاستقلال الوطنى او المناضلة فى سبيل التحرر . ويتسع النضال فى البلدان الرأسمالية ايضا فى سبيل السلام ، ضد المغامرات الحربية والعدوان . ان تحالف قوى الاشتراكيـــة وحركة التحرر الوطنى والقوى التقدمية الاخرى هو المقدمة الهامة لانتصار النضال ضد الامبريالية وفى سبيل التقدم الاجتماعى .

وفى حالة ما اذا اشعل الامبرياليون لهيب الحرب العالمية النووية خلافا لارادة الجماهير الشعبية فسوف تضطر هذه الجماهير الى حل مهمة اعظم من الناحية التاريخية والى النضال بوسائـــل اخرى . وهذه المهمة هى القضاء على كامل نظام الرأسمالية الذى لا يمكنه الاستغناء عن الحروب ، كما لا يمكنه الاستغناء عـــن الاضطهاد الطبقى والقومى .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٣٨ .

ان الايمـــان بكـــون الشغيلـــة لـــن يصبروا عـــلى وجود نظام يولد الحروب ، هو ايمان يستند على كـــون مفعول القوانين المذكورة اعلاه سيسرى بقوة اكبر . ولذلك تبدى الاحزاب الماركسية-اللينينية عناية دائمة بتعزيز وحدة جميع قوى السلام فى النضال ضد العدوان والامبريالية . وجاء فى الوثيقة الاساسية للمؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية «ان الوضع الراهن يتطلب تعزيز التضامن الكفاحـــى لشعوب البلدان الاشتراكية ، ولجميع فصائل الحركة العمالية العالمية والحركة من اجل التحرر الوطنى فى النضال ضد الامبريالية» * .

وستلعب الدور الحاسم فى دحر المعتدين الامبرياليين القدرة العسكرية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى وقابليتها على توجيه الضربات القاضية الى المعتدين . وعلى الانتصارات الحربية للمعسكر الاشتراكى سيعتمد لدرجة كبيرة ايضا نشاط جميـــع شعوب العالم فى حلها للمهمة الرئيسية ــ احباط العدوان وتصفية نظام الامبريالية بكامله .

*

---

* المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية . وثائق ومواد ، ص ٤٠ .

الفصل الثالث

حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى

تشغل حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى مكانة خاصة بين حروب عصرنا . فهى متعارضة جذريا مع جميع انواع حروب الغزو الجائرة ، وليس ذلك وحسب ، بل هى تختلف جوهريا عن الحروب العادلة الاخرى من حيث مضمونها السياسى وخصائصها واهميتها التاريخية .

١ ـ الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى هو قانون الانتقال الثورى من الرأسمالية الى الاشتراكية

كان ماركس وانجلس فى حينه يعتقدان ان البروليتاريا قد تضطر فى سياق الثورة الاشتراكية لان تخوض الحروب التحررية ضد الدول البرجوازية او ما قبل البرجوازية اذا شنت هذه العدوان . الا ان قضية الدفاع عن واحد او عدد من الاوطان الاشتراكية المتواجدة الى جانب الدول الرأسمالية القوية لم تواجه ماركس وانجلس آنذاك . وقد انطلقا من امكانية انتصار

الثورة البروليتارية فى وقت معا فى جميع البلدان المتمدنة ، اى فى بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وفرنسا والمانيا على الاقل .

وفى الظروف التاريخية الجديدة فى القرن العشرين وضع لينين تعاليم الدفاع عن الوطن الاشتراكى الى جانب تعليل النظرية الجديدة للثورة الاشتراكية . وكتب لينين ان انتصار الاشتراكية فى بلد واحد او عدة بلدان فى بادئ الامر سيولد «ليس فقط الاحتكاكات ، بل ورغبة مباشرة لدى برجوازية البلدان الاخرى فى دحر البروليتاريا المظفرة فى الدولة الاشتراكية . وفى هذه الحالات ستكون الحرب من جانبنا حربا مشروعة وعادلة . انها ستكون حربا فى سبيل الاشتراكية وفى سبيل تحرير الشعوب الاخرى من البرجوازية» * .

وعلى اثر ثورة اكتوبر تابع لينين تطوير الحكم بصدد الدفاع عن الوطن الاشتراكى . كان خطر الهجوم الحربى من قبل الامبريالية قد تحول الى واقع ، واضطر الشعب الى امتشاق السلاح للذود عن حريته واستقلاله . ولذلك كتب لينين يقول : «اننا دفاعيون اعتبارا من ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، اننا الى جانب «الدفاع عن الوطن» ، الا ان الحرب الوطنية التى نسير اليها هى حرب فى سبيل الوطن الاشتراكى ، فى سبيل الاشتراكية كوطن ، فى سبيل الجمهورية السوفييتية كفصيلة فى جيش الاشتراكية العالمى» ** .

وجرى تطوير تعاليم الدفاع عن الوطن الاشتراكى لاحقا فى مقررات مؤتمرات الحزب الشيوعى السوفييتى ، وفى برنامج الحزب ووثائق المؤتمرات العالمية لممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ص ١٣٣ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٨٢ .

الوطن الاشتراكى والسمات المميزة له

يتطلب الفهم الصائب لخصائص الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى قبل كل شيء معرفة ماهية الوطن عموما ، والوطن الاشتراكى خصوصا .

يجسد الوطن كامل تاريخ شعب او شعوب بلد معين ، ونضالها طوال القرون فى سبيل حريتها واستقلالها ، وكذلك كفاحها ضد قوى الطبيعة ـ من اجل تحسين الظروف المادية لوجودها ، ذلك النضال الذى اصبح الوطن بنتيجته على النحو الذى هو عليه . **ان الوطن هو الوحدة المتكونة تاريخيا لسكان هذا البلد او ذاك (لشعب واحد او عدة شعوب ، لامة واحدة او عدة امم) ، والتى تشمل البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية واللغة والاراضى التى يقطنها الشعب (او الشعوب) اصلا .**

ان الوطن الاشتراكى ـ الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ـ يختلف جذريا عن الوطن البرجوازى . **واهم سمة جوهرية للوطن الاشتراكى هى النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد الذى يشكل اساس بيئته الاجتماعية .**

ان السمات المميزة للبيئة الاجتماعية فى ظل الاشتراكية هى : الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وعلاقات التعاون والمساعدة الاخوية المتبادلة بين افراد المجتمع كافة ، وانعدام الطبقات الاستغلالية وانتفاء استغلال الانسان للانسان . وتعود للشعب الذى اطاح بالبرجوازية فى الوطن الاشتراكى جميع وسائل الانتاج وجميع ثروات البلد المادية والروحية . وان النمو المستمر لرفاهية الشعب هو قانون تطور المجتمع الاشتراكى .

وخلافا للوطن البرجوازى نجد الوطن الاشتراكى متحررا من التناقضات التناحرية والصدامات الطبقية . وعلى اساس وحدة

المصالح الجذرية للعمال والفلاحين والمثقفين تكونت الوحدة الاجتماعية-السياسية والفكرية الراسخة للشعب السوفييتى ، وهى الاساس الذى لا يتزعزع لمتانة النظام الاشتراكى .

ان الوطن الاشتراكى يختلف عن الوطن البرجوازى اختلافا جذريا من حيث طبيعة البيئة السياسية . ففى ظل الاشتراكية تعود السلطة للشغيلة . ويعتبر التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين حجر الزاوية للسلطة .

ان الدولة الاشتراكية التى ظهرت كدولة لدكتاتورية البروليتاريا صارت منذ البداية تحمل سمات الديمقراطية الاشتراكية . وبانتصار الاشتراكية تصبح الدولة التنظيم السياسى للشعب بأسره مع اناطة الدور القيادى بالطبقة العاملة . وان دولة الشعب بأسره هى التطوير اللاحق لنظام الدولة الاشتراكى وتحويله الى الادارة الذاتية الاجتماعية الشيوعية . وفى توسيع القاعدة الاجتماعية للدولة الاشتراكية تكمن قوتها التاريخية الهائلة .

ويتميز الوطن الاشتراكى كذلك بالصداقة التى لا تنفصم عراها بين اممه ، حيث تقوم علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة فيما بينها . ويؤدى ذلك الى جعل الامم المتخلفة سابقا ترتفع الى مستوى الامم المتقدمة ، وجعل الامم الاشتراكية قاطبة تتطور بسرعة ومن جميع الوجوه . ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، امكن بفضل المساعدة المتبادلة الاخوية ، وبالدرجة الاولى مساعدة الشعب الروسى العظيم ، انتقال الامم المتخلفة سابقا الى الاشتراكية مع تخطى مرحلة التطور الرأسمالى .

ان السمة المميزة لوجه الامم الاشتراكية الروحى تتلخص فى انها مرباة بروح الامية والوطنية الاشتراكيتين وبافكار المساواة والاخوة بين الشعوب داخل البلد وفى العالم بأسره .

ونجد فى المسألة القومية فى الاوطان الاشتراكية التى تضم عدة امم واقوام اتجاهين تقدميين مترابطين . اولا ، يجرى تطور عاصف شامل لكل امة وتتحسن مختلف الاشكال الاشتراكية للفيدرالية والحكم الذاتى . ثانيا ، يجرى على اساس المساعدة الاخوية المتبادلة فى البناء الاقتصادى والثقافى تحت راية الاممية تقارب متزايد بين الامم الاشتراكية ويزداد التأثير والاغتناء المتبادلان فيما بينها . وبنتيجة التفاعل الديالكتيكى بين هذين الاتجاهين تطور فى الوطن الاشتراكى شكل جديد للوحدة الاجتماعية بين المواطنين ، هو الوحدة بين القوميات ، وصار هذا الشكل يتعزز باطراد . ان هذه الوحدة التاريخية الجديدة الجامعة لاناس من مختلف القوميات هى الشعب السوفييتى .

واثناء سير البناء الاشتراكى والثورة الثقافية تتغير البيئة الثقافية تغيرا جذريا . فالنظام الاشتراكى يفتح آفاقا رحبة بلا حدود لتطور الثقافة الشعبية حقا ، تلك الثقافة القومية من حيث الشكل والاشتراكية من حيث المضمون . وتصبح جميع منجزات العلم والتكنيك والثقافة فى الوطن الاشتراكى ملكا لجماهير الشغيلة ، وللشعب بأسره .

ان بناء الاشتراكية والشيوعية يجرى على اساس المعرفة العميقة لقوانين التطور الاجتماعى وقوانين الطبيعة واستخدامها لصالح المجتمع . وبفضل ذلك يروض الناس بنجاح فى ظل الاشتراكية قوى الطبيعة ويحولون ملامح ارض الوطن بوعى وتنسيق .

ان مفهوم «الوطن الاشتراكى» فى اذهان الجماهير الشعبية مرتبط اوثق ارتباط بالنشاط القيادى للحزب الماركسى-اللينينى ، الذى يستحيل بدونه تحقيق النجاحات البارزة فى تطور الثقافة المادية والروحية ، وكذلك الانتصارات فى الحروب ضد المعتدين الامبرياليين .

وتنعكس السمات المميزة للوطن الاشتراكى فى الوطنية الاشتراكية التى هى وطنية من طراز جديد اعلى . فهى ، اذ تبنت افضل تقاليد الماضى ، صارت تنطوى على مشاعر الافتخار بمنجزات الشعب الثورية العظمى وازدهار الوطن على نحو لم يسبقه مثيل وادراك تفوق الاشتراكية على الرأسمالية .

وتجتمع فى الوطنية الاشتراكية بترابط عضوى ثلاثة جوانب متداخلة : ١) **مشاعر** الحب العميقة للوطن والشعب ، ولافضل التقاليد القومية والماضى البطولى للوطن ، والحقد على اعدائه ومشاعر الافتخار الوطنى ؛ ٢) **افكار خدمة الوطن** ، وتفهم الواجب الوطنى ؛ ٣) **العمل الوطنى** ، اى خدمة الوطن بالاعمال الملموسة ــ المآثر الحربية والنضال الثورى ضد المضطهدين والعمل النزيه .

ان الوطنية الاشتراكية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالاممية البروليتارية . وبتكون المنظومة الاشتراكية العالمية تتجسد وطنية افراد المجتمع الاشتراكى بالولاء والاخلاص لوطنهم ، وللاسرة الاشتراكية جمعاء . وان الوطنية الاشتراكية والاممية الاشتراكية ينطويان بصورة عضوية على التضامن البروليتارى مع الطبقة العاملة وشغيلة البلدان قاطبة .

ويعتبر بناء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى جزء لا يتجزأ من بناء المجتمع الشيوعى على يد شعوب المنظومة الاشتراكية العالمية جمعاء . ويؤمن تطور الاوطان ضمن المنظومة الاشتراكية الموحدة امكانية تقليص آجال بناء الاشتراكية والشيوعية .

ان الوحدة الاخوية والتعاون بين الاوطان الاشتراكية المستندين على مبادئ الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية يستجيبان للمصالح الوطنية السامية لكل من هذه الاوطان ولمصالح جميع بلدان الاسرة الاشتراكية فى الوقت ذاته . ولقد اشار المؤتمر العالمى الذى عقدته الاحزاب الشيوعية والعمالية فى

موسكو فى حزيران (يونيو) ١٩٦٩ الى ان تطور وتعزز كل بلد اشتراكى على حدة هو شرط هام لسير المنظومة الاشتراكية بأسرها الى الامام ، كما يستجيب التعاون الشامل بين هذه البلدان للمصالح الوطنية لشعوب كل بلد ولمصالح القضية العامة للاشتراكية على حد سواء ويساعد على تحقيق نجاحات جديدة فى الاتجاهات الحاسمة للمباراة الاقتصادية بين النظامين .

ان الانعزال عن المعسكر الاشتراكى يعرقل تطور البلاد فى طريق الاشتراكية ويحرمها من امكانية التمتع بمزايا المنظومة الاشتراكية العالمية ويشجع محاولات الدول الامبريالية لاستخدام الميول القومية الضيقة لصالحها . ولذلك تخوض الاحزاب الشيوعية والعمالية نضالا لا هوادة فيه ضد النزعة القومية الضيقة وبقايا الانغلاق القومى . وهى ترى ان من اهم واجباتها تربية الشغيلة بروح الاممية الاشتراكية والوطنية الاشتراكية والتفهم العميق لكون المصالح الوطنية والاممية للاوطان الاشتراكية واحدة لا تتجزأ .

ان الوطنية الاشتراكية والاممية تخلبان ألباب الناس ومشاعرهم باطراد . وهما بوحدتهما المتماسكة قد اصبحتا قاعدة لسلوك بناة المجتمع الجديد ، وهما تحثانهم لتحقيق المآثر العظمى فى العمل وفى الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى .

خطر هجمات الامبرياليين الحربية وضرورة الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى

اكتسب بناء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ، كما فى البلدان الاخرى حاليا ، طابعا امميا . فان النجاحات فى بناء الاشتراكية والشيوعية تلهم الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة فى البلدان الرأسمالية وتحثهم للنضال الثورى ، كما تهيب بشعوب

المستعمرات والبلدان التابعة للنضال التحررى الوطنى . الا ان ذلك يثير لدى البرجوازيـــة الامبرياليـــة الرعـــب والخوف عـــلى مصير الرأسمالية وعلى امتيازاتها الاقتصادية والسياسية ، ويولد حقدا مسعورا على شغيلة البلدان الاشتراكية ورغبة فى شن الحروب ضدها . وكتب لينين يقول : «لقد تأكد فى ثورتنا اكثر مما فى اية ثورة اخرى القانون الذى يبين ان قوة الثورة ، قوة الهجوم ، والطاقة والحزم وهيبة انتصارها تشدد الى جانب ذلك قوة المقاومة من قبل البرجوازية . فكلما تزيد انتصاراتنا يزيد تعلم المستغلين الرأسماليين على الاتحاد وانتقالهم الى الهجمات الاكثر حزما» * .

ان مفعول هذا القانون يسرى داخل البلد الذى سلك طريق التطور الاشتراكى الى ان يتم فيه قهر قوة البرجوازية وتصفيـــة الطبقات الاستغلالية ؛ وعندما تنتصر الاشتراكية يكف هذا القانون عن العمل .

وعلى الصعيد الدولى يكف قانون الصراع الطبقى هذا عن العمل عندما يزول معسكر الامبريالية . ويضيق نطاق مفعوله مع توسع وتعزز المنظومة الاشتراكية العالمية .

ان الهدف الرئيسى الذى يشن الامبرياليون من اجله الحروب العدوانية ضد البلدان الاشتراكية يتلخص فى سعيهم بقوة السلاح الى الاطاحة باكثر الانظمة الاجتماعية تقدمية فى العالم وبعث سلطة الرأسماليين والاقطاعيين . وهم فى الوقت ذاته يستهدفون اغراضا اخرى مثل حرمان شعوب البلدان الاشتراكية من الاستقلال الوطنى والسيادة ، ونهب ثرواتها الوطنية وتمزيق وتجزئة الاراضى العائدة لها تاريخيا وتحويل قسم كبير منها الى مستعمرات او «مناطق نفوذ» الدول الامبريالية ، وابادة سكان هذه البلدان وقمع الحركة الثورية للطبقة العاملة فى الدول الامبريالية . ولا يتخلى الامبرياليون

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٢٤٤ .

عن تحقيق اهدافهم العدوانية ازاء البلدان غير الاشتراكية ، كما لا يتخلون عن سياسة الاستعمار والاستعمار الجديـــد ازاء الدول المستقلة حديثا .

ويعد الامبرياليون حتى الآن خططا هذيانية « لتحرير » البلدان الاشتراكية الاوربية . ولقد كشف « المحررون » انفسهم عن طابع هذه الخطط الحاقدة على البشر . واعلـــن بعض كبار العسكريين الاميركان عن ستراتيجية « الارض المحروقة » و « الصحراء الموات » . وفى الآونة الاخيرة صار الامبرياليون يموهون اهدافهم العدوانية بدقة خاصة فيستررونها براية « العالم الحر » والنضال فى سبيل « الديمقراطية » وهلمجرا . ويجهد الساسة والعسكريون فى الدول الامبريالية فى ترويج الاختلاقـــات بصـــدد « الخطر الشيوعى » و « الامبريالية الحمراء » و « تصدير الثورة » الخ . . وبغية تبرير هذه الاكاذيب يشوه هؤلاء تعاليم الماركسية-اللينينية ويصورون على نحو مشوه سياسة الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الاخرى.

الا ان السياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية المدعوة الى تأمين الظروف السلمية لبناء المجتمـــع الجديـــد تدحض هذه الاختلاقات الشريرة التى يروجها ايديولوجيو الامبريالية .

واذا كانت الرأسمالية قد فرضت سيطرتها بالحديد والنار ، فان الاشتراكية ليست بحاجة الى الحروب لنشر مثلها العليا . اذ ان سلاحها الجبار هو التفوق على النظام القديم فى تنظيم المجتمع وفى الاقتصاد وفى رفع مستوى حياة الجماهير الشعبية وازدهـــار الثقافة الروحية .

ان القدرة الاقتصادية والنفـــوذ الدولى المتعاظم للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى يخدمان قضيـــة السلام والتعاون بين الشعوب ويؤثران تأثيرا متزايدا دوما على العلاقـات الدولية . وبعد ان سبقت الاشتراكية الرأسمالية فى جملة من فروع

العلم والتكنيك الهامة وضعت تحت تصرف الشعوب المحبة للسلام وسائل مادية جبارة للجم العدوان الامبريالى . وان متابعة تعزيز القدرة الاقتصادية والدفاعية للمنظومة الاشتراكية هى أهم وسيلة لتأمين الدفاع المسلح عن الاوطان الاشتراكية وأمنها .

وبالرغم من ان آمال الامبرياليين فى اضعاف المعسكر الاشتراكى وتحطيمه واهية غير قابلة للتحقيق ، فان خطر الحرب وهجوم المعتدين المباغت على البلدان الاشتراكية لا يزال قائما .

وهكذا ، **فان ضرورة الذود عن مكتسبات الاشتراكية دون اعتداءات الرجعية الامبريالية العالمية ، والدفاع المسلح عن الاوطان الاشتراكية هما واحدة من السنن العامة للانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية والشيوعية ، تلك السنن الملازمة لجميع البلدان التى تقوم بهذا الانتقال فى ظروف وجود نظام الامبريالية العالمى وخطر هجمات الامبرياليين الحربية المستمر على البلدان الاشتراكية .**

٢ ـ المضمون السياسى لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى وخصائصها

ان حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى هى صنف خاص من الحروب التى تختلف جوهريا عن الحروب العادلة الاخرى من حيث الاصل والاهداف والطابع ، وكذلك من حيث موقف الجماهير الشعبية منها .

العدالة التامة لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى

ان هذا النوع من الحروب يتسم قبل كل شىء بطابع عادل كليا واطلاقا . فهى تخاض فى سبيل اهداف تحررية ثورية لم تطرحها ولا يمكن ان تطرحها اية دولة استغلالية .

والاهداف الاساسية التى تبتغيها الدول الاشتراكية فى الحرب التى يشنها المعتدون الامبرياليون ضدها هى التالية :

اولا ، الذود عن اكثر الانظمة الاجتماعية التى عرفها التاريخ عدالة ، نعنى الاشتراكية ؛

ثانيا ، الذود عن حرية الامم الاشتراكية واستقلالها واراضيها وحضارتها وعن حياة سكان الدول الاشتراكية ؛

ثالثا ، نجدة الدول الاشتراكية الاخرى لصد العدوان ؛

رابعا ، مساعدة الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة فى البلدان الرأسمالية وشعوب المستعمرات والبلدان التابعة والدول الوطنية الفتية فى نضالها التحررى ضد النير الامبريالى والاستعباد الاجنبى .

ان هذه الاهداف تتعارض تعارضا مباشرا واهداف النهب والغزو التى تتوخاها الطبقات الاستغلالية فى الحروب الاغتصابية الجائرة وفى حروب الثورة المضادة التى يشنها الامبرياليون ضد البلدان الاشتراكية . وهى تختلف كذلك اختلافا جذريا عن اهداف حروب التحرر العادلة التى خاضتها الدول البرجوازية . ان حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى هى استمرار لسياسة الثورة البروليتارية . وفى معرض تحديد الموضوعة الماركسية بشأن الجوهر السياسى للحرب طبقا لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى كتب لينين يقول : «**ان حربنا هى استمرار لسياسة الثورة** ، سياسة الاطاحة بالاستغلاليين ، الرأسماليين والاقطاعيين» * .

وخلافا للحروب التحررية التى تخوضها الطبقات الاستغلالية لا يمكن للحرب الوطنية للدول الاشتراكية ان تتحول ابدا الى حرب اغتصابية جائرة . فالبلد الاشتراكى الذى يذود عن اهدافه النبيلة العادلة لن يتواطأ ابدا مع المعتدين الامبرياليين على حساب

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٤٠٦ .

مصالح الشعوب الاخرى . بينما لا يندر ان تنتهى الحروب بين الدول الاستغلالية بصفقات بين الاوساط الحاكمـــة فى البلدان المتحاربة وبخيانة لمصالح شعوب هذه البلدان . زد على ذلك ان الطبقات الاستغلالية فى الدول المتعادية غالبا ما توقف الحرب عندما تهب الجماهير الشعبية للثورة ضد النظام القائم ، وتوحد تلك الطبقات قواها لقمع الثورة .

ان التصميم الذى لا يتزعزع لدى شعب البلد الاشتراكى فى تحمل كافة الصعاب والصمود فى وجه كل محن الحرب الحديثـــة هو ضمانة النصر على المعتدين . والدليل على ذلك خبرة الحربين الوطنيتين للدولة السوفييتية * .

اذن ، **فان الطابع العادل لاهداف ومهمات الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى واقتناع الشعب بذلك على اعمق نحو هما واحد من الشروط الحاسمة لانتصاره فى الحرب الوطنية .**

الطابع الثورى لحروب الدفاع عن الاشتراكية

لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى طابـــع ثورى ثابت . وتتجلى هذه الخاصية فى المضمون الطبقى لحروب الدول الاشتراكية، وفى المهمات الرئيسية التى تطرحها هذه الدول فى الحرب ، وكذلك فى العواقب التى تسفر عنها امثال هذه الحروب .

ان حروب الدفـــــاع عن الوطن الاشتراكى هى ، من حيث مضمونها الطبقى ، استمرار للنضال الطبقى للبروليتاريا وحلفائها ضد البرجوازية الامبريالية العالمية وضد جميع القوى الرجعية فى المجتمع القديم .

---

* الحرب الاهليـــــة ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ والحرب الوطنيـــــة العظمى ١٩٤١ ــ ١٩٤٥ . (المترجم) .

وكتب لينين ان حرب الدولة الاشتراكية ضد تدخل الامبرياليين تتسم بطابع الحرب الاهلية العالمية .

وليس نادرا ان تقترن الحرب الاهلية فى بلد اشتراكى ما بالكفاح المسلح ضد الامبرياليين الاجانب ، كما كان الحال فى روسيا فى ١٩١٨ــ١٩٢٠ . وكانت الحرب فى كوريا فى ١٩٥٠ــ١٩٥٣ قد جمعت ايضا بين حرب التحرر الوطنى ضد المتدخلين الاميركان وبين الحرب الاهلية ضد قوى الاقطاعيين والبرجوازيين الكوريين المعادية للثورة .

وتتسم حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى بطابع طبقى ثورى كذلك فى حالة ما اذا كانت تخاض بدون حرب اهلية فى داخل البلاد . فحرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى (١٩٤١ــ١٩٤٥) كانت من حيث مضمونها الاجتماعى ليس فقط حربا تحررية وطنية ضد الفاشية ، بل وكفاحا لا هوادة فيه ضد اكثر قوى الامبريالية العالمية رجعية آنذاك . وكانت تتميز بخصائص الحرب الاهلية العالمية وذلك لانه كان يقرر فيها مصير الاشتراكية ليس فى الاتحاد السوفييتى وحده ، بل وفى العالم بأسره .

ويتجلى الطابع التحررى الثورى لحروب الدفاع عن الاوطان الاشتراكية كذلك فى ان مآلها المظفر يؤدى الى اضعاف مواقع الامبريالية العالمية ، كما يؤدى فى ظروف معينة الى هزيمة الانظمة الرجعية فى البلدان المعتدية ، ويساعد على انتصار قوى الديمقراطية والاشتراكية فى هذه البلدان ، وعلى انفصال بلدان جديدة عن النظام الرأسمالى العالمى . وتلك هى سنة من سنن الاصطدامات المسلحة بين الدول الاشتراكية والامبريالية .

وسوف تتجلى هذه السنة الحتمية على اكمل وجه فى الحرب العالمية القادمة اذا اشعل الامبرياليون لهيبها . فسوف تحرز الاشتراكية النصر فى هذه الحرب ، مع ان شعوب البلدان الاشتراكية وجماهير الشغيلة فى العالم بأسره والاحزاب الماركسية-اللينينية

القائدة لنضالها التحررى ليست لها مصلحة ابدا فى ان يتم هلاك الرأسمالية وانتصار الاشتراكية على هذا النحو بالذات .

ولقد استدعى الطابع الثورى لحروب الدفـــاع عن الوطن الاشتراكى منهجا ثوريا لخوض هذه الحروب . كانت مسألـــة المنهج الثورى لخوض البروليتاريا المظفرة للحرب قد طرحهـــا انجلس لاول مرة وحلها من حيث المبدأ فى مقالته «امكانيـــات وآفاق حرب الحلف المقدس ضد فرنسا فى عام ١٨٥٢» . الا ان هذا المنهج ما كان باستطاعته ان يتبلور الا فى سياق خوض حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى . وقد وضعه الحزب الشيوعى والشعب السوفييتى فى غمار المعارك الضارية مع الامبريالية .

يتميز المنهج الثورى لخوض الحروب بحزم الاهداف السياسية والعسكرية للدولة الاشتراكية فى الحرب وبالعزم الثابت على دحر العدو كليا ، وبالعمليات النشيطة جدا للقوات المسلحة ، وحماسها الهجومى والتفانى والبطولة الواسعة لدى المحاربين . وهو يتطلب التعبئة التامة لجميع قوى البلاد والمؤخرة والجبهة ، وتلاحم الجيش والشعب فى وحدة صلدة ، وقيادة الحزب الشيوعى للحرب .

وفى الظروف الراهنة يجرى تطوير واستكمال هذا المنهج الذى صمد للمحن فى لهيب حربين للدفاع عن الوطن الاشتراكى .

الطابع الشعبى الشامل
لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى

تتلخص اهم خاصية لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى فى ان هذه الحروب شعبية حقا من كل الوجوه : من حيث الاهداف ، والاهمية التاريخية ، وموقف الجماهير الشعبية منها ، وطرائق خوضها .

وبسبب الاهداف والمهمات العادلـــة لهذه الحرب والتى تستجيب كليا لمصالح الشغيلة تشارك الجماهير الشعبية فيهـــا مشاركة واعية وتؤيد سياسة الحزب الماركسي-اللينيني والحكومة تأييدا نشيطا وتنفذ هذه السياسة بدأب ، وتلتف التفافا اوثـــق حول الحزب والحكومة . وقال لينين ان قوى التماسك والوحدة تزداد بازدياد الخطر على المكتسبات الاشتراكية للشغيلـــة وعلى حرية الوطن . فان صعوبات الحرب التحررية المقدســـة تصلب الجماهير الشعبية لدرجة اكبر وتقوى عزمها على دحر العدو . ان وحدة الشعب والحزب والحكومة فى الدولة الاشتراكية اثناء سير الحرب هى التعبير الملموس عن الوحدة الاجتماعيـــة-السياسيـــة والمعنوية للمجتمع ، وعن الصداقة التى لا تنفصم عراها بين الامم الاشتراكية .

وفى ظل الدولة الاشتراكية وحدها يشارك الشعب بأسره ، بجميع طبقاته وفئاته الاجتماعيـــة ، فى الحرب ، مدركا اعمق الادراك لاهدافها ومهماتها ولضرورة بذل الغالى والنفيس والتضحية بالنفس فى سبيل حرية الوطن . ان نشاط الجماهير الشعبية ووعيها اللذين لا مثيل لهما ، وابداءها آيات البطولة والتفانى على نطاق واسع فى الدفاع المسلح عن وطنها ــ كل ذلك مبعثه طبيعة النظام الاشتراكى وقانون تزايد درجة ونطاق المشاركة الواعية من قبل الجماهير الشعبية فى التحويلات التاريخية . ان تزايد تعداد ونشاط جماهير الشغيلة التى تشارك مشاركة واعية فى تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد وفى الحروب الوطنية هو اهم قانون للدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى .

ففى حرب الشعب السوفييتى ضد المتدخلين الاجانب وثورة الحرس الابيض المضادة (١٩١٨ ــ ١٩٢٠) ساهم مساهمة نشيطة فى بادئ الامر العمال واكثر الفلاحين الفقراء وعيا ، وفيما بعد ،

وعلى قدر ادراك الطابع العادل للحرب من جانب الجمهورية السوفييتية واهداف الحرس الابيض والمتدخلين المعادية للشعب ، شاركت فى الحرب فئات اوسع من الفلاحين الفقراء والمتوسطين . وكتب لينين يقول : « ... لقد اجتذبنا الى الموقف الواعى من الحرب والى مساعدتها بنشاط جماهير شعبية اوسع من اى وقت مضى . ولم يشهد اى نظام سياسى آخر عشر ما فى السلطة السوفييتية من مشاطرة العمال الحزبيين واللاحزبيين والفلاحين اللاحزبيين (فالفلاحون باغلبيتهم لاحزبيون) جميعا للحرب وتفهمهم لها . وبذلك تكمن اسس ما جعلنا فى آخر المطاف ننتصر على العدو القوى » * .

وفى سياق البناء الاشتراكى ، ونتيجة للتحويلات الاجتماعية-الاقتصادية الكبرى وتصفية الطبقات الاستغلالية وتنامى الوعى السياسى للجماهير تنخرط فئات متسعة دوما من الشغيلة فى النشاط الدؤوب لتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد ، مبدية الاستعداد للنهوض كرجل واحد دفاعا عن وطنها . وبانتصار الاشتراكية يصبح الشعب كله مدافعا نشيطا وواعيا عن الوطن الاشتراكى . وتجلى ذلك بكل وضوح فى حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى .

كان الهتلريون الذين شنوا فى عام ١٩٤١ هجوما غادرا على الاتحاد السوفييتى يأملون من وراء الضربات الاولى للقوات الالمانية الفاشية والاخفاقات الجدية للقوات السوفييتية بظهور صدامات واشتباكات داخل البلاد وبانهيار تحالف العمال والفلاحين وكذلك الصداقة بين الشعوب التى تبنى المجتمع الاشتراكى . اما فى الواقع فان الشعب السوفييتى بقيادة الحزب الشيوعى ابدى وحدة وتلاحما لم يشهد التاريخ لهما مثيلا . وحقق مأثرة وطنية لم يسبقها نظير على الجبهة وفى المؤخرة فاستحق مجد الشعب البطل .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٢ ، ص ١٤٠ .

لقد اكد انتصار الشعب السوفييتي فى هذه الحرب انه لا توجد فى العالم قوى قادرة على وقف التطور الحثيث للمجتمع الاشتراكى .

واتسمت بطابع شعبى حقا الحرب التحررية العادلـــة التى خاضها الشعب الفيتنامى ضد المعتدين الاميركان وحلفائهم .

وهكذا ، فان المشاركة النشيطة الواعيـــة من قبل الشعب بأسره فى الحرب الوطنيـــة ضد العدوان الامبريالى هى واحد من المصادر الحاسمة للمآل المظفر لهذه الحرب .

الطابع الاممى لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى

تمتزج فى حروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى وتندمج اندماجا تاما الاهداف والمهمات الوطنية والاممية لنضال البروليتاريا التحررى . فالدولة الاشتراكية التى تذود عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة ولجميع شغيلة البلاد ، اى عن المصالح الوطنية للشعب ، تنفذ فى الوقت ذاته رسالتها التحريرية وواجبها الاممى حيال الطبقة العاملة وجميع شغيلة البلدان الرأسمالية والمستعمرة . وتجلى ذلك باسطع شكل فى حروب الدولة السوفييتية . فابنـــاء الشعب السوفييتى وافراد قواته المسلحة الذين ذادوا عن مكتسبات الاشتراكية فى بلادهم ساعدوا فى الوقت ذاته على تحرير الشعوب الاخرى من نير الامبريالية .

ان انتصار الدولة الاشتراكية فى الحرب يهيب بشغيلة البلدان الرأسمالية للنضال ضد سعى البرجوازية الامبريالية الى دك الحركة العمالية الثورية وتصفية كافة المكتسبات الديمقراطية للشغيلة ، واقامة الدكتاتورية الارهابية للرأسمال المالى . وقال لينين ان عمال جميع البلدان يتطلعون الى روسيا السوفييتية بنظرة الأمل

ويغترفون القوة من انتصاراتهـــا على الامبرياليين . ولذلك فان شعوب الاتحاد السوفييتي اذ تبدى آيات البطولة الشاملة فى الذود عن الوطن الاشتراكى تؤدى رسالتها الاممية السامية ، حيث تقدم المساعدة للطبقة العاملة ولجميع الشغيلة فى النضال التحررى . وكتب لينين يقول : « اننا اذ نناضل الآن فى سبيل النظام الاشتراكى فى روسيا نناضل فى سبيل الاشتراكية للعالم كله » * .

فخلال الحرب العالمية الثانية قام الاتحاد السوفييتى برسالته التحررية حق قيام ولعب الدور الحاسم فى تخليص شعوب اوربا من الاحتلال الاجنبى وطغيان الفاشية وقدم المساعـــدة للشعبين الكورى والصينى فى طرد الغزاة اليابانيين . وقد هيأ انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنيـــة العظمى الامكانية لشعوب آسيا وافريقيا لتوسيع النضال على نطاق اكبر ضـــــد الاستعمار وفى سبيل تحرير بلدانها من النير الاجنبى .

وتقدم البروليتاريا العالمية وشغيلة البلدان الرأسماليـــــة والمستعمرة بدورهم مساعدة اخوية للدولة الاشتراكية فى حربها العادلـــة . ويعزى ذلك ، اولا ، الى وحدة المصالـــح الجذريـــة للبروليتاريا والجماهير المضطهدة المستغلة فى العالم اجمع ولشعوب البلدان الاشتراكية فى نضالها ضد الامبريالية ؛ وثانيا ، الى المصلحة الملحة لجميع الشغيلة فى صيانة وتوطيد الاوطان الاشتراكية التى هى معقلها فى النضال من اجل الاشتراكية فى بلدانهـــا ، والدرع الامين الذى يحميهـــا من الهجمات الحربية للرجعية الامبرياليـــة العالمية ؛ وثالثا ، الى الاهداف الاممية التحررية والاهمية التاريخية العالمية لحروب الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٦٨ .

ولقد تكهن لينين فى ايلول (سبتمبر) ۱۹۱۷ بان الحرب ستتحول الى حرب تحررية عادلة فى حالة انتقال السلطة الى السوفييتات وعدم رغبة خصوم و«حلفاء» روسيا الامبرياليين فى عقد الصلح ، وعندها ستكون هذه الحرب «بالافعال وليس بالاقوال حربا بالتحالف مع الطبقات المضطهدة فى جميع البلدان ، حربا بالتحالف مع الشعوب المضطهدة فى العالم اجمع» * .

ان الطبقة العاملة والشغيلة فى البلدان الرأسمالية والمستعمرة يقدمون الدعم والمساعدة الى اشقائهم بمختلف الاشكال والوسائل : بالنضالات السياسية المطالبة بوقف العدوان على الاوطان الاشتراكية ؛ وبمقاطعة الانتاج الحربى واحباط الارساليات الحربية الى المعتدين ؛ وبكفاح الانصار المسلح ضد الغزاة او بالقتال فى صفوف جيوش البلدان الاشتراكية ؛ كما يقدمون انواع الدعم السياسى والمعنوى لشعوب البلدان الاشتراكية وهلمجرا .

واكتسب الدعم المتبادل بين شعوب الاتحاد السوفييتى وجماهير الشغيلة فى الدول الرأسمالية نطاقا واسعا بخاصة فى فترة النضال ضد عدوان الدول الفاشية . فخاض الاتحاد السوفييتى الحرب الوطنية العظمى بالتحالف مع البروليتاريا العالمية والشعوب المحبة للحرية والمناضلة ضد المعتدين الفاشست .

كان العمال والفلاحون والمثقفون التقدميون والجنود فى البلدان الرأسمالية المنضمة الى الائتلاف المعادى للهتلرية قد قدموا ، بالرغم من دسائس القوى الرجعية ، بما فيها الرجعيون داخل الاوساط الحاكمة ، مساعدة كبيرة الى الاتحاد السوفييتى الذى نفذ بكل شهامة التزاماته ازاء الحلفاء وادى رسالته التحريرية ازاء الشعوب التى استعبدها الغزاة الفاشست .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٢٣٣ .

وكانت التشكيلات العسكرية التى اسسها الوطنيون البولونيون والتشيكوسلوفاكيون والرومانيون فى اراضى الاتحـــاد السوفييتى بمساعدة اخوية من الدولة السوفييتية والشعب السوفييتى قد قاتلت جنبا الى جنب مع القوات المسلحة السوفييتية فى سبيل طرد المحتلين الفاشست من اراضى الاتحاد السوفييتى وفى سبيل تحرير بلدان هؤلاء الوطنيين . وخاضت شعوب الصين وكوريا والهند الصينية وبلدان آسيوية اخرى حرب التحرر فى جبهة موحدة مع الشعب السوفييتى ضد الامبرياليين اليابانيين وصنائعهم .

وتحت قيادة الاحزاب الشيوعية شنت الجماهير الشعبية فى البلدان الاوربية المحتلة من قبل الغزاة الالمان والايطاليين بعد هجوم المانيا الهتلرية على الاتحاد السوفييتى حركة المقاومة وكفاح الانصار المسلح على نطاق واسع . وكان نطاق هذه الحركة واسعا بخاصة فى بلغاريا وبولونيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا وايطاليا وبلدان اخرى . وساهمت قوات الانصار المسلحة لشعوب البلدان المستعبدة بقسط مرموق فى القضية المشتركة ، قضية دحر الائتلاف الفاشى .

ان امكان حركة الانصار الشعبية فى الحرب القادمة يثير الآن الرعب لدى الامبرياليين ، الامر الذى يعربون عنه هم بصراحة . ولذلك تمارس الاركانات العامة لجيوش الدول الامبريالية وقادة الاحلاف العسكريـة التحضير العملى لمكافحة الانصـــار فى الحرب القادمة .

ان النمـــو الدائب لصفوف شغيلـــة البلدان الرأسماليـــة والمستعمرة التى تقدم دعمـــا نشيطـــا ومساعدة كبيرة لشعوب البلدان الاشتراكية فى الحرب ضد المعتدين الامبرياليين هو من اهم قوانين الدفاع المسلح عن الاوطان الاشتراكية .

٣ ـ دفاع دول الاسرة الاشتراكية عن مكتسبات الاشتراكية والشيوعية

ان الدفاع المسلح عن مكتسبات الاشتراكية والشيوعية دون الهجمات الحربية للمعتدين الامبرياليين هو من اهم وظائف الدولة الاشتراكيـــة . وهو ، من حيث مضمونه ، يشمل القتال المسلح المباشر للجيش والشعب ضد المعتدين ، وكذلك صيانة حدود الدول الاشتراكية واراضيها واجوائها ومياهها الاقليمية . والى جانب ذلك تخدم الدفاع عن الوطن الاشتراكى السياسة الخارجيـــة للدولـــة الاشتراكية وسياستها الاجتماعية-الاقتصادية الداخلية والخارجية .

الضرورة التاريخية للدفاع عن الوطن الاشتراكى

لقد طرأت على وظيفـــة الدفاع عن الوطن الاشتراكى منذ ظهورهـــا تغيرات جوهرية استدعتهـــا التحويلات فى القاعدة الاجتماعية-الاقتصادية داخل البلاد ، والتطورات فى الوضع الدولى وفى تناسب القوى الاجتماعية-السياسية . وظهرت جوانب جديدة مبدئيا فى الدفـــاع عن الوطن الاشتراكى نتيجة لقيام المنظومـــة الاشتراكية العالمية .

وفى السنوات الاولى من تأسيس الدولة السوفييتية امتزجت وظيفتها للدفاع عن الوطن الاشتراكى دون الهجمات الحربية مع وظيفة قمع المقاومة المسلحة التى ابداها الاستغلاليون المخلوعون المتعاونون مع الغزاة الدخلاء الاجانب . وتمارس الدول الاشتراكية الاخرى حل هذه المهمة بدعم اخوى متبادل فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وفى الفترة بين الحربين الوطنيتين كان الدفـــاع المسلـــح عن الوطن الاشتراكى يجرى بشكل حراسة الحدود وحمايتهـــا من

الاستفزازات العسكرية من جانب الدول الرأسمالية ومكافحة العصابات والجواسيس والمخربين المبعوثين من اراضى هذه الدول وقطع دابر محاولات قوى الردة الداخلية لتدبير التمردات ولاشعال نيران حرب اهلية جديدة بغية تمهيد التربة لتدخل عسكرى جديد من قبل الامبرياليين .

وكان الدفاع المسلح يتلخص كذلك فى درء نشوب حرب ضد بلد الاشتراكية تشعل نيرانها الرجعية الامبريالية العالمية ، او فى ابعاد أجل نشوب مثل هذه الحرب اذا كان الحؤول دونها مستحيلا . ولهذا الغرض انتهجت الدولة السوفييتية سياسة خارجية مرنة برباطة جاش مبدئية . وكان الاساس المتين لهذه السياسة هو نجاحات البناء الاقتصادى التى عززت القدرة الدفاعية للبلاد والقدرة الحربية للقوات المسلحة .

واثناء الحرب الوطنية العظمى كان نشاط الجماهير الشعبية السوفييتية كله خاضعا للدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى . فقد تحولت البلاد الى معسكر كفاحى واحد موحد . وكان مصير الوطن الاشتراكى فى تلك الظروف يعتمد بالدرجة الاولى على حل مسألة مآل الحرب .

اما فى الفترة التى اعقبت الحرب فقد تغيرت وظيفة الدفاع عن الوطن الاشتراكى بسبب تحول الدولة السوفييتية الى دولة الشعب بأسره مع اضطلاع الطبقة العاملة بالدور القيادى . وتجلى ذلك فى التوسيع الجوهرى للقاعدة الاجتماعية للدولة ، وترسخ الوحدة الاجتماعية-السياسية والفكرية للمجتمع ، وبالتالى ، فى تعاظم القدرة الدفاعية للبلاد .

وفضلا عن ذلك حدث فى فترة ما بعد الحرب نمو لم يسبقه مثيل لقوى السلام والديمقراطية والاشتراكية على الصعيد الدولى . وظهرت على اساس مغاير مبدئيا للنظام الرأسمالى المنظومة

الاشتراكية العالمية التى تمثل الاسرة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لشعوب حرة تربطها عرى التضامن الاشتراكى الدولى ووحدة المصالح والاهداف المشتركة ووحدة مبادئ الماركسية ـ اللينينية .

ان دخول المنظومة الاشتراكية العالمية مرحلة جديدة من تطورها ، والتغيرات اللاحقة فى تناسب القوى على الصعيد الدولى ـ كل ذلك هيأ ظروفا وامكانيات جديدة اكثر ملاءمة للدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى .

لقد كانت القدرة الاقتصادية والحربية للبلدان الرأسمالية مأخوذة معا قبل الحرب العالمية الثانية اعلى مما فى الاتحاد السوفييتى . فقد كانت خمسة اسداس اراضى المعمورة واكثر من ٩٠ بالمائة من سكانها تنتسب الى المنظومة الرأسمالية العالمية . ومن ذلك المساحات الشاسعة و١,٥ مليار من السكان فى البلدان المستعمرة والتابعة التى كانت تشكل احتياطيا للامبريالية . وكان حجم المنتوج الصناعى للبلدان البرجوازية يفوق بعدة اضعاف حجم منتوج الصناعة السوفييتية . وكان الاتحاد السوفييتى بلد الاشتراكية الوحيد الذى واجه المعسكر الامبريالى الجبار . صحيح ان هذا المعسكر كانت تضعفه التناقضات الداخلية لدرجة ملحوظة . وكانت الدول الامبريالية تبذل قصارى جهدها لوضع الاتحاد السوفييتى فى عزلة سياسية تامة .

وكانت بلاد السوفييت فى مثل هذه الحالة فى الواقع قبيل الحرب العالمية الثانية . كان الاتحاد السوفييتى مطوقا من الغرب والجنوب والشرق بدول معادية له . وكان يخيم عليه باستمرار خطر التدخل المسلح من قبل قوى الامبريالية الموحدة ، ومعه خطر بعث النظام الرأسمالى .

اما الآن فالحال على غير ذاك تماما . فالمعسكر الامبريالى الآن تواجهه المنظومة الاشتراكية الجبارة التى توجد تحت تصرفها

موارد هائلة . وبفضل مزايا النظام الاجتماعى والسياسى القائم فيها تتمتع الاسرة الاشتراكية بالقدرة على استخدام مواردها بصورة مخططة ، وبالتالى بفعالية اكبر كثيرا ، بغيــة تلبيــة مختلف الحاجات ، بما فيها حاجات الدفاع .

ولقد ساعد انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنيــة العظمى على جعل شعوب المستعمرات والبلدان التابعة تهب للنضال فى سبيل تحررها الوطنى والاجتماعى . وادى ذلك الى انهيار النظام الاستعمارى . وضاق لدرجة كبيرة مجال سيطرة الامبريالية التى لم تعد قادرة على استخدام الموارد البشرية والمادية فى كثير من بلدان آسيا ، وفى عدد من بلدان افريقيا لاغراضها الحربية .

وتغيرت كذلك البيئة الخارجية المباشرة لبلاد السوفييت . فلئن كانت الدول المتاخمة للاتحاد السوفييتى منضمة جميعهــا تقريبا الى المعسكر الامبريالى ، فالاتحاد السوفييتى اليوم محاط لمسافة بعيدة من حدوده بالبلدان الاشتراكية والبلدان الصديقة غير الاشتراكية . وكل ذلك معا يعنى ان التطويق الرأسمالى حول الاتحاد السوفييتى لم يعد قائما .

وبعد ان راعى الحزب الشيوعى السوفييتى من جميع الوجوه تناسب القوى بين النظامين المتناقضين خرج باستنتاج معلل علميا ومفاده ان الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى انتصرت بالتمــام والكمال . وذلك يعنى ان بعث الرأسمالية فى الاتحاد السوفييتى امر مستبعد ومستحيل . وجاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى « ان قوى المعسكر الاشتراكى الموحــدة تحمى بامــان كل بلد اشتراكى من تطاولات الرجعية الامبريالية . وان تلاحم الدول الاشتراكية فى معسكر واحد ، ووحدته المتعاظمة وقوته المتنامية بلا انقطاع ، كل هذا يؤمن للاشتراكية والشيوعية الانتصار التام فى نطاق المنظومة بكليتها » .

الدفاع عن الاوطان الاشتراكية
فى الظروف الراهنة

ان قضية الدفاع عن مكتسبات الاشتراكية والشيوعيـــة فى الظروف الراهنة تعتمد لدرجة كبيرة على قابليـــة دول الاسرة الاشتراكية على توحيد جهودها فى وجه خطر العدوان الامبريالى ، وصيانة هذه الجهود ومضاعفتها فى سياق المباراة الاقتصاديـــة السلمية مع الرأسمالية كنظام . ويهيئ السلام بين الشعوب الظروف الملائمة لبناء الاشتراكية والشيوعية . وتلك هى حتمية موضوعية لا جدال فيها .

وانطلاقا من هذه الحتمية لا يبخل الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى بالجهود فى سبيل تأمين الظروف الدوليـــة الملائمة لبناء الاشتراكية والشيوعية . ولهذا الغرض تنتهج هذه الدول سياسة خارجية منسقة ، موجهة جهودها نحو تعزيز وحدة البلدان الاشتراكية ورص صفوفها ونحو الصداقة والاخوة بينها ، ونحو دعم حركات التحرر الوطنى وتحقيق التعاون الشـــامل مع الدول النامية الفتية ، والدفاع الدائب عن مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وتوجيه رد حازم على القوى العدوانية الامبريالية وتخليص البشرية من ويلات حرب عالمية جديدة .

ان الشكل الرئيسى والاكثر فعالية للتأثير على التطور التاريخى هو انماء وتعزيز اقتصاد النظـــام الاشتراكى ، والنهوض المستمر بالرفاه المادى والمستوى الثقافى لشعوب الدول الاشتراكية . ولقد كتب لينين يقول : «اننا نمارس تأثيرنـــا الرئيسى على الثورة العالمية بسياستنا الاقتصادية ... وعلى هذا الصعيد نقل النضال الى النطاق العالمى . واذا حللنا هذه المهمة فسوف نفوز على النطاق

العالمى نهائيا وبكل تأكيد . ولذلك فان مسائل البناء الاقتصادى تكتسب بالنسبة لنا اهمية استثنائية للغاية » * .

ان البلدان الامبريالية تستند فى نضالها ضد الاشتراكيـــة ليس فقط على قدرتها الاقتصادية وامكانياتها السياسية ـ المعنوية . فهى تستخدم لهذا الغرض على اكمل وجه طاقتها العسكريـــة . ولذلك فان تغير تناسب القوى لصالح السلام والاشتراكية يرتبط بتعزيز القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكيـــة الاخرى . وبغية تهيئة الظروف السياسية الخارجية الطبيعية للبناء الاشتراكى والشيوعى تطور هذه البلدان طاقاتها العسكرية وتستكمل تنظيمها العسكرى وتحسنه .

ان طموح شعوب ودول الاسرة الاشتراكية الى قطع الطريق بالقوى الموحدة على العدوان الموجه ضد البلدان الاشتراكية تجلى فى معاهدة وارشو للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلـة بين البلدان الاشتراكية الاوربيـــة ، وهى المعاهدة التى وقعت فى ايار (مايو) ١٩٥٥ .

ويستند هذا الحلف الدفاعى على وحدة مصـــالح واهداف شعوب البلدان الاشتراكية . وان اهدافه النبيلة تتلخص فى الذود عن المكتسبات الاشتراكية وعمل الشعوب السلمى والحرية والسيادة الوطنية وتوطيد السلام العالمى .

لقد وسع عقد حلف وارشو لدرجة كبيرة امكانيات تنسيق جهود البلدان الاشتراكيـــة فى التحضير لردع المعتدين واجراء الفعاليات المنسقة ذات الطابع السياسى والاقتصادى والعسكرى فى حالة ما اذا شن الامبرياليون حربا على اى بلد من بلدان معاهدة وارشو .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٣٤١ .

ولقد دل التحالف الدفاعي بين الدول الاشتراكية الاوربية على قوته وحيويته . فالدول الاعضاء في معاهدة وارشو مستعدة للدفاع بتضافر جهودها عن الاوطان الاشتراكية دون العـــــدوان الامبريالي . وتطور التعاون الشامل بين الدول الشقيقة يعجل نمو الطاقة الاقتصادية الكامنة والامكانيات المعنوية السياسية ويدعم القابلية الدفاعية للبلدان الاعضاء في معاهدة وارشو كما يشكل ضمانة لنضال الشعوب من اجل السلام والتقدم الاجتماعي . ان اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية الذى انعقد في وارشو في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ناقش المسائل الملحة المتعلقة بتوطيد الامن الاوربي والتخفيف اللاحق لحدة التوتر الدولي . كذلك فقد اعد جملة من التدابير الهامة التي تعتبر قسطا كبيرا في النضال من اجل سلم وطيد ومن اجل امن وتعاون في اوربا والعالم اجمع . ومن هذه التدابير ما يخص ضمان المستقبل الآمن لاوربا وتقليص القوات المسلحة والتسلح في وسط اوربا والتطوير اللاحق للتعاون الدولي المتكافئ وازالة العلاقات غير العادلة التي فرضتها سياســة الامبريالية . ان الصداقة بين البلدان الاعضاء في معاهدة وارشو تقدم للشعوب الاخرى مثالا من طراز جديد على العلاقات بين الدول ، علاقات مجتمع ديمقراطي حقا ، ومثالا على نمط الحياة الاشتراكي .

والى جانب معاهدة وارشو عقدت معاهدات ثنائية بين الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى للصداقـــــة والتعـــــاون والمساعدة المتبادلة في ضمان الامن والدفـــــاع عن النفس دون العدوان الامبريالي المحتمل . كما عقدت البلدان الاشتراكية الاخرى معاهدات الصداقة فيما بينها .

ان تعزيز القدرة الدفاعية لاسرة البلدان الاشتراكية هـــو قضية مشتركة لهذه البلدان . الا ان الامور تكونت تاريخيا على

النحو التالى : وقع العبء الاساسى على كاهل الشعب السوفييتى . وبديهى ان الدفاع يستنزف اموالا غير قليلة ، الا ان المواطنين السوفييت يدركون ضرورة ذلك . ان الاتحاد السوفييتى ، باعتباره اقوى دولة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، يضع قدرته العسكرية فى خدمة الامن الجماعى ، ويقدم مساعدة كبيرة مستمرة للجيوش الشقيقة ويهتم بتعزيز التحالف الكفاحى مع الدول الاشتراكية الاخرى .

وبنتيجة نمو القدرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية للاتحاد السوفييتى وغيره من بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية ظهرت وتوسعت امكانيات الدفاع عن الثورات الديمقراطية العامة والثورات الاشتراكية فى بلدان جديدة ، وقطع دابر تصدير الثورة المضادة الى هذه البلدان . وجاء فى بيان مؤتمر ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية لعام ١٩٦٠ : **«ان الاحزاب الشيوعية المسترشدة بالتعاليم الماركسية-اللينينية كانت دائما وابدا ضد تصدير الثورة. وهى تناضل فى الوقت ذاته ضد تصدير الامبرياليين للثورة المضادة . وهى ترى ان واجبها الاممى هو دعوة شعوب جميع البلدان الى رص الصفوف وتعبئة جميع قواها الداخلية والعمل بنشاط ، ودرء او ردع تدخل الامبرياليين فى شؤون شعب اى بلد يهب للثورة ردعا حازما بالاعتماد على قدرة المنظومة الاشتراكية العالمية »** * .

ان الشعب السوفييتى ادى ويؤدى بكل قدسية واجبه الاممى ازاء الشغيلة الذين يهبون للثورة ضد مضطهديهم من الاجانب ومن ابناء جلدتهم . وقبيل الحرب العالمية الثانية قدم الاتحاد السوفييتى المساعدة لشغيلة اسبانيا والبلدان الاخرى حيث قامت

* الوثائق المنهاجية للنضال فى سبيل السلام والديمقراطية والاشتراكية ، ص ٧٦-٧٧ .

حروب التحرر الوطنى والثورات الديمقراطيـــــة العامة والثورات الاشتراكية . ودافع الاتحاد السوفييتى بحزم عن المكتسبات الثورية للشعب الكوبى ضد التدخل العسكرى الذى كان الامبرياليـــــون الاميركان ينـــــوون اجراءه فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ . واحبطت نوايا الامبرياليين الرامية الى خنق الثورة الكوبية وذلك بنتيجة الموقف الصامد لحكومة كوبا الثورية والتلاحم الكفاحى للشعب الكوبى والمساعدة العسكرية من قبل الاتحاد الســـوفييتى وكذلك الدعم السياسى والمعنوى الجبار الذى ابدتــــه البلــــدان الاشتراكية الاخرى وجميع الشعوب المحبة للسلام . وقدم الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى تأييدا حازمـــا للشعـــب الفيتنامى المناضل ، وخاضت نضالا دؤوبا لوقف العدوان الاميركى على الفيتنام .

ان الدفاع عن الاوطان الاشتراكية حاليـــا يرتبط ارتباطا لا ينفصم بتقديم المساعدة الشاملة الى حركة التحرر الوطنى للشعوب التى تضطهدها الامبريالية ، وكذلك الى الدول الوطنية التى ظهرت نتيجة للتحرر من نير الاستعمار .

وعلى العكس من الدول البرجوازية تبنى الدول الاشتراكية علاقاتها مع البلدان الاخرى على اساس مبادئ التعاون الاقتصادى المتكافئ والمنفعة المتبادلة ،وهى تقدم المساعدة بشروط متساهلة الى البلدان التى تحررت مؤخرا من نير الاستعمار . والدليل على ذلك مساعدة الاتحاد السوفييتى الى الهند فى انشاء مجمعى التعدين ومصانع بناء المكائن ، وكذلك المساعدة السوفييتية الى مصر فى بناء سد اسوان العالى ، ومختلف انواع المساعدة الى الدول الوطنية الفتية فى انشاء وتطوير اقتصادها .

وازداد كثيرا دور البلدان الاشتراكية فى تأمين السلام العالمى . ففى الظروف الراهنة يرتبط أمن الاوطان الاشتراكية اكثر من اى

وقت مضى ارتباطا لا ينفصم بالحفاظ على السلام العالمى . ولذلك تنتهج الدول الاشتراكية سياسة خارجية نشيطة تستهدف تصفية بؤر الصدامات الحربية وقطع دابر اعمال الامبرياليين العدوانية فى اى جزء من المعمورة . ويستخدم الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى قدرتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية لتوطيد السلام والصداقة بين الشعوب . واشار المؤتمر الثالث والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى الى « ان المكتسبات الثورية لشعبنا والشعوب الاخرى من شأنها ان تتعرض للخطر لولا الحماية المباشرة وغير المباشرة من قبل القدرة العسكرية الهائلة لبلدان الاسرة الاشتراكية ، وبالدرجة الاولى الاتحاد السوفييتى . واذا كان الامبرياليون يخشون احيانا العمل كما يحلو لهم فان ذلك يعود الى كونهم يعلمون جيدا مدى المجازفة التى تنجم عن ذلك » * .

وهكذا ، **فالدولة الاشتراكية السوفييتية اذ تذود عن البناء السلمى للاشتراكية والشيوعية وتضمن أمن الاوطان الاشتراكية ، تذود مع البلدان الاشتراكية الاخرى ، عن السلام وأمن الشعوب جميعا .**

وما دام قائما المعسكر الامبريالى العدوانى فان الدولة السوفييتية والبلدان الاشتراكية الاخرى ملزمة بتعزيز قدرتها الدفاعية وتأمين المستوى العالى للاستعداد الحربى لقواتها المسلحة .

ولقد اكد المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ من جديد على ان المنظومة الاشتراكية هى معقل الحركة الثورية العالمية المناهضة للامبريالية ، وان الدفاع عن مكتسبات الاشتراكية هو واجب اممى لشيوعيى البلدان كافة .

---

* مواد المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ، ص ١٧٣ .

٤ ــ دور الحزب الماركسي-اللينيني في الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكي

ان الدفاع عن الوطن الاشتراكي هو قانون عام لبناء الاشتراكية والشيوعية . ويتحقق هذا الدفاع ليس بصورة عفوية ، بل نتيجة للنشاط الواعي الهادف لبناة المجتمع الجديد تحت قيادة الحزب الماركسي-اللينيني . **فالحزب هو ملهم ومنظم الدفاع عن الوطن الاشتراكي .**

قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي للدفاع عن الاشتراكية

يصور اعداء الشيوعية وجميع نقاد النظام الاشتراكي قيادة الحزب لجميع ميادين حياة المجتمع الاشتراكي ونشاطه ، بما في ذلك البناء العسكري والجيش ، وكأنها شذوذ و«تشويه» للاشتراكية ، وكظاهرة سلبية بلا شك ، حسب رأيهم . علما بانهم ينسبون الى سياسة الحزب القائد كل خطايا البشر . الا ان «حجج» هؤلاء النقاد لا تستند الا على مشاعرهم وانفعالاتهم ، وهي تتنافى والعلم والتطبيق التاريخي .

ان القوة القيادية الموجهة في البلدان الاشتراكية قاطبة هي الاحزاب الماركسية-اللينينية التي تؤمن نجاحات تطور الدول والشعوب . وتدل الخبرة التاريخية على ان ازمة خطيرة لهذه الدرجة او تلك تحل حتما في تطور البلد الذي يفقد حزبه ولو لامد قصير اشرافه على العمليات الاجتماعية .

ان السبب في ضرورة القيادة الحزبية للبناء الاشتراكي وللدفاع عن الوطن الاشتراكي يكمن في طبيعة الاشتراكية ، في المتطلبات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية للمجتمع الجديد .

فالاشتراكية ، من الناحية الاقتصادية ، لا تظهر بنفسها ، كما هو الحال فى التشكيلات ذات الملكية الخاصة . انها تبنى بصورة مخططة واعية وبالجهود المنظمة للطبقة العاملة وجماهير الشغيلة المؤيدة لها تحت قيادة الحزب الماركسي-اللينيني . وما ذلك الا اول مجتمع فى التاريخ تتوفر فيه الامكانيات الموضوعية والحاجة الى الادارة الجماعية العامة للعمليات الاجتماعية . ويسرى هنا مفعول سنّة جديدة ، وتكف القوانين الاقتصادية عن السيطرة العمياء على البشر وعن ترك طابع العفوية على التطور الاجتماعى . وتلك مزية عظمى للاشتراكية تلزم افراد المجتمع الاشتراكى بالطموح الى الوعى والتنظيم العاليين والى المساهمة النشيطة فى بناء المجتمع الجديد . وتتميز قوانين الاشتراكية بانها لا تخدم الاشتراكية الا فى حالة ما اذا فهمت هذه القوانين على الوجه الصائب ، وتحققت قيادة المجتمع على اساسها ، ونظم الشغيلة بغية تنفيذ هذه القوانين . ولا يمكن تأمين هذه الشروط الا من قبل القيادة الحزبية وحدها .

ويتميز النظام السياسى للمجتمع الاشتراكى بكون الحزب فيه هو اعلى شكل للتنظيم الطبقى للبروليتاريا ، ثم للشعب بأسره (مع انتصار الاشتراكية انتصارا تاما ونهائيا) . وهذا الامر يستجيب لطبيعة الطبقة العاملة ومصالحها واهدافها الجذرية . وليس غير الحزب بقادر على قيادة البروليتاريا سياسيا ، وعن طريق البروليتاريا قيادة جماهير الشغيلة قاطبة . فبدون ذلك لا يمكن تحقيق دكتاتورية البروليتاريا .

وفى الوقت الحاضر يشكك بضرورة سلطة الطبقة العاملة والدور القيادى للحزب بالنسبة لبناء الاشتراكية ليس فقط خصوم الاشتراكية السافرون ، بل وبعض «الماركسيين» الحائرين الضالين . فهم منهمكون فى البحث عن «موديلات» تأملية مجردة للاشتراكية ليس فيها مكان لسلطة الطبقة العاملة ولا لدور الحزب

القيادى . ولكن من الاجدر بهم والاكثر نفعا لهم ان يتذكروا بانه لم تبن ولم تكن قد بنيت الاشتراكية فى اى بلد بدون سلطة الطبقة العاملة والدور القيادى للحزب الشيوعى . وعندها يتضح لهم عبث محاولات تحريف هذه الموضوعة التى هى حجر الزاوية فى الماركسية .

ان المتطلبات الايديولوجية للمجتمع الجديد تتلخص فى تذليل سيطرة الايديولوجية البرجوازية وايديولوجية البرجوازية الصغيرة ، وغرس الافكار الشيوعية فى اذهان الجماهير ، والتوصل ، على هذا الاساس ، الى تلاحم الشغيلة وتحقيق نشاطهم العملى والسياسى الراقى . وتأمين هذا الامر منوط بالحزب الذى لا يتسامح مع التذبذب الايديولوجى ، والتشويهات الفكرية ، والسلبية السياسية ، والتساهل ازاء القوى المعادية للاشتراكية ، والتشتت التنظيمى للشغيلة .

ويضع الحزب الخط السياسى وستراتيجية النضال وتاكتيكه ، وينور الجماهير سياسيا ويزيد وعيهم الطبقى ، ويحدد اهداف النضال ، وينظم الشغيلة ويرص صفوفهم . ولا تستطيع الطبقة العاملة ، الا بقيادة حزبها ، ان تؤدى رسالتها التاريخية ، رسالة التحويل الثورى للمجتمع الاستغلالى الى مجتمع اشتراكى . وكان لينين على كل حق عندما اكد ان الثورة البروليتارية تبرز «الموهبة التنظيمية الجماعية التى لا تستطيع بدونها جيوش البروليتاريين بملايينها العديدة ان تحقق انتصارها» * .

واذا استرشدنا بالعلم الحق وراعينا الخبرة التاريخية فينبغى ان نعترف بان قيادة الحزب الشيوعى للجماهير الثورية المناضلة فى سبيل الثورة الاشتراكية ، والقيادة الحزبية لكافة جوانب حياة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٧٩ .

المجتمع الاشتراكى هى فى العصر الحاضر ضرورة تاريخية ، وهى ارادة العصر النابعة من المتطلبات الموضوعية للتقدم الاجتماعى .

وليس لدى الحزب الشيوعى مصالح اخرى غير مصالح الشعب العامل ، والحزب يخدم هذه المصالح بثبات وحتى النهاية . اما الشعب فهو ، بدوره ، يولى حزبه ثقة لامتناهية ويلتف حوله ويعمل حسب توجيهاته .

ان الدفاع عن الوطن الاشتراكى وتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد والبناء العسكرى ، وكل ما يتعلق بتنظيم الجماهير لصد هجوم الاعداء المسلح يشكل مسائل جذرية فى سياسة الدولة الاشتراكية . وليس غير الحزب من هو قادر على استخدام امكانيات المجتمع الاشتراكى وقوى الشعب باكمل شكل لصالح أمن الاشتراكية ولتحقيق النصر على الاعداء .

ان حكمة الحزب الجماعية والمراعاة الشاملة للظروف الداخلية والقوى الطبقية العالمية والحلول الصائبة كليا تؤمن الدفاع المضمون عن البلاد وعن الاسرة الاشتراكية جمعاء ، وتوجه بناء الجيش واستخدامه لصالح سياسة الدولة الاشتراكية . وفى معرض تحليل انتصار الجمهورية السوفييتية الفتية المخربة حتى النهاية والغارقة فى البؤس والمجاعة والتى ظهرت الى الوجود توا دون ان تمتلك سلاحا يؤبه به اطلق لينين ، المفكر الواقعى العظيم ، نعت المعجزة على مأثرة الشعب والجيش الثوريين ، مأثرة الحزب هذه . وكتب لينين يقول : «وبفضل كون الحزب متيقظا ، وكونه على اشد درجة من الانضباط ، ولان سمعة الحزب كانت توحد جميع الدوائر والمؤسسات ، وتلبية للشعار الذى رفعته اللجنة المركزية سارت كرجل واحد العشرات والمئات والآلاف بل والملايين فى آخر المطاف ، ولان الضحايا التى لم يسبقها مثيل قد وقعت ــ بسبب من ذلك وحده امكن للمعجزة التى حدثت ان

تحدث . ولذلك فقط ، وبالرغم من حملة امبرياليي الوفاق وامبرياليي العالم بأسره الاولى ثم حملتهم الثانية والثالثة والرابعة ، استطعنا ان ننتصر » * .

وبعد صد هجوم الامبرياليين الاول فى الحرب الاهلية كان الحزب الشيوعى السوفييتى الذى تزعم شعبه وجيشه قد ذلل فى سنوات البناء الاشتراكى السلمى صعوبات هائلة وفضح دسائس الاعداء الكثيرين ، وضاعف قوى البلاد وعزز قدرتها الدفاعية وجيشها واسطولها .

وبقيادة الحزب الشيوعى السوفييتى خرج الشعب السوفييتى وقواته المسلحة بكل عزة وكرامة من اقسى محنة ، هى الحرب العالمية الثانية . ولم يشهد التاريخ مثالا واحدا بدأت فيه الحرب على هذا النحو غير الملائم ابدا ، ومن ثم جرى الانعطاف فيها بتلك المهارة التى حقق فيها النصر العظيم جيش توجهه يد حكيمة وقوية ، هى يد ملهمه ومنظمه الحزب اللينينى . وتلك حقيقة يعترف بها الجميع ، وهى تتميز باهمية تاريخية عالمية .

ولم يكتف الحزب الشيوعى السوفييتى بتعبئة جميع القوى المادية والروحية فى البلاد لدحر العدو ، بل اصبح التنظيم العسكرى لاول دولة اشتراكية فى العالم تحت قيادته افضل تنظيم صمد فى وجه خصوم السلطة السوفييتية العديدين .

وبينت الخبرة القيمة للبلدان الاشتراكية الاخرى كذلك ان البناء العسكرى للدولة الاشتراكية تؤمنه القيادة المباشرة من قبل الحزب الشيوعى .

ان مزايا النظام الاجتماعى والحكومى الاشتراكى التى لا شك فيها بالمقارنة مع النظام الرأسمالى تهيئ الامكانيات الملائمة للحزب الشيوعى ، كقوة اجتماعية قيادية ، لأجل تنظيم البناء السلمى

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٢٤٠ .

والدفاع عن الوطن الاشتراكي دون الاعداء المسلحين . ويتطلب استخدام هذه الامكانيات قيادة حكيمة فعالة لملايين الشغيلة ، وافضل توجيه مبرر علميا للعمليات الاجتماعية المعقدة .

ويمتلك الحزب الشيوعي النظرية الماركسية-اللينينية وهو على علم بقوانين التطور الاجتماعي والحرب والشؤون العسكرية . ان النظرية العلمية هي المنار الذي ينير امام الحزب طريق النضال والانتصارات العظيمة ، وهي تساعد على تحديد الخط السياسي الصائب والتوصل الى تطبيقه . وفي معرض تحليل سياسة البلاشفة الروس اشار لينين الى ان قوتهم تكمن في الوضوح التام في المراعاة الواعية لكافة القوى الطبقية الموجودة بما فيها الروسية والعالمية ، وفيما ينبع من ذلك من حماسة كبيرة وصلابة وعزم وتفان في النضال .

ولا يمكن وضع سياسة صائبة على العموم ، وسياسة عسكرية على الخصوص ، بدون معرفة قوانين التطور الاجتماعي والحرب ، وبدون رؤية اتجاهات تغير الاحداث . وهذا بالذات ما يتسم به سلوك الطبقات الرجعية واحزابها التي عفى عليها الزمن . اما حزب الشيوعيين فيمتلك تعاليم الماركسية-اللينينية المظفرة والتي هي بمثابة البوصلة النظرية الامينة . فان حساباته على نطاق واسع تبدو دوما اعمق واصوب من حسابات احزاب وساسة البرجوازية .

ان الحزب الشيوعي لا يكتفي بمعرفة قوانين التطور الاجتماعي والحرب ، بل يعتمد عليها بمهارة في نشاطه ويحل المسائل حسب مقتضيات هذه القوانين . ان هذا الزعيم او ذاك لحزب برجوازي ما يمكن ان يعرف قوانين التطور الاجتماعي ايضا . ولكنه لا

يستطيع ، لا هو ولا حزبه ، ان يعمل بثبات طبقا لقوانين التاريخ الموضوعية ، وذلك لانه يمثل مصالح طبقة رجعية . اما الحزب الشيوعى فهو ، على العكس ، اذ يطبق النهج الاشتراكى للنضال ويذود بحزم عن مصالح الشغيلة يعمل ليس خلافا للضرورة التاريخية ، بل طبقا لها . ولذلك فالحزب الشيوعى ، كقائد سياسى وفكرى للقوى الاجتماعية الطليعية ، يضطلع بدور المحرك العظيم للتاريخ .

ويحظى الحزب بثقة وتأييد لا حد لهما من قبل الشغيلة فى تنفيذ سياسته . وان الارتباط الوثيق بين الحزب والجماهير تحدده صلة القربى بين الحزب والشعب ، ويتكون على اساس الدفاع الحازم الثابت عن مصالح الشعب الحيوية ، وبنتيجة العمل التربوى المنتظم بين الشغيلة والتوضيح العميق لسياسة الحزب . وبسبب من ذلك تصبح سياسة الحزب الشيوعى برنامجا لاعمال جماهير الشغيلة ، كما تتحول افكاره الثورية ، بعد ان تستولى على ألباب الجماهير ، الى قوة مادية عظيمة .

ويعرض الحزب الشيوعى ، فى تطبيق سياسة التحويلات الثورية والدفاع عن البلاد دون هجمات الامبرياليين الحربية ، صلابة استثنائية وصمودا حديديا وبسالة فائقة فى النضال . ويذلل الحزب باصرار صعوبات البناء والدفاع المسلح عن المجتمع الجديد ، ويناضل بحزم من اجل وحدة صفوفه ، ويضاعف قواه دوما . ويكمن فى التلاحم الفكرى والتنظيمى الراسخ اهم مصدر لقوة الحزب التى لا تقهر وضمانة الحل الناجح لاعظم مهمات البناء الشيوعى .

ويطور الحزب ببسالة فى صفوفه الانتقاد والانتقاد الذاتى لهفوات ونواقص العمل ، ولا يخشى الكشف عنها ويتخذ الاجراءات الحازمة لتلافى الاخطاء .

الاتجاهات الاساسية
لقيادة الحزب للدفاع عن الوطن الاشتراكى

تتجلى قيادة الحزب الماركسي-اللينيني للدفـــاع عن الوطن الاشتراكى قبل كل شيء فى **ان الحزب يضع السياسة العسكريـــة للدولة ، وهى السياسة التى ينطلق منها نشـــاط الشعب والجيش الرامى الى ضمان امن البلاد** . واستنادا الى ذلك يخطط ويتحقـــق انتاج السلاح واعداد الكوادر العسكرية والدراسات العلمية فى الميدان العسكرى ، واجراءات التعبئة ، وتشكل الاحلاف الدفاعية وتجرى ممارسة العمل الدبلوماسي وهلمجرا .

ويضع الحزب المذهب العسكرى للدولة الذى تحدد فيــــه الاتجاهات الاساسية لتطور الشؤون العسكرية عموما والمبادىء الاساسية للبناء العسكرى خصوصا بالاستناد الى تقييم طابع الحرب الحديثة ومتطلباتها والامكانيات السياسية والاقتصادية والعسكريـة والعلمية-التكنيكية للبلاد وللعدو المحتمل . ويعبر المذهب عـــن الاسس السياسية الرئيسية التى تسترشد الدولة بها فى عملهـــا الدفاعي ، ويسترشد بها الجيش فى البناء العسكرى وفى القتال .

ويحدد الحزب اتجـــاه ومضمـــون العمل الايديولوجى بين السكان وافراد الجيش ، مما يؤمن التربية السياسية والوطنيـــة والامميـــة للشعب والمحاربين ، والتحضير الفكرى-السيكولوجى للمواطنين فى حالة وقوع محنة حربيـــة . ويحافظ الحزب على المستوى العالى للمعنويات فى البلاد وفى صفوف القوات المسلحة وينمى السجايا الخلقية والكفاحية لدى المحاربين .

ومن اكبر مهام الحزب اعداد وتربية الكوادر العسكريـــة وتوزيعها توزيعا صائبا ، فهى القوة التنظيمية الاساسية فى القوات المسلحة . وبمساعدة هذه الكوادر تتهيأ للحزب امكانية توجيه حياة جميع وحدات القوات ونشاطها الكفاحى يوميا ومن كافة الوجوه .

وعن طريق اللجنة المركزية يوجــه الحزب العمل الحزبى السياسى فى القوات المسلحة ويوجه ويراقب نشاط الهيئـــات المركزية القيادية فى الجيش والاسطول ، ويحرص على ان تطبق هذه الهيئات ، بثبات وفاعلية ، توجيهـــات الحزب فى البنــــاء العسكرى . ويضطلع الحزب بدور منظم جميع الفعاليات الحيوية فى ميدان الدفاع عن البلاد والبناء العسكرى ويعبئ الشغيلـــــة والمحاربين لتطبيق سياسته العسكرية عمليا .

ولا يمكن رص صفوف جماهير الشعب الواسعة وتنظيمهـــا وتوجيهها نحو حل المهمات الاجتماعية بدون الافكار اللازمة وبدون خلق الدوافع الضرورية لدى الجماهير وبدون العمل الايديولوجى . الا ان الافكار بذاتها لا تغير شيئا فى النشاط الاجتماعى . فقد قال ماركس ان الافكار تصبح قوة مادية وتكتسب قوة ماديــة قادرة على تغيير العالم عندما تعمل الطبقات والشعوب مسترشدة بهذه الافكار . ولا يمكن للفكرة ان ترتدى شكلا ماديـــا الا فى التطبيق البشرى .

غير ان التطبيق البشرى ، وافعال الجماهير الشعبية الواسعة تتطلب تنظيما . اذن ، فلكى يكون نشاط الحزب فى قيادة الجماهير ناجحـــا يجب ان يوفق هذا النشـــاط بين العمل الايديولوجى والتنظيمى وان ينطوى عليهما معا .

ان المرحلة الراهنة من التطور التاريخى تتميز باشتـــداد الصراع الايديولوجى لدرجة كبيرة بين الرأسمالية والاشتراكية . وتمارس الامبريالية العالمية على نطاق متزايـــد العمل السياسى والايديولوجى التخريبى ضد الدول الاشتراكية والحركة الشيوعية والحركة الديمقراطية ككل . وفى هذه الظروف يكتسب اهميـــة خاصة النضال بلا هوادة ضد ايديولوجية العدو والفضـــح الحازم لدسائس الامبريالية ، وتربية اعضاء الحزب الشيوعى السوفييتى

وجميع الشغيلة بالروح الشيوعيـــة وتقوية مجمل النشـــاط الايديولوجى للحزب .

ان العمل الايديولوجى للحزب هو الوسيلة الحاسمة لتقوية معنويات الشعب والجيش فى الدولة الاشتراكية باطراد . ان الحزب اذ يغرس الافكار الاشتراكية فى اذهان الناس يبعث لديهم مشاعر الحب العميق للوطن والصمـــود والحزم والبسالـــة فى النضال والاستعداد للتضحية بالنفس فى سبيل الانتصار على الاعداء ، ويبعث البطولة الشاملة لدى الجنود والضباط والارادة الصامدة فى الانتصار على اى معتد .

عندما تضطر الدولة الاشتراكيـــة على خوض الحرب يبين الحزب الشيوعى للشعب مدى الخطر المخيم على الوطن ويفضح المآرب القرصنية التى يتوخاها المعتدون الامبرياليون ويرسخ فى اذهان المواطنين ادراك الطابع العادل لحرب البلد الاشتراكى ويذكى المشاعر الوطنية والاعتزاز القومى والعسكرى ويخلق الثقة بالنصر النهائى على الاعداء .

ان المعنويات العالية لشعب وجيش الدولة الاشتراكية هى ميزتهما الرئيسية على الامبرياليين . ولكى تتحول القوة المعنوية الى قوة مادية تحقق النصر يجب ان تتبلور فى الانجازات العملية وفى حماسة الشعب فى ميدان العمل وفى العمليات الحربية المنظمة الحازمة للقوات المسلحة فى سوح القتال وفى امتلاك ناصية المهارة العسكرية الممتازة بكل اصرار فى زمن السلم .

وقال لينين بخصوص الاشكال السياسية للنضال «ان قوتنا المعنوية لن تتحول الى قوة ماديـــة الا بشرط توفر التنظيم الرائع» * . ويؤمن الحزب هذا التنظيم الرائع بقيادته . فهو يحشد

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٩ ، ص ٢٤٦ .

بعمله التنظيمى النشيط قوى الشعب والجيش المادية والمعنوية لحل المهام التى تؤمن النصر فى الحرب . وان الوعى العالى والحماس الكفاحى لدى ابناء الشعب والمحاربين ومشاعرهم الوطنيـــــة وارادتهم فى النصر تتحول بفضل تطويرها من قبل الحزب ، الى عمليات منظمة حازمة للقوات المسلحة وبطولات فى عمل المؤخرة .

ويضع الحزب على اساس علمى برنامـــج عمل الهيئات الحكومية والحزبية والمنظمات الاجتماعية والشعب بأسره . وهو يرسم طرق تكييف الاقتصاد الوطنى وكامل حياة البلاد لمتطلبات الحرب فيعبئ الشغيلة لردع العدو ، ثم انه يمارس القيـــادة المباشرة للقتال فى الجبهات وقيادة حركة الانصار ، كما يمارس عملا ايديولوجيا هائلا ويهتم بانماء الشحنة السياسية المعنوية ابان الحرب فيحولها الى قوة مادية .

انها لكبيرة الدلالة خبرة الحرب الوطنية العظمى فى ١٩٤١ـ ١٩٤٥ . كانت هذه الحرب اكثر صعوبة وارهاقا من اية حرب اخرى خاضها الوطن السوفييتى . وكان الشعب قد ابتلى بمحـــن عسيرة للغاية فى بداية الحرب على الخصوص . فجيش الهتلريين واتباعهم الهائل والمعبأ مسبقا والمشبع بسم الشوفينية والعنصرية قد تغلغل بعيدا داخل حدود الاتحاد السوفييتى .

لقد افاد الهتلريون من بعض المزايا الموقتة لديهم ، مثل عسكرة الاقتصاد والحياة بكاملها فى المانيا ، والتحضير الطويل الامد للحرب الاغتصابية وخبرة العمليات الحربية فى الغرب ، والتفوق فى تسليح القوات وتعدادها ، وتحشيدها مسبقا فى مناطق الحدود . ووضع الهتلريون يدهم على الموارد الاقتصادية والعسكرية فى اوربا الغربية كلها تقريبا .

ولعبت دورا معينا الهفوات فى تقدير الموعد المحتمل لهجوم المانيا الهتلرية على الاتحاد السوفييتى ، وما يتعلق بذلك مـــن

اخطاء فى التحضير وفى صد الضربات الاولى . كما ظهر الاثر السلبى لنقص خبرة خوض العمليات الكبرى لدى المحاربين السوفييت آنذاك فى ظروف الحرب الحديثة . الا ان المرحلة الاولى من الحرب بينت ان مغامرة الهتلريين الحربية هذه محكوم عليها بالفشل .

لقد هب الشعب السوفييتى بأسره للدفاع عن الوطن . ولبت الطبقة العاملة والكولخوزيون والمثقفون السوفييت بكل حماس شعار الحزب : «كل شىء من اجل الجبهة ، كل شىء من أجل النصر !» . وتزعم الحزب الشيوعى السوفييتى نضال الشعب باكمله ضد الغزاة الالمان الفاشست .

ان الايمان بالمثل العليا للشيوعية وبصواب سياسة وقيادة الحزب وتفانى الشيوعيين فى النضال من اجل القضية العادلة ومن اجل حرية وسعادة الشعب العامل ــ كل ذلك أمن الوحدة الصلدة ، وحدة الحزب والشعب فى مقارعة الاعداء . وكانت تلك الوحدة هى التلاحم الرائع الذى صمد لكل محن الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

كان الشيوعيون فى خضم الدفاع عن الوطن السوفييتى . وبمآثرهم البطولية فى الجبهة والمؤخرة اصبحوا قدوة تهيب بجميع المواطنين السوفييت لدحر الغزاة الالمان الفاشست . واصبحت البطولة ظاهرة شاملة وشعبية حقا وواعية تماما .

ان بطولة الانسان الحقة تنبع من الشعور العالى بالمسؤولية ازاء شعبه ووطنه .

وفى معرض تعميم خبرة كفاح الجمهورية السوفييتية البطولى ضد الثورة المعاكسة استنتج لينين انه «لن يقهر ابدا شعب ادرك السواد الاعظم من عماله وفلاحيه واحسوا وابصروا بانهم يذودون عن سلطتهم السوفييتية ــ سلطة الشغيلة ، وبانهم يذودون عن قضية يؤمن النصر فيها لهم ولاولادهم امكانية التمتع بكافة خيرات

الحضارة وبكل منجزات العمل البشرى» * . وقد تأكد صواب كلمات لينين هذه خصوصا ابان حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى فى ١٩٤١_١٩٤٥ .

ولقد ابدى الحزب والشعب عناية خاصة بالقوات المسلحة التى كانت تواجه اصعب مهمة ، وكان عليها ان توقف زحف القوات الالمانية الفاشية وتحقق استقرار الجبهة وتستنزف قوى العدو فى المعارك الدفاعية ، ومن ثم ، وبعد استجماع القوى ، تشن هجوما حازما على الغزاة فتدحرهم .

ومارس الحزب والحكومة عملا هائلا لزيادة القدرة القتالية للجيش والاسطول . والى جانب تحسين المران القتـــالى وتجهيز القوات المسلحة بكل ما تحتاج اليه لاجل خوض العمليات الحربية الناجحة تمت تعبئـــة المكلفين بالخدمة العسكرية فى آمـــــاد قصيرة .

واتخذ الحزب الشيوعى جملة اجراءات هامة ادت الى زيادة الوعى السياسى للمحاربين وجعلتهم اكثر انضباطـــا وصمودا فى القتال ، وحسنت قيادة ضباط القوات المسلحة . ووجه الحزب افضل كوادره الى الجيش . وتوجه حوالى ثلث اعضاء اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والمرشحين لعضويتها وكثير مـــن سكرتيرى اللجـــان المركزية للاحزاب الشيوعيــــة فى الجمهوريات السوفييتية ولجان الاقاليم والمقاطعات الى الجبهـــة بصفتهم اعضاء فى المجالس الحربية للجبهات والجيوش . وبقرار من اللجنة المركزية اجريت عدة تعبئات واسعة النطاق للشيوعيين واعضاء اتحاد الشبيبة الشيوعى (الكومسومول) والحاقهم بصفوف الجيش .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٣١٥ .

واحبطت خطة «الحرب الخاطفة» ضـــد الاتحاد السوفييتى بفضل الجهود البطولية التى بذلها الشعب والجيش بقيادة الحزب الشيوعى . وتمت تهيئة الظروف اللازمة لانتقال الجيش السوفييتى الى الهجوم المضاد الحازم . وحقق الشعب السوفييتى انعطافا جذريا فى القتال المسلح وفى عمل المؤخرة . وشنت القوات المسلحـــة عمليات هجومية كبرى قرب موسكو وستالينغراد وكورسك وعند الدنيبر وفى الاماكن الاخرى . ومن ثم نقلت القوات المسلحـــة السوفييتية عملياتها الحربية الى اراضى المانيا الهتلرية حيـــث انجزت دحر القوات النازية نهائيا .

وابدى المحاربون السوفييت فى المعارك ضد الغزاة الالمان الفاشست والعسكريين اليابانيين مزاياهم السياسية والكفاحيـــة والمعنوية الرائعة التى تجسدت على اكمل وجه فى بطولة اعداد كبيرة جدا من الجنود وضبـــاط الصف والضباط والجنرالات . وتقديرا للبسالة والشجاعة فى مقارعة العدو منح حوالى ١٣ مليون محارب الاوسمة والميداليات السامية . وكانت البسالة والبطولة من سجايا المحاربين من ابناء جميع قوميات الوطن السوفييتى .

وفى سياق الحرب عملت الكوادر العسكرية السوفييتية بكل دأب على رفع مهارتها الحربية واستكمـــــال اساليب واشكال القتال المسلح . وهيأ الحزب الشيوعى السوفييتى الظروف اللازمة لتطوير الفن العسكرى وابداء المواهب القياديـــــة لدى القادة العسكريين . وربـــى الحزب كوادر غفيرة من القادة العسكريين والمسؤولين الحزبيين من مختلف المراتب والدرجات والذين تجلت قابلياتهم الثرة وصلابتهم الفكرية وقدرتهم على قيادة القوات مهما كانت الظروف .

كما تجلت بطولة المواطنين السوفييت على نطاق واسع فى حركة الانصار الجبارة التى قامت فى المناطق المحتلة . وتم تأمين

الانتصار فى مكافحة العدو لانه امكن منذ البداية تشكيل منظمات حزبية سرية شديدة البأس التفت حولها جماهير المناضلين النشطاء واخذت على عاتقها قيادة حركة الانصار الواسعة .

لقد قاد الحزب البلاد الى النصر لانه استخدم على اكمل وجه امكانيات النظام الاشتراكى واستنهض الشعب والجيش للحرب المقدسة وصب كافة قوى المجتمع السوفييتى فى تيار هدار واحد وجهه لدحر العدو .

الاهمية العالمية لخبرة الحزب الشيوعى السوفييتى فى الدفاع عن الوطن الاشتراكى

اصبحت خبرة الحزب الشيوعى السوفييتى التاريخية فى تنظيم الدفاع عن الوطن الاشتراكى واحراز النصر فى الحرب فى متناول جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية التى تستخدم هذه الخبرة مع مراعاة التوزيع الجديد للقوى الاجتماعية ـ السياسية والعسكرية ـ السياسية على الصعيد الدولى ، وكذلك تبعا للوضع الملموس فى البلدان على انفراد ، ولعلاقاتها مع الدول الاخرى وهلمجرا .

وتأخذ الاحزاب الشيوعية والعمالية بعين الاعتبار اولا ، ان افضل المقدمات الملائمة لبناء الاشتراكية والشيوعية فى بلدان الثورة الاشتراكية المظفرة ولتطوير العملية الثورية العالمية تتكون وتتهيأ فى ظروف السلام . ولذلك فهى تعتقد ان اكبر مهمة هى النضال فى سبيل توطيد السلام ودرء الحرب العالمية الجديدة واستثناء الحروب من حياة المجتمع قبل انتصار الاشتراكية فى المعمورة قاطبة . وتناضل الاحزاب الماركسية ـ اللينينية بلا كلل

فى سبيل تحقيق المبادئ الجديــــدة للعلاقات بين الشعوب والبلدان ، الا وهى مبادئ التكافؤ والسيادة وعدم التدخـــل فى الشؤون الداخلية ومبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

ثانيا ، ان النضال فى سبيل السلام ليس ضمانة لأمـــن الاشتراكية ، وهو لا يخلص اسرة الدول الاشتراكية من ضرورة تعزيز دفاعها . **ان ديالكتيك التطور العالمى الراهن يؤكد بانــه لا يمكن الحفاظ على السلام بدون مواجهة القوة العسكريـــة للامبريالية بقدرة عسكرية اكثر تفوقا لدى المنظومة الاشتراكية .** ان قوى السلام والاشتراكية تواجه خصما ليست اعتبارات النزعة الانسانية والاخلاق والقانون الدولى وحق الشعوب الطبيعى بالتطور المستقل بالنسبة اليه غير ستار واه يغطى به عري مطامعـــه العدوانية . والدليل الساطع على ذلك هو العدوان الاميركى على الشعـــب الفيتنامى . فالامبريالية لم تتخـــل ابدا ولن تتخلى عن الكفاح المسلح ضد الاشتراكية والحركات التحررية للشعوب ، بل هى ، على العكس ، توسع قواتها العسكرية دوما وبسرعـــة متزايدة لهذا الغرض .

ولدى الامبريالية قوة عسكريـــة كبيرة ، وهى مستعدة للالقاء بها على كفة ميزان التاريخ فى اول فرصة سانحة . والحال انه يستحيل قهر المقاومة الحربية الا بالوسائل الحربية . ولذا ينبغى على الثورة ان تجيد الدفاع عن نفسها . فهذا امر تتطلبه قوانين الصراع الطبقى . وما دامت الامبريالية المسلحة قائمة ، وما دام قائما خطر الحرب النابع من وجودها ، لا يبقى للحزب غير مخرج واحد ، هو تعزيز القدرة الدفاعية للدولة والمنظومة الاشتراكية بأسرها ، وابقاؤها فى مستوى يؤمن كليا دحر العدو الذى يمكن ان يتجرأ على مهاجمة البلدان الاشتراكية .

وتدل الخبرة التاريخية على ان نمو القدرة العسكرية للدولة الاستغلالية يقترن حتما بتزايد عدوانيتها ، فى حين ان نمو القدرة العسكرية للاشتراكية يضطلع بدور اجتماعى مغاير لذلك تماما ويصبح سندا للسلام ويتحول الى قوة اممية لمكافحة العدوان والى سد منيع يحول دون الامبرياليين ودون اشعالهم لنيران الحروب.

ولذلك توجه الاحزاب الشيوعية جهود الشعوب نحو تعزيز دفاع دولها وزيادة القدرات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية والمعنوية والسياسية والعسكرية . وتتخذ هذه الاحزاب الاجراءات الرامية الى جعل تسليح الجيوش يتناسب والمستوى الحديث ، وتحسن هذه الاحزاب مبادئ البناء العسكرى والاعداد الحربى والسياسى للقوات ، وتعمل على تطوير العلوم العسكرية وتزيد من الاستعداد الحربى للقوات المسلحة .

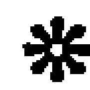
ثالثا ، اصبح الدفاع عن الاشتراكية حاليا قضية اممية مباشرة . فهو يؤمن بالجهود الدفاعية لجميع الدول الاشتراكية وبالتراص الكفاحى لجيوشها . وتعزز الاحزاب الشيوعية الوحدة السياسية والعسكرية للبلدان الاشتراكية ، الامر الذى يتجسد فى السياسة الخارجية المتفق عليها ، وفى تنسيق الخطط الاقتصادية وتطوير الجهود الدفاعية للدول ، وفى تربية الشعوب وجيوشها بروح الاممية الاشتراكية والمساعدة الاخوية المتبادلة . وتبدى الاحزاب الشيوعية اهتماما كبيرا بترسيخ التراص الكفاحى للجيوش وتبادل خبرة البناء العسكرى وتدريب المحاربين وتربيتهم واعداد الكوادر العسكرية وتطوير العلوم العسكرية .

وتتطلب مصالح الدفاع عن الاشتراكية وتطوير العملية الثورية العالمية تلاحم الحركة الشيوعية العالمية وتعزيز وحدة الدول الاشتراكية وقدرتها الدفاعية ودحر المنشقين والمرتدين عن الاشتراكية فكريا وعزلهم بصورة نهائية . ان الاحزاب الماركسية

اللينينية تناضل بدأب من اجل تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية والبلدان الاشتراكية . **ففي زيادة القدرة الاقتصادية للمنظومة الاشتراكية على الدوام ، وفي وحدة القوى الاشتراكية ، وفي زيادة يقظتها ازاء دسائس الاعداء ضمانة السلامة والانتصارات القادمة على الامبريالية .**

رابعا ، ان الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية تعتمد ، في ظروف صد الهجمات الحربية الامبريالية مباشرة ، على اغنى خبرة لدى الحزب الشيوعي السوفييتي لتحويل البلاد الى معسكر مقاتل موحد . وفي مثل هذه الظروف توجه هذه الاحزاب الجهود الى اعادة بناء الاقتصاد وكامل حياة البلاد حسب متطلبات الحرب ، وتجعل الجماهير مدركة لمدى جسامة الخطر الذي يتهدد الوطن الاشتراكي وتعمل على رفع معنويات الشعب وهو يذود عن استقلاله وعن طراز الحياة الاشتراكي .

خامسا ، تدرس الاحزاب الماركسية-اللينينية باهتمام وبتعمق خبرة العمليات الحربية في «الحروب الصغرى» التي يشنها الامبرياليون ، وتعمم هذه الخبرة وتستخلص منها الاستنتاجات اللازمة لتعزيز الدفاع عن بلدانها ولزيادة القدرة القتالية والاستعداد الحربي لدى القوات المسلحة . وتعلمنا هذه الخبرة انه يجب علينا الآن اكثر من اي وقت مضى ان نكون على اهبة الاستعداد وان نكون قادرين على صد اي عدوان .



الفصل الرابع

القوات المسلحة فى البلدان الرأسمالية . خصائص جيوش الدول الوطنية الفتية

يرتبط تحليل علم الاجتماع للحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية-سياسية ارتباطا عضويا بتبيان الطبيعة الاجتماعية للجيش ووظيفته السياسية . ان الجيش * هو الاداة الرئيسية للحرب ، وهو تنظيم خاص للدولة او للطبقة المضطهدة المناضلة فى سبيل السلطة ، او هو القوة المسلحة لشعب مضطهد انتفض على المستعمرين الاجانب . والجيش مخصص لتنفيذ سياسة هذه الطبقة او تلك بوسائل العنف المسلح . وهو ، برأى انجلس ،

---

* لكلمة «الجيش» عدة معان : اولا ، مجموع اصناف القوات المسلحة ؛ ثانيا ، الجيش البرى تفريقا بينه وبين اصناف القوات المسلحة الاخرى مثل الاسطول البحرى والقوات الجوية ؛ ثالثا ، التشكيلة السوقية التى تضم الفيالق والفرق وغيرها من الوحدات والقطعات . وفى هذا الكتاب استخدمنا كلمة «الجيش» بمعناها الاول ، ما عدا الحالات التى يشار فيها الى المعنيين الآخرين خصيصا .

«اتحاد منظم لاناس مسلحين ، تنفق عليه الدولـــة بغية الحرب الهجومية او الدفاعية » * .

ان الطبيعة الاجتماعية للجيش تحددها الطبيعة الطبقيـــة للدولة التى يعتبر الجيش اهم جهاز فيها . ومن العبث الكلام عن رسالة الجيش ووظائفه ومهماته عموما ، بدون مراعاة جوهره الطبقى-السياسى .

١ ــ الطبيعة الاجتماعية لجيوش الدول الاستغلالية ووظيفتها

ان الجيش هو اهم عنصر فى البناء الفوقى السياسى المستند على علاقات الانتاج المعينة والمتكونة تاريخيا والتى تشكـــل الاساس الاجتماعى الموضوعى ، اى البناء التحتى الاقتصادى ، للمجتمع .

ان القوات المسلحة للدولة الاستغلالية هى عبارة عن « نسخة عسكرية طبق الاصل » من البنيـــة الاجتماعية-الاقتصادية التى تولدها ، وللنظام السياسى للمجتمع المعنى . ويحدد طابع النظام الاجتماعى والحكومى وظيفة القوات المسلحة ومبادئ بنائهـــا وتدريبها وتربيتها .

وبغية ايضاح الوظيفة السياسية لجيش المجتمع الاستغلالى يجدر بنا ان نتذكر العملية التاريخية لظهور الدولة وتشكـــل الفصائل الخاصة من الاشخاص المسلحين والمكلفة بتنفيذ وظائف هذا المجتمع الداخلية والخارجية .

---

* انجلس . المؤلفات العسكرية المختارة ، موسكو ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٥ .

اصل الجيش وجوهره الطبقي

ظهر الجيش على نفس الاساس الاجتماعي التاريخي الذي ولد الحرب . فان تاريخ الحرب والدولة والجيش يقترن عضويا بعملية قيام المجتمع التناحري وتطوره . لم يكن المجتمع القبلي ما قبل الطبقي ليعرف الظلم الاجتماعي والعلاقات السياسية بين الناس . ولم يكن الجيش موجودا كتنظيم عسكري خاص في النظام المشاعي البدائي . ففي ذلك الزمان كانت القوة «المسلحة» ، برأي انجلس ، هي عبارة عن تنظيم «ذاتي الفعل» لمجموع السكان الراشدين بغية الاستيلاء على ظروف المعيشة الطبيعية وحمايتها . ولم يكن باستطاعة مثل هذا التنظيم ان يصبح لا وسيلة للاضطهاد داخل الفخذ او القبيلة ولا اداة لاستعباد القبائل الاخرى .

ومع تحلل النظام المشاعي البدائي وادارته الذاتية القبلية يبدأ تحلل تنظيمه «القتالي» . فالى جانب القبيلة المسلحة تظهر مفارز كبار الاثرياء وممثلي وجهاء القبيلة ، وهي المفارز التي تشكل نواة القوات الدائمة . واصبحت هذه المفارز سندا اجتماعيا واداة لسلطة القادة العسكريين والارستقراطية القبلية العبودية . وكانت المفرزة جنين الجيش .

وقد عمدت طبقة الاستغلاليين ، بغية تثبيت سيطرتها الاقتصادية والسياسية ، الى تشكيل الفصائل المسلحة التي تتكلف الدولة بنفقاتها والتي هي اداة طيعة بايدي الاستغلاليين . وهذه الاداة موجهة ضد الشعب وهي وسيلة لتنفيذ سياسة الطبقات السائدة بالعنف .

كان دور الجيش الحاسم في نظام سلطة الدولة التي ولدت آنذاك قد حددته المهمة الاساسية لنظام العبودية ، الا وهي ضمان استغلال العبيد بالعنف واستكمال عددهم على الدوام عن طريق الغزو واستعباد شعوب البلدان الاخرى . ومن هنا كانت تنبع

الوظيفتان الاساسيتان للدولة العبودية : ١) اخضاع الجماهير المستغلة داخل البلاد لاداء الخدمة والطاعة ؛ ٢) قهر البلدان الاخرى وحماية اراضى الدولة من الغزاة الاجانب . وتحدد هاتان الوظيفتان الملازمتان لكل دولة استغلالية الطبيعة الاجتماعية لقواتها المسلحة ووظيفتها .

وتتلخص الخاصية المميزة لجيوش الدول الاستغلالية فى انها منعزلة عن الشعب وفى كونها قد اصبحت اداة لاستعباده . وكان الحال على هذا المنوال فى المجتمعين العبودى والاقطاعى . وكان النظام الاقطاعى من حيث الاصل تنظيما عسكريا . فجيش الدولة الاقطاعية كان مخصصا لشن حروب النهب والسلب .

اما الرأسمالية فقد اضفت على التعسف والعنف العسكريين طابعا اكثر انتظاما . ولقد سار تطور الجيش والشؤون العسكرية بخطى حثيثة الى الامام فى مستهل القرن التاسع عشر بالذات . وقد جددت البرجوازية الجيش واعادت تسليحه آليا وجعلته اداة اكثر بأسا للسيطرة الطبقية داخل البلاد ولسياسة الغزو على الصعيد العالمى .

ان الجيش ، كجهاز حكومى ، فى المجتمع التناحرى ، هو على الدوام اداة لسياسة الطبقات المسيطرة . وتحدد مصالح الاستغلاليين الاقتصادية المتجسدة فى سياسة الدولة الوظيفة الاجتماعية لقواتها المسلحة وجوهرها فى آخر المطاف . **وتؤسس الطبقات المسيطرة الجيش الذى يتطور فى جميع التشكيلات التناحرية بغية تعزيز النظام الاستغلالى وقمع الجماهير الشعبية الواسعة والاضطهاد الاجتماعى والقومى للشغيلة فى صالح الطبقات المسيطرة ونهب الشعوب الاخرى واستعبادها .**

وتحدد وظائف الجيش الاجتماعية-السياسية قوام كوادره القيادية ، واسلوب التجنيد واستكمال القوات وتنظيمها . وعلى

امتداد تاريخ المجتمع الاستغلالى تغيرت بصورة جوهرية طرائق التجنيد واستكمال القوات ؛ فكان قوامها يقتصر تارة على ممثلى الطبقات المسيطرة (مثل قوات فرسان النبلاء فى القرون الوسطى) ، ويتسع تارة اخرى حتى يشمل الفصائل المتطوعة الشعبية الجماهيرية (ابان الحروب التحررية خصوصا) . الا ان المناصب القيادية فى كافة الحالات ظلت فى ايدى الطبقات المسيطرة .

الوظائف الاجتماعية
للقوات المسلحة فى الدول الراسمالية

ان جميع الجيوش البرجوازية ، بغض النظر عن قوامها الاجتماعى ، هى اهم وسيلة لترسيخ سيطرة الرأسماليين الاقتصادية والسياسية ، واهم وسيلة لقمع الشغيلة داخل البلاد واستعباد شعوب الدول الاخرى . وهى تؤدى وظائف داخلية وخارجية مترابطة اوثق الترابط .

ان الوظيفة الداخلية لجيوش الدول البرجوازية مبعثها طبيعة الراسمالية وهى نابعة منها . وتستخدم البرجوازية مختلف الوسائل لتشديد الاستغلال الطبقى للبروليتاريا والاضطهاد الاجتماعى والقومى للشغيلة . وكانت وسائل العنف السافر العسكرية-البوليسية ولا تزال من اهم هذه الوسائل .

ان الجيش هو السند الداخلى للنظام الرأسمالى . وهو يؤدى قبل كل شىء وظيفة سياسية داخلية . فقد كتب لينين يقول : « ان الجيش النظامى يعمل فى كل مكان وفى جميع البلدان ليس ضد العدو الخارجى بقدر ما ضد العدو الداخلى . واصبح الجيش النظامى فى كل مكان اداة للرجعية وخادما للرأسمال فى مكافحة العمل ، وجلادا لحرية الشعب » * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٢ ، ص ١١٣ .

ان دور الجيوش الرجعى داخل الدول الرأسماليـــة يقترن **بوظيفتها السياسية الخارجية فى اضطهاد شعوب البلدان الاخرى . فسياسة الغزو الراسمالية تنفذ عن طريق العنف العسكرى واداته الجيش** . والوظيفة الاساسية للجيش ليس الدفاع ، بل الهجوم على البلدان الاجنبية بغية نهب الشغيلة واستعبادهم . وما الدفاع الا امر ثانوى مشتق من رغبة جميع الاستغلاليين فى الهجوم . فالدول الاضعف التى تقع ضحية عدوان الوحش الاقوى تضطر الى الدفاع .

ولقد ابدت الجيوش البرجوازية على الدوام وحشية وقساوة فى سلوكها ازاء شعوبها وازاء الشعوب الاخرى على حد سواء . ففى اواسط القرن الماضى تجللت القوات البريطانية بلطخة عار لا تمحى حيث قمعت الانتفاضات الشعبية فى الهند ، واثناء ما سمى بحروب «الافيون» فى الصين . واشار ماركس الى ان «سواد الجنود الانجليز اقترفوا اعمالا دنيئـــة» فى هذه الحروب «لمجرد التسلية ... ولمجرد الطيش المنفلت من عقاله» * . وكان على هذا النحو سلوك القوات الاميركية فى الحملات ضد الهنود الحمر وفى قمع الحركة التحررية لشعب الفليبين عام ١٨٩٩ . فقد ابيد سدس السكان فى اكبر جزيرة من ارخبيل الفليبين ، وهى جزيرة لوسون الغاصة بالناس . ولقد اثارت الاعدامات الواسعة وتعذيب السكان المسالمين استنكار الرأى العام العالمى الذى اعرب ممثلوه التقدميون (ومن بينهم ليون تولستوى ومارك توين) عن احتجاجهم على وحشية القوات الاميركية .

ان الدول البرجوازية ذات النوايا العدوانيـــة ازاء البلدان الضعيفة تضطر الى الدفاع عن نفسها اذا تعرضت لهجوم مـــن منافسين رأسماليين اشد بأسا . وفى هذه الظروف يمكن للقوات

---

* ماركس والجلس . المؤلفات ، المجلد ١٢ ، ص ٢٩٧ .

المسلحة ان تؤدى مهمة وطنية عامة هى الدفاع عن بلادها من الغزاة الاجانب . وفى النضال ضد العدوان ومن اجل الاستقلال الوطنى وسيادة البلاد يمكن لمصالح الشغيلة ان تتفق من هذه الناحية مع مصالح الطبقات المسيطرة مع بقـــاء التناحرات الاجتماعية والصراع الطبقى . ولا يتغير كذلك جوهر الجيش نفسه : فهو ،باعتباره اداة بيد البرجوازية ، يدافع عن البلاد قبل كــل شىء لصالح الطبقة المسيطرة .

اذن ، ففى معرض الكلام عن مثل هذه الفترات فى حيـــاة الجيوش البرجوازية ينبغى ان نأخذ بنظر الاعتبار ، اولا ، ان وظيفة الدفاع عن الوطن مرتبطة ارتباطا متناقضا للغاية بطبيعة النظام الرأسمالى ومشروطة بالملابسات الخارجية ــ هجوم الدول العدوانية الاخرى ؛ وثانيا ، ان النضال ضــد المعتدى لا يغير الطبيعة الاجتماعية لجيوش الدول الرأسمالية ووظيفتها ، اى كونها اداة لاضطهاد الشعب فى الداخل واستعباد البلدان الاخرى . ولكى يمكن تغيير الطبيعة الاجتماعية للجيش ينبغــى تغيير المضمون الطبقى للدولة .

ان البرجوازية ونظرييها يطمسون الجوهر الاجتماعى الفعلى لجيشهم ، ويموهون من الناحية الايديولوجية الوظيفة الحقيقية للقوات المسلحة فى الدولة الاستغلاليـــة . فان ايديولوجيى البرجوازية الذين يستشهدون بكون الجيش فى ظل الرأسماليـــة يتألف من كافة فئات السكان الاجتماعية يزعمون بان الجيش هو عبارة عن تنظيم «فوق الطبقات» مكرس لتنفيذ وظائف «تخص الامة بأسرها» ، ويحاولون ان يوهموا العسكريين بان الجيش يخدم مصالح الشعب بأسره . ان الجيش كتنظيم «شعبى» خاص ، كما يزعمون ، هو خارج السياسة وخارج الصراع الطبقى . الا ان الجيش يشكل جزءا من جهاز الدولة ، من التنظيم السياسى للطبقة

المسيطرة ، علما بان البرجوازية لا تنوى ابدا ترك الجيش دون ان تشرف عليه هى . وفى الوقت ذاته تسعى البرجوازية الى عزل الجيش عن الشعب وتحويله الى اداة طيعة لتنفيذ سياسة دولتها . الا ان البرجوازية تواجه تناقضات عميقة بين الشعب والجيش ، وكذلك داخل الجيش نفسه بين الجنود والضباط .

وتحاول البرجوازية بكل الوسائل تسوية هذه التناقضات بعزل الجنود فى الثكنات عن الشعب ، وبنظام التدريب القاسى الذى يغرس البلادة فى الاذهان ، وبالتضليل الايديولوجى لافراد الجيش وهلجرا . وهى تلتزم التزاما صارما بالاسلوب الطبقى فى التجنيد واستكمال القوات المسلحة وخصوصا كوادر القادة . ويتكون سلك الضباط من ابناء الطبقات المسيطرة ، ويشغل فى الجيش ليس فقط مرتبة القيادة ، بل ومرتبة السيادة والسيطرة ايضا . وتعبر العلاقات بين القادة والجنود عن العلاقة فى المجتمع الاستغلالى ــ علاقة السيطرة والخضوع . ويربى القادة العسكريون الجنود ويوجهون اعمالهم لصالح الطبقات المسيطرة فى المجتمع البرجوازى . وهؤلاء الضباط هم حاملو ايديولوجية البرجوازية وسياستها النشطاء .

ان توعية الجنود والبحارة من كافة الجهات اثناء خدمتهم فى الجيش والاسطول تحولهم بدرجة اكبر الى اداة بيد الدولة الرأسمالية .

تعاظم الدور الرجعى للجيوش البرجوازية فى ظل الامبريالية

لقد ادى تطور الرأسمالية وتفاقم تناقضاتها بالضرورة الى زيادة تعداد الجيش وزيادة تسليح الدول البرجوازية . فلئن شاركت عشرات الآلاف من المحاربين فى معارك مرحلتى العبودية

والاقطاعية ، ففى مرحلة قيام الرأسمالية شاركت فى المعارك مئات الآلاف . ففى معركة كانى ، مثلا ، لم يتجاوز عدد محاربى الطرفين ١٣٦ الفا . اما فى عهد الرأسمالية فصار افراد الجيش يعدون بالملايين . وفى سنوات الحرب العالمية الاولى حمل السلاح زهاء ٥٠ مليون محارب ، وبلغ هذا العدد ابان الحرب العالمية الثانية ١١٠ ملايين .

وفى معرض تحليل تطور الرأسمالية اشـــار انجلس الى الاشتداد الكبير فى النزعة العسكرية بسبب انجاز وتثبيت اقتسام المستعمرات بين البلدان الرأسمالية الكبرى : «اصبح الجيش هو الهدف الرئيسى للدولة ، وغدا هدفا بذاته ، فالشعوب موجودة فقط لكى تزوده بالجنود وتطعمهم . ان النزعة العسكرية تسيطر على اوربا وتلتهمها» * . ومع الانتقال الى الرأسمالية الاحتكارية اخذت النزعة العسكرية تتطور تطورا عاصفا بخاصة . وتزايدت القدرة العسكرية للدول الامبريالية بصورة مدهشة . فان تعداد جيوش فرنسا وبريطانيا وايطاليا وروسيا والمانيا والنمسا ـ المجر ازداد من ٢١١١٠٠٠ شخص فى عام ١٨٦٩ الى ١٣١٨٤٠٠٠ شخص فى عام ١٩١٢ . وازدادت لدرجة اكبر النفقات العسكرية . ففى اليابـــان ازدادت هذه النفقات بـ ١٥ مرة للفترة ١٨٧٥ـ ١٩٠٩ ، وازدادت فى المانيا بحوالى ٣ مرات للفترة ١٨٨٢ـ ١٩٠٨ ، وازدادت فى الولايات المتحدة الاميركية بزهاء ٤ مرات للفترة ١٨٧٥ـ١٩٠٨ .

واشار لينين الى اتجاهين فى تطور النزعة العسكريـــــة : فهى تتطور كأداة فى ايدى الطبقات المسيطرة بغية قمع الحركة الثورية للبروليتاريا فى بلادها وكقوة عسكرية لحـــل مهمات السياسة الخارجية .

---

* انجلس . ضد دوهرينغ ، موسكو ، ١٩٥٧ ، ص ١٥٩ .

من المعروف ان الامبريالية تقوى الرجعية السياسية بكل الوسائل . فالبرجوازية تتخلى عن الانظمة والحقوق الديمقراطية وتسلك طريق التعسف والعنف ، وتسعى بالقوة العسكرية الى خنق النضال الثورى المتعاظم للطبقة العاملة . وتتحول النزعة العسكرية الى اداة رئيسية للسيطرة السياسية للبرجوازية والاضطهاد الطبقى للبروليتاريا . وتجر الى الجيش جماهير هائلة من الشغيلة الذين يتعرضون للتأثيرات الايديولوجية والسيكولوجية بغية ترسيخ التفاوت فى السلم الاجتماعى والعلاقات الاستغلالية ، علاقات السيطرة والخضوع ، السيد والمسود . وفى معرض الكلام عن الجيش البرجوازى كتب لينين يقول ان هذا الجيش هو «اداة متحجرة للغاية لدعم النظام القديم ، وهو المعقل الاكثر تصلبا للانضباط البرجوازى ولدعم سيطرة الرأسمال والحفاظ على الطاعة العبودية واخضاع الشغيلة والتربية يهما» * .

ان نمو النزعة العسكرية يستجيب للمصالح الاقتصادية للاحتكارات داخل بلدانها وخارجها . وتمهد مطامع الامبرياليين بالسيطرة على العالم التربة الاقتصادية لتفشى النزعة العسكرية فى جميع البلدان الرأسمالية . وفى ظل الامبريالية تكتسب النزعة العسكرية طابعا شاملا وعدوانيا بخاصة . ويأخذ العسكريون يهيمنون فى المجتمع ، وتخضع حياة البلدان الرأسمالية بحذافيرها لاهداف حروب الغزو الرجعية . وتصبح القوات المسلحة اداة لسياسة الامبرياليين العدوانية .

ولقد تكشفت وظيفة جيوش الدول الرأسمالية هذه بكل وضوح فى سنوات الحرب العالمية الاولى حيث تصارع الكواسر

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٢٩٥ .

الامبرياليون بكل ضراوة من اجل اقتسام المستعمرات وتوسيع ميادين توظيف الرأسمال . واصبحت وظيفة هذه الجيوش اكثر رجعية فى الحرب العالمية الثانية عندما اراد الفاشيون الالمان ان يخنقوا بقوة السلاح اول دولة اشتراكية فى العالم وان يسيطروا على العالم .

وعجلت الحربان العالميتان الاولى والثانية فى التحام الاحتكارات الرأسمالية بالدولة البرجوازية ، بينما ادت رأسمالية الدولة الاحتكارية الى المزيد من تعاظم النزعة العسكرية . وتكونت اوثق وحدة بين كبار العسكريين والرأسمال الاحتكارى ، وكذلك بين الرأسمال الاحتكارى وسلطة الدولة . واشتد تأثير الجنرالات الرجعيين والاحتكارات العسكرية على كبار زعماء الدولة . واصبحت الدولة بمثابة لجنة لادارة شؤون البرجوازية الاحتكارية ، فيما اصبحت القوات المسلحة اداة لتنفيذ سياستها الامبريالية .

٢ ـ القوات المسلحة فى الدول الامبريالية الحديثة . الاحلاف العسكرية ـ السياسية العدوانية

فى الفترة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية اشتدت نزعة المغامرة لدى الامبريالية بسبب من تعمق الازمة العامة للرأسمالية وتفاقم حدة تناقضاتها .

محاولة حل تناقضات العصر بطرق جديدة

ان رغبة الامبريالية فى حل تناقضات العهد الحاضر بالوسائل الحربية قد حددت الدور الخاص للقوات المسلحة فى سياستها .

فالامبرياليون يوجهون قدرتهم العسكرية قبل كل شيء ضد القوى الثورية العظمى فى عصرنا نعنى المنظومة الاشتراكية العالميـــة والحركة الثورية للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وحركـــة التحرر الوطني . وتعتبر الامبريالية النضال ضد قوى الاشتراكية وظيفة مزدوجة ، داخلية وخارجية فى آن واحد ، للنزعـــة العسكرية . وان كامل تحضير الجيوش الامبريالية مشبـــــع بايديولوجية العدوان وسياسته .

ومن المهام الاساسية للقوات المسلحة فى الدول الامبريالية ، كما فى السابق ، تصفية الاشتراكية . ولكون الحرب العالميـــة النووية الآن خطرة للغاية على الامبريالية ، فان اهتماما خاصا يوجه الى الحروب المحلية ضد البلدان الاشتراكية وضد حركة التحرر الوطنى مع استخدام السلاح العادى .

ان احدى وسائل تمويه الوظائف الدركية للقوات المسلحة الاميركية كانت الحرب «الباردة» التى يعتبر مبدؤها الاساسى ، حسب رأى القوى الرجعية ، انعدام الصدام المسلـــح السافر بين القوات المسلحة للدول المتخاصمة . والى جانب التأثير الايديولوجى والضغط السياسى والنشاط التخريبى للاستخبارات الامبرياليـــة يدرج ايديولوجيو الامبريالية ضمن مفهوم «الحـــرب الباردة» الشانتاج العسكرى والاستخدام الخفى للقوى العسكرية ضد الدول الاشتراكية وضد النضـــال التحررى الثورى لشغيلـــة البلدان الرأسمالية وضد حركات التحرر الوطنى للشعوب المضطهدة .

وانيطت بالقوات المسلحة للامبريالية مهمة شن ما يسمى بالحروب «الخاصة» التى تموه كذلك فتدرج ضمن مفهوم الحرب «الباردة» . ويتضح من توجيه سرى وقعه رئيس اركان الجيش الاميركي واستولى عليه الانصار فى الفيتنام الجنوبية ان مصطلح

«الخاصة» يطلق على الحروب الاستعمارية والاهلية التى تشنهـا الحكومات العميلة بالسلاح الاميركى وتحت قيادة «المستشارين» و«المدربين» الاميركان وبمشاركة القوات الاميركية . ويوجد فى بلدان عديـدة آلاف من الاخصائيين العسكريين الاميركان الذين يدربون القوات المحلية على «طرائق الدفاع الداخلى» ، اى على كيفية مكافحة الحركة التحررية الوطنية والديمقراطية .

ويحاول الامبرياليون فرض الانظمة الدكتاتورية العسكرية فى الدول الجديدة . وهم يدعمون الكتل ذات الميول الرجعية بين الضباط ويسعرون العداء القومى والعنصرى فى هذه البلدان بغية ارغام «الاسيويين على محاربة الاسيويين» وارغام «الافارقة على محاربة الافارقة» . ويلعب حكام اسرائيل الدور الاجرامى الشائـن كاداة الامبريالية فى الشرق الاوسط . فقد وضع العسكريون الاسرائيليون خطة الحرب بطرق الابادة الشاملة . ولم يحل دون تطبيق الخطة الاسرائيلية للابادة الجسدية للملايين من العرب الا الموقف الحازم الذى اتخذه الاتحاد السوفييتى والدول الاخرى المحبة للسلام .

ولا يتورع الامبرياليون عن ارتكاب اية جريمة فى محاولة منهم لابقاء او بعث سيطرتهم على شعوب المستعمرات السابقـة والبلدان الاخرى التى تخلصت من براثن الاستغلال الرأسمالى . ان عدوان الولايات المتحدة الاميركية على شعوب الفيتنام ولاؤوس وكمبوديا ، والعدوان الامبريالى على الدول العربيـة والابادة الوحشية لملايين البنغاليين الشرقيين ومحاولة اجتياح المستعمرين لغينيا والنشاط التخريبى للامبريالية وعملائها ضد الانظمـة التقدمية فى اميركا اللاتينية ــ كل ذلك يشير الى ان حرب الامبريالية ضد الشعوب المتحررة مستمرة بلا انقطاع . ومن اكثر بؤر التوتر خطرا منطقة الشرق الاوسط حيث ترفض اسرائيل بعناد وبدعم

وتأييد من قبل الولايات المتحدة الاميركية التخلى عن سياسة الغزو العدوانية .

ولكن زمن جرائم المعتدين والمستعمرين التى كانت تقترف بلا عقاب قد ولى . فالقوى التقدمية المعتمدة على مساعدة الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى قادرة على احباط خطط الامبريالية الاغتصابية . ومن الادلة المقنعة على ذلك انهاء الحرب فى الهند الصينية والتزايد الكبير فى القدرة العسكرية الدفاعية للدول العربية والهزيمة التى منى بها المستعمرون فى البنغال الشرقية . وواضح للعيان بطلان الخطط الامبريالية الحربية الموجهة ضد الدولة السوفييتية الجبارة وحلفائها فى معاهدة وارشو .

التناقضات لدى تشكيل الجيوش الامبريالية الواسعة

بينت خبرة الحربين العالميتين الاولى والثانية ان الجيوش الواسعة المكونة بصورة رئيسية من ابناء الطبقات المستغَلة ليست موثوقا بها الى الحد الذى يبتغيه الامبرياليون . الا ان الامبرياليين لا يستطيعون التخلى عن الجيوش الواسعة ، فان طبيعة الحرب المعاصرة لا تسمح بذلك .

وتسعى الامبريالية الى جعل الجيوش الواسعة موثوقا بها بمختلف الطرق . وهى ترى ان اكثر هذه الطرق فعالية ومنفعة فرض الانظمة الفاشية وممارسة الابادة الجسدية والعزل ازاء اكثر ممثلى الطبقة العاملة وعيا ، وكذلك ازاء المثقفين التقدميين . وعلى هذا النحو فعل المسؤولون فى المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية

واليابان العسكرية . ويفعل على هذا النحو بصورة سافرة حاليا المسؤولون فى اسبانيا وشيلى واليونان ، وبصورة مستورة فى عدد من البلدان الرأسمالية الاخرى .

الا ان هذه الاجراءات التى تطبقها البرجوازية الامبريالية لا يمكن ان تؤمن السجايا الكفاحية-المعنوية السامية لافراد جيوشها لامد طويـــل . بل على العكس يمكن ان تعجـــل باختمار الوضـــع الثورى وتنشيط نضـــال القوى التقدميـــة فى هذه البلدان .

ان اكبر الامل فى جميع الجيوش الامبريالية معلق على عزل الجنود وضباط الصف عن الشعب ، وعن البروليتاريين الواعين ، وعن القوى التقدمية . وبغية ذلك يجند الى القوات المسلحـــة الشباب الذين اما انهم لم يجدوا عملا ، واما ان الوقت لم يتسع لهم للانخراط فى النضـــال الطبقى النشيط . ويجـــرى التجنيد فى بعض البلدان عن طريق المرتزقـــة او ، على الاغلب حسب عقود لآماد تتراوح بين ٣ و٧ سنوات و١٢ عاما فمـــا فوق .

وفى الآونة الراهنة تتكون جيوش امبريالية عديدة ، بصورة تامة او بقسم كبير منها ، من المرتزقة المحترفين الذين فقدوا صلاتهم بالجماهير الشعبية او اخذوا يفقدونها . فهم مستعدون ، من اجل النقود والامتيازات ، لان يقتلوا باسم الرأسمالية ليس فقط العمال والفلاحين «الغرباء» ، بل والعمال والفلاحين من ابناء شعبهم .

ان نفقات المرتزقة باهظة وهى تحـــد من امكانيات اعداد الاحتياط . الا ان الامبرياليين متعمدون فى عدم رغبتهم بتدريب الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين ، وخصوصا اولئك الذين يساهمون مساهمة نشيطـــة فى النضال الطبقى والمنتسبين الى

المنظمات السياسية التقدمية والنقابات اليسارية والخ ... فان قوانين بعض الدول تنص ، مثلا ، على اعفاء الاشخاص الذين لا تتفق معتقداتهم والمتطلبات السياسية عن الخدمة فى الجيش .

ويجرى الانتقاء بدقة خاصة لاجل الخدمة فى الوحدات المتخصصة والمكلفة بقمع النضالات الثورية لجماهير الشغيلة ، وبالاعمال التخريبية والوظائف التنكيلية ضد السكان وضد الانصار فى المناطق المحتلة . ويستخدم الامبرياليون فى هذا المجال «خبرة» المانيا الهتلرية التى تشكلت فيها وحدات «الاس اس» الفاشية .

وتشغل مكانة خاصة فى جيوش الدول الامبريالية وحدات البوليس العسكرى ووحدات الدرك . وتتمتع بالامتيازات كذلك قوات المظليين ومشاة البحرية . فهى بمثابة «فرق الاطفاء» المخصصة لاخماد النضالات الثورية .

وهناك تشدد كبير فى الانتقاء السياسى لضباط الجيوش الامبريالية . فلئن كان الضباط حتى الحرب العالمية الثانية يؤدون على الغالب وظائف القيادة ، فان من اهم واجباتهم الآن العمل الايديولوجى الهادف لتربية مرؤوسيهم بروح العداء للشيوعية وبروح القومية الضيقة وامتداح «العالم الحر» .

الطابع الرجعى للتدريب والتربية فى الجيوش الامبريالية واتجاهها العدوانى

وحدثت تغيرات جوهرية فى طابع تدريب وتربية افراد القوات المسلحة فى الدول الامبريالية . فقد اكتسب كامل نظام توعية افراد القوات المسلحة ايديولوجيا ونظام تربيتهم وتدريبهم اتجاها عدوانيا معاديا للشيوعية بصورة سافرة .

فقبل الحرب العالمية الاولى استخدمت لتربية افراد الجيش

بروح معاداة الشعوب الاخرى افكار الشوفينية والقومية البرجوازية ، وكذلك الايديولوجية العنصرية والدينية . وبعد انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا والنضالات الثورية للبروليتاريا فى عدد من البلدان طرح الامبرياليون فى مرتبة الصدارة لتربية الجنود الافتراءات على الاشتراكية وعلى الاتحاد السوفييتى . واستمرت تربية افراد الجيشين الاميركى والبريطانى بروح العداء للاتحاد السوفييتى حتى فى سنوات الحرب العالمية الثانية بالرغم من ان هذين الجيشين كانا حليفين للجيش السوفييتى فى الحرب ضد المانيا الهتلرية وشركائها .

سبق وقلنا ان «التوعية» الايديولوجية للسكان وافراد القوات المسلحة موجهة فى الحال الحاضر نحو التربية بروح الحقد على الشيوعية وعلى القوى التقدمية قاطبة . فمعاداة الشيوعية والانسانية هى الفباء التربية الايديولوجية للجنود فى جيوش البلدان الامبريالية . وبها يتشبع كذلك نظام التدريب افراد الجيش . فقد شكلت الاوساط الحاكمة فى الدول الغربية هيئات العمل الايديولوجى فى القوات المسلحة وزادت كثيرا من مسؤولية الضباط عن تربية مرؤوسيهم . وتطبع لدى الجيوش الامبريالية كمية هائلة من المطبوعات المعادية للشيوعية ، ويجرى بث البرامج الاذاعية والتلفزيونية واخراج الافلام السينمائية التى تمجد الرأسمالية وتحط من سمعة الاشتراكية .

وعلى سبيل المثال نذكر ان مواثيق (انظمة) الجيش الاميركى تضع مسؤولية التوعية الايديولوجية لافراد الجيش ومعنوياتهم على القادة والرؤساء بجميع رتبهم . ونظمت الدولة ، بغية التوعية الايديولوجية ، جهازا كبيرا للدعاية يطلق عليه اسم «هيئات الاعلام وتوعية القوات» . وتوجد فى وزارات اصناف القوات المسلحة ادارات للاعلام . والى جانب توجيه الدعاية والتحريك

تضم وظائف هذه الادارات تأليف وطبع الكتب الدراسية الخاصة بالتوعية الايديولوجية ومواد الاذاعة والدوائر الصحافية واخراج الافلام السينمائية الدعائية . ويوجد فى بعض الكتائب والافواج والوحدات المضاهية لها «ضباط الاعلام» .

ويجرى على قدم وساق اعداد القوات لمكافحة «الاعداء الداخليين» . وتتضمن اليمين التى يقسم بها جنود الجيش الاميركى (وقد اقرها الكونغرس فى عام ١٩٦٢) ما يلى : «اقسم على رؤوس الاشهاد باننى أويد واحمى دستور الولايات المتحدة من جميع الاعداء الخارجيين والداخليين ...» . علما بان الكلمة الاخيرة لم تكن موجودة فى اليمين السابقة .

ويوجه اهتمام كبير لتنويع اشكال التوعية الايديولوجية ولجعلها تؤثر تأثيرا كبيرا على اذهان ومشاعر الجنود . وتتراوح هذه الاشكال بين المناقشة فى السمنارات والندوات والكونفرنسات وبين الافلام المزورة والخرافات المصورة شبه الدينية والموجهة ضد الشيوعية ، حيث يظهر «خدم الشيطان» بزى الجنود والضباط السوفييت .

الا ان الامبرياليين يواجهون فى «التوعية» الايديولوجية لافراد الجيش صعوبات هائلة . ومن هذه الصعوبات عدم وجود افكار ايجابية فى المجتمع البرجوازى من شأنها ان تستنهض الجنود والبحارة لتحقيق المآثر ولتنفيذ المهام المطروحة عليهم بنشاط وبصورة خلاقة . ويكمن فى ذلك السبب الاساسى لعدم انضباط الجنود وانعدام مبادراتهم فى سوح القتال وتزايد الاجرام فى جيوش الدول الامبريالية .

وبينت التجربة ان المحن الحربية الخطيرة تولد هبوطا شديدا فى معنويات قوات المرتزقة . ويتجلى ذلك ، فيما يتجلى ، فى تزايد الفرار من

الجيش . ويكفى القول ان عشرات الآلاف من الجنود فروا من القوات الاميركية فى غضون ثلاث سنوات من الحرب فى كوريا . واتخذ نطاقا اوسع الفرار من الجيش الاميركى فى سنوات «الحرب القذرة» فى الفيتنام . ففى عام ١٩٦٨ وحده فر من القوات المسلحة الاميركية ، حسب المعطيات الرسمية الاميركية ، اكثر من ٥٣ الف جندى ، اى ما يزيد على ثلاث فرق كاملة القوام .

ويعتقد الامبرياليون ونظريوهم العسكريون ، وهم يعدون قواتهم المسلحة ، ان الجنود سينفذون بطاعة عمياء خطط البرجوازية الاحتكارية العدوانية . فالانضباط العسكرى يلزم الجنود بذلك ، كما يعتقد الامبرياليون . وبما ان الانضباط الواعى غير موجود ولا يمكن ان يوجد فى الجيوش الامبريالية ، فان البرجوازية ترغم الجندى على الطاعة بسياسة «اللين والشدة» ، وعن طريق نظام التدريبات الخاصة والترويض وهلمجرا . ويسعى ضباط الجيش والاسطول الى تعويد الجنود والبحارة على الانضباط الاعمى والاعمال البليدة التى تبلغ حد الفعل الاوتوماتيكى ، والى زرع الرعب فى قلوبهم من عقوبة عدم الانصياع .

ويُخضع الجنودَ للتعويد على الطاعة العمياء كذلك ما يسمى بنظرية «الصراع من اجل البقاء» المستخدمة فى التدريب والتوعية الايديولوجية . وتقول هذه النظرية ان الجنود يجب ان يحاربوا فى المعركة دون ان يفكروا بالغاية من قتل العدو ولمصلحة من تشن الحرب وفى سبيل ماذا يهلكون هم فى سوح القتال ؟ !

ولان «سيكولوجيا النضال من اجل الحياة» لا يمكن ان تحل محل الافكار المحفزة ، يوجه فى الجيوش الامبريالية اهتمام كبير لتعويد افرادها على العمل بصورة اوتوماتيكية فى المعركة . ويجرى تأمين ذلك عن طريق التشجيع المادى للمرتزقة .

ويستهدف التشجيع المادى على النجاحات فى الاعداد الحربى مقصدا آخر هو تربية المرتزقة على الاستعداد لتنفيذ اى امر مهما كان منافيا للانسانية . ففى الجيش الاميركى ، مثلا ، يوجد نظام دفع «علاوات الحنكة» للجنود وضباط الصف .

وبغية رفع الخصال الكفاحية-المعنوية وغرس «المناعة ضد دعاية العدو» توجد كذلك علاوات نقدية على المساهمة النشيطة فى العمليات الحربية . واكبر هذه العلاوات تصرف لافراد وحدات «المهمات الخاصة» .

بهذه الطرق تغرس فى اذهان افراد القوات المسلحة فى الدول الامبريالية ايديولوجية وسيكولوجية القتلة المرتزقة الذين لا فرق لديهم بين المذنب فى الحرب وضحيتها ولا يهمهم لمصلحة من تشن الحرب ؟ ! ان هذه الايديولوجية والسيكولوجية ، اذ ترسختا فى اذهان افراد الجيش الاميركى الذين اشتركوا فى الحرب الجائرة فى الفيتنام ، صارتا تتجسدان فى الاعمال الوحشية الفظيعة والعنف الذى لم يسبقه مثيل ضد سكان هذا البلد المحب للحرية . ان المعطيات التى لا تدحض والدالة على قتل العسكريين الاميركان بالجملة لمئات وآلاف الاطفال والنساء والشيوخ الفيتناميين قد نثرت ادراج الرياح الاسطورة الزاعمة بان الجنود الاميركان فى اراضى البلدان الاخرى «يدافعون عن الديمقراطية وعن طراز الحياة الحرة» .

وهكذا ، تسعى البرجوازية الامبريالية من وراء شبكة كاملة من الاجراءات الى جعل القوات المسلحة الجماهيرية اداة طيعة لها فى النضال ضد الاشتراكية وضد الحركة التحررية الوطنية والثورية .

. علما بان القيادة العسكرية-السياسية عاجزة عن تذليل الاتجاه الحتمى نحو ضعف الخصال الكفاحية-المعنوية لافراد الجيوش الامبريالية فى حروب الغزو الجائرة .

لقد جعلت الخسائر الجسيمة وعجز القوات الاميركية عن احراز النصر على الشعب الفيتنامى الجنود والضباط الذين ايدوا سابقا العدوان على الفيتنام يفكرون الآن على نحو آخر . فقد انخرط كثيرون منهم فى المنظمات السرية المناوئة للحرب والتى كانت تصدر المنشورات والصحف حيث فضحت الطابع العدوانى اللاانسانى لحرب الامبريالية الاميركية فى الفيتنام ولاؤوس وكمبوديا . وكان الجنود يكتبون بصورة متزايدة فى الصحافة التقدمية عما شهدوه من وحشية العسكريين الاميركان فى الفيتنام الجنوبية . وفى ١٩٧٠-١٩٧١ اشارت الصحف الاميركية الى وقائع عدم انصياع الجنود على نطاق واسع ، حيث رفضت مجموعات من العسكريين ، بل وحتى وحدات فرعية بكاملها تنفيذ الاوامر الحربية . وكانت غير نادرة حوادث قتل الجنود الاميركان للضباط الذين ارغموهم على التوجه الى المعركة . وكانت الصحف والمجلات الاميركية تفيد عن تفشى الادمان على الكحول والمخدرات فى القوات الاميركية فى الفيتنام ، باعتبار ذلك احتجاجا سلبيا على المشاركة فى «الحرب القذرة» .

الجوهر العدوانى
للاحلاف العسكرية-السياسية للامبريالية

يتجلى الدور الرجعى للعسكريين الامبرياليين المحدثين بكل وضوح فى الاحلاف العسكرية-السياسية العدوانية . ولقد شكلت الامبريالية الاميركية هذه الاحلاف بغية تأمين سيطرتها على العالم وقمع القوى الثورية فى البلدان الرأسمالية والبلدان التى تحررت

مؤخرا ، وكذلك لتعبئة جميع الموارد المادية للرجعية العالمية من اجل الحرب ضد المنظومة الاشتراكية العالمية .

ان اتجاه الاحلاف العسكرية ضد الشيوعية قد اجتذب اليها الطبقات الرجعية فى عدد من الدول الرأسمالية الاوربية والاسيوية . وبالرغم من مقاومة الجماهير الشعبية خضعت حكومات هذه الدول لمطالب الولايات المتحدة الاميركيـــــــة فانضمت الى الاحلاف المذكورة .

ومن اكثر هذه الاحلاف خطرا على السلام حلف شمال الاطلسى (الناتو) الذى تأسس فى عام ١٩٤٩ . كان حلف الناتو فى بادئ الامر يضم ١٢ دولة هى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وكندا وفرنسا (التى خرجت فى عام ١٩٦٦ من المنظمة العسكرية للناتو ولكنها ظلت ممثلة فى لجنتـــــــه السياسية) وايطاليا وبلجيكا وهولندة والنرويج والدانمرك والبرتغال وايسلندة ولوكسمبورغ . وتحت ضغط الولايات المتحدة الاميركية انضمت اليونان وتركيا الى حلف الناتو فى عام ١٩٥٢ . وبعد ثلاث سنوات انضمت الى هذا الحلف المانيا الغربية .

وبعد فشل العدوان الاميركى على كوريا وهزيمـــــــة المستعمرين الفرنسيين فى الفيتنام شكلت حكومات الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا واوستراليا ونيوزيلندة وتايلاند والفليبين وباكستان فى عام ١٩٥٤ منظمة معاهدة جنوب شرقى آسيا (السياتو) .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٥ تأسست منظمة المعاهدة المركزية (السينتو) . وحتى عام ١٩٥٩ كانت هذه المنظمة تسمى بحلف بغداد ، الا ان العراق خرج من الحلف بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، فاضطرت الدول المشتركة فيه : بريطانيا وتركيا والباكستان وايران الى البحث بعجالة عن اسم آخر له . ومن الناحية الشكلية لم تنضم الولايات المتحدة الى حلف السينتو ، ولكنها فى الواقع تلعب الدور الرئيسى فيه ، كما فى الاحلاف الاخرى .

والى جانب الاحلاف المذكورة اعلاه اسس الامبرياليون احلافـــــا عسكرية-سياسية اخرى مثل (انزيوس) و(زيس) و(ازباك) ، وهى تتكون بالاساس من نفس الدول المنضمـــــة الى احلاف الناتـــــو والسينتو والسياتـــــو . وانضمت الى احلاف اخرى مثل (اواغ) و(اوساغ) دول اخذت توحد جهودها تحت ضغط من الولايات المتحدة الاميركيـــــة لمكافحة شعوب اميركا اللاتينية المناضلة فى سبيـــــل تحررها الوطنى والاجتماعى .

واستندت الامبريالية لدى تشكيل الاحلاف العسكريـــــة على تجربـــــة الحلف السيئ الصيـــــت المعادى للكومنترن والذى وقعته عشية الحرب العالمية الثانية كل من المانيا وايطاليا واليابان . ومع ذلك لا يجوز التغاضى عن الخصائص الجوهريـــــة للاحلاف العسكرية-السياسية الحديثة .

فما هى ، مثلا ، خصائص حلف الناتو ؟ انها تتلخص فى كون الناتو ليس مجرد اتفاق بين حكومات الدول الامبريالية الرئيسية بصدد اعمال مشتركة ما ، بل هو منظمة عسكرية-سياسية تعتمد على قواتها المسلحة الغفيرة والمجهزة باحدث الآليات الحربية . وتستطيع القيادة الموحدة لحلف الناتو ان تحل بصورة مستقلة مسائل شن الحرب العالمية بحجة «صد العدوان المباغت» ، كما تستطيع التدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الاعضاء فى الحلف بغية قمع الحركة الديمقراطية والثورية . ويلعـــــب الجنرالات الاميركان الدور الرئيسى فى القيادة العسكرية الموحدة لحلف الناتو .

وعن طريق الناتو حصلت الامبريالية الاميركية على امكانيـــــة «شرعية» لكى تؤسس وكالاتها التجسسية فى القوات المسلحـــــة للبلدان المشاركة فى الناتو ، ولكى تدبر وتنفذ الانقلابات العسكرية الفاشية (مثل الانقلاب الذى جرى فى اليونان عام ١٩٦٧ والانقلابين

اللذين اعدا وحالت القوى الديمقراطية دون قيامهما فى فرنسا عام ١٩٦١ وفى ايطاليا عام ١٩٦٤) .

ووقعت بين حكومات البلدان المنضمة الى الاحلاف الامبريالية اتفاقيات بشأن استخدام القوات المسلحة « للحلفاء » فى مكافحة النضالات الثورية فى اى بلد من البلدان الاعضاء فى الاحلاف .

الا ان وحدة الناتو والاحلاف الاخرى تزعزعها المنافسة الاقتصادية والتناقضات الوطنية . ويظهر لدى القوات المسلحة لكثير من البلدان الاعضاء فى هذه الاحلاف تذمر من التحكم الاميركى .

وتعجز بلدان كثيرة من الاعضاء فى الاحلاف العسكرية ، وخصوصا البلدان المتخلفة اقتصاديا ، عن تحمل العبء الثقيل للنفقات العسكرية الهائلة . ويثير ذلك معارضة ليس فقط من جانب الجماهير الشعبية ، بل ومن بعض الاوساط الحاكمة . فهى لا يمكن ان تغض ابصارها عن الوضع العصيب لبلدانها .

وتحت ضغط الجماهير الشعبية ترفض حكومات بعض الدول الاعضاء فى الاحلاف العدوانية ارسال قواتها لقمع النضال التحررى لشعوب البلدان الاخرى ، ولا تقدم اراضيها لانشاء القواعد الصاروخية للدول الامبريالية . وبالرغم من الضغط الذى مارسته الولايات المتحدة لم تبعث اية دولة من دول الناتو قواتها للمشاركة فى العدوان الاميركى على الفيتنام . وكان زعماء عدد من دول الناتو يبدون الرأى القائل بضرورة وقف الحرب فى الفيتنام ، بل ان الحكومة الفرنسية شجبت العدوان الاميركى صراحة .

ان حلف الناتو العدوانى الذى تأسس قبل ربع قرن ، ومن ثم المنظمات العسكرية السياسية الاخرى للامبريالية من طراز حلف السينتو قد انطوت منذ البداية على تناقضات حادة لا يمكن

حلها . وبالرغم من محاولات ملهمي هذه الاحلاف بتذليل التناقضات والصعوبات وتسوية الخلافات التي تظهر على الدوام ، فإن خروج فرنسا من المنظمة العسكرية للناتو ، والباكستان من السينتو وجملة من الظواهر الاخرى تدل بكل اقناع على ان التناقضات في الاحلاف الامبريالية دخلت مرحلة جديدة من تطورها . ومنذ عدة سنوات لوحظ في هذه الاحلاف تكرر دوري لحالة الازمة . اما الآن فتجرى عملية تزعزع الاحلاف الامبريالية بنتيجة اشتداد التناقضات بين البلدان المشاركة فيها .

ومن الضروري ان تؤخذ بعين الاعتبار العيوب العضوية والتناقضات العميقة الملازمة للنظام الرأسمالي وللقوات المسلحة في الدول الامبريالية . ولكنه من المضر التقليل من شأن امكانيات القوات المسلحة للامبريالية . فهذه الجيوش حاليا غفيرة العدد ومجهزة باحدث الآليات وموحدة بهيئات ادارية واحدة ومكيفة ايديولوجيا لشن الحروب العدوانية .

٣ ـ القوات المسلحة في الدول الوطنية الفتية

يؤثر التناقض الاساسي للعصر الحاضر تأثيرا كبيرا على تطور الدول المستقلة الجديدة وجيوشها . فبتأثير هذا التناقض ، وخصوصا بتأثير نجاحات المنظومة الاشتراكية العالمية يجري استقطاب القوى الاجتماعية في الدول المستقلة الفتية وتطور جيوشها . وتزداد القوى الوطنية التقدمية في البلدان النامية اقتناعا على الدوام بانه لا يمكن تحقيق المستوى العالي لتطور القوى المنتجة في بلدانها في آجال قصيرة وتأمين الاستقلال السياسي والاقتصادي والنمو السريع للرفاه المادي وثقافة الجماهير الشعبية

الا بسلوك طريق البناء الاشتراكى . ولذلك تسعى هذه القوى الى ترسيخ العلاقات السياسية والاقتصادية مع الاتحـــاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى على اساس السيادة والمنفعة المتبادلة . **ان المنظومة الاشتراكية العالمية تقدم الى الدول الفتية التى سلكت طريق التطور التقدمى مساعدة شاملة ، بما فيها المساعدة فى تعزيز قدرتها الدفاعية وفى بناء قواتها المسلحة .**

اما الدول الامبريالية فعلى العكس تسعى الى تحويل الدول الفتية وقواتها المسلحة الى اداة للاستعمار الجديد . وان اشكال تطبيق سياسة الاستعمار الجديد هى «المساعدة» بتقديم الاسلحة والآليات الحربية وارسال «المدربين» وشراء ذمم ضباط جيوش الدول الفتية ، وابقاء القواعد والحاميات العسكرية الاجنبيـــة فى اراضى البلدان التى احرزت الاستقلال السياسى ، واعداد وتدبير الانقلابات العسكرية بحجة «مكافحـــة الشيوعيين» ، واقامـــة الانظمة الديكتاتورية العسكريـــة الرجعيـــة على اثر هذه الانقلابات .

ان خطر سياسة الاستعمار الجديد لا يقتصر على شعوب البلدان التى تطبق فيها هذه السياسة ، بل يشمل الدول الاخرى المحبة للسلام . فان الاستفزازات الحربية من قبل الدول العميلة والتابعة يمكن ان تسفر عن عواقب خطيرة على قضيـــة السلام العالمى .

خصائص تأسيس الجيوش
فى سياق النضال
من اجل التحرر الوطنى

كيف شكلت الدول المستقلة الفتية قواتها المسلحة ؟ لقد تشكلت القوات المسلحة تحت اشراف الاحزاب الثورية فى البلدان التى كانت توجد فيها عند اواخر الحرب العالمية الثانيـــة احزاب

ثورية تزعمت نضال جماهير الشغيلـــة فى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى . ومارست احزاب الطبقة العاملة قيادة بناء الجيوش وتربيتها وتوجيه نشاطها الكفاحى . واضطلعت القوات المسلحة ، من جانبها ، بدور القوة المحركة النشيطة لتحويل ثورة التحرر الوطنى الديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

وفى عدد من البلدان عمل الشيوعيون فى جبهة موحدة مع الاحزاب الاخرى القائدة لنضال التحرر الوطنى . وفى الوقت الذى شارك فيه الشيوعيون فى القتال المسلح مباشرة مارسوا العمـــل التوضيحى فى الوحدات العسكرية وبين جماهير الشغيلة ونظموا دعم العمليات الحربية باضرابات ومظاهرات من قبل الشغيلـــة . وكانت عملية نشر النضال التحررى الوطنى والثورة المناوئـــة للامبريالية فى الوقت ذاته هى عملية تأسيس وتطوير الجيوش الشعبيـــة . وعلى هذا النحو بالذات تأسس جيش التحريـــر الوطنى الجزائرى وجيش بورما والقوات المسلحـــة الشعبيـــة لتحرير الفيتنام الجنوبيـــة والقوات المسلحة الوطنيـــة فى لاؤوس وغيرها .

كانت قدرة القوات المسلحة الشعبية لتحرير الفيتنام الجنوبية ، شأنها شأن الجيوش الثورية الشعبية الاخرى ، تكمن قبل كل شىء فى انها كانت تخوض النضال من اجل المصالح الحيوية الجذرية لجماهير الشغيلة ومن اجل تحريرها من النير القومى والاجتماعى . ولذلك حظيت القوات المسلحة الشعبية لتحرير الفيتنام الجنوبية بدعم متفان من قبل الشعب الفيتنامى ، وحظيت بتعاطف وتأييـــد شعوب العالم قاطبة ، وكانت تحصـــل على مساعدة حاسمة مـــن شعوب البلدان الاشتراكية . كانت اهداف النضال العادلة وقيادة الحزب الثورى لهذا النضال مصدرا للتفوق الهائل لهذه القوات من الناحية السياسية-المعنوية على الغزاة الاميركان وجيش حكومة

سايغون . فخلال عام ١٩٧١ وحده فر من جيش سايغون اكثر من ٤٠ الف عسكرى انتقـــل قسم كبير منهم الى جانب قوات التحرير . كمـــا ان قوات الجيش الاميركى مع قوات الصنائع و «الحلفاء» ، بالرغم من تفوقها الكبير عدديا وآليا ، منيت بهزيمة سياسية-معنوية فى العمليات الحربية ضد قوات التحرير وعجزت عن تحقيق النصر .

ويعتبر جيش بورما قوة نشيطة لتطوير هذه البلاد فى الطريـــق اللاراسمالى . ولقد تأسس هذا الجيش وتطور فى سياق نضال التحرر الوطنى الطويل الامد بتضافر جهود **الديمقراطيين الثوريين والشيوعيين** ضـــد الامبرياليين اليابانيين والبريطانيين . ويساهم جيش بورما مساهمة نشيطة فى حياة البلاد السياسية والاقتصادية وفى تنفيذ برنامج «طريق بورما الى الاشتراكية» .

وفى سياق حرب التحرر الوطنى فى عام ١٩٧١ وضعـــت بداية لتأسيس جيش جمهورية بنغلاديش الشعبية . وتشكـــل الجيش على اساس وحدات متطوعى «مكتى باهينى» الثوريـــة التحررية المستندة الى اكثر ممثلى جماهير الشغيلة وعيا من الناحية السياسية . وعندما وضعت الحرب اوزارها سلم محاربو «مكتى باهينى» سلاحهم ، ولكن قسما منهم انخرط فى صفوف الجيش بغية الذود عن مكتسبات الشعب .

ان تحول جيوش التحرر الوطنى الى قوة نشيطة للتحويلات الاجتماعية هو ظاهرة حتمية فى الظروف الراهنة . فكلمـــا كانت كبيرة مساهمة الجماهير الشعبية فى النضال ضد الاستعمار والعدوان الامبريالى كلما سارت هذه العملية على نحو اسرع واعمق . والدليل

المقنع على ذلك هو تطور جيوش بلدان الهند الصينية وكذلك جيوش بعض بلدان افريقيا والشرق الاوسط .

وتتشكل جيوش الثوار فى سياق الكفاح المسلح الذى خاضه ولا يزال يخوضه كثير من الشعوب فى افريقيا ضد المستعمرين وضد الانظمة الفاشية والعنصرية . وبالرغم من صعوبات النضال ضد قوى العدو المتفوقة وضد الاعمال الانشقاقية لمختلف الكتل والمنظمات المغامرة تحظى القوات المسلحة الثورية بتأييد متزايد من قبل الجماهير الشعبية والقوى التقدمية فى العالم . ان الكفاح المسلح الذى يفرضه المستعمرون والحكومات العميلة على الشغيلة يصبح حتما ، كما تبين التجربة ، مدرسة للتربية الثورية للجماهير الشعبية . وهو يقنع هذه الجماهير بضرورة النضال التحررى الوطنى ، بل وبضرورة تحقيق التحويلات الاجتماعية الجذرية فى الاراضى المحررة .

ومن المعروف ان كثيرا من البلدان المستعمرة احرزت الاستقلال السياسى بدون كفاح مسلح طويل الامد . فالمستعمرون «منحوها» الاستقلال لكى يسلموا السلطة الى حكومات عميلة ولكى يحافظوا على مواقعهم الاقتصادية .

ولقد تشكلت القوات المسلحة فى هذه البلدان اما على اساس الوحدات «الوطنية» السابقة المنضمة الى القوات الاستعمارية ، واما على اساس جديد طبقا للطابع الاجتماعى-السياسى للدولة .

وفى بعض البلدان اطاحت وحدات الجيش تحت قيادة الضباط التقدميين بالانظمة الرجعية العميلة ، فسار تطور هذه البلدان فى طريق التحويلات الاجتماعية-السياسية ذات الطابع الديمقراطى . وهذا ما حدث فى مصر عام ١٩٥٢ وفى العراق عام ١٩٥٨ وفى اليمن عام ١٩٦٢ وفى ليبيا عام ١٩٦٩ . وايدت وحدات

الجيش فى سوريا عام ١٩٦٥ نضالات جماهير الشغيلة بقيادة المنظمات النقابية والاحزاب السياسية التقدمية . ونتيجة لذلك تمت الاطاحة بنظام الدكتاتورية العسكرية وفتحت الطريق امام اجراء التحويلات الاجتماعية-الاقتصادية الهامة فى البلاد .

ان موقف جيوش الدول الوطنية الفتية من التحويلات التقدمية فى البلاد وقدرتها القتالية فى النضال ضد الامبريالية يعتمدان لدرجة كبيرة على القوام الاجتماعي لسلك الضباط ومواقفهم السياسية .

فالقوات المسلحة المصرية المجهزة بالاسلحة الحديثة لدرجة كافية منيت بالاخفاق فى الحرب ضد المعتدين الاسرائيليين فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكان السبب فى ذلك يعود ، بصورة رئيسية ، الى ان قسما كبيرا من الفرقاء والضباط ذوى الميول الرجعية والمرتبطين بالاقطاعيين لم يكونوا راغبين فى الدفاع عن التحويلات التقدمية فى الجمهورية ، بل وساهموا فيما بعد فى التآمر على الحكومة . وبالاعتماد على تأييد الجماهير الشعبية فصلت الحكومة المصرية فى حزيران-آب (يونيو-اغسطس) ١٩٦٧ مئات من هؤلاء الضباط والفرقاء من الجيش واسندت المناصب القيادية فى الجيش الى ممثلى القوى التقدمية . ان التدابير ، التى اتخذتها المنظمات التقدمية فى مجال تربية العسكريين السياسية ، قد لعبت دورا لايستهان به فى انتصار الشعوب العربية على المعتدين الاسرائيليين فى عام ١٩٧٣ .

وتجرى عملية استبدال الضباط بممثلى القوى التقدمية وزيادة نشاط المنظمات الثورية فى الجيش كذلك فى بعض البلدان الاخرى التى سلكت طريق التطور اللارأسمالى .

ومما له دلالته بهذا الخصوص قصـــة تدمير قوات الانزال الحربى للمستعمرين البرتغاليين فى غينيا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٠ . فان اجراء التحويلات الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد وتطهير الجيش مـــن الضباط الرجعيين لعبا دورا حاسما فى رص صفوف جماهير الشغيلـــة والجيش والتفافها حول الحزب الديمقراطى الغيني والحكومة . ولذلـــك استطاع الحزب الديمقراطى الغينى ان يعتمد فى دحر قوات الانزال على فصائل الشبيبة والعمال والمستخدمين المسلحين . فان فصائل الشغيلة المسلحة هى بالذات التى اوقفت قوات الانزال البرتغالية فى بادئ الامر ، ومن ثم دمرتها .

ان الامبرياليين يحاولون اخضاع جيوش الدول الوطنيـــة الفتية لنفوذهم . وهم يفعلون ذلك عن طريق «مدربيهم» الذين يتوجهون لتدريب افراد الجيوش على استخدام السلاح والآليات الحربية المشتراة من الدول الغربية وعن طريق شراء ذمم الضباط وتدبير المؤامرات وهلمجرا . ففى الآونة الاخيرة قامت فى عدد من البلدان الافريقية انقلابات عسكرية اسفرت عن استيلاء الضباط الرجعيين على السلطة . وفى اغلب الحالات كانت هذه الانقلابات مدبرة من قبل الدول الامبريالية بغية تصفيـــة الحكومات التى انتهجت سياسة التطور اللارأسمالى ، او بغية الحيلولة دون تطور البلاد فى طريق تعزيز الاستقلال السياسى والاقتصادى . بديهى ان استيلاء الزمر العسكرية الرجعية على السلطة فى عدد من بلدان افريقيا واميركا اللاتينية لن يستطيع حل التناقضات الاجتماعية فى هذه البلدان . فهذه التناقضات ، على العكس ، تزداد حدة فى ظروف الاستعمار الجديد بالذات وتؤدى حتما الى اشد اشكال النضال ضد الرجعية الخارجية والداخلية .

ان خاصية التناقضات وتفرد طرق حلها فى بعض البلدان لدى

احرازها الاستقلال والسيـــادة يحددان خصائص طابـــع بناء القوات المسلحة ومبادئ هذا البناء .

وجرى بشكل اصيل بناء القوات المسلحة الوطنية فى الهند . كانت بريطانيا قد شكلت فى اراضى الهند وحدات تكون قسم من جنودها وملازميها من الهنود ، وذلك بغية التنكيل بشعوب الهند والبلدان الاخرى ، ولشن الحروب على منافسى بريطانيا . وبنيت فى الهند عدة مصانع حربية . وفى سنوات الحرب العالمية الثانية بلغ عدد افراد جيش المتطوعين المكون من الهنود ٢,٥ مليون شخص . وشارك اكثر من ٧٥ الف من الجنود وصغار الضباط الهنود مع الشعب فى النضال من اجل الاستقلال الوطنى . وبعد الحرب العالمية الثانية اضطر المستعمرون البريطانيون الى الاعلان عن منح الهند الاستقلال ،ولكن على شرط تقسيم البلاد الى دولتين ـ الهند وباكستان . ولدى تقسيم البلاد انقسمت القوات المسلحة ايضا . وجرى تقسيم افراد القوات المسلحة بصورة رئيسية حسب المعتقد الدينى .

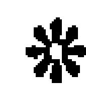
وبعد ان اعلنت الحكومة الهندية عن عدم انحيازهـــا الى الاحلاف العدوانية الامبريالية ابعدت الضباط الانجليز عن الجيش . وشرعت الحكومة فى الوقت ذاته ببناء الصناعة الحربية الوطنية . وقدم الاتحاد السوفييتى مساعدة هامة فى ضمان استقلال الهند . والى جانب الجيش النظامى فى الهند تشكلت قوات اقليمية وسلكان للضباط الشباب هما السلك الوطنى والسلك المساعد .

ان الحكومات البرجوازية فى بعض الدول المستقلة تتعمـــد عرقلة اشاعة الديمقراطية فى سلك الضباط بغيـــة السيطرة على الجيش واستخدامه لاغراضها الرجعية . الا ان دور الجيش المتعاظم فى التحويلات الاجتماعية وفى النضال ضد الاستعمار الجديـــد ، وكذلك تطور الآليات الحربية والتخصص المتعدد الجوانب وزيادة نسبة المهندسين ـ التكنيكيين ـ كل ذلك يحتم ضم ابناء فئة المثقفين

الشعبيين والشغيلة الى سلك الضباط . وان تزايد تأثير الافكار الديمقراطية والاشتراكية على صغار الضباط وسواد الجنود هو ظاهرة حتمية ، وخصوصا فى الدول الوطنية الفتية التى تقتنــــع شعوبها بانه لا شيء يؤمن لبلدانها التخلص من التخلف والتبعية الا سلوك طريق التطور اللارأسمالى والاعتماد على المنظومة الاشتراكية العالمية .

ان الجيوش التى يتزعمها ممثلو الدول الامبريالية تشكــــل خطرا عظيما على استقلال بلدانها والدول المجاورة . فالجيوش الوطنية فى الدول الفتية المنضمة الى الاحلاف العدوانيـــــة ، فى اغلبية بلدان اميركا اللاتينية ، وفى بعض الدول الافريقية قـــد تحولت فى الواقع الى نوع من «الفيالق الاجنبية» للدول الغربية ، الى اداة بيد الامبريالية لقمع الحركة التحررية الوطنية فى بلدانها وفى الدول المجاورة .

ان النمو السريع لحركة التحرر الوطنى والصراع الطبقى فى الدول الوطنية الفتية سيكون مرتبطا بتطور القوى الوطنيـــــة فى جيوش هذه الدول وباشتداد التناقضات فيها بين القوى التقدمية الثورية من جهة وقوى الثورة المضادة الرجعيـــــة من جهـــــة اخرى . ومن المحتم تاريخيا تزايد دور وتأثير القوى التقدميـــة الثورية التى تشق لنفسها الطريق فى جيوش الدول الوطنيـــــة الفتية .

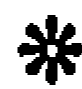


لقد سعت الطبقات المضطهدة ، وهى تهب للنضال ضـــد الاستغلاليين ، دوما الى تشكيل منظماتها العسكرية الثورية القادرة على مواجهة جيوش الدول الاستغلالية . الا ان العبيد والفلاحين الذين هبوا للنضال ضد مضطهديهم كان يعوزهم التنظيم والصلابة ،

ولم تكن واضحة تماما لديهم مهماتهم التحررية الثورية . ولم تكن لديهم آنذاك قيادة سياسية امينة لا يمكن بدونها بلوغ النصر فى الكفاح المسلح ضد العدو الطبقى . ولم تحصل الطبقات المستغلة فى البلدان المستعمرة والتابعة على قيادة امينة فى النضال من اجل التحرر من كافة اشكال الاضطهاد القومى والاجتماعى الا بتحول البروليتاريا الى قوة سياسية مستقلة والا بظهور المنظومة الاشتراكية العالمية .

وقد ادى انتصار اول ثورة اشتراكية فى العالم ، هى الثورة الروسية ، وتشكل المنظومة الاشتراكية العالمية الى انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية والى تهيئة الامكانية لشعوب البلدان المتحررة من نير الاستعمار لكى تسلك طريق الاشتراكية متخطية مرحلة التطور الرأسمالى . وتعتمد هذه الشعوب فى نضالها من اجل طريق التطور اللارأسمالى والانتقال الى الاشتراكية على المساعدة الشاملة التى يقدمها لها الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، بما فيها المساعدة فى بناء وتطوير القوات المسلحة الوطنية وفى تنظيم الدفاع عن البلاد من المعتدين الامبرياليين . وقد اعلنت الحكومة السوفييتية مرارا عن انها ساعدت وستساعد المناضلين ضد التدخل الامبريالى فى شؤون الشعوب التى وقعت ضحية العدوان الامبريالى ، بما فى ذلك مساعدتهم عسكريا .

وفى الظروف الراهنة ، حيث لا يزال تناسب القوى على الصعيد العالمى يتغير لصالح السلام والديمقراطية والاشتراكية ، بينما الامبريالية لا تكف عن دسائسها العدوانية ، تصبح القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى والقابلية الكفاحية والاستعداد الحربى لدى قواتها المسلحة اهم عامل لتأمين التقدم التاريخى .



الفصل الخامس

القوات المسلحة فى الدول الاشتراكية

تشغل مسألة التنظيم العسكرى للبروليتاريا المنتصرة مكانة هامة فى الماركسية-اللينينية . فهذه المسألة تشكل واحـــدا من مكونات التعاليم بشأن الحرب والجيش . وتعود اهمية هذه المسألة الى ان المقصود هنا هو الاداة الاساسية للذود عن مكتسبـــات الاشتراكية دون تطاولات الرجعية الامبرياليـــة العالميـــة ، ونعنى بتلك الاداة القوات المسلحة للدولة الاشتراكية .

١ ـ الطبيعة الاجتماعية لجيوش الدول الاشتراكية ورسالتها

تختلف جيوش البلدان الاشتراكية اختلافا جذريا عن جيوش الدول الاستغلالية من حيث طبيعتها الاجتماعية ورسالتهـــا التاريخية وملامحها الروحية المعنوية . فهذه الجيوش تستدعيها ظروف خاصة ، وتطورها خاضع لقوانين متفردة تختلف نوعيا عن قوانين تطور الجيوش البرجوازية .

ان ضرورة تأسيس الدولة الاشتراكية لقواتها المسلحة تمليها قوانين نضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية . فالطبقات الاستغلالية ترغم الدولة الاشتراكية على تشكيل الجيش ، اذ ان هذه الطبقات هي اول من يستخدم العنف المسلح ضد الشغيلة . ولذلك تضطر الطبقة العاملة الى تشكيل قواتها المسلحة الجبارة بغية ترسيخ سلطتها والذود عن مكتسباتها الثورية والدفاع عن الوطن الاشتراكي . وكتب لينين يقول : «... ان الطبقة المسيطرة ، البروليتاريا ، اذا كانت تريد ان تسيطر واذا سيطرت ، يجب ان تثبت ذلك عن طريق تنظيمها العسكري ايضا» * .

وفي مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، وخصوصا في الفترة الاولى بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة ، تسعى الرجعية الامبريالية العالمية الى خنق الثورة الاشتراكية بالقوة . فهي تدعم وتوجه مقاومة الثورة المضادة الداخلية ، وتنظم عملياتها المسلحة ضد سلطة العمال والفلاحين وتستخدم قوات الثورة المضادة في التدخل المسلح . ولذلك تمتزج الوظيفة التي تؤديها دولة العمال والفلاحين وجيشها للدفاع العسكري عن الوطن الاشتراكي من الهجمات الخارجية مع وظيفة اخماد المقاومة المسلحة التي يبديها الاستغلاليون المخلوعون .

وكان باستطاعة المليشيا الاشتراكية ان تؤدي هذه الوظيفة بنجاح لولا المساعدة التي قدمتها القوات المسلحة التابعة للدول الامبريالية الى الثورة المضادة الداخلية . الا ان توحيد قوى الرجعية الداخلية والخارجية بغية بعث الرأسمالية في البلاد يملي ضرورة تشكيل جيش نظامي دائم . وهذا الجيش بالذات هو الذي

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ١٣٩ .

ينفذ مهمة قمع المقاومة المسلحة التى تبديها الطبقات الاستغلالية المزاحة ، ومهمة الدفاع العسكرى وصد هجمات الامبريالية العالمية .

ان وظيفة اخماد مقاومة الطبقات المعادية تتشابه من حيث المظهر الخارجى فقط مع وظيفة الجيش فى الدولة الرأسمالية بهذا الخصوص . الا ان الوظيفتين مختلفتان من حيث المبدأ . فجيش الدولة الاستغلالية يستخدم لقمع نضالات الشغيلة ، بينما يخمد جيش الدولة الاشتراكية تمردات الاستغلاليين ، «اسياد العبيد المنتفضين» ، على حد تعبير لينين ، ويدافع عن مكتسبات الشعب الثورية .

وتنفذ هذه الوظيفة باشكال مختلفة تبعا للظروف التى تقوم فيها الثورة الاشتراكية : اما بشكل خوض الحرب ضد الاستغلاليين المزاحين والمتدخلين الاجانب ، واما بشكل الحيلولة دون نشوب حرب اهلية ، بقطع دابر المؤامرات والتمردات واعمال العصابات المسلحة التابعة للثورة المضادة .

وبانتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى فى مرحلة المجتمع الاشتراكى المتطور تستنفد القوات المسلحة وظيفتها الخاصة باخماد مقاومة الاستغلاليين بقوة السلاح ، ويظل الجيش باقيا بمثابة اداة للدفاع عن الوطن الاشتراكى من هجمات المعتدين الامبرياليين .

ولقد ظلت باقية لدى القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى واستمرت فى التطور وظيفتها الخارجية ، وظيفة الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى وعن الاسرة الاشتراكية جمعاء . وتحل القوات المسلحة السوفييتية هذه المهمة بالاشتراك مع الجيوش الشقيقة فى البلدان الاشتراكية .

وفى الوقت الذى تذود فيه القوات المسلحة للدول الاشتراكية عن مكتسبات البناء الاشتراكى والشيوعى وعن حرية الاوطان

الاشتراكية واستقلالها فانها تدافع عن السلام العالمى ايضا . وكانت القوات المسلحة للدول الاشتراكية قد مارست تنفيذ هذه المهمة فى السابق ايضا ، الا ان فاعلية تنفيذها فى الظروف الراهنة تغيرت نوعيا . ان القوات المسلحة للبلدان الاشتراكية هى عامل هام لاحلال السلام فى الارض . ولذلك فان الاستمرار فى تعزيز قدرتها وزيادة استعدادها الكفاحى يستجيب لمصالح البشرية جمعاء .

وهكذا ، **فان تشكيل قوات مسلحة جبارة من طراز جديد وقادرة على مواجهة جيوش الدول الامبريالية هو تعبير ملموس عن واحد من القوانين العامة للانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية والشيوعية فى ظروف وجود النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، الا وهو الدفاع المسلح عن مكتسبات الثورة الاشتراكية .**

السمات الاساسية المميزة لجيوش الدول الاشتراكية

تضمنت مؤلفات لينين ومقررات مؤتمرات الحزب الشيوعى السوفييتى ووثائقه الاخرى تحليلا شاملا للطبيعة الاجتماعية للجيش السوفييتى والاسطول السوفييتى والسمات المميزة لهما .

لقد مرت القوات المسلحة السوفييتية منذ تأسيسها بثلاثة اطوار رئيسية ، وافق الطور الاول منها مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية (من الناحية السياسية ـ مرحلة دكتاتورية البروليتاريا) ؛ ووافق الطور الثانى المرحلة الاولية لتطوير الاشتراكية ، بينما وافق الطور الثالث مرحلة المجتمع الاشتراكى المتطور . وتستجيب الاطوار الثلاثة جميعا لطابع العلاقات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية التى تكونت فى هذه المراحل من تاريخ المجتمع السوفييتى . ومع ذلك فهى تعكس

التغير الجذري في تناسب القوى على الصعيد العالمي لصالح السلم والديمقراطية والاشتراكية .

لقد ظهرت واخذت تتطور جيوش البلدان الاشتراكية الاخرى التي توجد سمات مشتركة بينها وبين القوات المسلحة السوفييتية . واهم هذه السمات ينبع من طبيعة الاشتراكية ويرتبط بالظروف التاريخية الملموسة . وهذه السمات تجعل القوات المسلحة في البلدان الاشتراكية تختلف مبدئيا عن جيوش الدول الامبريالية .

ان جيوش البلدان الاشتراكية هي جيوش من طراز جديد . فهي من حيث طابعها وجوهرها الاجتماعي-السياسي تتحدد كليا بطبيعة النظام الاشتراكي ، وهي جزء منه . **وهذه الجيوش جميعا تضطلع بدور جهاز للدولة الاشتراكية ، بينما تضطلع الاحزاب الماركسية-اللينينية بدور القوة القيادية التنظيمية الموجهة لهذه الجيوش .** وهذه الجيوش بغض النظر عن مستوى تطورها تمثل طرازا بعينه للعلاقات الاجتماعية وللدولة . وتسترشد الجيوش الاشتراكية بايديولوجية واحدة هي الماركسية-اللينينية .

وخلافا للقوات المسلحة البرجوازية ، **تتلخص واحدة من اهم الخصائص المميزة لجيوش الدول الاشتراكية في انها جيوش شعبية حقا .** وهي تذود عن مصالح العمال والفلاحين وجميع الشغيلة ، وهي مرتبطة بالشعب ارتباطا لا ينفصم ، وهي تدافع عن المكتسبات العظمى للاشتراكية ، وتمثل تجسيدا لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين وللوحدة الاجتماعية-السياسية والفكرية للمجتمع الاشتراكي .

ان الطابع الشعبي حقا لجيش الدولة الاشتراكية يتجلى ، اولا ، في رسالته ، في الوظائف التي يؤديها ، وثانيا ، في وحدة الجيش والشعب ، وثالثا ، في الصبغة الاجتماعية للجيش وفي العلاقات بين الجنود والضباط .

ان القوات المسلحة للبلدان الاشتراكية تدافع عن المصالح الحيوية الجذرية للشغيلة . ولذلك تختلف العلاقات المتبادلة بين الجيش والشعب فى المجتمع الاشتراكى اختلافا مبدئيا عنها فى البلدان الرأسمالية . ففى البلدان الاشتراكية يكن السكان مشاعر الود للقوات المسلحة . وكتب لينين يقول ان الجيش السوفييتى «غير معزول عن الشعب ، كما هو شأن قوة الجيش النظامى القديم ، بل هو مرتبط به اوثق ارتباط . . .» * .

تتجلى وحدة الجيش والشعب بمختلف الاشكال . فالشعب يقدم الدعم الشامل للجيش فى كفاحه المسلح ضد اعداء الوطن ، ويؤمن تزويد الجيش باسلحة وآليات عالية النوعية وبكل ما هو ضرورى للحياة والنشاط الكفاحى . والجيش مخلص لشعبه تمام الاخلاص ، وهو يكافح ببطولة وبسالة فى سبيل حرية هذا الشعب وسعادته . ولقد قام اوثق اتصال روحى بين الشعب والجيش ، كما قامت وحدة فكرية-سياسية متينة . وفى ذلك مصدر قوة الجيش التى لا تقهر .

ولئن كانت الجيوش البرجوازية تلازمها الفرقة الاجتماعية بين سلك الضباط وبين جماهير الجنود ، فان جيوش الدول الاشتراكية تتسم بالوحدة الداخلية الصلدة . وان كامل قوام هذه الجيوش يتكون من الشغيلة . وعلى اساس وحدة المصالح الجذرية بين الجنود والضباط تتكون بينهم علاقات التفاهم والاحترام المتبادل . ويتجلى فيها التعاون والمساعدة المتبادلة والديمقراطية الاشتراكية والنزعة الانسانية الملازمة للمجتمع الاشتراكى .

ومن قوانين تطور جيوش الدول الاشتراكية تغير صبغتها الاجتماعية وتحول هذه الجيوش تدريجيا الى جيوش للشعب بأسره .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٣٠٤ .

وتكمن احدى السمات المميزة لجيوش الدول الاشتراكيـــة كذلك فى انها جيوش للصداقة والاخوة بين الشعوب ، وفى انهـــا حامية حريـــة واستقلال الامم الاشتراكيـــة الموحدة فى الوطن الاشتراكى الواحد .

من المعروف ان الجيوش فى الدول الاستغلالية هى اداة لاسناد الاضطهاد القومى ، وهى تربى بروح شوفينية الدولـــة العظمى وبروح التعالى والغطرسة والاستخفاف بالامم المضطهدة . اما جيوش بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية فتعمها روح التكافؤ والحرية لجميع الامم والاقوام . ان جيوش البلدان الاشتراكية المرباة بروح الصداقة والاخوة بين الشعوب تذود بتفان ونكران ذات عن حرية وسيادة الشعوب القاطنة فى هذه البلدان وتدافع عن حدود وطنها . وفى ذلك واحد من اهم مصادر قوتها .

ان القوات المسلحة السوفييتية متعددة القوميات من حيث قوامها ، وهى تبنى على اساس تلاحم شغيلة جميع القوميات فى تنظيم عسكرى موحد . ولذلك بالذات يحظى الجيش السوفييتى والاسطول البحرى الحربى السوفييتى بدعم كامل من قبل جميع امم واقوام البلاد . وكان ذلك واحدا من اسباب المتانة الداخليـــة والصمود للقوات المسلحة السوفييتية فى اقسى محـــن الحرب الوطنية العظمى .

ان صداقة شعوب البلد الاشتراكى وتجسدها فى الجيش ما هما الا واحد من مظاهر الاممية الاشتراكية التى يستند اليها بناء القوات المسلحة وحياتها . الا ان الطابع الاممى للجيش ذى الطراز الجديد لا يقتصر على ذلك . فان الطراز الجديد للعلاقات الدوليـــة التى قامت بين دول المنظومة الاشتراكية العالمية ينعكس كذلك على القوات المسلحة . **وتتلخص السمة الجديـــدة المميزة للجيوش الاشتراكية والتى تطورت بنتيجة تكون المنظومة الاشتراكية العالمية**

فى كونها جيوشا للصداقة بين شعوب جميع البلدان الاشتراكية ، وفى كونها مشبعة بروح الاممية الاشتراكية وهى تبنى وتتطور بالتعاون الوثيق وبالمساعدة الاخوية المتبادلة فيما بينها .
وبالاستناد الى الطابع المتماثل للاسس الاقتصادية والاجتماعية السياسية والايديولوجية تعزز الدول الاشتراكية باطراد الصداقة والتعاون والمساعدة الاخوية المتبادلة فيما بينها فى الميادين الاقتصادى والسياسى والثقافى وفى الدفاع العسكرى عن اوطانها .

يتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لمواصلة تعزيز التلاحم والتعاون المتبادل بين جيوش البلدان الاشتراكية العمل المنتظم لتربية المحاربين بروح الاممية الاشتراكية والوطنية والدعاية للتقاليد المجيدة لنضال الشعوب المشترك وكفاح قواتها المسلحة جنبا الى جنب ضد الغزاة الاجانب .

ان تلاحم الدول الاشتراكية وجيوشها هو ضمانة احباط محاولات الامبرياليين الرامية الى تفرقة بلدان الاسرة الاشتراكية بغية اضعاف قدرتها وتحطيم هذه البلدان على أنفراد . ان القوات المسلحة السوفييتية وجيوش الدول الاشتراكية الشقيقة الاخرى على اهبة الاستعداد دوما لتقديم العون الى بعضها البعض فى حالة حدوث هجوم حربى او استفزازات من قبل الامبرياليين .

ومن السمات المميزة لجيوش الدول الاشتراكية كونها تتربى بروح الاحترام لجميع شعوب البلدان الاخرى غير الاشتراكية ، وبروح ادراك الواجب الاممى ازاء الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة فى العالم اجمع ، وبروح المساعدة الاخوية للشعوب المناضلة فى سبيل التحرر من الاضطهاد الطبقى والقومى . ومن هذه الناحية ايضا تختلف هذه الجيوش اختلافا مبدئيا عن جيوش الدول الرأسمالية التى تتربى بروح الحقد على شعوب البلدان الاخرى وبافكار القومية الضيقة والتمييز العنصرى .

تؤدى جيوش الدول الاشتراكية واجبها الاممـــى بمختلف الطرق والاشكال . فهى ، اولا ، تدافع بنكران ذات عن مكتسبات الاشتراكية فى بلدانها ، وبذلك تذود عن قضية الاشتراكيـــة فى العالم اجمع . ثانيا ، تسفر الهزائم الكبيرة التى تلحقها هذه الجيوش بالمعتدين ابان الحرب عن اضعاف قوى الامبريالية وتسهيل نضال الشعوب ضد الاضطهاد . ثالثا ، تقدم القوات المسلحة فى البلدان الاشتراكية فى ظروف معينة المساعدة العسكريـــة المباشرة الى الشعوب التى تتعرض للعدوان الامبريالى . رابعـــا ، تذود هذه الجيوش عن السلام العالمى واضعة عائقا منيعا فى طريق المغامرات الحربية للامبريالية .

لقد الحق الجيش السوفييتى مرارا هزائم ماحقة بجيوش المعتدين ، وبذلك اضعف قوى الرجعية وحد من هجومهـــا على الحركة التحررية للطبقة العاملـــة والشعوب المضطهدة وذاد عن قضية الاشتراكية والتقدم والسلام . وفى معرض التأكيد على الاهمية الاممية للنضال البطولى لشغيلة روسيا ضد الامبريالية العالمية قال لينين ان هؤلاء الشغيلة يمثلون ويصونون مصالح الاشتراكيـــة العالمية جمعاء .

ان جيوش الدول الاشتراكية هى جيوش تحريرية . وقـــد خاضت الحروب العادلة ولا يمكنها الا ان تخوض حروبا عادلة . واناط بها التاريخ مهمة عظمى ، هى ان تكون معقلا منيعـــا للاشتراكية والديمقراطية والسلام العالمى . وتتجلى سمات جيوش الدول الاشتراكية هذه بصورة معممة فى صبغتها الروحيـــة ، وفى تفوقها السياسى-المعنوى على جيوش الدول البرجوازية . وتكمن فى الاقتناع الفكرى والخلق الشيوعى جمالية المحـــارب السوفييتى وعظمته ومنبع نشاطه العسكرى الملهم والخدمة المتفانية للشعب والوطن ولقضية الشيوعية .

الوجه السياسي-المعنوى
لجيوش الدول الاشتراكية

يتميز الوجه السياسي-المعنوى لجيوش البلدان الاشتراكية بسماته النبيلة السامية التى تتجلى فيها العلاقات الجديدة بين أبناء المجتمع الاشتراكى وتتجسد فيها افكار الماركسية-اللينينية وقواعد الاخلاق الشيوعية .

تتحلى جيوش الدول الاشتراكية بسمو وعى افرادها . وتحدث لينين عن اول جيش فى التاريخ للبروليتاريا المظفرة فقال: «. . . تشكل لاول مرة فى العالم جيش ، قوات مسلحة تعرف فى سبيل ماذا تحارب ، ولاول مرة فى العالم ادرك العمال والفلاحون الذين يتحملون تضحيات تفوق الوصف من حيث جسامتها كامل الادراك انهم يدافعون عن الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ، عن سلطة الشغيلة . . .» * . واكد لينين مرارا ان الجيش السوفييتى قوى بادراك محاربيه وقادته ان كلا منهم يحارب «ويريق دمه عن وعى فى سبيل انتصار العدالة والاشتراكية» ** .

ان الاساس الموضوعى لارتفاع وعى المحاربين هو العلاقات الاجتماعية الاشتراكية والطبيعة الاجتماعية الجديدة للمجتمع بأسره وللدولة ككل . ومن العوامل الجبارة لزيادة وعى المحاربين العمل التربوى الذى تمارسه الاحزاب الشيوعية والعمالية بلا كلل ، والقوة القاهرة لافكار الماركسية-اللينينية التى تخلب ألباب الشغيلة بفضل ما تنطوى عليه من حقيقة سامية وعدالة عظمى .

ومن السمات المميزة للوجه السياسي-المعنوى لافراد جيوش البلدان الاشتراكية الادراك العميق للواجب الاجتماعى والعسكرى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٢١١-٢١٢ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ١٢١ .

والشعور بالمسؤولية ازاء الاستعداد الكفاحي للوحدات والقطعات والقوات المسلحة ككل ، واليقظة العاليـــة والاسلوب الحكيم فى معالجة قضية الدفاع عن الوطن الاشتراكى انطلاقا من مصالـــح الدولة .

ومن السمات الهامة للوجه الروحى لمحاربـــى الجيوش الاشتراكية توفر النزعة الجماعية والمساعدة الرفاقية المتبادلة جسب مبدأ «الفرد من اجل المجموع والمجموع من اجل الفرد» . ومن اوضح مظاهر هذه السمة الروح الرفاقية العسكرية والتعاضد فى القتال ومساعدة الرفيق فى الملابسات العسيرة للحياة والخدمة .

وتشكل النزعة الانسانية فى العلاقات المتبادلة بين العسكريين والسكان المدنيين احدى السمات المميزة للوجه السياسى-المعنوى لجيوش الدول الاشتراكية .

ان مبادئ الاخلاق الشيوعية واصـــول سلوك العسكريين المثبتة فى القوانين والمواثيق العسكرية تضبط وتحدد معاملـــة اسرى الحرب وتستثنى اهانتهم وتتطلب المعاملة الانسانية للاسرى واسعاف الجرحى .

وان مظاهر السلوك الانسانى لمحاربى الجيوش الاشتراكيـــة التى ذكرناها اعلاه تجسد الطبيعة الانسانية والرسالة الانسانية حقا لهذه الجيوش : فهى اداة للذود عن مكتسبات الاشتراكية وعن حرية شغيلة البلدان الاشتراكية من الاستغلال ومن جميع اشكال الاضطهاد الاجتماعى والسياسى ، وهى اداة للذود عن الامكانيات الواسعـــة التى تهيئها الاشتراكية لتطوير الفرد من كل الوجوه ، وعن استقلال وسيادة الامم الاشتراكية . ومن مظاهر النزعة الانسانية الحقـــة الرسالة التحررية لجيوش الدول الاشتراكية ازاء الشعـــــوب المستعبدة من قبل الامبريالية .

ويجرى تأمين النزعة الانسانية الاشتراكية عن طريق تربية المحاربين بروح الاممية البروليتارية وتعزيز التعاون الكفاحي العسكرى . ويحظى ذلك بمرتبة الصدارة من الاهتمام خلال العمل الايديولوجى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى القوات المسلحة . وتجرى فى الوقت ذاته مكافحة مظاهر النزعة القومية وضيق الافق القومى وغيرها من مخلفات الماضى .

وخلافا لجيوش الدول الامبريالية ، حيث تقترن الاخلاق البرجوازية المرائية بالدعاية الوقحة للتفسخ الخلقى وعبادة العنف والحقد على البشر ، تجرى تربية المحاربين فى جيوش البلدان الاشتراكية بروح مبادئ الاخلاق الشيوعية النبيلة . وتترسخ فى اذهان المحاربين لدرجة اعمق وتصبح قواعد لسلوكهم الخصال الاخلاقية الشيوعية ، مثل الموقف النزيه من العمل العسكرى ومن الملكية الاجتماعية (الاموال العسكرية) والنزاهة والصدق والطهارة الخلقية والتواضع فى الحياة العامة والحياة الشخصية والعدالة فى العلاقات مع جميع الرفاق الاكبر والاصغر .

ومن السمات الحاسمة للوجه الروحى للجيوش الاشتراكية الخصال الكفاحية-المعنوية لمحاربيها ، مثل الاخلاص للوطن ، والحقد المقدس على العدو ، والبسالة والشجاعة والشهامة فى النضال فى سبيل مصالح الوطن . وقد تجسد ذلك فى المآثر البطولية لملايين المحاربين السوفييت فى الحربين الوطنيتين وغيرهما من الاشتباكات المسلحة مع المعتدين ، وفى الوقائع العديدة التى ضحى فيها الجنود والضباط والجنرالات بحياتهم عن وعى فى سبيل النصر على اعداء الوطن .

ان هذه الخصال السياسية والكفاحية-المعنوية لدى محاربى جيوش البلدان الاشتراكية تتجلى ليس فقط فى سوح القتال ، ابان الحرب ، بل وفى زمن السلم ايضا . ويكفى ان نعيد الى الاذهان

الوقائع العديدة لبسالة وشجاعة جنود الهندسة الذين ابطلوا فى زمن السلم مفعول الغام مستودعات الذخيرة التى تركها الغزاة الفاشست ، وكذلك المآثر البطولية لجنود الحدود وافراد قوات الصواريخ والطيارين والبحارة الذين خدموا فى حراسة الحدود وحماية اجواء الوطن . ومن آيات البسالة المتناهية والبطولة الفائقة لدى المواطنين السوفييت تحليقات رواد الفضاء الذين هم اول من شق الطريق الى النجوم .

ان تفوق الوجه السياسى-المعنوى للجيوش الاشتراكية هو منبع من منابع جبروت هذه الجيوش وقوتها التى لا تقهر .

٢ ـ اسس ومبادئ بناء القوات المسلحة السوفييتية

ان جماهير الشغيلة والاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان التى سلكت طريق الاشتراكية وشكلت جيوشها قد تعلمت وتتعلم من خبرة بناء القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى . ولذلك تحظى مسألة المبادئ الاساسية للبناء العسكرى السوفييتى باهتمام كبير وتتسم بأهمية ملحة لجميع بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية وللدول التى سلكت طريق التطور اللارأسمالى .

تناسب اسس ومبادئ البناء العسكرى

يرتبط تنظيم وبناء القوات المسلحة السوفييتية ارتباطا مباشرا بطبيعة الدولة الاشتراكية .

ان الاسس الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية الموضوعية لبناء القوات المسلحة السوفييتية هى النظام الاجتماعى والحكومى الاشتراكى السوفييتى ، وتحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، والوحدة

الاجتماعية-السياسية والفكرية للمجتمع ، ووحدة شعوب الاتحاد السوفييتي والصداقة فيما بينها . **اما الاساس الاقتصادى ، المادى-التكنيكى** لجبروت القوات المسلحة السوفييتية فهو الاقتصاد الاشتراكى ، وبالدرجة الاولى الصناعة الثقيلة والنقليات ووسائل الاتصال والزراعة الاشتراكية .

ثم **ان الاساس الفكرى-النظرى** لبناء القوات المسلحة السوفييتية هو الماركسية-اللينينية وتعاليمها عن الحرب والجيش ، والايديولوجية الشيوعية السائدة فى الاتحاد السوفييتى بلا منازع .

ان الحزب الشيوعى بنشاطه القيادى وعمله التنظيمى والايديولوجى يوجه تطور الاسس الاقتصادية والاجتماعية-السياسية على نحو يؤمن اقصى حد من تعزيز القدرة الدفاعية للدولة السوفييتية وجبروت القوات المسلحة السوفييتية . ويستهدف تحقيق هذا الغرض ايضا تطبيق تعاليم الماركسية-اللينينية فى البناء العسكرى وتربية افراد القوات المسلحة بروح الافكار العظمى للماركسية-اللينينية . **ان قيادة الحزب الشيوعى للقوات المسلحة هى اساس اسس البناء العسكرى السوفييتى .**

واذا كان مفهوم «**الاسس**» يجيب على السؤال **عما** يحدد الطبيعة الاجتماعية للقوات المسلحة للدولة الاشتراكية ورسالة هذه القوات فان مفهوم «**المبادئ**» يجيب على السؤال التالى : كيف ينبغى تحقيق البناء العسكرى لكى تكون القوات المسلحة متفقة مع طبيعة الدولة الاشتراكية ولكى تكون قادرة على تأدية رسالتها وتنفيذ المهمات التى تواجهها فى كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع الاشتراكى ؟

ان مبادئ البناء العسكرى السوفييتى هى الافكار او الاحكام الاساسية التى يسترشد بها الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية

فى سياستهما العسكرية وفى بناء القوات المسلحة ، وتسترشد بها جميع هيئات وزارة الدفاع والقادة والرؤساء والمنظمات الحزبية فى الجيش والاسطول . وتتحدد هذه المبادئ قبل كل شيء بالنظام الاجتماعى والحكومى وبمجمل العلاقات الاجتماعية ، وكذلك بجملة من العوامل الاخرى . وان هذه المبادئ من حيث المضمون هى انعكاس علمى لسنن الصراع الطبقى على الصعيد الدولى ، وبناء الاشتراكية والشيوعية ، وطبيعة وامكانيات النظام الاشتراكى فى مختلف مراحل تطوره ، وكذلك تطور وسائل واساليب الكفاح المسلح . وهى تعكس الصلات والعلاقات الفعلية بين النظام الاجتماعى والحكومى من جهة ، والقوات المسلحة من جهة اخرى ؛ وكذلك بين القوات المسلحة والشعب ؛ وبين الحزب الشيوعى السوفييتى والجيش والاسطول ؛ وداخل القوات المسلحة . وبعبارة اخرى ، فان المبادئ هى الانعكاس العلمى للاسس الاجتماعية-السياسية والاقتصادية ، وهى التطبيق العملى لتعاليم الماركسية-اللينينية فى الميدان العسكرى .

ان البناء العسكرى هو عملية معقدة متعددة الجوانب . ومن المفيد تقسيم مبادئ البناء العسكرى السوفييتى الى المجموعات الثلاث التالية (طبقا للجوانب الاساسية لهذه العملية) : ١) المبادئ الاجتماعية-السياسية ؛ ٢) المبادئ التنظيمية ؛ ٣) مبادئ التدريب والتربية . وبديهى ان الحدود بين هذه المجموعات ليست مطلقة ، بل هى اصطلاحية ، نسبية .

ترتبط مبادئ البناء العسكرى السوفييتى ارتباطا لا ينفصم بمبادئ بناء الدولة عموما والبناء الحزبى ، وهى باغلبيتها عبارة عن تدقيق لهذه المبادئ الاخيرة طبقا لطابع ومهمات التنظيم العسكرى . وقال لينين : لا يجوز النظر فى خبرة البناء العسكرى بمعزل عن الميادين الاخرى للبناء السوفييتى . واكد قائلا : «وما

كان بوسع بناء جيشنا ان يسفر عن نتائج موفقة الا لانه جرى بروح البناء السوفييتي عموما ...» * .

المبادئ الاجتماعية-السياسية

تجسد المبادئ الاجتماعية-السياسية للبناء العسكري السوفييتي ، من جهة ، العلاقات الاجتماعية الاشتراكية ونظام الدولة الاشتراكي ، ومن جهة ثانية ، تعبر عن النشاط الواعي الهادف للحزب الشيوعي والدولة السوفييتية في هذا الميدان ، وهي التطبيق العملي لافكار الماركسية-اللينينية فيه .

ويتضمن برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ومقررات مؤتمرات الحزب والوثائق الحزبية الاخرى تأكيدا على الدور الحاسم للنشاط القيادي والتنظيمي والتربوي للحزب الشيوعي في البناء العسكري .

ويتجلى المبدأ الاجتماعي- السياسي الرئيسي واهم قانون للبناء العسكري السوفييتي في زيادة الدور القيادي للحزب الشيوعي في حياة ونشاط القوات المسلحة وتزايد نشاط ونفوذ المنظمات الحزبية في الجيش والاسطول .

ان النشاط القيادي التوجيهي للحزب الشيوعي السوفييتي في البناء العسكري متعدد الجوانب . وهو يشمل عددا كبيرا من المسائل ، ابتداء من السياسة العسكرية حتى تدريب افراد الجيش وتربيتهم ، وهو يتحقق طبقا للمبادئ الحزبية اللينينية في قيادة القوات المسلحة .

ويحدد الحزب الشيوعي السوفييتي سياسة المصلحة العسكرية ويقودها مباشرة ويمارس تفتيش تطبيق الخط السياسي المرسوم .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٧٦-٧٧ .

ففى عام ١٩١٨ اتخذت اللجنة المركزية ، باقتراح من لينين ، قرارا « بصدد سياسة المصلحة العسكرية » اكدت فيه « ان سياسة المصلحة العسكرية ، شأنها شأن جميع المصالح والدوائر الاخرى ، تطبق على اساس دقيق من التوجيهات العامة الصادرة عن الحزب بشخص لجنته المركزية وتحت رقابة مباشرة منها » * .

وورد فى مقررات الحزب الشيوعى السوفييتى اللاحقة تأكيد على ان ذلك هو واحد من اهم **المبادئ الحزبية اللينينية لقيادة** الجيش والاسطول البحرى الحربى ، ويجب ان يجرى التمسك به كليا فى البناء العسكرى . واجرى تطوير لاحق على مبادئ البناء العسكرى السوفييتى فى القانون الجديد للخدمة العسكرية الالزامية العامة .

ويعتبر العمل الحزبى-السياسى المنتظم والجيد التنظيم وسيلة هامة لتأثير الحزب الشيوعى على حياة الجيش والاسطول ونشاطهما ، وواحدا من المبادئ الحزبية اللينينية لقيادة القوات المسلحة . ولقد اشار لينين الى ان الاساس المتين للجيش السوفييتى ارسى بفضل العمل التنظيمى والحزبى-الدعائى المتفانى للشيوعيين والمنظمات الحزبية ولخيرة ابناء الطبقة العاملة .

ان العمل الحزبى-السياسى مدعو الى تعزيز القدرة الكفاحية للجيش السوفييتى والاسطول البحرى الحربى ، وتقوية الانضباط العسكرى لدى المحاربين وتربيتهم بروح الاخلاص للوطن وللحزب الشيوعى وللحكومة السوفييتية ، وبروح الوطنية السوفييتية وصداقة الشعوب والاممية البروليتارية ، وبروح اليقظة الثورية العالية والحقد على اعداء الشيوعية . ان العمل الحزبى-السياسى يساعد المحاربين فى الفهم الصائب لسياسة الحزب الشيوعى ويؤمن

---

* الحزب الشيوعى السوفييتى والقوات المسلحة للاتحاد السوفييتى . مجموعة وثائق (١٩١٧-١٩٥٨) . موسكو ، ١٩٥٨ ، ص ٤٧ .

زيادة الشعور بالمسؤولية الشخصية لدى العسكريين عن حماية الوطن وعن الاستعداد الكفاحي للوحدات والقطعات .

ويتخذ الحزب الشيوعي الاجراءات الفعالة لمتابعة تحسين العمل الحزبي-السياسي والايديولوجي ، وتقوية ربطه بالحياة وبتطبيق البناء الشيوعي وبمهمات تعزيز القدرة الكفاحية والاستعداد للقتال لدى القوات المسلحة .

وتمارس العمل الحزبي-السياسي في الجيش والاسطول الهيئات الحزبية والقادة والمسؤولون السياسيون والمنظمات الحزبية ومنظمات اتحاد الشبيبة الشيوعي .

وتعتبر الهيئات السياسية التي تشغل مكانة هامة في مجمل حياة القوات المسلحة ونشاطها الكفاحي جزءا لا يتجزأ من البنية التنظيمية للقوات المسلحة السوفييتية . وتتلخص خاصية الهيئات السياسية في انها تجمع بين الوظائف الحزبية والادارية . وفي ميدان العمل الحزبي-السياسي تعتبر الهيئات السياسية منظمات قيادية للحزب الشيوعي السوفييتي في القوات المسلحة .

وتوجه الهيئات السياسية كامل عملها الفكري-السياسي لاستكمال الاعداد الكفاحي وزيادة الاستعداد للقتال لدى القوات ولتربية المحاربين بروح الاخلاص للوطن ولقضية الشيوعية وبالحقد على الاعداء ، وبالاخلاص لليمين العسكرية وبالمحافظة الدقيقة على النظام والاصول التي تحددها القوانين والمواثيق العسكرية .

وتتمعن الهيئات السياسية عن معرفة في كامل جوانب الاعداد الكفاحي والسياسي لافراد الجيش ، وتنظم التعليم الماركسي-اللينيني للضباط ، وتساعد القادة في تذليل نواقص العمل ، وتعزز مبدأ الرئاسة الاحادية والانضباط العسكري . وهي تقود المنظمات الحزبية على اساس المبادئ والاصول اللينينية للحياة الحزبية ،

وتطور المبادرة والنشاط الخلاق لدى كل منظمة حزبية فى تنفيذ مقررات الحزب الشيوعى السوفييتى والمهمات التى يطرحها الحزب والحكومة امام القوات المسلحة .

وتلعب المنظمات الحزبية دورا هائلا فى تنفيذ سياسة الحزب فى القوات المسلحة وفى ممارســـــة العمـــــل الحزبى-السياسى بين المحاربين . فهى مدعوة لان تتمعن فى كافة جوانب الاعداد الكفاحى والسياسى للمحاربين وتربط العمل الحزبى-السياسى والتربوى ربطا محكما بالمهمات الملموسة لافراد القوات المسلحة وتوجه قواهم وطاقتهم نحو امتلاك ناصية السلاح والآليات الحديثة ونحو تقوية الانضباط العسكرى . وتعمـــــل المنظمات الحزبيـــــة فى الجيش والاسطول دوما على زيادة الدور الطليعى للشيوعيين فى التعليـــم العسكرى والسياسى وفى الانضباط العسكرى ، وتهتم بان يكـــون الشيوعى فى الطليعة دوما وفى كل المجالات .

وتعتبر منظمات اتحاد الشبيبة الشيوعى اللينينى المساعـــد الامين للحزب فى العمل مع المحاربين الشبـــــاب . وتعمل هذه المنظمات تحت اشراف الهيئات السياسية والمنظمات الحزبية . ومهمتها تربية اعضائها والشباب من غير اعضائها بافكار الماركسية-اللينينية وبروح الولاء المتفانى للحــــزب الشيوعى والحكومـــــة السوفييتية ، والاخلاص للوطن وخدمته بنكران ذات ، وكذلك دعم المبادرات الوطنية فى القوات دعما نشيطا . وتمارس منظمات اتحاد الشبيبة الشيوعى العمل الثقافى الجماهيرى والرياضى بين المحاربين فتساعد على تمرسهم وزيادة بأسهم من الناحيتين البدنية والروحية .

ويهتم الحزب الشيوعـــــى السوفييتى بان يكـــون القادة والمسؤولون السياسيون والمنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين على ارتباط دائم بجماهير العسكريين الواسعة ، وبان يدرسوا امزجتهم ومتطلباتهم وان يستجيبوا لها فى حينه . وتدعم المنظمات الحزبية

والقـــادة الشيوعيون المبـــادرات الخلاقـــة لدى المحاربين ويروجون خبرة الضباط وضباط الصف والعرفاء والجنود والبحارة الطليعيين ويطبقونها عمليا .

والى جانب اشكال العمل الجماعية يتسم بأهمية كبيرة عمل الشيوعيين التربوى مع العسكريين كل على حدة ، والدراســـة المتمحصة لقابلياتهم واسباب النجاحات والصعوبات فى العمـــل والمساعدة الرفاقية فى الدراسة وفى تأدية واجبات الخدمة .

وتشغل مكانة هامة فى حياة القوات المسلحة السوفييتيـــة مختلف اشكال ارتباط المنظمات الحزبية والهيئات السياسية فى الجيش والاسطول بالمنظمات الحزبيـــة المحليـــة . ويشارك العسكريون الشيوعيون فى اعمال المجالس العامـــة والمؤتمرات الحزبية ويتمتعون بحق الترشيح والانتخاب الى الهيئات الحزبية الاقليمية المعنية .

ومن أهم المبادئ الاجتماعية-السياسيـــة للبناء العسكرى فى الاتحاد السوفييتى مواصلة تعزيز وحدة الجيش والشعب . وخلافا للطبقات الاستغلالية التى تسعى بكل الوسائل الى عزل الجيش عن الشعب ، يرى الحزب الشيوعى انه كلما ازدادت الصلة متانة بين الجيش والشعب ، كلما استطاع الجيش ان ينفذ بنجاح اكبر وظيفته التاريخية للدفاع عن مصالح الشعب وحريتـــه ومكتسباتـــه الاشتراكية .

لقد جاء فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب : «ان الجيش السوفييتى هو جزء من شعبنا يعيش معه حياة واحدة . ان الخدمة العسكريـــة عندنا هى ليست مدرسة للمهارة الكفاحية وحسب ، وانما هى فى الوقت ذاته مدرسة رائعة للتمرس الفكرى والبـــدنى والانضباط والانتظام» .

والمظهر الواضح لوحدة الجيش السوفييتي والاسطول البحرى الحربى مع الشعب هو اشكال مشاركة الشغيلة مباشرة فى البناء العسكرى السوفييتي ، مثل التدريب العسكري الشامل وتشكيل فصائل الدفاع الذاتي المحلية فى فترة التدخل الاجنبى والحرب الاهلية ، وتشكيل المتطوعة الشعبية والكتائب المطاردة ومفارز الدفاع الجوى المحلى فى سنوات الحرب الوطنية العظمى ، والنشاط المثمر لجمعية المتطوعين لمعونة الجيش وسلاح الجو والاسطول .

والجانب الآخر للتجسيد العملى لوحدة الجيش والشعب فى البناء العسكرى السوفييتي هو حب المحاربين لشعبهم بلا حدود والدفاع المتفانى عن مصالحه .

ان التعبير الساطع عن ذلك هو البطولة والبسالة والشجاعة الواسعة لدى المحاربين السوفييت فى الدفاع المسلح عن الوطن . ومن مظاهر وحدة الجيش والشعب كذلك مختلف انواع الروابط بين الوحدات والقطعات والمؤسسات العسكرية والدوائر العسكرية التعليمية وبين الشغيلة وجماعات عمال المؤسسات الصناعية ومشاريع البناء والكولخوزات والسوفخوزات والمدارس والمعاهد والمنظمات الاجتماعية .

لقد لعب **المبدأ الطبقى** دورا كبيرا فى البناء العسكرى السوفييتي فى جميع مراحله المنصرمة . وكان هذا المبدأ يعبر عن الطبيعة الطبقية للدولة السوفييتية وقواتها المسلحة كأداة لديكتاتورية البروليتاريا . وتجلى هذا المبدأ وطبق باشكال مختلفة : فى انتقاء وتوزيع كوادر القادة والرؤساء ، وفى التجنيد للجيش والاسطول عندما ابدى اهتمام كبير بتعزيز الفئة العمالية بين افراد القوات المسلحة ، بينما لم يسمح للعناصر الاستغلالية الطفيلية بالانضمام الى صفوفها . وتجلى هذا المبدأ كذلك فى مضمون التربية الفكرية-السياسية للمحاربين .

وقد تغيرت بعض مظاهر المبدأ الطبقى فى ميدان البنـــاء العسكرى ، عندما صفيت فى الاتحاد السوفييتى بقايا الطبقـــات الاستغلالية وتكونت الوحدة المعنوية-السياسية للمجتمع .

وينعكس ذلك ، فيما ينعكس ، فى اسلوب التجنيد للجيش والاسطول وفى انتقاء وتوزيع كوادر الضباط . فلئن كانت توجد قبل انتصار الاشتراكية نهائيا فى الاتحاد السوفييتى تحديدات لقبول العناصر الطفيلية من ابناء الطبقات الاستغلالية (الكولاك ورأسماليى فترة السياسة الاقتصادية الجديدة ــ النيب ــ وغيرهم) ، فاعتبارا من عام ١٩٣٦ الغيت هذه التحديدات لانعدام الحاجة اليها بسبب تصفيـــة هذه الطبقات . وشملت المســـاواة فى الحقوق وواجبـــات الدفاع عن الوطن الاشتراكى جميـــع المواطنين السوفييت .

ولم يعد المنحدر الاجتماعى يلعب دورا لدى انتقاء الضبـــاط وترقيتهم . ويجرى حاليا استكمال قوام القادة والرؤساء فى القوات المسلحة من بين افضل ابناء كافة فئات المجتمع السوفييتى . والمعيار الاساسى لدى الترشيح للمناصب فى الجيش والاسطول هو الاخلاص للشعـــب وللوطن الاشتراكى والخصال السياسية والاخلاقية السامية فى العمـــل والقابليات الشخصية .

كما يستند البناء العسكرى السوفييتى الى **مبادئ ترسيخ الاممية الاشتراكية والصداقة بين شعـــوب الاتحاد السوفييتى .** وتتجلى هذه المبادئ فى ان جميع الامم والاقوام الاشتراكيـــة فى الاتحاد السوفييتى لديها منظمة عسكريـــة واحدة هى القوات المسلحة المتعددة القوميات ؛ وفى المراعاة الصارمة جدا لتساوى حقوق وواجبات جميع مواطنى الاتحاد السوفييتى بغض النظر عن منحدراتهم القومية والعنصرية لدى تأديـــة واجب الخدمـــة العسكرية ؛ وفى تربيـــة المحاربين السوفييت بروح الصداقـــة

والاخوة بين شعوب الاتحاد السوفييتي وبروح الصداقة مع شعوب البلدان الاشتراكية والتعاون الكفاحي مع جيوشهـــا ، وبروح الاحترام العميق لجميع الشغيلة وادراك الواجب الاممي ازاء شغيلة جميع البلدان .

لقد طرح لينين في السنوات الاولى للسلطة السوفييتية فكرة الوحدة العسكرية للجمهوريات السوفييتية التي تحققت بنجاح . وان اقامة قيادة موحدة لجميع تشكيلات الجيش الاحمر والمركزية الصارمة في توزيع جميع قوى وموارد الجمهوريات الاشتراكيـــة وتوحيد جهاز التمويـن والنقليـــات وهلمجـــرا ـ كل ذلـــك كان واحدا من اهم شروط الانتصار على اعداء الوطن في الحرب الاهلية .

لقد تعززت الوحدة العسكريـــة لدرجـــة اكبر واكتسبت مضمونا وشكلا جديدين من حيث النوعية عندما توحدت شعوب الجمهوريات الاشتراكية الشقيقة في دولة متحدة واحدة هي الاتحاد السوفييتي فشكلت قواتها المسلحة الموحدة .

ان فكرة توحيد الجهود العسكرية للدول الاشتراكية بغية صد المعتدين الامبرياليين بصورة جماعية تتسم باهمية عظيمة في الظروف الراهنة . وتجسدت هذه الفكرة في تشكيل التحالف الدفاعي للبلدان الاعضاء في معاهدة وارشـــو والقيادة الموحدة للقوات المسلحة ، وفي المعاهدات الثنائية للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة بين الدول الاشتراكية .

لقد اشار المؤتمر الرابع والعشرون للحـــزب الشيوعي السوفييتي الى ان الحزب «يقدر رفيع التقدير الروح الوطنية لدى المواطنين السوفييت واستعدادهم لبذل الغالي والنفيس لازدهار وطنهم الاشتراكي والذود عن مكتسبـــات الثورة وعن قضيـــة الاشتراكية» .

ان الظروف التاريخية الملموسة التى تقوم الثورة البروليتارية ويجرى بناء الاشتراكية فيها تحدد طابع التنظيم العسكرى للدول الاشتراكية .

ولدى تأسيس الجيش والاسطول واجهت الحكومة السوفييتية مصاعب كبيرة . وكانت هذه المصاعب تتلخص فى ان الحكومة لم تكن تمتلك خبرة فى بناء القوات المسلحة للدولة الاشتراكية . وقال لينين : «كانت مسألة بناء الجيش الاحمر جديدة كليا ، ولم تكن قد طرحت ابدا حتى بصورة نظرية» * .

لقد طرح ماركس وانجلس فكرة تشكيل تنظيم عسكرى بروليتارى من طراز جديد . وعلى اساس تحليل وتعميم خبرة ثورة ١٨٤٨ـ١٨٤٩ ، وكومونة باريس على الاخص توصلا الى الاستنتاج بان الوصية الاولى لكل ثورة مظفرة هى تفكيك الجيش القديم وحله واستبداله بجيش جديد .

ومارس الماركسيون الروس وعلى رأسهم لينين تطوير وتدقيق هذه الموضوعة الماركسية ، فوضعوا برنامج الثورة البروليتارية العسكرى فى الظروف التاريخية الجديدة . وتضمن هذا البرنامج مهمة تفكيك الجيش القديم وتشكيل تنظيم عسكرى للدولة الاشتراكية .

لم يكن الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية قبل ثورة اكتوبر وفى الفترة الاولى على اثر انتصارها قد طرحا مهمة تشكيل جيش نظامى دائم ، بل استرشدا بالموضوعة الماركسية عن استبدال الجيش النظامى بالمليشيا الاشتراكية . الا ان التدخل المسلح من قبل الامبريالية والنطاق الهائل للحرب الاهلية فى البلاد

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ١٣٧ .

استدعيا اعادة النظر فى هذه الموضوعة . ومن الفضائل الجليلة للينين انه كان اول ماركسى طرح ببسالة فكرة تأسيس الجيش النظامى للدولة السوفييتية وعلل هذه الفكرة نظريا .

وتضمنت مؤلفات لينين ومقررات مؤتمرى الحزب الثامن والعاشر اسس البناء التنظيمى للجيش السوفييتى . وان المبادئ الاساسية للبناء التنظيمى هى التالية : مبدأ الشكل النظامى للقوات المسلحة ؛ ومبدأ استكمال البنية التنظيمية والتطوير المتناسق لانواع القوات المسلحة واصناف القوات واستعدادها الحربى الدائم ؛ وانتقاء وتوزيع كوادر القادة والرؤساء حسب خصالهم فى السياسة والعمل ، وتربيتهم بروح منتهى الاخلاص للوطن الاشتراكى ولقضية الشيوعية ؛ والمركزية فى البنية التنظيمية وفى قيادة القوات ، واحادية القيادة ، والانضباط العسكرى الصارم .

جرى تشكيل القوات المسلحة للدولة السوفييتية فى جو المعارك الضارية ضد الاعداء الكثيرين الذين انهالوا على البلاد من جميع الجهات . وادى انعدام الخبرة فى هذه القضية ، الجديدة على الحزب ، الى صعوبات اضافية والى اقتراف بعض الاخطاء . وكان هناك اناس لم يفهموا ان الجيش الاحمر العمالى الفلاحى لا يستطيع تأدية رسالته التاريخية بدون الانضباط العسكرى الصارم والقيادة المركزية.

لقد استغل اعداء السلطة السوفييتية جميع هذه الصعوبات . فابدوا مقاومة مسعورة لاجراءات الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية فى بناء الجيش والاسطول . ولقى بناء الجيش "النظامى المتميز بالانضباط والقيادة المركزية الموحدة معارضة من قبل الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة ومختلف العناصر الفوضوية . وخاض الحزب الشيوعى وعلى رأسه لينين نضالا حازما ضد هؤلاء .

فى المؤتمر الثامن للحزب ردع لينين وانصاره بكل حزم «المعارضة العسكرية» التى وقفت ضد الانضباط الصارم والقيادة

المركزية في الجيش ، ودافعت عن مخلفات نزعة حرب الانصار المشتتين ، وبالتالى عرقلت تأسيس الجيش النظامى . ورفضت اراء «المعارضة العسكرية» هذه باعتبارها خاطئة وضارة . واقر المؤتمر التوجيه اللينينى بشأن تشكيل الجيش الاحمر النظامى . والى جانب ذلك اشار المؤتمر الى امكانية التحول الى المليشيا الاشتراكية اذا كان الوضع الدولى يسمح بذلك .

ان الجيش النظامى متفوق نوعيا على نظام المليشيا . ففى مثل هذا الجيش يمكـــن بلوغ مستـــوى اعلى كثيرا لاعداد القوات والانضباط وتنظيم افراد الجيش .

ويتشكل الجيش النظامى للدولة الاشتراكيـــة على اساس الخدمة العسكرية الالزامية العامـــة . وجاء فى دستور الاتحاد السوفييتى ان الخدمة العسكرية الالزامية العامة هى قانون ، وان الخدمة العسكرية فى صفوف القوات المسلحة السوفييتية هى واجب مشرف لمواطنى الاتحاد السوفييتى . واستنادا الى ذلك ينص قانون الخدمة العسكرية الالزامية العامة على ان جميع الذكور من مواطنى الاتحاد السوفييتى ، بغض النظر عن منحدراتهم العرقية والقومية ومعتقداتهم الدينية وتحصيلهم العلمى ووضعهم الاجتماعى والمـــالى ، يجب ان يؤدوا الخدمة العسكرية خلال الفترة المقررة قانونا فى صفوف القوات المسلحة السوفييتية . وينص القانون ايضا على تأديـــة الواجب العسكرى من قبل النساء الحائزات على التحصيل الطبـى وغيره من انواع الاعداد المختص . كما يحدد القانون اجراءات اعداد الاخصائيين فى بعض الاختصاصات من بين الشباب المكلفين بالخدمة لاجل الجيش والاسطول .

وللجيش النظامى مزايا على تنظيم المليشيا فى ظروف خطر الهجوم الحربى المباشر وفى سياق الحرب . فالجيش النظامى قادر على دخول الحرب فورا وصد هجوم العدو المباغت بدون اجراء

تعبئة تمهيدية . ويتسم ذلك بأهمية خاصة فى الظروف الراهنة ، حيث يخيم خطر توجيه الضربات النووية المباغتة من قبل المعتدين .

ولذلك تشكل القوات المسلحة النظامية اساس التنظيم العسكرى للاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى فى الاسرة الاشتراكية . وما دامت لدى الدول الامبريالية جيوش نظامية جبارة ، وما دامت هذه الدول ترفض نزع السلاح التام الشامل ، فان البلدان الاشتراكية مضطرة الى ابقاء واستكمال قواتها المسلحة النظامية .

ويرتبط مع مبدأ الشكل النظامى للجيش والاسطول ارتباطا لا ينفصم **مبدأ الاستكمال المستمر لبنيتهما التنظيمية والتطوير المتناسق والمتناسب لانواع القوات المسلحة واصناف القوات واستعدادها الحربى الدائم تبعا لمستوى تطور الفن العسكرى ولمهام الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى .**

ان الحزب الشيوعى السوفييتى ينكر جذريا البحث عن شكل للتنظيم الحزبى صائب صوابا مطلقا وصالح لكافة درجات التطور الثورى ، وكذلك البحث عن طرائق من هذا النوع لعمله . فان اشكال التنظيم وطرائق العمل تحددها كليا خصائص الموقف التاريخى الملموس والمهمات النابعة من هذا الموقف مباشرة .

وبالنسبة للبناء العسكرى يتجلى هذا المبدأ فى ان مسألة بنية القوات المسلحة وتغير الاشكال التنظيمية وتناسب انواع القوات المسلحة واصناف القوات تحل من قبل الحزب الشيوعى على اساس المراعاة الشاملة للوضع الداخلى فى البلاد والوضع الدولى وتطور وسائل واساليب الكفاح المسلح ، وتبعا لمهمات الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

ان الاستكمال المستمر للبنية التنظيمية وتطوير جميع انواع القوات المسلحة واصناف القوات والجمع الصائب فيما بينها ـ

كل ذلك كان واحدا من الشروط الهامة التى امنت تفوق وانتصار القوات المسلحة السوفييتية على جيش المانيا الفاشية واسطولها فى الحرب الوطنية العظمى .

وبسبب الثورة فى الشؤون العسكرية والتغيرات الجوهرية فى الوضع الدولى بعد الحرب العالمية الثانية اخذ الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية يوجهان الاهتمام بلا كلل الى استكمال وتحسين البنية التنظيمة للجيش والاسطول .

يتسم **مبدأ المركزية** باهمية كبيرة للغاية فى البناء العسكرى السوفييتى . وهو يمثل فى ظروف القوات المسلحة انعكاسا لمبدأ المركزية الديمقراطية الذى يستند عليه البناء الحزبى والسوفييتى ويعبر عن خاصية التنظيم العسكرى .

ان ضرورة المركزية الصارمة فى القوات المسلحة يمليها طابع المهمات التى تؤديها هذه القوات . فان قيادة القوات وادارتها يجب ان تؤمنا الحد الاقصى من الانتظام والانضباط والمرونة والسرعة فى العمل ، مما هو ضرورى لتنفيذ المهمات الحربية فى القتال ضد عدو قوى ماهر ، ولتنظيم التعامل والتعاضد فى المعركة . ان القيادة والادارة المركزيتين الدقيقتين للقوات امر ضرورى خصوصا فى الظروف الراهنة ، حيث الجيش والاسطول مزودان بالسلاح النووى الصاروخى وحيث يوجد خطر الهجوم المباغت من قبل المعتدين الامبرياليين الذين يمكن ان يستخدموا كافة وسائل الاصابة الجماعية .

ان مبدأ المركزية فى البنية التنظيمية للقوات المسلحة وفى نظام قيادتها يتلخص فى ان جميع تشكيلات الجيش والاسطول مع هيئات قيادتها خاضعة بصورة صارمة لهيئات سلطة الدولة المركزية ، للقيادة العليا الموحدة . وان هيئات القيادة السفلى ملزمة بتنفيذ اوامر الهيئات العليا وتوجيهاتها وتعليماتها تنفيذا لا شائبة فيه ، وهى محاسبة امام الهيئات العليا عن نشاطها وعن الحالة

المعنوية والسياسية للقوات وعن قدرتها الكفاحية واستعدادها الحربى . ويتم تأمين المركزية فى بناء القوات المسلحة عن طريق بنائها اللااقليمى ، وتعيين الاشخاص للمناصب القيادية العليا من قبل الهيئات الحكومية وهيئات القيادة المعنية ، وضبط التنفيذ من الاعلى الى الاسفل .

يتميز نظام القيادة المركزية بتحديد وظائف الجهاز المركزى للقيادة والمراتب الخاضعة له ، مع تهيئة الامكانية لها بغية ابداء المبادرة الواسعة ومنحها الاستقلال الضرورى فى العمل اثناء تنفيذ المهمات . ويوجه اهتمام كبير خصوصا الى الاتصال النشيط بين جهاز القيادة وبين القوات .

تعتبر القيادة الاحادية من اهم مبادئ بناء القوات المسلحة السوفييتية .

لقد قدم لينين تعليلا نظريا عميقا لضرورة القيادة الاحادية ، وخصوصا فى الجيش . وأكد بانه ليس هناك ابدا اى تناقض مبدئى بين الديمقراطية الاشتراكية وبين تخويل اشخاص معينين بسلطة ذات صلاحيات واسعة فى ظروف الاشتراكية ، وذلك لان القادة والزعماء الاحاديين تعينهم السلطة السوفييتية الشعبية حقا ، وهى تنتقيهم من بين اكثر ممثلى الشعب جدارة وقابلية على تنفيذ سياسة الحزب والحكومة بنجاح ، وعلى التعبير عن ارادة الشغيلة بشكل صائب . علما بان كل قائد احادى خاضع للحزب والسلطة السوفييتية وعرضة لرقابتهما المستمرة .

كان ظهور القيادة الاحادية فى القوات المسلحة وتطورها امرا حتميا ، كتعبير عن الضرورة الموضوعية لوحدة الارادة والعمل للجماعات الواسعة من الناس والضبط الحديدى والانتظام فى صفوفهم بغية بلوغ اهداف معينة . ويمكن تحقيق هذه الوحدة والعمل الهادف ، كما قال لينين ، باخضاع ارادة الآلاف لارادة

الفرد ، وخضوع الجماهير دون قيــد او شرط لارادة الزعمــاء الموحدة . وتثبت خبرة الجيش الاحمر بكامل الوضوح ضرورة القيادة الاحادية ، باعتبارها افضل طريقة للقيادة . وقال لينين : « ينبغي التمعن فى هذه الخبرة . فقد قطعت الطريق ، بتطور حتمى ، مــن الجماعية الصدفية المائعة ، عبر الجماعية التى اصبحت نظاما تخلل جميع مؤسسات الجيش ، حتى وصلت الآن ، كاتجاه عام ، الى القيادة الاحادية باعتبارها الشكل الصائب الوحيد لتدبير العمل » * .

ان الحزب الشيوعى الذى اعتبر القيادة الاحادية اكثر اشكال الادارة جدوى حل هذه المسألة بمراعاة الوجه الاجتماعى لقوام القادة ومستوى الاعداد العسكرى والنضوج السياسى لهؤلاء القادة ، وكذلك استعداد الجماهير لتقبل هذا الشكل او ذاك من اشكال الادارة .

تعنى القيادة الاحادية فى الجيش ان القائد (او الرئيس) يتحمل شخصيا المسؤولية امام الحزب والدولة عن جميع جوانب حياة ونشاط الوحدة العسكرية او السفينة او القطعة او المؤسسة الموكل اليه امر قيادتها فى الجيش السوفييتى والاسطول البحرى الحربى ، وانه تتركز بيده الوظائف السوقية-الصفية والسياسية والادارية والتموينية . وتهيئ القيادة الاحادية ظروفا ملائمة خصوصا لادارة المعركة بدقة ومرونة ، ولاستخدام الوسائل المادية-التكنيكيــة والقوى البشرية استخداماً فعالا اثناء تنفيذ المهمة الحربية ، وتؤمن وحدة الارادة والفعل لدى افراد الوحدة .

تختلف القيادة الاحادية فى جيوش الدول الاشتراكية اختلافا جوهريا عن مثيلتها فى جيوش الدول الاستغلالية . ومبعث هذا الاختلاف هو المضمون الاجتماعى- السياسى لوظائف القائد الاحادى فى جيوش البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المتعارضة . ومن هذا

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٧٧ .

التعارض تنبع فروق فى الامكانيات المتوفرة لدى القادة الاحاديين فى الجيشين ، هذا اولا . وثانيا ، فى طرق الحفاظ على النظام العسكرى . وثالثا ، فى طراز القيادة الاحادية .

فى جيوش البلدان الاشتراكية يعتمد القائد الاحـــادى على المنظمات الحزبية ومنظمات اتحاد الشبيبة الشيوعى ويستخدم جميع اشكال العمل الجماهيرى المتوفرة لدى القوات المسلحة والتى تؤمن المساهمة النشيطة من قبل افرادها فى اداء مهمات الاعداد الحربى والسياسى وتقوية الانضباط العسكرى والنظام حسبما تنص عليه المواثيق العسكرية . ومن هذه الاشكال اجتماعات الجنود ، واجتماعات الخدمة لمختلف مراتب العسكريين ، والصحف الدورية ، والمباراة الاشتراكية وغيرها . وان جميع القادة والرؤساء مدعوون الى تطوير ودعم الانتقاد والانتقاد الذاتى باعتبارهما اهم وسيلة للكشف عن النواقص فى حياة الوحدات ونشاطها وتذليـــل هذه النواقص . ولا يعفى من النقد الا اوامر وتوجيهات القادة (او الرؤساء) ، وهذا شىء تستدعيه خصائص التنظيم العسكـــرى والمهمات التى تؤديها الجيوش .

ان القيادة الاحادية فى القوات المسلحة السوفييتية ، كشكل رئيسى للادارة ، لا تستبعد الاشكال الجماعية لها ، بل تقترن بها على نحو حكيم معقول .

ان المجالس العسكرية هى الهيئات الجماعية لقيادة القوات . وتضم هذه المجالس ليس فقط الكوادر القيادية العسكرية ، بل والشخصيات القيادية من الحزب الشيوعـــى . وتناقش المجالس العسكرية اهم مسائل حياة القوات ونشاطها . وذلك يولد لدى القادة ثقة اكبر فى ادارة القوات وفى تنفيـــذ سياسة الحـــزب والحكومة .

ومن الشروط الضرورية لتحقيق القيادة الاحادية وتعزيزها العمل الحزبى-السياسى ومساهمة القادة مساهمة نشيطة فى تنظيم هذا العمل وتطبيقه .

وبفضل العناية الدائمة من الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية نجد الكوادر القيادية جيدة الاعداد من الناحيتين العسكرية-التكنيكية والسوقية-التاكتيكية ، ومرباة بروح افكار الماركسية-اللينينية والوطنية الاشتراكية والاممية ، وهى تتمتع عن جدارة واستحقاق بسمعة طيبة لدى المرؤوسين .

ان سمعة القادة (والرؤساء) فى الجيش والاسطول مستندة الى كونهم يتحلون بمهارة مهنية كبيرة ، وكونهم قادة ومنظمين محنكين يتمتعون بثقة الحزب والحكومة . غير ان الامر لا يقتصر على ذلك . فالسمعة الطيبة يكتسبها ذلك القائد الذى يعمل بلا كلل فى رفع مستوى معارفه العسكرية والسياسية ويصبح قدوة لمرؤوسيه من حيث سلوكه الذى لا شائبة فيه وتنفيذه القوانين والمواثيق والاوامر والتوجيهات بكل دقة . ثم ان الاتصال الدائم مع الجنود والضباط ، والقيادة المباشرة للاعداد العسكرى والسياسى والاهتمام بتلبية الحاجات المادية والمتطلبات الروحية لدى العسكريين والموقف المتشدد ازاء الذات وازاء المرؤوسين ، كل ذلك ، مصحوبا بالعدالة واللطف فى المعاملة ، هو ما تستند اليه سمعة القائد وشخصيته .

ان تأمين الانضباط العسكرى المتين على اساس وعى المحاربين العالى هو واحد من اهم مبادئ بناء القوات المسلحة السوفييتية . وتتلخص خاصية هذا المبدأ فى انه ينبع من الطبيعة الاجتماعية للجيش والاسطول السوفييتيين باعتبارهما منظمة عسكرية من طراز جديد ، وهو فى الوقت ذاته يضطلع بدور المبدأ التنظيمى لبناء القوات المسلحة ، مبدأ تدريب القوات وتربيتها .

ان الانضباط العسكرى سمة لا مناص منها لكل جيش . ويختلف الانضباط فى الجيش السوفييتى اختلافا جذريا عن الانضباط فى جيوش الدول الاستغلالية . فالاساس الاجتماعى للانضباط العسكرى السوفييتى هو علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة الاخوية بين شغيلة المجتمع ؛ والوحدة الاجتماعية- السياسية للشعب ؛ واساسه الفكرى هو الوعى الشيوعى وتفهم العسكريين لواجبهم وتأديته بوعى تام .

وفى معرض المقارنة بين الانضباط العسكرى السوفييتى وانضباط العصا فى الجيوش البرجوازية قال لينين : «من الضرورى توفر اكثر الانضباط صرامة فى الجيش . . . . وقد وضع الجيش الاحمر انضباطا لا مثيل له من حيث المتانة ، وليس ذلك بضربات العصا ، بل على اساس الوعى والاخلاص ونكران الذات لدى العمال والفلاحين انفسهم» * .

ان الطريقة الاساسية للحفاظ على الانضباط العسكرى وتعزيزه فى القوات المسلحة السوفييتية هى الجمع الصائب بين الاقناع وبين اجراءات الاكراه .

فالانضباط العسكرى فى الاتحاد السوفييتى «**يستند ليس الى الخوف من العقوبة والاكراه ، بل الى الوعى السياسى العالى والتربية الشيوعية للعسكريين ، الى تفهمهم العميق لواجبهم الوطنى وللمهمات الاممية لشعبنا ، والى اخلاص العسكريين المتفانى لوطنهم الاشتراكى وحزبهم الشيوعى وحكومتهم السوفييتية . الا ان الاقناع لا يستثنى استخدام اجراءات الاكراه ازاء العسكريين الذين يستهينون بتنفيذ واجبهم العسكرى**» ** . وعلمنا لينين ان الاكراه،

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٢٤٠ .

** نظام الانضباط فى القوات المسلحة السوفييتية . موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٥-٦ .

عند الاقتضاء ، لا يمكن استخدامه بنجاح الا عندما يستند مقدما الى اساس من الاقناع . وقال لينين : «علينا قبل كل شيء ان نمارس الاقناع ، ومن ثم الاكراه» * .

لا يمكن في الجيش والاسطول السوفييتيين الحفاظ على الانضباط العسكري بصورة جامدة كما في جيوش الدول الامبريالية ، حيث يفرض الانضباط بوسائل العنف والتضليل الروحي للجنود ، وعن طريق شراء ذمم قسم كبير من العسكريين . فمنذ قيام الثورة الاشتراكية يبنى الانضباط على اسس مغايرة لتلك تماما : انه انضباط ثقة الشغيلة وانتظامهم ، انه انضباط الروح الرفاقية ، انضباط الاحترام الكلي ، انضباط الاستقلالية والمبادرة .

ولكن ذلك لا يعني ، طبعا ، التساهل مع العسكريين الذين يخرقون الانضباط على نحو فظ . ففي مثل هذه الحالات ينبغي استخدام الاكراه والعقوبات الانضباطية دون اي تردد ، ولكن بمهارة وبحيث تكون لها اهمية تربوية كبيرة .

وتتلخص المهمة الرئيسية في ترسيخ الادراك العميق لدى جميع المحاربين لاهمية وضرورة الانتظام العالي والانضباط العسكري المتين .

وعلمنا لينين «ان الانضباط العسكري واليقظة العسكرية في حدهما الاقصى» ** ضروريان للحفاظ على الاستعداد الحربي الدائم لدى القوات . وقد اكتسب هذا التوجيه اللينيني اهمية فائقة في الظروف الراهنة ، حيث ازداد بما لا يقاس خطر استخدام سلاح الابادة الجماعية من قبل الامبرياليين . ففي القتال المسلح حاليا لا يمكن تحقيق النصر على العدو بدون اعظم قدر من الانتظام

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٥٤ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٥٥ .

والانضباط العالى الذى يتطلب تنفيذ اوامر القادة وتوجيهاتهم دون قيد او شرط .

ولا يمكن تحقيق الانضباط المتين الا حيث يلتزم الجميع التزاما صارما بالنظام الذى تحدده المواثيق العسكرية ، والا حيث يجرى الجمع بمهارة بين التشدد الفائق لدى القادة وبين العمل التربوى اليومى ، والا حيث يصبح الشيوعيون واعضاء اتحاد الشبيبة الشيوعى قدوة يحتذى بها فى تأدية واجب الخدمة وفى السلوك المعيشى . ان التشدد الحقيقى يتنافى والخشونة فى معاملة المرؤوسين . فالحزب الشيوعى السوفييتى ، اذ يؤيد القادة والرؤساء المتشددين العادلين ، يشجب تشويه مبادئ الانضباط العسكرى السوفييتى ويستنكر الاخطاء فى التطبيق الانضباطى .

مبادئ التربية والتدريب

لقد تكون فى القوات المسلحة السوفييتية نظام متناسق للتدريب العسكرى والتربية السياسية لافراد القوات ، يستند الى اساس فكرى لا يتزعزع هو الماركسية-اللينينية . والمهمة الرئيسية للتربية والتدريب تتلخص فى اعداد المحاربين المتطورين من كافة الجوانب للدفاع عن الوطن الاشتراكى ، وتربيتهم على الخصال الكفاحية-المعنوية السامية وتسليحهم بالمعارف السياسية والعسكرية-التكنيكية العميقة وتعويدهم على المران العملى والمهارة فى خوض الكفاح المسلح .

ويجب ان تستجيب لاهداف التربية والتدريب ومهماتهما وسائل وطرق العمل التربوى وتنظيم الاعداد الحربى والسياسى . ويتم التوصل الى وحدة الاهداف والوسائل والطرق على اساس الاستخدام الدؤوب لمبادئ التربية والتدريب التى هى انعكاس للقوانين الموضوعية لعملية تربية افراد المجتمع الاشتراكى .

ان المبادئ العامة للتدريب والتربية على حد سواء هي التالية : الحزبية الشيوعية الهادفة ، وربط التدريب والتربية ربطا وثيقا بتطبيق البناء الشيوعي وبمهمات تعزيز القدرة الحربية والاستعداد الحربي لدى القوات المسلحة ؛ وممارسة التربية والتدريب في سياق العمل العسكري ، والنشاط في مجرى التدريب والتربية ؛ والتوفيق بين الاشكال الجماعية للتدريب والتربية وبين الاسلوب المتمايز في معاملة العسكريين والعمل الفردي معهم ؛ والجمع بين التشدد العالي ازاء المرؤوسين وبين احترام كرامتهم الشخصية والعناية بهم .

والى جانب هذه المبادئ العامة لعملية التدريب والتربية الموحدة توجد كذلك مبادئ خاصة تلازم ، على الاغلب ، هذا الميدان او ذاك من ميادين اعداد المحاربين السوفييت ، مثل مبدأ الايضاح ، ومبدأ تيسير الفهم وهلمجرا .

ومن مميزات هذه المبادئ وضوح اتجاهها الهادف وخضوعها لحل القضايا الجذرية التي تواجه الشعب السوفييتي وقواته المسلحة . ويتجلى ذلك ، مثلا ، في مبدأ الحزبية الشيوعية الهادفة . فان عملية التربية والتدريب لايمكن ان تكون مجدية فعالة الا اذا كان المربون يتحلون بفهم دقيق واضح لاهداف التربية الشيوعية ، والا اذا كان المستوى الفكري للفعاليات الجارية عاليا واذا كان يميل الى التطور المتواصل ويراعي الاتجاهات النافعة للتدريب والتربية . وينطوي هذا المبدأ على جدوى انتقاء واستخدام طرق واساليب ووسائل عمل القادة العسكريين والمسؤولين السياسيين والمنظمات الحزبية ومنظمات اتحاد الشبيبة الشيوعي .

ان استخدام مبادئ تدريب وتربية افراد القوات المسلحة يستدعي قبل كل شيء تنفيذ متطلبات الحزب الشيوعي السوفييتي

فى ميدان العمـــل الايديولوجـــى والتربية الفكرية-السياسية للعسكريين .

ويعتمد استخدام مبادئ التدريب والتربية لدرجة حاسمة على الضبـــاط وعلى المربين انفسهم . ولذلك **تعتبر تربية القادة والمربين انفسهم مهمة كبيرة** . فالجنرالات والاميرالات والضباط ، بغض النظر عن مناصبهم ، هم قادة ومربون لمرؤوسيهم من جنود وبحارة وعرفاء وضباط صف وضباط . ولذلك ينبغى ان يتحلوا بخصال حزبية سامية وان يمتلكوا ناصية النظرية الماركسيـــة-اللينينية والعلوم الدقيقة ويستخدموها فى التطبيق العملى .

ان المتطلبات المتزايدة ازاء الكوادر القيادية بسبب تجهيز القوات بالآليات المعقدة وبسبب تعاظم مهمات التدريب والتربية تلزم كل قائد ورئيس بان يجمع بين خصال الزعيم والاخصائى العسكرى والمنظم والمربى المؤهل من كافة الوجوه . وتتكون هذه الخصال وتتطور فى مجرى التعلم اليومى والتثقيف الذاتى . ولا يمكن ان يصبح مربين وزعماء جيدين الا الجنرالات والضباط الذين يدرسون بانتظام ويعرفون اهم منجزات الفكر البشرى فى ميدان العلـــوم الاجتماعية والطبيعية والتكنيك والعلوم العسكرية . وينبغى للزعماء العسكريين ان يجيدوا العمل مع الناس ويعرفوا مبادئ علم التربية وعلم النفس وان يهتموا دومـــا بمعيشة مرؤوسيهم ودراستهـــم واستجمامهم وتنظيم اوقات فراغهم .

ويوجه اهتمام خاص بتربية الضباط الشباب والقسم الاكبر من الكوادر القيادية : ضباط الصف والعرفاء ، اى مســـاعدى الضباط فى تربية الجنود وتدريبهم .

ان الاعداد العسكرى والسياسى لافراد القوات المسلحة ، اذا كان دقيق التنظيم جيده ، هو وسيلة هامـــة لتربيـــة المحاربين وتدريبهم وتأمين القدرة الكفاحية العالية والاستعداد الحربى الدائم

لدى القوات المسلحة . وهذا الاعداد فى القوات المسلحة السوفييتية خاضع كليا لمطلب **تعليم افراد القوات ما ينبغى لهم فى الحرب واعداد القوات لكى تنتصر على العدو القوى المجهز تكنيكيا** . ولذلك ينبغى للتدريب ان يجرى فى جو مقرب ، لاقصى حد ، الى جو القتال ، وبروح العمليات الهجومية النشيطة ضد المعتدى بغية دحره كليا .

ويتميز كامل العمل التدريبى-التربوى فى القوات المسلحة السوفييتية بالصبغة العلمية العميقة . فالحزب الشيوعى السوفييتى ينطلق من ان الهفوات فى تدريب افراد القوات المسلحة وتربيتها لا يمكن تلافيها ابان الحرب ، ولذلك يجب ان يبنى التدريب والتربية على نحو يمكن معه التوصل الى النتائج الحاسمة فى زمن السلم . ويجب ان يساعد على تحقيق ذلك ويستجيب له الاعداد النفسى-المعنوى للمحاربين .

وتنعكس نتائج تدريب وتربية افراد القوات المسلحة بصورة مركزة **فى الاستعداد الحربى الدائم لهذه القوات** ، وهو ما يحدده استعداد جميع انواع القوات المسلحة وجميع اصناف القوات ، وكذلك جميع مصلحات المؤخرة والتموين .

٣ - القوات المسلحة فى البلدان الاشتراكية

يؤكد تاريخ بناء الجيوش ذات الطراز الجديد فى البلدان الاشتراكية ان الامر الرئيسى الحاسم فيها هو قوانين هذا البناء العامة المقترنة ببعض السمات الخاصة فى تطور هذه الجيوش . ان وحدة هذه القوانين مبعثها تماثل النظام الاقتصادى والسياسى لدول المنظومة الاشتراكية ووحدة الايديولوجية الماركسية-اللينينية ،

وهى تتجلى فى وحدة اهداف الجيوش ومهماتها ومبادئ قيادتها ، ومبادئ بنائها وتربية افرادها وتدريبهم . ومع ذلك فان مراعاة خصائص بناء كل جيش على حدة هى الشرط اللازم لمواصلة رص الصفوف والتنظيم الصائب للتفاعل المترابط ولزيادة القدرة الكفاحية لدى القوات المسلحة فى البلدان الاشتراكية .

وتدل الخبرة التاريخية كذلك على ان الانحراف عن المبادئ الماركسية-اللينينية فى البناء والتربية والتدريب وعن مبدأ التعاون الكفاحى المتلاحم للجيوش الاشتراكية يلحق ضررا بالقدرة الدفاعية لدول المنظومة الاشتراكية ويهدد المكتسبات الثوريـــة للشعب وامكانية نجاح بناء الاشتراكية .

واثبتت الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية ، بانشائها الجيوش ذات الطراز الجديد ، ان خبرة البناء العسكرى السوفييتى تتسم بأهمية اممية وليس محلية . واستخدمت هذه الخبرة بنجاح من قبل هذه الاحزاب مع مراعاة الخصائص التاريخية والوطنية لبلدانها .

خصائص تأسيس وبناء
الجيوش الجديدة الطراز

ان جيوش عدد من البلدان الاشتراكية هى وريثة التقاليد المجيدة للتشكيلات المسلحة التى أسستها الطبقة العاملة تحت قيادة الاحزاب الشيوعية ابان المعارك الثورية فى ١٩١٨-١٩٢٣ . ففى تلك السنوات تأسست فى بلغاريا والمجر والمانيا وبولونيا وبعض البلدان الاخرى الفصائل والتشكيلات المسلحة للنضال فى سبيل انتصار الثورة الاشتراكية . واطلق على بعض منها اسم الحرس الاحمر او الجيش الاحمر . وكان فى هذه الفصائل عدد غير ضئيل من المحاربين والقادة الذين حاربوا سابقا فى الوحدات الامية لدى

الجيش الاحمر التابع لروسيا السوفييتية . وبالمقابل كان العمال والفلاحون الروس يكافحون فى صفوف الجيش الاحمـــر المجرى والحرس الاحمر والجيش الاحمر فى المانيا والفصائل المسلحـــة للبروليتاريا البولونية . وهكذا فان التعاضد الكفاحى لبروليتاريى مختلف البلدان المناضلة فى سبيل تحررها الوطنى والاجتماعى ضد العدو المشترك كان واحدة من السنن التى تتجلى على اكمل وجه فى العلاقات المتبادلـــة حاليـــا بين القوات المسلحـــة للدول الاشتراكية .

فى عام ١٩٢١ احرز شغيلة منغوليا ، بالاعتماد على المساعدة الاخوية التى قدمها الجيش الاحمر السوفييتى ، الانتصار فى المناوشة المسلحة ضد المستعمرين الاجانب والاقطاعيين المحليين . وتجلت بكل وضوح فى العلاقات المتبادلة بين الجيش السوفييتى والجيش الشعبى الثورى المنغولى (الجيش الشعبى لجمهورية منغوليا الشعبية اعتبارا من ١٩٥٥) سمات العلاقات بين جيشين من طراز جديد : المساعدة المتبادلة فى مكافحة العدو المشترك ، ومساعدة الاتحاد السوفييتى النزيهة فى تزويد الجيش الشعبى الثورى باحدث الاسلحة والآليات الحربية وفى امتلاك ناصيـــة العلم العسكرى السوفييتى الطليعى وفى التعاضد خلال العمليات الحربية . فى عام ١٩٣٩ الحق المحاربون السوفييت والمنغوليون معا هزيمة ماحقة بالمعتدين اليابانيين . وفى صيف ١٩٤٥ ســـاهم الجيش الشعبى الثـــورى المنغولى ، بالتعاون مع وحدات الجيش السوفييتى وجيش التحرير الشعبى الصينى ، فى دحر جيش كوانتون وتحرير الشعب الصينى من المحتلين اليابانيين .

وقدم الجيش السوفييتى مساعدة حاسمة الى شعب الصين فى تحقيق النصر على الغزاة اليابانيين . واتسم باهمية كبيرة تسليم الاسلحة والمعدات التى غنمتها القوات السوفييتيـــة من جيش

كوانتون الى جيش التحرير الشعبى الصينى . وتجلت المساعدة الحاسمة المقدمة الى الشعب الصينى كذلك فى وقوف الاتحاد السوفييتى دون ارسال اية قوات اميركية يؤبه بها الى الصين . وحالت القدرة الهائلة للاتحاد السوفييتى وموقفه الحازم دون استخدام القنابل الذرية ضد الشعب الصينى من قبل الولايات المتحدة الاميركية التى كان يسعى الى ذلك بعض شخصياتها السياسية والعسكرية . وفى هذه الظروف الخارجية الملائمة دحر جيش التحرير الشعبى الصينى قوات تشان كايشيك التى فرت فلولها الى جزيرة تايوان المحتلة من قبل الولايات المتحدة الاميركية . الا ان زعماء الصين حاليا يحاولون ان يلزموا الصمت بشأن ذلك .

بعد عام ١٩٥٨ صار تطور جيش التحرير الشعبى الصينى يختلف اختلافا جوهريا عن تطور الجيوش الاشتراكية . ففى هذه الفترة استخدم هذا الجيش فى مكافحة اللجان الحزبية والنقابات وهيئات السلطة الشعبية . وجرى ترسيخ ايديولوجية معاداة الاتحاد السوفييتى والتحرش به ونزعة الهيمنة والقومية الضيقة فى اذهان افراد جيش التحرير الشعبى الصينى .

لقد ظهرت الجيوش الشعبية الحديثة فى بلغاريا والمجر وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وكذلك البانيا باعتبارها تشكيلات مسلحة مناوئة للفاشية ، تكونت فى ١٩٤١ـ ١٩٤٤ بمبادرة من الاحزاب الشيوعية وتحت قيادتها للنضال ضد الغزاة الالمان والايطاليين الفاشست . وفى خضم النضال ضد المحتلين اليابانيين شكل الحزبان الشيوعيان فى كوريا والفيتنام الفصائل المسلحة الثورية التى تطور منها الجيشان الشعبيان فى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وجمهورية الفيتنام الديمقراطية .

لقد حددت الظروف الداخلية والخارجية للنضال ضد الفاشية الاشكال الاساسية التى ظهرت بها وتطورت التشكيلات المسلحة الشعبية فى بادئ الامر . وهذه الاشكال هى : فصائل ومجاميع الانصار ، جيوش التحرير الشعبية والتشكيلات المسلحة الوطنية التى جرى انشاؤها فى اراضى الاتحاد السوفييتى .

كانت مجاميع وفصائل الانصار الاولى قد تأسست فى يوغوسلافيا وبلغاريا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والبانيا بعد هجوم المانيا الهتلرية على الاتحاد السوفييتى . وكانت نواتها تتكون من الشيوعيين واعضاء اتحادات الشبيبة الشيوعية وكانت التربية الايديولوجية لافراد هذه التشكيلات تجرى بروح الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية والنضال فى سبيل حل مهمات الثورة المناوئة للفاشية والامبريالية وتحقيق الثورة الاشتراكية فيما بعد .

وكانت شكلا اعلى لتنظيم التشكيلات المسلحة الجديدة الطراز جيوش التحرير الشعبية التى تأسست بالاستناد الى فصائل الانصار فى ظروف اشراك جماهير الشغيلة على نطاق واسع فى الكفاح المسلح ضد الغزاة الاجانب وضد الفاشية «الداخلية» . ففى يوغوسلافيا ظهرت اولى قطعات جيش التحرير الشعبى فى اواخر عام ١٩٤١ . وفى عام ١٩٤٣ تأسس الجيش الشعبى فى بولونيا وجيش التحرير الوطنى الثورى فى بلغاريا . وكانت الاحزاب الشيوعية وحدها تمارس قيادة جيوش التحرير الشعبية ، شأنها شأن تشكيلات الانصار . وكان الشيوعيون يأخذون بعين الاعتبار توسع القاعدة الاجتماعية للحركة المسلحة المناوئة للفاشية وانخراط جماهير واسعة من الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين والمثقفين الشعبيين فى النضال النشيط من اجل التحويلات الديمقراطية العامة المناوئة للفاشية . وبغية توسيع النضال المسلح ضد الفاشية على نطاق اكبر اقامت

الاحزاب الشيوعية فى عدد من البلدان علاقات التعاون مع القوى التقدمية فى الاحزاب الديمقراطية (الفلاحية والاشتراكية-الديمقراطية واحزاب البرجوازية الصغيرة فى المدن وجـــزء من البرجوازيـــة المتوسطة) . وعلى هذا الاساس ، وفى ظروف تزايد نفوذ الاحزاب الشيوعية بين جماهير الشغيلة والنضـــال المشترك لجميع القوى التقدمية ضد الفاشية ، تشكلت الجبهات الشعبية وقامت حكومات الجبهات الشعبية . وكانت القوة القيادية فى الجبهات الشعبية هى الاحزاب الشيوعية التى بادرت الى النضال ضد الفاشية وقادت هذا النضال .

لقد اتسم تشكيل جيوش التحرير الشعبية بأهمية عسكرية وسياسية كبيرة . فخلافا لفصائل الانصار كان الجيش جزءا من كيان الدولـــة الثوريـــة الجديدة التى تأسست او كانت فى طور التكوين . واثر ذلك تأثيرا كبيرا على فئات السكان المتذبذبـــة ، وزاد من ثقتها فى انتصار القوى الثورية . وظهرت امكانية تركيز جهود الجيش الثورى بكامله على توجيه الضربات الى مواصـــلات العدو وحامياته الكبرى ومجموعاته الاساسية ، واحباط عملياته «التأديبية» ، وتحرير مناطق كاملة فى البلاد والصمود فى الدفاع عنها ، وتأسيس قواعد التموين وفتح المستشفيـــات والخ . فى المناطق المحررة . وساعد تشكيل جيوش التحرير الشعبية كذلك على تنظيم التفاعل السوقى بينها وبين القوات المسلحة السوفييتية وجيوش التحرير الشعبية فى البلدان الاخرى .

وطبقت جيوش التحرير الشعبيـــة فى الاراضى المحـــررة التحويلات السياسية والاقتصادية الثورية ، وادت وظائف الهيئات الادارية والحقوقية . واتسم بأهمية كبيرة تأسيس ممثلى جيوش التحرير الشعبية لهيئات السلطة الديمقراطية المحليـــة وتوزيع اراضى الاقطاعيين واموال الملاك العقاريين الهـــاربين على الفلاحين

الكادحين ، وتخفيض بدلات الايجار وتامين الاغذية للشغيلة بعد انتزاعها من العدو .

ولم يستطع تأدية هذه الوظائف الا جيش من طراز جديد . وكلما ازدادت هذه الجيوش حزما وتعمقـــا فى تنفيذ التحويلات الثورية فى كافة ميادين الحياة الاجتماعيـــة ، ازداد دعم جماهير الشغيلة لها وانخرط عدد اكبر من عمال هذه البلدان وفلاحيها فى النضال التحررى الوطنى والثورى .

كان الجيشان البولونيان الاول والثانى والفيلق التشيكوسلوفاكى الاول وفرقتا المتطوعين الرومانيتان ، وهى قطعات تأسســـت فى اراضى الاتحاد السوفييتى ، شكلا متميزا خاصـــا من التشكيلات المسلحة المناوئة للفاشية . فالى جانب تشكيلات الانصار وجيوش التحرير الشعبية كانت هذه القطعات تشكل اساس القوات المسلحة الجديدة الطراز فى بلدانها . وبميلاد وتعزز اول دولة اشتراكية فى العالم تهيأت للطبقة العاملـــة وجماهير الشغيلـــة فى البلدان غير الاشتراكية اول امكانية فى التاريخ لتأسيس تشكيلاتها المسلحة فى اراضى دولة اشتراكية وبمساعدة هذه الدولة لحل مهمات التحرر من جميع اشكال الاضطهاد القومى والاجتماعى والذود عن المكتسبات الثورية . لقد قدمت الدولة السوفييتية الى هذه التشكيلات احدث واكمل انواع السلاح والآليات الحربيـــة فى ذلك الزمان ، وقدم المحاربون السوفييت لها خبرتهم الغنية ومساعدتهم التى استمرت فى سياق العمليات الحربية المشتركة .

لقد جرى التجنيد الى القطعات التى تشكلت فى اراضى الاتحاد السوفييتى على نحو سمح بالانخراط فيها لجميع الوطنيين الراغبين فى المساهمة فى النضـــال من اجل تحرير اوطانهم من المحتلين الفاشست . وكانت الاغلبية الساحقة من الجنود وضبـــاط الصف

وقسم كبير من الضبـــاط هم من العمـــال والفلاحين والمثقفين الكادحين .

واتسم بأهمية كبيرة للغاية ايضا واقع ان الشغيلة التشيكيين والسلوفاكيين والبولونيين والرومانيين اقتنعوا عن طريق تجربة الاتحاد السوفييتي وخبرته بأفضلية النظام الاشتراكى وناضلوا بحزم ضد القوى التى كانت تريد بعث الانظمة الرأسماليـــة فى البلدان المحررة من الغزاة الهتلريين .

وفى سياق المعارك من اجل التحرير اتحدت التشكيلات التى تأسست فى اراضى الاتحاد السوفييتي مع تشكيلات الانصـــار فى بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ومع الحرس العمالى فى رومانيا . وعزز ذلك لدرجة اكبر النواة البروليتارية فى الجيوش الشعبية المناهضة للفاشية وعجل فى تحويلها الى جيوش من طراز جديد فى مجرى تطور الثورة الاشتراكية .

لقد تميزت عملية تطور الجيوش الجديدة الطراز فى بلدان الديمقراطية الشعبية اثناء بناء الاشتراكية بجملة خصـــائص هامة .

ففى الجيش الشعبى البلغارى ظلت مخلفـــات الانضبـــاط البرجوازى باقية حتى آذار (مارس) ١٩٤٦ ، بينمـــا ظلت هذه المخلفات باقيـــة فى الجيوش الشعبيـــة المجرى والرومـــانى والتشيكوسلوفاكى حتى عام ١٩٤٨ . وكانت هذه الجيوش تضم كثيرا من الضباط الغرباء طبقيا على البروليتاريا والعاجزين عن اداء الوظائف القيادية فى جيش من طراز جديد . وكان مضمون التربية السياسية ونظامها لا يستجيبان بصورة تامة للمهمـــات الجديدة للثورة الاشتراكية . وكانت القوى الرجعية فى وزارات الحربيـــة والضباط الذين خدموا سابقا فى الجيوش البرجوازية قد التزموا مواقف العداء ازاء العمل الحزبى-السياسى وازاء القادة الشيوعيين

والمسؤولين السياسيين . وحاول الرجعيون الذين رفعوا شعـــار «الجيش فوق الميول والاتجاهـــات» ان يحافظوا على مواقعهم ويعززوها وان يبعثوا فى الجيش الانظمة الملازمة لجيوش الدول الرأسمالية .

الا ان الطبقة العاملـــة ، بمبادرة من الاحزاب الشيوعيـــة والعمالية وتحت قيادة هذه الاحزاب ، وبغية الحيلولة دون الاعمال المسلحة للثورة المضادة ، كونت تشكيلات مسلحة خاصة جندت افرادها حسب المبدأ الطبقى من بين العمال والفلاحين ذوى الميول الثورية والمخلصين حتى النهاية لقضية الاشتراكية . وكانت تلك هى قوات الأمن الوطنى ومليشيا الدولة ، وكذلك المليشيا العمالية ، اى فصائل العمال المسلحة التى تشكلت فى المعـــامل والمصانع والمناجم وهلمجرا . وهكذا لعبت المليشيا العمالية وفيلق الامن الوطنى الدور الحاسم فى الحيلولة دون قيام الرجعية بعمل مسلح فى تشيكوسلوفاكيا فى شباط (فبراير) ١٩٤٨ .

وفى بلغاريا والمجر وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا فى عامى ١٩٤٥ـ١٩٤٦ حاولت الاحزاب البرجوازية المنضمة آنذاك الى الجبهات الشعبية الحصول على سماح بتأسيس منظمات لها فى الجيوش بغية افساد المحاربين سياسيا ودعم الضباط الرجعيين والعمل على زيادة نفوذها فى الجيش . وبغية الحيلولة دون ذلك سمحت الحكومات ، بمبادرة من الاحزاب الشيوعية ، بنشـــاط منظمات الجبهات الشعبية وحدها فى الجيوش . وحتى فى هذه الظروف مارست الاحزاب الشيوعية قيادة القوات المسلحة وتربية افرادها . فقد تزعمت هذه الاحزاب الجبهات الشعبية ، ووجهت بناء القوات المسلحة عن طريق الهيئات القيادية وحكومات الجبهات الشعبية ، وحددت مضمون العمل السياسى واشكالـــه واعداد وتوزيـــع الكوادر العسكرية من ابناء العمـــال والفلاحين ، ومارســـت

تطهير القوات المسلحة من الضباط والجنرالات الرجعيين [illegible]

وفي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ ولد الجيش الجديد الطراز في الفيتنام . فالجيش الشعبي الفيتنامي الذي اسسه الحزب الشيوعي في الهند الصينية ابان الكفاح المسلح ضد المستعمرين اليابانيين خاض فيما بعد ، طوال زهاء ثمانية اعوام ، النضال التحرري الوطني الثوري البطولي ضد المستعمرين الفرنسيين والرجعية الداخلية المعبرة عن مصالح الاقطاعيين والبرجوازية الكومبرادورية . وبعد ان احرز شغيلة جمهورية الفيتنام الديمقراطية النصر على الاعداء هبوا للنضال في سبيل بناء المجتمع الاشتراكي . وحلت في الوقت ذاته مهمة متابعة تطوير الجيش من الناحيتين السياسية والعسكرية-التكنيكية . وطوال سنوات عديدة خاض الشعب الفيتنامي وجيشه الشعبي ، بالاعتماد على مساعدة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، النضال البطولي ضد العدوان الاميركي . وتكبدت جيوش الولايات المتحدة الاميركية وصنائعها الهزيمة في الارض الفيتنامية .

اما في جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية فقد تشكل الجيش الجديد الطراز في عام ١٩٤٨ ، وذلك على اساس فصائل الانصار التي نظمها الحزب الشيوعي في فترة نضال الشعب الكوري ضد المحتلين اليابانيين .

وفي الحرب العصيبة التي فرضتها الامبريالية الاميركية وحكومة لي صن مان الرجعية على الشعب الكوري ابدى الجيش الشعبي الكوري خصاله الكفاحية-المعنوية العالية واكتسب خبرة قتالية كبيرة .

وتجلت كذلك بعض الخصائص المتميزة في تأسيس الجيش الجديد الطراز في جمهورية المجر الشعبية وفي جمهورية المانيا

الديمقراطيـــة . فالجيش السوفييتى قد دحر الجيشين الفاشيين القديمين فى المجر والمانيا . وحلت القوات المسلحة السوفييتية مهمة كبيرة هى تقديم المساعدة العسكرية للقوى الثورية فى هذين البلدين ، حيث حالت دون تصدير الثورة المضادة الى جمهوريـــة المجر الشعبية وجمهورية المانيا الديمقراطيـــة . ولذلك تهيأت لشغيلة الجمهوريتين امكانية تحقيق التحويلات الثورية قبل تأسيس الجيش الجديد الطراز .

صحيح ان الجيش الجمهورى فى المجر بدأ تأسيسه فى عام ١٩٤٥ ، اى فى مرحلة الثورة الديمقراطية . ولكن حتى عام ١٩٤٧ لم يكن من الصواب اعتباره جيشا من طراز جديد كليا . فالاحزاب البرجوازية واحزاب البرجوازية الصغيرة التى كانت لها الاغلبية فى البرلمان والحكومة اخذت زمام الامور فى وزارة الحربية وعينت للمناصب القيادية عددا كبيرا من الضباط الرجعيين الذين حالوا بكل الوسائل دون الشيوعيين ودون ممارستهم العمل السياسى-التربوى فى الجيش ، رغبة منها فى تحويل الجيش الى قوة للثورة المضادة .

وبعد هزيمة الاحزاب الرجعية فى هذه البلاد وفى الحكومة باشر الشيوعيون ، بالاعتماد على التأييد الحازم من قبل الجنود والرقباء والضباط الديمقراطيين ، بعملية تحويل الجيش الى جيش من الطراز الاشتراكى .

وقد تأسس الجيش الشعبى الوطنى فى جمهوريـــة المانيـــا الديمقراطية عام ١٩٥٦ ، عندما انتشر فى البلاد على نطاق واسع بناء المجتمع الاشتراكى . ولذلك فهذا الجيش ، منذ الايام الاولى لميلاده ، اشتراكى من حيث وظائفه وقوامه الاجتماعى ومبادئ قيادته السياسية والتربية الايديولوجية لافراده . وكانت وظيفة الدفاع عن جمهورية المانيا الديمقراطية من المعتدين الامبرياليين قبل تأسيس الجيش الشعبى الوطنى مناطـــة بالاتحاد السوفييتى

وقواته المسلحة وكذلك بالدول الاشتراكية الاوربيـــة الاخرى وجيوشها .

ان اكثر جيوش البلدان الاشتراكية فتوة وحداثة هى القوات المسلحة الثورية فى كوبا ، وقد سبقتها فصائل الانصار العمالية الفلاحية التى ناضلت ضد نظام باتيستا الدكتاتورى الموالى للولايات المتحدة الاميركية .

لقد ساعد انتصار الثورة الديمقراطية العامـــة المناوئـــة للامبريالية فى كوبا على الانتقال الى التحويلات الاشتراكية فى البلاد . وفى سياق هذه التحويلات تحول الجيش الثورى الديمقراطى الى جيش الثورة الاشتراكيـــة . وقد استدعى خطر العدوان من قبل الامبريالية الاميركية ، المخيم على الدوام ، والاستفزازات الكثيرة من قبل قوى الثورة المضادة الداخلية ايجاد تشكيلات مسلحة فى المؤسسات الانتاجية ومزارع الدولة والتعاونيات ، اى المليشيا الشعبية التى تحرس بيقظة ، وبالاشتراك مع القوات المسلحـــة الثورية ، مكتسبات الشعب الكوبى .

لقد انجز تشكيـــل الجيـــوش الاشتراكيـــة فى بلدان الديمقراطية الشعبية بعد اقامة دكتاتورية البروليتاريا . واتسم بأهمية حاسمة التغير الجوهرى فى مبادئ بناء القوات المسلحة وتدريب افرادها وتربيتهم ، وكذلك قيـــادة القوات . والسبب فى هذا التغير هو عدد من الاجراءات التى طبقت بمبـــادرة من الاحزاب الشيوعية وباشرافها . وهذه الاجراءات هى التاليـــة :

ـــ وضع وزارات الحربية تحت اشراف الاحزاب الشيوعية ؛ وتطهير سلك الضباط من العناصر التى ابدت موقفا عدائيـــا من التحويلات الاشتراكية ؛ ترقية الضباط من ابناء العمال والفلاحين وممثلى المثقفين الكادحين الى مناصب قادة القطعـــات والوحدات والوحدات الفرعية ؛

— تحويل هيئات التوعية الثقافية لدى الجبهات الشعبية الى هيئات حزبية-سياسية ؛

— تخويل منظمات الاحزاب الشيوعية والعمالية حق النشاط فى الوحدات والقطعات العسكرية ؛ وتحديد حقوق هذه المنظمات وواجباتها فى النضال من اجل التلاحم السياسى لافراد القوات وزيادة الاستعداد الحربى للقوات المسلحة ، وفى تربية المحاربين بروح الدفاع عن الثورة الاشتراكية والبلدان الاشتراكية وبروح الايديولوجية الماركسية-اللينينية ؛

— تقوية كوادر المسؤولين السياسيين ؛ وتخويلهم الحقوق والواجبات على قدم المساواة مع القادة العسكريين فى حل جميع مسائل الحياة والاعداد الحربى والسياسى للوحدات الفرعية والوحدات والقطعات ؛

— وضع وتطبيق القوانين الجديدة بشأن القوات المسلحة ، والمواثيق والتعليمات التى تستجيب لمبادئ البناء والتربية والانضباط فى الجيش الجديد الطراز ، وللعلم العسكرى فى الدولة الاشتراكية .

تطور جيوش البلدان الاشتراكية فى المرحلة الراهنة

حدثت فى البلدان الاشتراكية تغيرات جذرية فى قواتها المسلحة . وانطلاقا من الموضوعة اللينينية القائلة بان اساس البناء العسكرى فى الدولة الاشتراكية هو قيادة القوات المسلحة من قبل الحزب الشيوعى طبقت الاحزاب الشقيقة فى البلدان الاشتراكية جملة أجراءات هامة فى هذا المجال . ففى جميع الدول الاشتراكية ، وبضمنها الدول التى توجد فيها عدة احزاب ، تمارس الاحزاب الشيوعية والعمالية بلا منازع قيادة القوات المسلحة والاشراف

عليها . وازداد فى الجيوش لدرجة كبيرة دور ونفوذ المنظمات الحزبية ، وتحسن العمل الحزبى-السياسى .

ان تقوية القيادة الحزبية للجيش تتجلى فى البلدان المختلفة مع مراعاة خصائص تطور البلد وقواته المسلحة . ففى الجيش الشعبى المجرى ، مثلا ، تجرى قيادة المنظمات الحزبية ليس من قبل الهيئات السياسية ، بل من قبل اللجان الحزبية المنتخبة . ومبعث هذه الخصائص وغيرها اختلاف مستوى التمرس السياسى والخبرة لدى كوادر القادة وكوادر المسؤولين السياسيين والتقاليد التى ترسخت فى تنظيم العمل الحزبى-السياسى .

ومع وجود بعض الفروق فى اشكال التنظيم وطرق القيادة فى القوات المسلحة تتميز هذه القوات بخاصية مشتركة هى الوحدة الاجتماعية والايديولوجية لافرادها ، ووحدة الاراء العسكرية النظرية ، والدور القيادى التوجيهى للاحزاب الماركسية-اللينينية .

ويوجه اهتمام كبير بتقوية ارتباط الجيش بالشعب . ويتحقق هذا الارتباط باشكال مختلفة ، الا ان اكبر الاهمية تعود الى مساهمة المحاربين فى البناء الاشتراكى ومساهمة الشغيلة فى تعزيز الدفاع عن البلاد . ففى اوقات الفراغ من الخدمة يقدم المحاربون مساعدة كبيرة الى شغيلة المعامل والمصانع والتعاونيات الزراعية الانتاجية فى تطوير الاقتصاد الاشتراكى . ويشارك الشغيلة بدورهم مشاركة نشيطة فى استكمال القوات المسلحة . فقد شكل الشغيلة فصائل المليشيا الشعبية (تشيكوسلوفاكيا) والمليشيا العمالية (المجر) والمفارز الكفاحية (جمهورية المانيا الديمقراطية) والمتطوعة الشعبية فى بعض البلدان الاخرى .

ومن سنن تطور الجيوش الاشتراكية توثيق الصلات فيما بينها فى اطار الاسرة الاشتراكية .

ففى بلدان معاهدة وارشو تكون من مواصلة تعزيز الوحدة الاجتماعية-السياسية بين الطبقة العاملة والفلاحين التعاونيين والمثقفين الشعبيين على اساس الانتصار التام للعلاقات الانتاجية الاشتراكية وتوسيع التعاون الاقتصادى والتقسيم الاشتراكى الدولى للعمل والانتاج التعاونى ، العامل الموضوعى لتطور القاعدة الاجتماعية-السياسية والاقتصادية للتلاحم الكفاحى لشعوب الدول الاشتراكية وقواتها المسلحة . وان وحدة الاهداف السياسية ووحدة الايديولوجية والاخلاص لتعاليم الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية واستكمال الاشكال التنظيمية لتعزيز وحدة الاحزاب والدول والشعوب والجيوش الشقيقة - كل ذلك يشكل العامل الذاتى لمتابعة تمتين معاهدة وارشو .

وتجرى عملية تعزيز واستكمال جهاز حلف وارشو . فان جيوش البلدان الاعضاء فى هذا الحلف مسلحة باجود الاسلحة واحدثها . وفى ميادين التدريبات العسكرية ، فى الاجواء وفى عرض البحار يجرى اتقان عمليات التعامل بين جيوش واصناف قوات الدول المتحالفة ، والتثبت من قدرة الآليات الحربية الحديثة ، وتتعزز الاخوة الكفاحية بين القوات المسلحة لمنظمة معاهدة وارشو . واتسمت بأهمية كبيرة فى هذا الخصوص المناورات المشتركة «هجوم اكتوبر» فى اراضى جمهورية المانيا الديمقراطية و«فلتافا» فى اراضى تشيكوسلوفاكيا و«رودوبى» فى اراضى بلغاريا وغيرها من المناورات والتدريبات .

يتسم تمتين وحدة بلدان معاهدة وارشو وقدرتها الكفاحية بأهمية كبيرة ليس فقط للدفاع المشترك عن مكتسبات شعوب البلدان الاشتراكية . وان السلاح الجبار للدفاع عن هذه الدول ، والذى تصهره الجهود الجماعية لشعوب الاسرة الاشتراكية هو ، فى الوقت ذاته ، سلاح الحرية للذين يخوضون الكفاح المسلح ضد

الامبريالية ، وهو معقل السلام لجميع المناضلين ضد خطر حرب عالمية جديدة .

ان تربية محاربى الجيوش الشقيقة بروح التعاون الفكرى والكفاحى الذى لا يتزعزع مع محاربى القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى ترتبط ارتباطا متينا بهضم واستخدام الخبرة الطليعية للجيش السوفييتى ومبادئ العلم العسكرى السوفييتى التى تشكل اساس تطور العلم العسكرى فى جميع الدول الاشتراكية الاخرى استخداما ابداعيا خلاقا . اما محاربو الجيش والاسطول فى الاتحاد السوفييتى فهم بدورهم يدرسون بكل اهتمام وتعمق خبرة الاعداد الكفاحى والسياسى للجيوش الشقيقة ويأخذون منجزاتها بعين الاعتبار فى تطوير النظرية العسكرية والتطبيق العسكرى .

وتبين خبرة بناء جيوش البلدان الاشتراكية بكل وضوح ان الفروق الجوهرية فى مبادئ هذا البناء واشكاله وطرقه التى كانت قائمة فى بداية تطور الجيوش الجديدة الطراز اخذت حاليا تفقد اهميتها وتنمحى ؛ وانه تشغل مكان الصدارة باطراد القوانين العامة للتطور النابعة من الطبيعة الاشتراكية للنظام الاجتماعى ومن الوحدة الاجتماعية-السياسية والفكرية لشعوب بلدان الاسرة الاشتراكية .

٤ - الاسس المادية والمعنوية لتفوق التنظيم العسكرى الاشتراكى

ان التفوق التاريخى للتنظيم العسكرى الاشتراكى هو ظاهرة حتمية موضوعيا . ومبعثه كامل مجرى التطور التاريخى وحركة تناسب القوى الاجتماعية على الصعيد العالمى ، ذلك المجرى المتغير دوما لصالح التقدم ، ومبعثه ايضا حتمية انتصار الاشتراكية والشيوعية . وقد ثبت تفوق التنظيم العسكرى

للاشتراكية عمليا عبر التاريخ المجيد للقوات المسلحة السوفييتية . وهو يتأكد عن طريق خبرة البناء العسكرى فى بلـــدان الاسرة الاشتراكية .

المقدمات الموضوعية لتفوق التنظيم العسكرى الاشتراكى

يبين ما ينيف على نصف قرن مر على قيام ثورة اكتوبـــر الاشتراكية العظمى بكل اقناع ان انتصار الاشتراكية فى بلد واحد ينبع بالضرورة الموضوعية من قوانين التطور الاجتماعى . واثبت انتصار الاشتراكية صواب نظرية الثورة البروليتارية وبرنامجها المعللين علميا واللذين وضعهما لينين والحزب الذى أسسه . وكان هذا البرنامـــج يستجيب لحاجات تطور المجتمع الموضوعيـــة والمختمرة تاريخيا ، وللمصالح الجذرية للجماهير الشعبيـــة فى روسيا وللقسم الاغلب من سكان المعمورة . ولهذه الاسبـــاب بالذات تهيأت لبرنامج الدولة السوفييتية الاشتراكى وسياستهـــا الخارجية السلمية امكانية موضوعية للاعتماد على اوسع تأييد من قبل الجماهير الشعبية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخـــرى ، وعلى الدعم والتضامن النشيطين من قبل البروليتاريا العالمية فى المقام الاول . وهكذا ، كان لثورة اكتوبر الاشتراكيـــة العظمى اساس عالمى اوسع بما لا نهايـــة له مما لدى ايـــة ثورة سابقة .

وبينت تجربة اول هجوم عسكرى للمعتدين الامبرياليين على بلاد السوفييت ان الحرب ضد الدولة السوفييتية تنطوى على خطر فعلى ليس فقط على الجيـــوش المعتدية ، بـــل وعلى الاسس الاجتماعية للرأسمالية وعلى السيطرة السياسيـــة للبرجوازيـــة الاحتكارية . ان القوات المسلحة للجمهورية السوفييتية الفتيـــة

المدافعة عن الافكار الانسانية ، افكار السلام والتقدم، اضحت قوية لا تقهر في مواجهة الآلة الحربية الامبريالية العدوانية المتفوقة عليها . وكانت بلاد السوفييت مطوقة من قبل دول امبريالية اقوى منها بما لا يقاس من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، ولكنها لم تستطع ، كما قال لينين ، ان تنفذ خطة خنق روسيا السوفييتية مباشرة وعلى الفور . «اننا ضعفاء ماديا الى اقصى حد من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، ولكننا اقوى الجميع معنويا ، اذا فهمنا هذه الكلمة طبعا ليس من وجهة نظر المعنويات المجردة ، بل كتناسب للقوى الفعلية لجميع الطبقات في جميع الدول . وتم اختبار ذلك بالفعل ، ويجرى التدليل عليه ليس بالاقوال ، بل بالافعال ، وقد اثبت ذلك مرة ، وسوف يثبت ، على ما نظن ، اكثر من مرة اذا اعاد التاريخ نفسه على نحو ما» * .

لقد حولت ثورة اكتوبر بلاد السوفييت الى دولة جبارة ليس فقط من الناحية السياسية-المعنوية . فقد ساعدت على رفع هذه البلاد الى درجة اعلى من النواحي الاقتصادية والاجتماعية-السياسية والعلمية . وبذلك تهيأت الظروف الحاسمة لتفوق التنظيم العسكري الاشتراكي على التنظيم العسكري للدول الامبريالية .

وتتجلى بصورة مباشرة في تفوق التنظيم العسكري الاشتراكي الطراز وفي قوته التي لا تقهر الحتمية الموضوعية لانتصار النظام الاجتماعي التقدمي الجديد الذي يحل محل النظام الاجتماعي القديم الذي اصبح نظاما رجعيا .

لقد كان الامر طوال التاريخ على نحو يحمل الظفر النهائي دوما الى التنظيم العسكري للنظام الاجتماعي النامي . ومن شأن

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٣٠٠ .

التطور التقدمى للمجتمع البشرى ان يكون مستحيلا لو ان الرجعية استطاعت دائما ان تخمد النظام الاجتماعى الجديد بالعنف المسلح . ان الثورة الاجتماعية للطبقة النامية ، والتى تولدها الضرورة التاريخية لانشاء علاقات الانتاج الجديدة ، لا بد وان تحرز النصر على العنف المسلح الذى تمارسه الطبقات الرجعية . ويعلمنا التاريخ ان الرد المسلح من قبل الطبقة العاملة سيكون على الدوام مظفرا فى آخر المطاف ، وذلك لانه يستند الى اعلى تنظيم اجتماعى-اقتصادى والى طبقة اجتماعية اكثر طليعية . «... ان الثورة تنتصر اذا كانت تدفع الى الامام طبقة طليعية تسدد الضربات الجدية الى الاستغلال» ، وتوجه جهودها نحو القضاء التام على الطبقة الاستغلالية وتصفية الظروف الاقتصادية لوجود هذه الطبقة . «من الممكن استخدام العنف بدون توفر الجذور الاقتصادية ، الا ان التاريخ عند ذاك يحكم على هذا العنف بالهلاك . ولكنه يمكن استخدام العنف بالاستناد الى طبقة طليعية والى المبادئ الارقى ، مبادئ النظام والكيان والتنظيم الاشتراكى . **وعند ذاك يمكن لهذا العنف ان يمنى بالاخفاق موقتا ، ولكنه لن يقهر))** *

ان قوة التنظيم العسكرى الاشتراكى التى لا تقهر وتفوقه على التنظيم العسكرى للامبريالية هما نتيجة مباشرة لتفوق النظام الاجتماعى الاشتراكى على النظام البرجوازى فى الميدانين المادى والمعنوى . ان اهم اساس اقتصادى لتفوق الاشتراكية على الرأسمالية ، واساس قوتها التاريخية التى لا تقهر ، يكمن فى نظام الاقتصاد الاشتراكى ، فى الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص‌ص ٣٦٧ ، ٣٦٩-٣٧٠ .

فنظـــام الاقتصاد الاشتراكى يؤمن وتائر اعلى لتطور القـــوى المنتجة وانتاجية العمل الاكثر ارتفاعا ، وذلك ما يعتبر فى آخر المطاف الامر الرئيسى الاهم بالنسبة لانتصـــار النظام الاجتماعى الجديد .

يستهدف اسلوب الانتاج الاشتراكى احراز الرفاه التام لجميع افراد المجتمع . وهو يتسم بالتطوير المبرمج المتناسق للاقتصاد الوطنى ويؤمن الوتائر العالية التنامى القاعدة المادية-التكنيكيـــة لقدرة البلاد الدفاعية ، كما يؤمن اساسا اجتماعيا للقوات المسلحة جديدا من حيث المبدأ . ويمكن اسلوب الانتاج الاشتراكى مـــن ايجاد واستكمال طراز التنظيم العسكرى الحديث الاسمى والاكثر قدرة فى الكفاح ، ومن تعبئة اكبر كمية من الوسائل الضروريـــة لخوض الحرب ، ومن خلق اعلى الخصال الكفاحية-المعنوية لدى القوات المسلحة ، وتأمين الصمود الذى لا يتزعزع ورباطة الجأش لدى الجماهير الشعبية فى المؤخرة وفى الجبهة طوال فترة الحرب . ان شغيلة المدينة والريف الذين تخلصوا من سيطرة الرأسماليين والاقطاعيين يصبحون أسيادا كاملى السلطة لبلادهم . ولذلك فلهم ، من الناحية السياسية ، كما من الناحية المادية ، مصلحة فى الدفاع عن المكتسبات الثورية لوطنهم ، وهم على استعداد لبذل ايـــة تضحيات ، فيبدون آيات البطولة الجماهيرية والبسالة والشجاعة والصمود فى الكفاح .

وبعد انتصار ثورة اكتوبر العظمى وتكون المنظومـــــــة الاشتراكية العالمية صار تطور كثير من البلدان يتوجه حسب القوانين الداخلية لاسلوب الانتاج الجديد . ويتوسع مجال فعل هذه القوانين بقدر تزايد نجاحات المنظومة الاشتراكية العالمية ، بينما يضيق مجال فعل قوانين الرأسمالية . وكل ذلك يؤثر على التطور الاجتماعى وعلى البناء العسكرى .

ويساعد على توسيع وتمتين اسس قوة التنظيم العسكـــرى الاشتراكى التى لا تقهـــر ليس فقط فصم حلقات جديدة مـــــن سلسلة الامبريالية بالثورات الاشتراكيـــة ، بل وانهيار النظـــام الاستعمارى للامبريالية ونهوض نضال التحرر الوطنى .

ومن اعمق اسس تفوق وقوة التنظيم العسكرى الاشتراكى التى لا تقهر الاساس الكامن فى الطابع الاممى لاهداف الدولـــــة الاشتراكية . ولذلك فالى جانب الوحدة والتلاحم داخل المجتمع الاشتراكى تتحدد قوة هذا المجتمع وكونه لا يقهر بالترابط الاممى لمصالحه واهدافه مع مصالح واهداف شغيلة جميع البلدان ، اى بالتضامن العالمى مع القوى الثوريـــة والتقدمية المناضلـــة ضد الامبريالية فى العالم اجمع .

وباجـــراء التحويلات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسيـــة الجذرية فى سياق بناء الاشتراكية هيأت الدولة السوفييتيـــــة امكانيات اقتصادية وعلمية ومعنوية لخوض الحرب لم يتوفـــر مثلها لاية دولة اخرى ابدا . وبالاعتماد على الخبرة السوفييتية تسير على هذه الطريق بلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى .

الظروف الذاتية للاستفادة
من مزايا الاشتراكية لصالح النصر

ان قوة التنظيم العسكرى الاشتراكى التاريخية التى لا تقهر ، مما يعود ، فى المقام الاول ، الى القوانين الموضوعية للتطـــور الاجتماعى ، تحددها كذلك العوامل الذاتية الناتجة عن العلاقـــات الاجتماعية الاشتراكية الجديدة . ان النظام الاجتماعى والحكومى الاشتراكى يهيئ الظروف الاجتماعية-السياسية المتينة التى تعتمد عليها القيادة السياسية والعسكريـــة فى تطبيق اجراءات تعزيز الدفاع عن البلاد وتأمين النصر على العدو ابان الحرب . ويجرى

تأمين الانتصار على القوات المسلحة العدوانية للدول الامبريالية بالتعبئة الشاملة الفعالة للعوامل الموضوعية والذاتية للنصر ، والطاقة المادية والمعنوية لشعوب الدول الاشتراكية ولافراد وقادة قواتها المسلحة .

ان تحويل الامكانيات المادية والمعنوية للنصر الى واقع هو ، كما بينت خبرة اول دولة اشتراكية فى العالم ، عملية ابداعية معقدة للغاية يعود الدور الحاسم فيها الى النشاط الواعى للملايين العديدة من الجماهير الشعبية والعمل التنظيمى والايديولوجى للحزب الشيوعى السوفييتى والحكومة السوفييتية والقيادة العسكرية . ان الحزب الشيوعى يغرس افكار الدفاع عن الوطن الاشتراكى فى اذهان المواطنين السوفييت ، وبذلك يؤمن التطور الشامل للعوامل الذاتية لاحراز النصر فى الحرب . ويهيئ الحزب ظروف استخدام الامكانيات المادية والمعنوية الموضوعية للدولة الاشتراكية وقدرتها المعنوية والاقتصادية والعسكرية فى الوقت اللازم بغية دحر المعتدين الامبرياليين . وتؤمن التربية العسكرية-الايديولوجية للشعب تحويل البلاد فى حينه الى معسكر موحد ، كما تؤمن الوحدة المتينة للمؤخرة والجبهة فى فترة الحرب .

ان التعاليم الماركسية-اللينينية تكشف عن بطلان الايديولوجية العسكرية للامبريالية تاريخيا وعن الحتمية الموضوعية لانتصار التنظيم العسكرى الاشتراكى على التنظيم البرجوازى . وليس غير الماركسية-اللينينية ما يقدم المعرفة العلمية لقوانين الحرب كظاهرة اجتماعية ويكشف بذلك عن الطرق المعللة علميا لاحراز النصر فى الصراع بين النظامين العسكريين المتعارضين طبقيا ، وعن الآفاق الموضوعية لحتمية انتصار التنظيم العسكرى للدول الاشتراكية . ان استخدام النظرية الماركسية-اللينينية فى حل القضايا الاجتماعية-السياسية والعسكرية-التكنيكية

لخوض الحرب ، وفي وضـــع المذهب العسكرى الموحد يسفر عن نتائج فعالة ويؤمن التفوق الذى لا جدال فيـه للمذهب العسكرى الاشتراكى والعلم العسكرى الاشتراكى على المذهب والعلم العسكريين البرجوازيين . ان الماركسية-اللينينية هى اقوى سلاح ايديولوجى للحزب والشعب فى المجال العسكرى ايضا . ان تسليح الشعب والجيش بالتعاليم الماركسية-اللينينية يتسم فى المسائل العسكرية بنفس الاهمية الهائلة التى يتسم بها فى المســـائل الاجتماعيـــة-السياسية . فهو يشكل اهم مقدمة لقوة التنظيم العسكرى الاشتراكى التى لا تقهر .

كان انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى دليلا لا يدحض على حيوية الافكار اللينينية والقوة التى لا تقهر للدولة الاشتراكية وقواتها المسلحة . وبينت نتائج حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى باكبر قدر من الاقناع انه لا توجد فى العالم قـوى قادرة على تحطيم الاشتراكيـــة وقهر الشعب المتمســـك بافكار الماركسية-اللينينية والمخلص للوطن الاشتراكى والملتف حـــول حزبه . ان هذه النتائـــج هى تحذير رهيب للمعتدين الامبرياليين ودرس قاس لا ينسى من دروس التاريخ .

ولئن كان المواطنون السوفييت يعيشون منذ زهاء ثلاثين عاما فى ظروف السلم ، مكرسين قواهم لبناء الشيوعية ، فان ذلك يعنى ان الدفاع عن الاتحاد السوفييتى صلد متين . ان قدرة الاتحاد السوفييتى العسكرية التى لا تقهر تتجسد فى القدرة القتالية-المعنوية العالية لقواته المسلحة ، فى قدرتها الحربية واستعدادها لتحطيم اى معتد امبريالى تحطيما كليا .

يعتمـــد التعزيز اللاحق لقدرة التنظيم العسكرى السوفييتى الكفاحية على مدى المهارة والفعاليـــة اللتين تجيد بهما الكوادر العسكرية استخدام الامكانيات المتزايدة للعلم والتكنيك والسلاح ،

ومدى استجابة تدريب افراد القوات المسلحة وتربيتهم لمستوى المتطلبات الحديثة ، ومدى اكتمال تجسد النظرية العسكرية السوفييتية فى التطبيق العسكرى .

* * *

ان القوات المسلحة للدول الاشتراكية هى الاداة الرئيسية للذود عن مكتسبات النظام الجديد وهى من حيث جوهرها الاجتماعى-السياسى ورسالتها التاريخية جهاز للدولة الاشتراكية تضطلع الاحزاب الماركسية-اللينينية بدور القوة القيادية المنظمة له . ومع ان لكل جيش من جيوش البلدان الاشتراكية خصائص فى ظهوره وتشكله وتقاليده وعاداته الوطنية ، يعود الدور الرئيسى الى السمات المشتركة فى تطور هذه الجيوش . ان وحدة الجيوش الشقيقة مبعثها تماثل نظام الاشتراكية الاقتصادى والسياسى ووحدة الايديولوجية والاهداف والمهمات .

وتتجلى وحدة جيوش الدول الاشتراكية بكل سطوع فى تعاونها العسكرى ضمن معاهدة وارشو والمعاهدات الثنائية للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة . وتبدى الاحزاب الماركسية-اللينينية اهتماما لا يضعف بمتابعة تعزيز التعاون العسكرى بين الدول الاشتراكية .

وتكمن فى طبيعة الاشتراكية وفى طابع وخصائص الجيوش الجديدة الطراز منابع تفوق التنظيم العسكرى الاشتراكى . وبالاعتماد على المقدمات الموضوعية لهذا التفوق ترفع الكوادر العسكرية السوفييتية بلا كلل قدرة الجيش والاسطول الكفاحية لكى يكونوا دوما على استعداد لدحر اى معتد .

*

الفصل السادس

القدرة العسكرية للدول
فى الظروف الراهنة

درسنا فى الفصول السابقة اهم التعاليم الماركسية-اللينينية عن قضايا الحرب والجيش : الحرب كظاهرة اجتماعية-سياسية ، ظروف واسباب نشوب الحروب ، وخصوصا فى العصر الحاضر ، قوانين قيام وتطور القوات المسلحة التى تشكلها الطبقات والدول لخوض الحروب ، وبعض القضايا الاخرى . الا ان التعاليم بشأن الحرب والجيش لا تقتصر على هذه القضايا . فالتعاليم الماركسية-اللينينية تحلل نظريا ايضا اعتماد سير الحروب ومآلها على الظروف الاقتصادية والاجتماعية الاخرى ، وتبين القوانين الاساسية لتكون القدرة العسكرية للدول والقدرة القتالية للقوات المسلحة . ويتسم حل هذه المسألة نظريا وعمليا بأهمية سياسية وعسكرية كبيرة .

١ ــ مفهوم القدرة العسكرية للدول

ان القدرة العسكرية للدول (او الائتلافات والاحلاف الدولية) أمر نسبى . فلكى نأخذ فكرة عن القدرة العسكرية لدولة (او ائتلاف) ما علينا الا ان نقارنها بقدرة الدول (الائتلافات) الاخرى .

فالطرف المقابل يمتلك ايضا قدرة عسكرية معينة يستخدمها لبلوغ اهدافه . ولذلك فان انتصارات وهزائم الدول (الائتلافات) المتحاربة وسير الحرب ومآلها ككل يعتمد مباشرة على تناسب قدراتها العسكرية ، على تناسب قوى الاطراف المتحاربة .

اعتماد سير الحروب ومآلها على القدرة العسكرية للاطراف المتحاربة

ان اعتماد سير الحرب ومآلها على تناسب القدرات العسكرية للاطراف المتحاربة ، مأخوذا في تطوره وبمراعاة طابع الاهداف السياسية لهذه الاطراف ، هو قانون عام للحرب . ويرتبط مفعوله بالقوانين الاعم للتطور الاجتماعي ، ولكنه ، الى جانب ذلك ، يتسم باستقلالية واضحة المعالم . وتقوم ارتباطات وعلاقات مستقرة بين تناسب قوى الاطراف المتحاربة في سياق احراز الاهداف العسكرية-السياسية وبين العمليات الحاسمة في الحرب ، اي اساليب خوضها والاتجاه الاساسي لتطور القتال ونتائجه وامكانيات القوات على شن العمليات الهجومية وخوض العمليات الدفاعية وهلمجرا ، وكذلك جهود الاقتصاد والعلم والامكانيات المعنوية .

وتنبع الاهمية الحاسمة لتناسب القدرات (القوى) العسكرية بالنسبة لمآل الحرب من طبيعة العلاقات الاجتماعية ذاتها ، وذلك لان كامل التطور الاجتماعي يجري بشكل تفاعل بين اناس منفردين وجماعات وفئات اجتماعية واحزاب وطبقات . وان هذا التفاعل في كل بلد على حدة ، كما في العالم بأسره ، مع وجود اشكال مختلفة للملكية مثل الملكية الرأسمالية والملكية الاشتراكية ، يصبح في آخر المطاف تفاعلا بين قوى اجتماعية وسياسية على طرفي نقيض . ويدل على ذلك بكل اقناع المضمون الاساسي للعصر الحاضر ، نعني

الانتقال الثورى من الرأسمالية الى الاشتراكية والجارى على اساس التغير الجذرى لتناسب القوى الاجتماعيـــة على الصعيد العالمى ، ذلك التغير الذى يستجيب استجابة متزايدة للاتجـــاه الرئيسى فى التقدم التاريخى ، ولمصالح جماهير الشغيلة .

الا ان الاصطدام الاكثر حدة بين القوى الاجتماعية-السياسية يجرى فى الحرب ، كما هو معروف . فبواسطة وسائل العنف يحاول كل من الاطراف المتحاربة الدفاع عن مصالحـــه الاقتصاديـــة والعسكرية-السياسية . ولذلك تتعرض لمفعـول العنف فى الحرب الحياة الاجتماعية كاملة لدى الاطراف المتحاربة ، بينما تعتمـد آثار هذا العنف على مقدار ونوعية الوسائل المستخدمة فيه . وان تناسب القوى الحربية هذا يعتبر ، بدوره ، نتيجة لتناسب القوى الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية للاطراف المتحاربـــة ، وهو مشروط بالاهداف التى تستخـدم القـدرة العسكرية من اجـل بلوغها .

الا ان التفوق فى القدرة العسكرية ما هو الا مجرد امكانيـــة للنصر . فحتى التفوق الكبير فى القدرة العسكرية لدولة (ائتلاف) ما على العدو لا يؤمن بذاتـــه النصر ابدا . فهو يهيئ للدولـــة (الائتلاف) مجرد الامكانيات الملائمة لتحقيق النصر . غير ان تحويل هذه الامكانيات الى واقع امر ابداعى للغايـــة ، يلعب الـدور الحاسم فيـــه النشاط الواعى للملايين العديدة من الجماهير الشعبية والطبقات والاحزاب والتنظيم الخاص ، وهو القوات المسلحـــة ، والافراد طبعا . ان طابع قيادة الجماهير والقوى الاجتماعية التى يعتمد عليها تحويل امكانية النصر الى واقع فعلى ، ان هذا الطابـــع يحدده فى آخر المطاف ما يسود الدولة المعنية من نظام اجتماعى وتنظيم سياسى ، ومدى استجابتهما للاتجاه التقدمـــى للتطور التاريخى .

واذا كان الانتصار فى الحرب بين الدول يعتمد على تناسب قدراتها العسكرية ، وعلى قابلية القيادة العسكرية-السياسية لكل من الاطراف على تكوين وتحقيق هذا التناسب لصالحها ، فان كل فعل معين فى الحرب — كأن يكون معركة او عملية او اشتباكا — يحدده كذلك تناسب القوى الملموس الخاص به . وعلى سبيل المثال نجد ان اصالة معركة ستالينغراد قد حددها تناسب القوى على الجبهة السوفييتية-الالمانية بأسرها ، وتناسب القوى مباشرة فى قسم الجبهة الواقع بين الفولغا والدون ، حيث جرت المعركة .

ان الانتقال من نطاق معين للعمليات الحربية الى نطاق اوسع ، والى الحرب ، عموما ، هو فى الوقت ذاته انتقال من مستوى لتناسب القوى الى مستوى آخر . وتقوم بين هذه المستويات صلة علة ومعلول تتجلى فى ان تناسب قوى النطاق التاكتيكى هو جزء من تناسب اشمل — تناسب قوى العمليات الحربية على النطاق السوقى ، وهو تناسب يشكل بدوره جانبا معينا من تناسب القوى الستراتيجية . اما بخصوص تناسب القوى العسكرية للدول (الائتلافات) المتحاربة فهو عبارة عن جانب من التناسب الاشمل لقوى الدول ، اى تناسب قواها الاقتصادية والاجتماعية-السياسية .

ومع ان هذه المستويات المختلفة من تناسب القوى مترابطة فيما بينها ترابطا لا ينفصم فانها لا تفقد استقلالها النسبى . فخلال سير العمليات الحربية يمكن ان يتكون وضع ملائم لتناسب القوى فى حالة جزئية مع ان تناسب القوى العام غير ملائم ، وبالعكس .

ان كلا من مستويات تناسب القوى المختلفة ، بالرغم من استقلالها النسبى وترابطها على نحو معين ، يشترط لوحده

وبالاشتراك مع المستويات الاخرى سير الحرب ومآلها ، ويحدد فى زمن السلم اتجاه السياسة العسكرية للدولة . فان كل دولة تسعى الى بلوغ اهداف سياسية وعسكرية معينة فتهتم بقدرتها العسكرية وتعمل على استكمالها آخذة بعين الاعتبار القدرة العسكرية للعدو المحتمل ، وهى قدرة لا تبقى جامدة طبعا .

تعبر القدرة العسكرية للدولة ، كأمر نسبى ، عن درجة اهليتها لخوض الحرب ضد الدول الاخرى لدى تكديس كافة قوى المجتمع المادية والمعنوية لهذا الغرض . وتتجلى هذه القدرة فى الامكانيات المادية والمعنوية المتوفرة لدى الدولة (الائتلاف) ، وتتجسد مباشرة فى القوات المسلحة ، فى قابليتها على خوض العمليات الحربية . وتتحدد هذه الامكانيات بالنظام الاجتماعى-الاقتصادى والسياسى القائم فى البلاد وبمستوى تطور القوى المنتجة وباتجاه سياسة الدولة وبعوامل اخرى .

يمكن تصوير القدرة العسكرية بمثابة نظام له بنية خاصة تشغل عناصرها مكانها الخاص وتترابط فيما بينها ويشترط بعضها البعض الآخر . ويضم هذا النظام الطاقة الاقتصادية والعلمية والسياسية-المعنوية والطاقة العسكرية الصرف ، وهى طاقات لها مؤشراتها الكمية والنوعية . فالطاقة الاقتصادية تضطلع بدور اساس القدرة العسكرية للبلاد . وتتخلل الطاقة المعنوية كافة عناصر القدرة العسكرية ، وتحدد على نحو حاسم درجة استخدام هذه العناصر . وتعبر الطاقة العسكرية مباشرة عن القدرة الدفاعية للبلاد . بينما تتحقق الطاقة العلمية ، التى تتمتع باستقلال نسبى ، عن طريق جميع الطاقات الاخرى وتضطلع بدور احد الحوافز الدافعة لتطويرها وترابطها .

ان الطاقات وعناصرها ، المشغلة بسبب احتمال هجوم العدو او ابان الحرب ، تصبح **عوامل** ، اى قوى محركة وشروطا للنصر او

الهزيمة . ولذلك يضطلع بدور العوامل التى تحدد سير الحرب ومآلها الاقتصاد والعلم ومعنويات الشعب والجيش والاسلحة وهلمجرا . وان نوعية هذه العوامل وكميتها ودور كل منها هو امر محدد تاريخيا .

تلك هى وجهة نظرنا بصدد القدرة العسكرية للدولة (الائتلاف) . وهى تنطبق والمفهوم المادى للتاريخ والاعتراف بالتطور الديالكتيكى للمجتمع . وبذلك تكمن ميزتها على اراء نظريى الامبريالية العسكريين .

اسباب تغير القدرة العسكرية للدول

ان القدرة العسكرية لكل دولة ليست امرا ثابتا من الناحية التاريخية . فهى تتغير بتأثير عدد من العوامل الاجتماعية-السياسية والعسكرية-التكنيكية . فالقدرة العسكرية للاتحاد السوفييتى ، مثلا ، قبيل الحرب العالمية الثانية وقدرته فى الظروف الراهنة تختلفان فيما بينهما اختلافا كبيرا من الناحيتين الكمية والنوعية على حد سواء . وتغيرت ايضا القدرة العسكرية للدول الامبريالية .

ومن أهم الملابسات التى استدعت تغير القدرة العسكرية للدول وسببت تقدما جذريا فى مقوماتها وعناصرها واثرت بذلك على تغير تناسب القوى العسكرية على الصعيد الدولى :

اولا ، التغير الجذرى لتناسب القوى فى المرحلة الراهنة من عصرنا . لقد بين ماركس وانجلس ولينين ان معيار الاسلوب التاريخى حقا فى معالجة الظواهر **يكمن فى المراعاة العلمية موضوعيا لتناسب الطبقات فى كل فترة تاريخية معنية** . وكتب لينين يقول : «تتطلب الماركسية منا اكثر المراعاة دقة وتثبتا من الناحية

الموضوعية لتناسب الطبقات وللخصائص الملموســـة لكل فترة تاريخية . لقد سعينا ، نحن البلاشفة ، دوما للتمسك بهذا المطلب الالزامي دون شك من ناحية اى تعليل علمي للسياســة» * . اذن ، فاسلوب المعالجة التاريخي حقا ومراعاة تناسب الطبقات وتناسب القوى العسكرية هما جانبان لمسالة واحدة بعينها . **ان تناسب القوى الاجتماعيـــة على الصعيد العالمي وتناسب القدرة العسكرية للدول مترابطان ويشترط احدهما الآخر . والمستـــوى الاعمق الذى يعتبر نقطة الانطلاق هو تناسب القوى على الصعيـــد العالمي .**

ويخفى تغير تناسب القوى بين بلدان معينة اعادة التوزيـع العامة فى تناسب القوى الاجتماعية والطبقية على الصعيد العالمى . وينبع ذلك من العملية الاساسية الجارية فى العصر الحاضر ـ الانتقال الثورى من الرأسمالية الى الاشتراكية ـ وما يرتبط بها من انهيار للنظام الاستعمارى وتعاظم فى حركة التحرر الوطنى ، وكذلك فى الحركة العمالية والشيوعية فى البلدان الرأسمالية . ولذلك فــان تناسب القـــوى على الصعيـــد العالمى لا يزال يتغير لصالـــح الاشتراكية والحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى . ولم تستطع الامبريالية ان تغير فى الامر شيئــا بالرغم من هجماتها المضادة العديدة .

غير انه لا يجوز تبسيط هذه المسالة . فالقضية تتناول الاتجاه الاساسى للتطور الاجتماعى ووجهته الرئيسية ، وليس كون النظام الرأسمالى اصبـــح اضعف من السابق الى درجـــة تستدعى عدم اعـــارة الاهتمام لامكانياته .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١ ، ص ١٣٢ .

ان الاتجاه العام هو تعاظم النضال الطبقى الثورى للطبقة العاملة والشغيلة فى البلدان الرأسمالية ، ولكنه لا بد من مراعاة النهوض العام لهذا النضال وفترات بعض الانحسار فيه على حد سواء .

ان هذه العمليات الاجتماعية وغيرها تؤثر فى المقام الاول على الطاقتين الاقتصادية والمعنوية للدول (الائتلافات) ، وعلى قدرتها العسكرية عموما وعلى تناسب القوى فيما بينها .

ثانيا ، التأثير الشامل على الحياة الاجتماعية الذى يتركه تطور القوى المنتجة والتقدم العلمى-التكنيكى المرتبط به ، وكذلك الثورة العلمية-التكنيكية فى الظروف الراهنة . وقد نتج عن هذه الثورة انعطاف فى التطور التكنيكى لكثير من بلدان العالم . وغيرت الثورة شكل الصناعة والزراعة حيث قربت الثانية الى الاولى ، وزادت كثيرا من انتاجية العمل . وتهيأت ظروف ملائمة للتطور التكنيكى الحثيث وتطبيق البحوث العلمية فى جميع ميادين الحياة الاجتماعية ، بما فيها الشؤون العسكرية .

ان الثورة العلمية-التكنيكية ، اذ تنعكس من خلال النظام الاجتماعى-السياسى للدول ، تؤثر على القدرة العسكرية لهذه الدول . وهى تؤثر على طابع الطاقتين الاقتصادية والمعنوية ، وقد وضعت الطاقة العلمية فى مكان الصدارة ، واصبحت واحدا من منابع الثورة فى الشؤون العسكرية ، وغيرت الطاقة العسكرية نوعيا .

ثالثا ، يجرى تكون القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) تحت تأثير التغيرات الجذرية التى طرأت على وسائل القتال المسلح .

رابعا ، يتحدد تغير القدرة العسكرية بالطابع الاجتماعى-السياسى والعسكرى-التكنيكى للحروب المحتملة . فسيتطلب الطابع

الحازم للاهداف السياسيــــة للحرب بين الدول ذات الانظمــة الاجتماعية-السياسية المتعارضة جهودا مادية ومعنوية كبيرة من قبل الاطراف المتحاربة ، فالاهداف العسكرية-السياسية الهائلة من حيث اهميتها ونطاقها تحتاج الى آلة حربيـــة ضخمة فعالـة .

ان الملابسات المذكورة اعلاه تتيح امكانية الاستنتاج بـان مفهوم «القدرة العسكرية» حاليا اصبح اكثر اتساعا وعمقا . لقد اصبح اكثر اتساعا لان الامر لم يعد يعني دولا منفصلة ، بل يتعلق باحلاف وائتلافات لهذه الدول . وعند تقييم القدرة العسكريـــة لدولة ما ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار موقفها من الكتل الدولية الاساسية على الصعيد العالمي وقسطهــا في القدرة العسكريـــة الاجمالية . وينبغي ان يوجه الاهتمام الرئيسي الى تحليل القدرة العسكرية للنظامين العالميين الاشتراكي والامبريالي . كما لا يجوز نسيـــان الدور الذي تلعبه اقوى دولتين في هذين النظامين ، نعني الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية .

لقد اصبح مفهوم «القدرة العسكرية» للدول (الائتلافات) اكثر عمقا . فان قيام الاشتراكية ، كنظام اجتماعي ، دحض بصورة مقنعة اراء الذين كانوا يقيمون تناسب القوى بين الدول من جانبه العسكري الصرف وحده . فقد جعلهم تنامي قوى وامكانيات النظام الاشتراكي يضيفون الى التقييم العسكري الصرف لتناســب القوى بين الدول تقييما لامكانيات نظمها الاجتماعية-السياسية ومعنويات شعوبها . وكان لينين قد اشار في المؤتمر الثاني للسوفييتات عام ١٩١٧ الى ان مفهومنا عن القوة يختلف عن مفهوم البرجوازية . «فالدولة ، حسب تصورنا ، قوية بوعي الجماهير . وهي قويـــة عندما تكون الجماهير عارفة بكل شيء وقادرة على ان تحكم على كل شيء وتقدم على كل شيء عن وعي وادراك» * . ولذلك تتكون

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٢١ .

قوة الدولـــة مـــن امكانيـــات بنيتهـــا الاجتماعية والطبقيـــة وطاقاتها الاقتصادية والعلمية والسياسية ـ المعنوية والعسكريـــة الصرف .

٢ ـ الاسس الاقتصادية للقدرة العسكرية للدول

عندما وضع ماركس وانجلس النظريـــة الماديـــة للتطور التاريخى تناولا الظواهر العسكرية باعتمادها على المجرى العـــام للتطور الاجتماعي . وانطلاقا من هذا الموقف درســـا اسبـــاب انتصارات وهزائم الاطراف المتحاربة فى الحروب العديدة وابديا اهتماما خاصا بدراسة سير ومآل الحروب التى عاصراها . علما بان ماركس وانجلس أخذا بعين الاعتبـــار دور معنويـــات الجيش والتسليح والفن العسكرى فى تحديد مآل الحرب . ولكنهما اعتبرا الظـــروف الاقتصاديـــــة التى تحـــدد فى آخـــر المطـــاف مستوى الفن العسكرى مفتاحا لحل مسألة اسباب الانتصـــارات والهزائم .

اعتماد سير الحروب ومآلها على الظروف الاقتصادية

ان الحكم القائل باعتماد القدرة العسكرية للدول على الظروف الاقتصادية يصلح لجميع العصور ويعبر عن واحدة من اهم السنن التى تحدد سير الحرب ومآلها . وفى معرض تعليل وجهـــة النظر الوحيدة الصائبة هذه سلط انجلس النقد الشامل على النظريـــة السائدة آنذاك والزاعمة بان سير الحروب ومآلها لا يعتمدان على

التطور الاقتصادى ، بل تحددهما «الارادة الحرة للقادة العسكريين» . وعلى الضد من هذه النظرية صاغ انجلس القانون القائل : «... بأن كامل تنظيم الجيوش والاسلوب الذى تستخدمه فى خوض المعركة ، ومعهما الانتصارات والهزائم رهن بالظروف المادية ، اى الاقتصادية : بالمادة البشرية والسلاح ، وبالتالى بنوعية وعدد السكان والتكنيك» * .

وبالفعل ، فحتى فى المراحل التى استخدم فى الحرب خلالها السلاح الابيض وحده كان مآل المعارك يعتمد على مستوى تطور انتاج هذا السلاح . فالسيف الفولاذى والترس والمجن والخوذة والدرع وقميص الزرد ـ كل ذلك كان يتطلب مستوى للعمل عاليا نسبيا .

وكان الانتقال من السلاح الابيض الى الاسلحة النارية وتحسينها وصنع المدافع قد زاد من أهمية الاقتصاد بالنسبة لسير الحرب ومآلها .

الا ان ذلك لا يعنى ان مآل كل حرب يمكن ان يعزى مباشرة الى تناسب مستويات التطور الاقتصادى للدول المتحاربة . فسير الحرب ومآلها يتأثران لدرجة كبيرة بجملة عوامل اخرى (تعداد السكان والموقع الجغرافى والعلاقات الدولية والخ .) . ولذلك فالاقتصاد لا يحدد مآل الحرب على نحو مباشر او عن طريق الملابسات غير المباشرة الا فى آخر المطاف .

لقد طور لينين تطويرا خلاقا اراء ماركس وانجلس الخاصة بالمسائل العسكرية والتى اعتبرت سير الحرب ومآلها معتمدين على الظروف الاقتصادية . واثبت لينين ان اعتماد سير الحرب ومآلها على الظروف الاقتصادية والاجتماعية-السياسية يزداد الى درجة

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ١٧٥ .

هائلة فى العصر التاريخى الجديد . «فالصلة بين التنظيم العسكرى للبلاد وبين كامل نظامها الاقتصادى والثقافى لم تكن ابدا كما هى عليه الآن من الوثوق» * .

الا ان لينين لم يكتف بالتطوير الخلاق للاحكام الماركسية بشأن الظروف التى تحدد مآل الحروب فى العصر الحاضر . فالامر الرئيسى فى تراث لينين النظرى-العسكرى هو برنامجـــه الجسور والمعلل علميا للبناء العسكرى فى الدولة الاشتراكية . وتشغل مكان الصدارة فى هذا البرنامج فكرة ضرورة تحويل بلاد السوفييت فى حالة الحرب الى معسكر واحد بغية تعبئة جميع موارد الشعب المادية والمعنوية لدحر العدو . ولم تقتصر احكام هذا البرنامج على اضافة امور جديدة الى التعاليم الماركسية عن الحرب والجيش ، بل وعرضت اسلوبا جديدا تماما لمعالجة قضايا العلم العسكرى المعاصر .

لقد بينت الحربان العالميتان بكل وضوح تناسبا جديدا كل الجدة بين الاقتصاد والحرب . وكان هذا التناسب يتلخص ، قبـل كل شىء ، فى استحالة خوض مثل هذه الحروب بالاعتماد فقط على احتياطى السلاح والذخيرة الذى يتكـــون فى زمن السلم وعلى الانتاج الجارى للصناعة الحربية وحدها .

ويعزى ذلك الى السببين التاليين :

اولا ، كانت الاسلحة تتلف او تستهلك بسرعة فائقة نتيجة للاتساع الهائل للعمليات الحربية وتوترها وطول امدها وكثافة النيران . ولذلك كانت الحاجة الى التعويض بلا انقطاع عن خسائر الاسلحة والآليات ونفاد الذخيرة تفوق اى احتياطى للمنتوج واية قدرات للصناعة الحربية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٩ ، ص ١٥٦ .

ثانيا ، جرت فى سياق هاتين الحربين مباراة شديـــدة بين الدول المتحاربة من حيث كمية اسلحتها ونوعيتها . اذن ، فكان على الصناعة ان لا تكتفى بالتعويض عن الخسائر ، بل وان تزيد بصورة سريعة وبلا انقطاع من كمية جميع وسائل القتال وترفع نوعيتهـــا ، وذلك لانـــه جرى فى الحرب ليس فقط البـــلى والاستهلاك المادى للآليات الحربية ، بل والبلى المعنوى السريـع ايضا .

ولم يكن يأمل بالنصر الا الجانب الذى يمتلك اقتصادا قادرا على حل جميع هذه المشاكل المعقدة للغاية . وكان من المستحيل حل هذه المشاكل بدون التعبئة الكاملة للصناعة والنقليات والزراعة وجميع فروع الاقتصاد الوطنى والعلم وجميع الموارد المادية للدول المتحاربـــة . وهذا ، بدوره ، رهن بالنظام الاقتصادى والتنظيم السياسى للمجتمع .

ولذلك كان التناسب الجديد نوعيـــا بين الاقتصاد وسير العمليات الحربية فى فترة الحربين العالميتين يتلخص فى ان سير القتال ومآله كانا لدرجة كبيرة مشروطين بالامكانيات الاقتصادية للاطراف ، وبمدى فاعلية استخدام هذه الامكانيات لنشر انتاج الوسائل الحربية على نطاق واسع وعلى نحـــو متنام بلا انقطاع ولتأمين التفوق العسكرى-التكنيكى على العدو . لقد اصبح الانتصار الاقتصادى فى هاتين الحربين ممهدا ماديا للانتصار العسكرى . وغدا الاقتصاد مساهمـــا مباشرا فى الحرب ، حيث حدد الامكانيات الستراتيجية والسوقية لكل مرحلة من مراحلها .

دور الاقتصاد فى الحرب الحديثة

تضفى الظروف الراهنة امورا جديدة غير ضئيلة على مسألة أهمية الاقتصاد فى الحرب . فالصلة بين الامكانيات الاقتصاديـــة

والقوة العسكرية اصبحت اكثر تنوعا وعمقا مما فى السابق . ولا يقتصر الامر هنا على التغيرات ذات الطابع الكمى ، بل هو يتناول ، فى المقام الاول ، التطورات النوعية العميقة .

ان النمو اللاحق للقوى المنتجة والتحسين السريع للتكنيك الصناعى قد وسعا لدرجة هائلة الامكانيات الاقتصادية لخوض الحرب . ويستخدم لصالح الآلة الحربية فى البلدان الرأسمالية قسم كبير من القوى المنتجة ، وتجرى لهذا الغرض ايضا اعادة توزيع الاموال والموارد بين فروع الانتاج واستخدام منجزات العلم والتكنيك . ويشكل الانتاج الحربى والاستهلاك العسكرى اهم جزء فى اقتصاد البلدان الامبريالية . وتزداد من عام لآخر النفقات العسكرية المباشرة وغير المباشرة فى هذه البلدان .

وتفيد المعطيات الاميركية ان قاذفة القنابل الثقيلة «ب-٥٨» تكلف بـ١٣٣ مرة اغلى من قاذفة القنابل ابان الحرب العالمية الثانية . ويعتقد الاخصائيون ان قيمة السلاح تزداد فى عهد كل جيل جديد بما لا يقل عن الضعف بالمقارنة مع قيمته فى عهد الجيل السابق .

ويتطلب انتاج احدث انواع الآليات الحربية نفقات مادية هائلة . ويبدى انتاجها متطلبات عالية للغاية من الصناعة ، ومن متابعة تطور الفكر العلمى- التكنيكى . وليس بمستطاع الدول ، ما عدا اكبرها واكثرها تطورا من الناحية الاقتصادية ، ان تؤمن للقوات المسلحة كافة وسائل القتال الضرورية فى الظروف الراهنة . ولا يستطيع تأمين التفوق على العدو المحتمل من الناحية العسكرية- التكنيكية الا الذى يمتلك قاعدة اقتصادية وعلمية-تكنيكية جبارة .

لقد ازداد دور الظروف الاقتصادية فى الحرب الحديثة زيادة كبيرة . ولا يقتصر الامر على ذلك . فهذا الدور اصبح يختلف اختلافا جوهريا عما كان عليه فى الحربين العالميتين المنصرمتين .

ففى الحرب العالمية النووية يكتسب اهمية فائقة احتياطى الشحنات النووية ووسائل ايصالها الى الهدف ، وفى المقام الاول منها مختلف انواع الصواريخ وغيرها من الاسلحة الحديثة . ويزداد لدرجة كبيرة ايضا شأن احتياطى اهم الوسائل المادية التى تستجمع فى زمن السلم .

وطبقا للمتطلبات الجديدة التى يستدعيها اعداد البلاد لردع العدوان الامبريالى واحباطه يحدد الحزب الشيوعى السوفييتى المهمات التى تواجه الدولة . ومن المعروف ان خطط التنمية الاقتصادية تحمل طابعا سلميا ، ولكنها فى الوقت ذاته تنص على تأمين حاجات الدفاع عن البلاد . ويعود للاقتصاد الاشتراكى الدور الحاسم فى تعزيز الجبروت العسكرى للاتحاد السوفييتى .

من المعروف ان القتال الذى تحدد سيره ومآله لدرجة كبيرة الموارد الاقتصادية للبلدان المتحاربة كان يجرى فى حروب الماضى ليس فقط ضد القوات المسلحة ، بل ، ولدرجة ما ، ضد مشاريع ومراكز العدو الاقتصادية بغية نسف قدرته . وكان من اهم الوسائل التى تتيح للدول المتحاربة توسيع مواردها الاقتصادية ونسف موارد العدو احتلال اراضيه وكذلك الحصار الذى كان يجرى بصورة رئيسية عن طريق الاخلال بالمواصلات (وخصوصا البحرية) التابعة للبلدان المتحاربة وللبلدان المحايدة . واعتبارا من الحرب العالمية الثانية اخذت تلعب دورا كبيرا الوسيلة الثالثة للتاثير على اقتصاد العدو ، نعنى القصف الجوى . الا ان هذه الوسيلة لم تستطع ان تُخرج من الحرب ولا دولة واحدة .

اما فى الظروف الراهنة فان امكانيات نسف الطاقات الاقتصادية للدول المتحاربة تختلف عن تلك اختلافا تاما . فبالاضافة الى الصواريخ ذات الاغراض الستراتيجية يمكن ان

تؤثر تأثيرا جبارا على اعماق مؤخرة العـــدو الصواريخ ذات الاغراض السوقية-التاكتيكية ، وكذلك الصواريخ التى تتزود بهــا الطائرات والغواصات ، وخصوصا الذرية منها .

ان الصواريخ ذات الشحنات النووية قادرة على تعطيـــل واتلاف مناطق صناعية بكاملها . ولذلك يمكن ان يحدث مع بداية الحرب وبعد الضربات النووية الصاروخيـــة المتبادلة الاولى تغير جذرى شديـــد فى تناسب الطاقات الاقتصادية الكامنـــة للدول المتحاربة .

أفلا يعنى ذلك ان الاقتصاد الذى يعـــود له دور حاسم فى فترة التحضير للحرب الحديثة لن تكون له أهمية فى سير الحرب نفسها ؟ ذلك ما يستنتجه بعض المؤلفين البرجوازيين بغض النظر عما اذا كانت الحرب ستكون قصيرة الامد او طويلتـــه ، وبغض النظر عن كيفية نشوبها . فبعض الاخصائيين العسكريين ، مثلا ، يعتقدون ان القوى البشرية الهائلة وكذلك القدرة الصناعيـــة والموارد المادية لم تعد تتسم بأهمية حاسمة فى الظروف الراهنة ، ولذلك فالمعيار الوحيد للقدرة العسكرية للدول هـــو السلاح النووى وبصـــورة خاصة النووى الحرارى . لا يمكن ان نوافـــق على وجهة النظر هذه . فالحرب يمكن ان تنشب باعتبارها غير نووية ، ولا تصبح كذلك الا فيما بعد . ويمكن للاطراف المتحاربة ان تجد فى ظروف معينة القوى الكافية لخوض حرب طويلة الامد ، وعند ذاك تلعب دورا عظيما فى سيرهـــا ومآلها حالة اقتصاد الاطراف المتحاربة . وفى الآونة الاخيرة اخذ البعض من علمـــاء الاجتماع والنظريين العسكريين البرجوازيين يؤكدون على الـــدور الهام الذى يلعبه الاقتصاد فى الحرب .

ان الحرب ، على اغلب الاحتمال ، لن تنتهى بتبادل الضربات النووية الصاروخية القاضية . فبالرغم من التدمير الهائل سيظـــل

سالما قسم من المؤسسات الصناعيـــــة والمشاريع الاقتصادية الاخرى . ولذلك من المحتمل جدا ان المؤسسات السالمة ستقوم بانتاج السلاح وبتأمين حاجات السكان الذين يجدون سبيل الخلاص من القصف والاصابة بالاشعاعات .

وفي هذه الظروف تتسم بأهمية حاسمة ليس فقط القدرة المتوفرة لدى صناعة الائتلافات المتحاربة ، بل وكذلك صمودها وتحركها ، اى درجة تعرض الصناعة نفسها والمواصلات على حد سواء للضربات ، وكذلك قابليـــــة بعث الانتاج الصناعى ابان الحرب .

الطاقة الاقتصادية الكامنة

يتطلب الدور المتزايد دومـــا للظروف الاقتصادية فى سير الحرب ومآلها ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبسبب التقدم الجذرى فى الحياة الاجتماعية-السياسية للدول ، دراســـة شاملة للطاقة الاقتصادية الكامنة .

تعنى الطاقة الاقتصادية الكامنة لكل دولة ما يلازم اقتصادها الوطنى من امكانية قصوى لتأمين حاجات المجتمع المادية وانتاج كل ما يلزم لخوض الحرب . وتتجلى هذه الطاقة فى مستوى حجم الانتاج الاجتماعى وفى وتائر تطوره وفى طابع البنية الاقتصاديـــة والقوانين الاقتصاديـــــة لتطور البلاد ومدى استجابتها للتقدم التاريخى .

وبالنسبة للحروب الحديثة ، والحرب النووية المحتملة ، يمكن للطاقة الاقتصادية الكامنة ان تتميز بالمؤشرات التالية الهامة للغاية :

اولا ، **بالحجم المطلق لانتاج الوسائل المادية اللازمة لخوض الحرب** والذى تستطيع الدولة احرازه باعلى حد من توتر قواها . علما بان المقصود ليس فقط تأمين تحقيق الامكانيات الاقتصادية للبلاد (الائتلاف) فى سياق الحرب ، بل وكذلك تأمين الاستخدام الحكيم لجميع الامكانيات الكامنة **مسبقا** . وهذا ما تحدده لدرجة كبيرة السياسة العسكرية-التكنيكية الصائبة المنتهجة فى زمن السلم . فبدون سياسة عسكرية-تكنيكية حكيمة لا يمكن تحمل التوتر الهائل للحرب حتى بتوفر موارد غنيـــة . وبدون هذه السياســـة يمكن انفاق اموال مضاعفة ، ولكن النتيجـــة هى صنع حاجيات غير ضرورية .

ان حجم الانتاج الحربى يتحدد : أ) بالبنية العامة للانتاج وبمستوى تطور جميع فروع الاقتصاد الوطنى (الصناعة والزراعــة والنقليات) ، وخصوصا بقدرة الصناعة الثقيلة ، وقبل كل شىء الفروع القادرة على انتاج الآليات الحربية الحديثة ؛ ب) بتعداد السكان وبالمستوى الثقافى وبتاهيل العمال والمهندسين والتكنيكيين العاملين فى الاقتصاد الوطنى ؛ ج) بانتاجية العمل ؛ د) بالثروات الطبيعية للبلاد ؛ هـ) بمقادير الاحتياطيات المادية ، وقبل كـــل شىء المواد الستراتيجية . ان فاعلية استخدام الموارد الماديـــة والبشرية فى الانتاج الحربى تتحدد مباشرة بطابع النظام الاقتصادى والسياسى للدولة المعنية .

ثانيا ، **بتحرك الاقتصاد الوطنى للدولة** ، اى : أ) بسرعــة الانتقال من اقتصاد زمن السلم الى الاقتصاد الحربى الجيـــــد التنظيم ؛ ب) بوتائر نمـــو انتاج أهم انواع الآليات الحربية ؛ ج) بسرعة ادخال النماذج الجديدة من الآليات الحربية والاسلحة الى الانتاج بالجملة . ويعتمـــد على تحرك الاقتصاد **كسب الوقت** فى

المنازلة مع العدو ، علما بان كسب الوقت هذا يؤمن احيانا تفوقا حاسما فى سير الحرب .

ان الجهاز الانتاجى الهائل للاقتصاد الوطنى يتميز ، بحكم طبيعته ، بدرجة من بطء التحرك تزيد كثيرا على سرعة تغيرات متطلبات الكفاح المسلح منه . فمتطلبات العمليات الحربية تسبق عادة تغير الجهاز الاقتصادى الضخم . ولذلك بالذات تتميز بأهمية جوهرية خصوصا امكانية سبق بلدان الاعداء دوما وبلا انقطاع فى تلبية المتطلبات الحربية الجديدة .

ثالثا ، **بصمود الاقتصاد الوطنى وفاعلية حمايته** ، وخصوصا الصناعة والنقليات ، فى ظروف مفعول سلاح الاصابة الجماعية المحتمل عليه . ويؤثر على صمود الاقتصاد الوطنى : أ) التنظيم الاجتماعى للانتاج وطابع تقسيم العمل ؛ ب) التوزيع الجغرافى لاهم المراكز الصناعية ودرجة تعرض المواصلات للضربات ؛ ج) القابلية على بعث المؤسسات الانتاجية المدمرة .

ان وتائر تطور الاقتصاد وتحركه وصموده مشروطة ، قبل كل شىء ، بخصائص نظام علاقات الانتاج السائد وفاعلية السياسة الاقتصادية للدول ، وهى تعتمد على معنويات السكان واستعدادهم لتأييد هذه السياسة .

تحدثنا اعلاه عن الطاقة الاقتصادية الكامنة . ولكنه يوجد بالاضافة اليها مفهوم «الطاقة الاقتصادية-العسكرية الكامنة» . واذا كانت الطاقة الاقتصادية الكامنة تعبر عن امكانيات الدولة (الائتلاف) على تأمين كافة حاجات الحرب (التحضير لها وخوضها) ، فان الطاقة الاقتصادية-العسكرية الكامنة تنطوى على قابلية الاقتصاد لتامين الحاجات المباشرة للقوات المسلحة فى زمن السلم والحرب على حد سواء . ويمكن ان تكون للبلدان ذات الامكانيات الاقتصادية المتعادلة تقريبا طاقات اقتصادية-عسكرية كامنة

مختلفة . ويتحدد ذلك فى المقام الاول بالنظـــام الاقتصادى والظـــروف الاجتماعية-السياسية ومستوى القاعدة المـــادية-التكنيكية .

مزايا وافضليات الدول الاشتراكية فى استخدام طاقاتها الاقتصادية الكامنة

يكتفى الكثيرون من النظريين البرجوازيين لدى تقييم الطاقات الاقتصادية الكامنة للدول البرجوازية والاشتراكية بالمقارنـــة البسيطة بين الارقام الخاصة بانتـــاج المصنوعات والمواد ذات الاهمية الستراتيجية ، ويسيئون تقدير امكانيات النظام الاشتراكى فى تطوير الطاقة الاقتصادية الكامنة واستخدامها فى حالة نشوب الحرب .

ان الاقتصاديين البرجوازيين عاجزون عن ادراك جوهر ومزايا اسلوب الانتاج الاشتراكى ، ونعنى بالـــذات ان تطوره تحدده قوانين خاصة مغايرة نوعيا لقوانين اسلوب الانتاج الرأسمالى ، وهـــو يتحقق بطريق مغايرة : ليس عفويا ، بل بواسطـــة القيادة المبرمجة المنسقة للبناء الاقتصادى من قبل الدولـــة . ويساعد ذلك على النجاح فى حل المهمات الحيوية الكبيرة للبناء السلمى ولتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد على حد سواء .

ان مفعول القوانين الاقتصادية للاشتراكية يؤمن الوتائر التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا فى تطور الاقتصاد الوطنى ، ويساعد فى حالة الحرب على التعبئة الاكمل والاستخدام الافضل لجميع قوى الشعب وجميع موارد الجمهوريات الاشتراكية لدحر العدو .

اما قوانين الاقتصاد الرأسمالى والعفوية والفوضى السائدتان فى الاقتصاد البرجوازى فهى ، على العكس ، تخلق صعوبات جدية امام التعبئة الفعالة للموارد المادية بغية خوض الحرب . الا ان

البرجوازية تحاول تذليل هذه الصعوبات عن طريق الانتقال الى رأسمالية الدولة الاحتكارية وعن طريق ضبط الدولة للاقتصاد وبرمجة تنميته ومحاولات تجميع مختلف الركائز والحوافز المؤثرة على الاقتصاد بغية تحقيق اهداف الرأسمال الاحتكارى . ان التدابير التى تجريها الدول البرجوازية قادرة على تحقيق تخفيف طفيف للصعوبات الملازمة للرأسمالية فى تعبئة الموارد للاغراض الحربية ، ولكنها عاجزة عن تذليل هذه الصعوبات . وفضلا عن ذلك تتطور بين البلدان الامبريالية عملية التكامل وتوحيد الجهود فى صنع واستخدام الوسائل الحربية الحديثة . ان تلك ظاهرة جديدة لها جذورها الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى ينبغى ان تؤخذ بعين الاعتبار . ويحمل هذا التكامل طابعا متناقضا . وهو يستهدف تنسيق مصالح الامبريالية على الصعيد الدولى لدرجة ما ، وبالتالى محاولة تذليل التناقضات بين الدول الامبريالية . ولكنه من المستحيل تذليل هذه التناقضات لانها ملازمة للنظام الرأسمالى بصورة عضوية .

ان التدابير التى اتخذت لاستكمال وتحسين ادارة الحياة الاقتصادية فى الاتحاد السوفييتى تتسم بأهمية عظيمة فى استخدام مزايا الطاقة الاقتصادية الكامنة وبالنسبة لتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد . فالاصلاح الاقتصادى الذى يعنى اسلوبا جديدا فى ادارة الاقتصاد يعبر عن ضرورة جعل الادارة الاقتصادية تستجيب لمستوى تطور القوى المنتجة وطابعه . ويؤمن الاصلاح تعزيز دور الطرائق الاقتصادية فى الادارة وتحسين التخطيط الحكومى وتوسيع الاستقلالية الاقتصادية والمبادرة لدى المؤسسات الانتاجية . وكل ذلك يؤدى الى النهوض اللاحق لاقتصاد البلاد ، وبالتالى الى تعزيز القدرة الدفاعية للدولة . وتجرى اصلاحات مماثلة فى عدد من البلدان الاشتراكية الاخرى . وبذلك تتهيأ الظروف لانتصار الاشتراكية

فى المباراة الاقتصادية مع الرأسمالية ولزيادة القدرة العسكرية للاسرة الاشتراكية .

وفى مجرى التطور اللاحق للمنظومة الاشتراكية العالمية تتجلى مزايا وافضليات النظام الاقتصادى الاشتراكى لدرجة اكبر . ومن المعروف ان العلاقات المتبادلة بين البلدان الرأسمالية تستند الى صراع المزاحمة الضارى والى طمع الدول ذات الاقتصاد المتطور باخضاع البلدان ذات المستوى الاوطأ للقوى المنتجة وباستغلال هذه البلدان . اما فى بلدان المنظومة الاشتراكية فنرى لوحة مغايرة لذلك تماما . فالاشكال القديمة للعلاقات الاقتصادية بين الدول ، مثل التجارة والقروض ، اكتسبت هنا مضمونا جديدا ، وهى تساعد على التطور الاقتصادى الاسرع لجميع البلدان الاشتراكية ورفع البلدان الاقل تطورا الى مستوى البلدان الاكثر تطورا .

والى جانب ذلك قامت اشكال جديدة تماما للتعاون الاقتصادى والمساعدة الاشتراكية المتبادلة : تنسيق خطط الاقتصاد الوطنى ؛ والتخصص وتعاون الانتاج على اساس التقسيم الدولى الاشتراكى للعمل ؛ وتبادل المنجزات العلمية-التكنيكية والمساعدة فى اعداد كوادر الاخصائيين ؛ وممارسة البناء المشترك للمؤسسات الصناعية ومنشآت انتاج الطاقة والمواصلات .

ان هذه العلاقات المتبادلة الجديدة جميعا تزيد الطاقة الاقتصادية الكامنة للاسرة الاشتراكية وستساعد على الاستخدام الفعال لمواردها المادية والبشرية ابان الحرب .

٣ ــ العلم والقدرة العسكرية للدول

لقد ازداد اعتماد تطور المجتمع البشرى على تقدم العلم ازديادا هائلا فى ظروف الانتقال الثورى من الرأسمالية الى

الاشتراكية . واصبح العلم عاملا جبارا لتطور القوى المنتجة ، ودخل ميدان علاقات الانتاج ، وصار يؤثر تأثيرا كبيرا على ثقافة المجتمع المادية والروحية .

والسمة الواضحة للعصر الحاضر هى سرعة تطور **العلم** على نحو لم يسبقه مثيل ، وتزايد تأثيره على كافة جوانب الحياة المادية والروحية .

وتهيئ العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الظروف الملائمة لتأثير العلم تأثيرا شاملا على مجمل حياة البلاد . وتعتبر الماركسية-اللينينية اساسا لقيادة تطور المجتمع الاشتراكى واداة جبارة لمعرفة العالم وتحويله ثوريا .

ان دور العلم المتزايد فى حياة المجتمع هو سنة موضوعية من سنن التطور التاريخى . ويتجلى مفعول هذه السنة فى ميدان الشؤون العسكرية ايضا . فان العلوم جميعا ، اذ تنعكس عبر ظروف اجتماعية-اقتصادية وسياسية معينة وعبر الحياة الروحية للمجتمع ، تحدد تطور الشؤون العسكرية .

ولقد بينت الحرب العالمية الثانية ان انتصار احد الطرفين المتحاربين على الطرف الآخر يتحقق ليس فقط فى سوح المعارك ، وليس فقط فى المعامل والمصانع وحقول الفلاحين ، بل وفى مختبرات البحوث العلمية وفى مكاتب العلماء . وقد وفق العلماء السوفييت فى صنع انواع جديدة من الاسلحة والآليات الحربية ذات الخصائص التاكتيكية-التكنيكية الممتازة .

واسهمت النظرية الماركسية-اللينينية مساهمة كبيرة فى انتصار الاتحاد السوفييتى على المانيا الهتلرية . اذ امنت هذه النظرية تكوين النظرة العلمية الى العالم لدى المواطنين السوفييت ولدى افراد الجيش والاسطول وساعدت على خلق الخصال السياسية والكفاحية-المعنوية العالية لدى افراد القوات المسلحة .

ولعبت الماركسية-اللينينيـــة دورا هامـــا فى تحقيق تفوق الفكر العسكرى السوفييتى على النظرية العسكريـــة البرجوازيـــة . فان الانتصار على اعداء بلاد السوفييت هو فى الوقت ذاته انتصـــار للماركسية-اللينينية والعلم الاجتماعى الطليعى على الاراء البرجوازية حول التطور التاريخى .

وفى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اصبحت جميع العلوم اساسا نظريا للتغيرات الثورية فى الشؤون العسكرية . وامنت هذه العلوم للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ارتفاعـــا كبيرا لمستوى قدرتها الدفاعية .

ومن المعترف به لدى الجميع حاليا انه يستحيل الحكم على القدرة العسكرية للدول وعلى تناسب قوى العدو المحتمل بـــدون مراعاة منجزات العلم .

طابع وطرق تأثير العلم على الشؤون العسكرية

ان طابع صلـــة بعض العلوم بالقدرة العسكريـــة للدول (الائتلافات) متباين . فالعلوم الطبيعية ترتبط مباشرة بالآليات الحربية والاسلحة وبادارة التكنيك والقوات ، بينما ترتبط العلوم الاجتماعية بتنظيم القوات وتدريبها وتربيتها وبتطور الخصـــال السياسية والكفاحية-المعنوية للمحاربين وبرفع مستواهم الفكرى وبقيادة القوات فى المعارك وفى ظروف السلم . وتؤثر العلـــوم الطبيعية والاجتماعية على الشؤون العسكرية كذلك عـــن طريق النظريـــة العسكريـــة ؛ فالعلم العسكرى مرتبط بكامل الشؤون العسكرية ويأخذ بعين الاعتبار تأثير الظروف الاجتماعية على تطور هذه الشؤون .

واتسم بأهمية كبيرة ، بل وحاسمة فى صنع الوسائل الحربية الحديثة ، تطور الفروع التالية من البحوث والدراسات العلمية : فى مقدمتها الفرع الاساسى من العلوم الطبيعية ، نعنى الفيزياء التى هى اكثر ارتباطا بالصناعة كما بالشؤون العسكرية . فقد قدمت الفيزياء ، قبل كل شىء ، الاسس النظرية لتطوير صناعة الطاقة الحديثة . واكتشفت الفيزياء القوانين الاساسية للديناميك الحرارى ودرست قوانين وخصائص الصوت والضوء والكهرباء ، وهى تقتحم اعماق عالم الكائنات المتناهية الصغر . والفيزياء هى القاعدة النظرية لصنع السلاح الذرى فى البداية ، ومن ثم السلاح النووى الحرارى . وكان الانتقال من الاستخدام الطاقة الكيمياوية للاغراض العسكرية الى استخدام الطاقة النووية طفرة هائلة فى الشؤون العسكرية . والآن تستخدم الطاقة النووية على نطاق واسع فى الشؤون العسكرية الى جانب انواع الطاقة الميكانيكية والحرارية والكهربائية والكيمياوية وغيرها . ويستند الى الطاقة النووية صنع سلاح الاصابة الجماعية وانواع اخرى من الآليات الحربية .

ان أهمية الفيزياء بالنسبة للشؤون العسكرية عظيمة من وجوه عديدة . فالفيزياء الحديثة باتجاهاتها الخاصة ـ الايروديناميك والديناميك الغازى والديناميك الصاروخى وعلم الكهرباء والمغناطيس والفيزياء الاشعاعية والالكترونيك والالكترونيك الجزيئى وغيرها من العلوم الفيزياوية المستقلة نسبيا ـ مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بكامل القاعدة التكنيكية للشؤون العسكرية .

والى جانب الفيزياء اثرت على تقوية هذه القاعدة تأثيرا كبيرا جدا الرياضيات والكيمياء والراديوالكترونيك التى امنت صنع مختلف انواع الصواريخ . وان النجاحات الباهرة فى صناعة الصواريخ فى

الاتحاد السوفييتي ترجع باصولها الى المؤلفات النظرية لكثير من العلمـــاء وفى طليعتهم العالم العصامى العظيـــم كونستنتين تسيولكوفسكى الذى جرى تعميم وتطوير ارائه العبقرية مـــن كافة الوجوه .

لقد اصبح صنع الصواريخ ممكنا بصورة رئيسيـــة بعد ان حلت مشكلة اعداد المواد المقاومة للحرارة والقادرة على تحمـل درجات حرارية عالية للغاية ، وبعد ان امنت الكيمياء الوقـــود للمحركات . ولا يمكن كذلك صنع الصواريخ واطلاقها بدون توفر الاجهزة الحديثة للادارة عن بعد والآلات الالكترونية الحاسبـــة السريعة العمل .

ويتطور على نحو سريع للغاية الالكترونيك المرتبط ارتباطا لا ينفصم بالعلوم الفيزيائية-الرياضية والكيمياوية والتكنيكية . ولا يقتصر استخدام الالكترونيك فى الاتصال اللاسلكى والالتقـــاط الرادارى والتلفزة ، بل يستخدم كذلك لدى صنع الآلات الالكترونية الحاسبة واجهزة ادارة الصواريخ .

وتدل نجاحات اطلاق الصواريخ الباليستيكية على الكمـــال والنوعية الممتازة للتكنيك الصاروخى واجهزة الادارة فى التحليق ، وهى الاجهزة المستندة الى الالكترونيك . ويعود للالكترونيك دور بارز فى الثورة العلمية-التكنيكية القائمة حاليا . فليس هناك ، على اغلب الظن ، ميدان فى العلم والتكنيك والثقافة والاقتصاد الوطنى لا يستخدم فيه الالكترونيك . وعلى مستوى تطور الالكترونيك تعتمد لدرجة كبيرة القدرة العسكرية لاى بلد .

وتصبح الاتمتة على اساس الالكترونيك لدى المستوى الحالى للآليات الحربية ضرورة مطلقة لتطوير الشؤون العسكرية . وهذا الامر يستدعيه تزايد تحرك القوات وسرعة تنقلها وتعقد ادارتها

والسعى الى افضل مردود فى استخدام السلاح والتكنيـــك المتميز بقدرات وسرعات متزايدة على الدوام .

وقد احرزت الكيمياء ، وخصوصا كيمياء التراكيب الجزيئية العالية ، انجازات عظيمة . فقد ساعد تقدم الكيمياء على الانتقال الى الانتاج الواسع للمواد التى لا يجدها الانسان فى الطبيعة نفسها . وبالتعاون مع العلوم الاخرى تتغلغل الكيمياء الى جميع ميادين النشاط البشرى . وهى تؤمن لدرجة كبيرة الوتائر السريعة لتطور القوى المنتجة .

ان دور الكيمياء فى حياة المجتمع يزداد . وتتسم الكيمياء بأهمية كبيرة للشؤون العسكرية وللآليات الحربية .

فقد قدمت الكيمياء عددا من المواد الجديدة ذات النقـــاوة العالية للغاية . وتم الحصول على مواد جديدة ذات مقاومة لدرجات الحرارة الفائقة وللتآكل ، وعلى الموصلات النصفية والمواد العازلة الجديدة ذات الخصائص الممتازة المستخدمة فى الراديوتكنيـــك والتكنيك الكهربائى ، وكذلك مختلف المصهورات الخاصـــة ومختلف المـــواد اللدائنية ومواد الهياكـــل والتراكيب وكثير غيرها .

وفى السنوات الاخيرة امكن الحصول على مواد جديدة ذات خصائص معينة مسبقا ولا تتحلى بها المواد الطبيعية . وصارت هذه المواد (اللدائن الزجاجية والميكة المخلقة والاسبستوس والالياف والاصماغ الاصطناعية واللدائن وغيرها) تستخدم على نطاق واسع فى صنع الآليات الحربية .

وانعكست منجزات البيولوجيا الحديثة فى الطب وفى تطوير التعاليم الخاصة بالفيروسات والبكتريا ، وفى اكتشاف الانتيبيوتات .

وحتى فى سنوات الحرب العالمية الثانية شغلت مكان الصدارة الامكانيات العملية للبيولوجيا التى لعبت دورا كبيرا فى وقايـــة

القوات والسكان من الامراض والاوبئة ، ونتيجة لذلك تقلصت لدرجة كبيرة العواقب الوخيمة للجروح . فقد رفعت البيولوجيا مستوى الوقاية الصحية والطب .

وفى الحال الحاضر لا تزال اكبر مهمة للبيولوجيا والطب هى العناية بصحة الانسان ومتانة بنيته البدنية ووقاية العسكريين والسكان جميعا من مختلف الامراض ، وخصوصا الاوبئة الشاملة .

وتجرى فى البلدان الرأسمالية اعمال واسعة للبحث عن اساليب الاستخدام الافضل للوسائل البيولوجية كسلاح للاصابة الجماعية . ويعلق الامبرياليون على هذا النوع من السلاح آمالا كبيرة لانه موجه ضد الناس قبل كل شىء . فهو لا يدمر المنشآت ويرأف بالآليات ، وهو يهاجم الناس وقواعد اغذيتهم : الماشية والحقول فقط .

من المعروف ان ظهور سلاح جديد لا بد وان يؤدى الى خلق وسائل الحماية منه . فالبيولوجيا ، بالاشتراك مع العلوم الاخرى وخصوصا الكيمياء ، مدعوة الى تنفيذ هذه المهمة .

تلك هى بعض منجزات العلم الحديث التى تتسم بأهمية جوهرية بالنسبة لتطوير الشؤون العسكرية . وهى لا تستنفد طبعا مجموعة المواد العلمية والنظريات التى تلعب دورا كبيرا فى الشؤون العسكرية .

لقد تغلغلت العلوم الطبيعية والرياضيات فى الشؤون العسكرية الى مدى عميق ، بحيث اصبحت عنصرا ضروريا لتوجيه سير العمليات الحربية .

ان التغير الجذرى لطابع العمليات الحربية والحرب عموما بنتيجة ادخال السلاح النووى الصاروخى على نطاق واسع ومكننة

الجيش وتزويده بوسائل التنقل والحركة ، وتزايد دور قـوات الانزال الجوى واستكمال وسائل الاتصال والمراقبة والاستطلاع والخ .ـ كل ذلك استدعى المزيد من استخدام الطرق العلمية فى قيادة القوات .

واصبح حل هذه المهمة بنجاح امرا ممكنا بواسطة العلم . فلكى يستخدم التكنيك الصاروخى على نحو فعال ، مثلا ، يجب ان تتحلى الكوادر العسكرية بالمعارف الواسعة والمتنوعة . ولا يقتصر ذلك على معرفة التكنيك ، بل يتناول معرفة الحقول المغناطيسية للارض ومسيلات الجزيئات الكونية وسنن الكتل الهوائية وكثير غيرها . وتلعب دورا خاصا العلوم الرياضية ، مثل نظرية النسبية والبرمجة الخطية والديناميكية والخ ..

وقد دخل حومة ادارة الآليات الحربية والقوات العسكريـة عنوة السيبيرنيتيك ، علم التحكم بالعمليـات المعقدة فى الآلات والاجسام الحية والمجتمع . والسيبيرنيتيك من حيث المنهج هـو علم رياضى يستخدم منجزات تكنيك الآلات الالكترونية الحاسبة . وهو يهب لنجدة الناس فى الحالات التى تستدعى ادارة العمليـات التى يصبح من الصعب او المستحيل ادارتها بالطرائق او الوسائل القديمة بسبب سرعة جريان هذه العمليات او ارتباطها بكثرة مـن العوامل المتشابكة .

ولا يمكن متابعة تطوير نظرية الفن العسكرى وحل المسائل المرتبطة بالبحث عن افضل الوسائل لاعداد وخوض القتـال واستخدام الانواع الحديثة للاسلحة والآليات الحربية فيه الا على اساس استخدام جميع منجزات العلوم الرياضيـة والطبيعيـة والتكنيكية . وفى ظروف الثورة فى الشؤون العسكرية اخذت العلوم الطبيعية تؤثر كذلك لدرجة هائلة على تدريب الجنود والضبـاط وعلى تفكيرهم وسجاياهم الكفاحية ـ المعنوية . وتتميز هذه العلـوم

بقوة تربوية كبيرة . وترتبط وظيفة العلوم الطبيعية هذه ارتباطا وثيقا بالعلوم الاجتماعية . وتجدر الاشارة الى ان العلوم الاجتماعية المكرسة لخدمة الرأسمال لا يمكنها ان تتعاون على نحو متناسق مع العلوم الطبيعية : فهى على طرف نقيض معها .

وتلعب العلوم الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى دورا كبيرا كذلك فى تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد ، وزيادة القدرة الحربية للقوات المسلحة . وان الشؤون العسكرية نفسها ترتبط على نحو متزايد الوثوق بالعلوم الاجتماعية ، وتصبح معتمدة على مستوى تطورها وفاعلية استخدام منجزاتها فى ممارسة تدريب القوات وتربيتها وفى بناء القوات المسلحة وقيادتها .

لقد حلت الماركسية-اللينينية علميا مشكلة الحرب والسلام وقدمت الجواب على مسائل العصر الحيوية وعللت طرق ووسائل تعزيز القدرة الدفاعية لبلاد السوفييت فى الظروف الجديدة . وساعدت على وضع المذهب العسكرى ورفع مستوى تدريب القوات وتربيتها وهلمجرا .

وتلعب العلوم الاجتماعية دورا هاما للغاية فى تكوين النظرة العلمية الى العالم لدى المحاربين السوفييت . وان نواة هذه النظرة هى الماركسية-اللينينية ، اى الفلسفة الماركسية والتعاليم الاقتصادية والشيوعية العلمية . وتلعب دورا نشيطا كذلك العلوم الاجتماعية الاخرى مثل العلوم التاريخية والحقوقية والسيكولوجية . وتساهم العلوم الطبيعية ايضا مساهمة كبيرة فى تكوين النظرة العلمية الى العالم . فهذه العلوم تهيئ معرفة العناصر الاساسية للوحة العلمية للعالم ، والقوانين الاساسية للكون . **ان النظرة العلمية الى العالم هى القناة الرئيسية التى يؤثر العلم عن طريقها على معتقدات الانسان ، المحارب ، ووعيه وسيكولوجيته ، وعلى عالمه الروحى بأسره** . ان الماركسية-اللينينية والعلوم

الاجتماعية الاخرى تساعد العسكريين فى ادراك مسؤوليتهم عن الدفاع عن الوطن ادراكا عميقا ، وتكشف عن طابع العمل العسكرى وخصائصه وطرق تربية افراد القوات المسلحة بروح الموقف الصائب من هذا العمل . وهى تمهد لرفع الخصال الكفاحية-المعنوية والتمرس السيكولوجى لدى المحاربين وتعزيز القدرة الكفاحية والاستعداد الحربى لدى القوات .

ومن المهم خصوصا ان العلوم الاجتماعية تساعد المحاربين فى الجمع بين المعارف العسكرية والمعارف العلمية الطبيعية وتكشف عن طرق استكمالها . وتستخدم العلوم جميعا **لرفع الثقافة العسكرية-التكنيكية التى هى الدليل على مستوى انتاجية العمل العسكرى** . ولا يمكن امتلاك ناصية السلاح والتكنيك الحربى على افضل وجه وزيادة التأهيل وتعلم الاختصاصات المتماثلة واصابة الهدف بالطلقة الاولى والرمى وسياقة السيارات ليلا حسب معايير النهار وتجاوز المعدلات المقررة لاعداد الآليات الحربية للمعركة وسياقة السيارات العسكرية بسرعة فائقة واطالة امد استخدام الآليات بين فترات التصليح وهلمجرا الا عندما يحقق افراد القوات المسلحة مستوى معينا للثقافة العسكرية-التكنيكية .

المجهود العلمى وظروف تطوره

يعبر مفهوم **المجهود العلمى** (الطاقة العلمية الكامنة) عن الدور المتزايد والجديد نوعيا لجميع العلوم فى تعزيز القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) ، وفى سير الحروب الحديثة ومآلها .

ولقد اشار ماركس ولينين الى التيار الجبار الصادر من العلوم الاجتماعية الى العلوم الطبيعية وبالعكس . اما الآن فهذه العملية تجرى بشدة خاصة فى البلدان الاشتراكية . ان حل القضايا العلمية

الطبيعية والتكنيكية يولد مسائل اجتماعية معينة ، كما ان تطور الحياة الاجتماعية وتعمق المعارف عنها يطرحان مسائل جديدة امام العلوم الطبيعية والتكنيك . وتشكل الاتجاهات المنفردة للدراسات العلمية بصورة متزايدة عملية موحدة تضطلع بدور العامل الثورى الذى يغير كافة جوانب حياة المجتمع .

فى البلدان الرأسمالية تجرى هذه العملية على نحو وحيد الجانب . وليس الا المجتمع الاشتراكى ما يهيئ الظروف الملائمة لجعل العلوم جميعا تحقق امكانياتها الخلاقة .

وعلى مستوى ووتائر تطور العلم يعتمد لدرجة حاسمة تحقيق المهمات العملية للتطور الاجتماعى وحل قضية الحرب والسلام والقدرة العسكرية للدول . ولذلك يشمل المجهود العلمى للبلاد **كافة علوم الطبيعة والمجتمع** ، بما فيها العلم العسكرى ، وجميع منجزاتها التى تؤمن تطور الاقتصاد والتكنيك والجوانب الاخرى للحياة الاجتماعية ، والقدرة العسكرية طبعا .

يقصد بالمجهود العلمى للبلاد (الائتلاف) ما تم التوصل اليه من مستوى ووتائر تطور الفكر العلمى وقدرته على الحل الفعال السريع للقضايا الجذرية لتطور المجتمع والعلم نفسه وعلى الابداع .

ويمكن تحليل المجهود العلمى نوعيا وكميا . ومن اهم العلائم هنا ما تم احرازه من مستوى لتطور جميع العلوم ، وخصوصا الفروع الاساسية فى العلوم الاجتماعية والطبيعية والرياضيات والنظرية العسكرية ، وكذلك وتائر التعجيل بتطويرها ؛ وحركة العلم وسرعته فى حل اكبر مهمات الحاضر والمستقبل ؛ وطابع الارتباط بالممارسة العملية ودرجة سبقها ؛ ومتانة الترابط بين جميع العلوم وبين الفلسفة العلمية والرأى العام ؛ وعدد وتأهيل العلماء ، وعدد المؤسسات التعليمية ومؤسسات البحوث

العلمية ؛ والوضع العـــام لشؤون التعليم فى البلاد ؛ والقدرة على التخطيط لتطويـــــر العلم وادارته من قبل الدولة والاحـــزاب الحاكمة .

فعلى مَ يعتمد المجهود العلمى لهذه الدولة او تلك ووتائر زيادته ؟

ان المجهود العلمى يتحدد قبل كل شىء بحالة البحوث النظرية الاساسية الرامية الى دراســـة خصائص المادة وظواهر وقوانين الطبيعة والمجتمع غير المعروفة بعد ، ووضع الطرق الجديـــدة لدراستها واستخدامها .

وان الاكتشافات والتعميمات العلمية المبدئية الهامة تصبح بالذات حجر الزاوية فى مجمل بنيان العلم وتؤمن تقدمه الى الامام لامد طويل . فقد اصبحت المبادئ الجذرية فى النظرية الماركسية-اللينينية اساسا للتعليل العلمى لاهداف نضال الشغيلة النهائية ، كما للمهمات الملموسة التى ينبغى حلها من اجل بلوغ هذه الاهداف . ان الاكتشافات الاساسية تضع البداية للعلوم التكنيكية والتطبيقية والتكنيك وتحسين المكائن والعمليات التكنولوجيـــة والاسلحـــة وهلمجرا .

ولذلك يبدى الحزب الشيوعى السوفييتى اهتمامـــا بتطوير النظرية الماركسية-اللينينية فى المقام الاول ، وكذلك الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا . وتتطور الدراسات النظرية على اوسع نطاق فى الميادين الحاسمة للتقدم الاجتماعى ، حيث تجرى دراسة قوانين تحول الاشتراكية الى شيوعية بكامل سعـــة هذه القوانين ، وتحل مسألة الحرب والسلام ، وتجرى الاعمـــال فى الميادين الرئيسية للتقدم التكنيكى ودراسة الفضاء الكونى وباطن الارض وهلمجرا .

ان للمجتمع الاشتراكى مزايا بينة على المجتمع الرأسمالى فى تطوير واستخدام العلوم الاجتماعية لصالح التقدم .

وان النجاحات فى ميدان الفيزياء والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا وعلم الاقتصاد والسيكولوجيا وهلمجرا تحفز تطور الشؤون العسكرية ولا تدعها تراوح فى مكانهـا . علما بان تأمين التفوق على العدو يرتبط بالتطور السبّاق للدراسات الاساسية والدراسات التطبيقية فى العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء . وينبغى لجميع العلوم ان تتطور بتناسق من هذه الناحية ايضا .

يعتمد المجهود العلمى على وجود مؤسسات البحوث والدراسات العلمية وعلى عدد كوادر العلماء والمهندسين ومستوى اعدادهم ، وعلى حالة التعليم العام .

ترتبط نجاحات اعداد الاخصائيين فى الاتحاد السوفييتى ارتباطا وثيقا بتطور التعليم وبالنهوض الثقافى العام فى البلاد . ولا يمكن تحقيق النظام الواسع للتعليم العام المجانى من المدارس الابتدائية حتى المعاهد العالية الا فى ظل الاشتراكية . وهذا النظام هو قاعدة جيدة للتقدم التكنيكى وازدهار العلوم التى يفتخر الشعب السوفييتى بمنجزاتها عن جدارة واستحقاق . ففى الاتحاد السوفييتى يوجد بين كل الف من السكان ٤٨٣ شخصا من ذوى التحصيل العالى والثانوى (الكامل وغير الكامل) . وليس عبثا ان يعلن بعض العلماء الاميركان انه اذا منيت اميركا بالهزيمة فى ميدان التعليم فانها ستمنى بها ، دون شك ، فى جميع الميادين الاخرى للمعرفة البشرية .

ان الشرط الحاسم لتطور المجهود العلمى هو مستوى القوى المنتجة وطابع العلاقات الاقتصادية والسياسية السائدة فى المجتمع فى ظرف معين .

ومع ان تطور العلوم الطبيعية والتكنيكية يتميز باستقلالية نسبية ، فان هذا التطور ، فى آخر المطاف ، مشروط بحاجات الانتاج الاجتماعى . وفى الحال الحاضر يعتبر عظيما بخاصة اعتماد

المجهود العلمى على حالة القوى المنتجة ، وبالدرجة الاولى على الصناعة الثقيلة وصناعة بناء المكائن والاجهزة .

وليس غير التطور الكبير للصناعة الحديثة ما يساعد على تهيئة القاعدة المادية-التكنيكية للدراسات النظرية والاعمال التجريبية ، وبالذات التجهيزات الممتازة للمختبرات والاجهزة اللازمة لدراسة ظواهر العالم المادى . وتؤمن الصناعة الكبيرة كذلك تحقيق الاكتشافات العلمية ، علما بان مزايا الاقتصاد الاشتراكى تساعد على تطبيق هذه الاكتشافات عمليا بأسرع كثيرا مما فى البلدان الرأسمالية . ويتسم ذلك بأهمية من الدرجة الاولى بالنسبة لتطور العلم .

وخلافا للبلدان الرأسمالية تهيأت فى المجتمع الاشتراكى كافة الظروف اللازمة لتوجيه عمل علماء البلاد بأسرها على نحو منسق بغية حل اهم القضايا النظرية والعملية الحيوية ذات المستقبل الكبير والتى تتسم بأهمية هائلة لبناء الشيوعية وتعزيز القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى .

ان الحزب الشيوعى هو الذى يوجه نشاط العلماء ونشاط المجتمع السوفييتى كله على حد سواء . وقد اصبح العلم فى الاتحاد السوفييتى قضية الدولة بأسرها ، وهو يحظى بعناية دائمة من الحزب والشعب .

ان تفوق الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى على البلدان الرأسمالية بلا جدال فى تنظيم الدراسات والبحوث العلمية يتلخص فى كون العلماء السوفييت يعتمدون على اساس فلسفى ومنهجى علمى حقا هو المادية الديالكتيكية ، ولديهم حوافز اسمى لتطوير العلم . فالعلماء ، الذين هم جزء من الشعب السوفييتى مرتبط به ارتباطا لا ينفصم ، يعملون لخيره ويؤدون واجبهم المقدس ازاء الوطن . وهذا هو منبع عظيم للالهام الابداعى لديهم .

ويتلخص التفوق فى تطور المجهود العلمى كذلك فى ان العلم فى ظروف النظام الاشتراكى يرتبط بالتطبيق ارتباطا لا ينفصم ، وان العلماء يرتبطون بالعمال والفلاحين الكولخوزيين ، بالمواطنين الذين ينتجون الخيرات المادية مباشرة . وبقدر تقدم البلاد نحو الشيوعية يساهم الشغيلة انفسهم مساهمـــة متزايدة فى تطوير العلم ، ويتعزز الارتباط بين العلم والعمل .

وهكذا ، يتمتع النظام الاشتراكى بمزايا جليـــة فى تنظيم البحوث والدراسات وفى العمل التصميمى . وينمو مجهوده العلمى بأسرع مما فى البلدان الرأسماليـــة ، بما فيها الولايات المتحدة الاميركية ، ذلك البلد الغنى والمتطور من الناحية التكنيكية .

الا ان من الخطر استصغار امكانيات تطور العلم والتكنيك فى البلدان الرأسمالية . فالمجهود العلمى فى الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية المانيا الاتحادية وبعض البلدان الاخرى مرتفع جدا . وتبذل هذه الدول قصارى جهدها وتخصص مبالغ طائلة لتطوير جميع فروع العلم لصالح الشؤون العسكرية . ولذلك فالحفاظ على التفوق فى مستوى المجهود العلمى يتطلب نشاطا ابداعيا دائما من قبل العلمـــاء والمهندسين والمصممين والعمـــال يوجهـــه الحزب الشيوعى لمواصلة تطوير العلوم الاجتماعية والطبيعيـــة والتكنيكية وللاستفادة من اكتشافاتها واختراعاتها بـــأسرع مـــا يمكن .

٤ ـ الاسس السياسية ـ المعنوية للقدرة العسكرية للدول

اتسمت جميع الحروب الكبرى فى الماضى ، وخصوصا الحربان العالميتان ، بكون احد العوامل ذات الاهمية الستراتيجية الهائلة فيها كان يتلخص ليس فقط فى معنويات الجيش ، بل وفى القوى

الروحية لمجموع سكان الدول (الائتلافات) المتحاربة . وسوف تتجلى هذه القوى بمزيد من الشدة فى الحرب العالمية النووية اذا اشعل الامبرياليون نيرانها .

لقد لاحظ المفكرون والقادة العسكريون فى الماضى اعتماد الانتصارات او الهزائم فى الحروب والمعارك على حالة القوى المعنوية للشعوب والجيوش المتحاربة . وتتضمن مؤلفات النظريين العسكريين القدامى ـ كلاوزيفيتس وفوش وبيرنهاردى وجوميني وميخنيفيتش وليير ودراغوميروف افكارا صائبة اصيلة وغير قليلة عن مكانة ودور القوى الروحية المعنوية للمحاربين فى المعارك . وفى مستهل القرن العشرين احتوت مكتبات ضباط الجيش الروسى عددا كبيرا من المؤلفات حول هذه القضية . الا ان الفهم المثالى ، بل وحتى الدينى المكشوف احيانا ، للقوى المعنوية باعتبارها شيئا فطريا لا يمكن ادراكه ، لم يتح للمؤلفين ان يكشفوا بعمق عن جوهر المسألة ، بالرغم من ان مؤلفاتهم تضمنت تعميما لخبرة تاريخية غنية مستقاة من حروب عديدة ، ولكن من مواقع المنهج الوضعى المثالى .

يعترف الجميع حاليا بالدور الهائل والمتزايد دوما للروح المعنوية فى الحرب الحديثة . الا ان هناك رأيين على طرفى نقيض بشأن جوهرها ومصادرها : رأى مثالى مناف للعلم ورأى علمى مادى-ديالكتيكى .

ان ايديولوجيى الامبريالية ونظرييها العسكريين يبحثون عن اساس ومصادر معنويات الشعب والجيش فى اللاهوت او فى الخاصيات الانثروبولوجية والسيكولوجية للانسان ، ويفسرون الافكار بالافكار ، ويستخلصون الاراء من الاراء . فهم ، اولا ، يشوهون جوهر الطاقة المعنوية والعامل المعنوى مقللين من شأن

الاهمية الحاسمة للمضمون السياسى لمعنويات الشعب ، ويتحاشون ، ثانيا ، الامر الرئيسى ، الا وهو المصادر الاجتماعية-السياسية والاسس الاقتصادية للقوى المعنوية . وهذا يستجيب لمصالحهم الطبقية واسسهم النظرية والمنهجية . وقد اسهبنا فى الحديث عن ذلك فى القسم الخاص بجوهر الحروب ومصادرها فى الفصل الاول من هذا الكتاب .

الطاقة المعنوية الكامنة
والعامل المعنوى

ان الطاقة المعنوية الكامنة ، من وجهة نظر المفهوم المادى-الديالكتيكى للتاريخ ، هى مجمل الامكانيات السياسية-المعنوية الروحية للشعب . وهى تعبر عن امكانية واستعداد سكان الدولة المعنية (او الطبقة او الفئة الاجتماعية) للعمل المشترك الرامى الى بلوغ اهداف تتسم بأهمية اجتماعية-تاريخية كبيرة .

ومن الناحية العسكرية تعنى الطاقة المعنوية الكامنة درجة معينة من الاستعداد الروحى لدى الشعب والجيش لتحمل مصائب الحرب الحديثة العسيرة للغاية وعدم فقدان ارادة الكفاح والانتصار على العدو . وهى من حيث الجوهر طاقة سياسية-معنوية .

وتضم الطاقة المعنوية الحالة المعنوية للسكان ومعنويات الجيش . وعندما تكون هذه الطاقة فى حيز العمل تتحول الى عامل معنوى . ان العامل المعنوى ، بالنسبة للمجتمع كله ، هو حالة خاصة من الوعى الاجتماعى تعبر عن سعى الجماهير الهادف فى حل المهمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية الكبرى .

ليست الطاقة المعنوية الكامنة والعامل المعنوى شيئا جامدا .

فعليهما تطرأ تغيرات جوهرية وغير جوهرية ، بطيئة وتدريجية احيانا ، وسريعة على شكل طفرات فى احيان اخرى . وهذا هو حالهما خصوصا فى العصر الحاضر . ويعتمد مردود استخدام الطاقة المعنوية على نشاط المؤسسات الحكومية والعسكرية وعلى عمل المنظمات الحزبية والمنظمات السياسية الاخرى ، ويحدده فى آخر المطاف طابع النظام الاجتماعى والايديولوجية السائدة فى المجتمع ، وكذلك الاهداف التى تخاض الحرب من اجلها .

ان النظام الاجتماعى-السياسى للدولة هو اهم مصدر لمعنويات الشعب والجيش . علما بان النظام الاجتماعى-السياسى كمصدر للقدرة العسكرية للدولة يؤخذ بعين الاعتبار حاليا ليس فى اطار بلد منفرد ، بل على نطاق الائتلافات الدولية المتعارضة من حيث نظمها الاجتماعية .

ان علاقات التعاون الرفاقى الملازمة للاشتراكية والسياسة التى تنتهجها الدول الاشتراكية تعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الشعبية وتحظى بدعم لا حدود له من قبل هذه الجماهير . وان الايديولوجية الماركسية-اللينينية السائدة فى البلدان الاشتراكية هى معين لا ينضب لابداع الجماهير ومعجل جبار للتقدم الاجتماعى . وان الحكمة والارادة الجماعيتين ، ووحدة العمل الايديولوجى والتنظيمى لدى الاحزاب الشيوعية والعمالية تؤمن تحويل الامكانيات السياسية-المعنوية الهائلة الى واقع ، ولذلك تعتبر من اهم منابع متانة القوى الروحية للشعوب . وكل ذلك يهيئ القاعدة السياسية المتينة للقوات المسلحة ولتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد .

لقد استمرت فى السنوات الاخيرة تقوية هذه المصادر بنتيجة توسيع القاعدة الاجتماعية للدولة الاشتراكية ، وتعزيز وحدة الشعب السوفييتى وشعوب البلدان الاشتراكية الاخرى .

وعلى العكس من ذلك ، تتعرض للتفتت الروحى القاعدة

الاجتماعية-السياسية لمعنويات الشعب والجيش فى البلدان الرأسمالية . ويعزى ذلك الى تفاقم النزعة العسكرية ، وتقليص الديمقراطية البرجوازية النزرة اصلا ، والسعى الى فرض الانظمة الدكتاتورية ، وكذلك الدعاية الديماغوجية المنفلتة من عقالها . وتشتد داخل الدول البرجوازية التناحرات الاجتماعية-السياسية التى تؤدى الى هبوط الامكانيات السياسية-المعنوية لهذه الدول . وهذا الامر ملازم ايضا للائتلاف الامبريالى ككل .

عندما يراد تقييم الطاقة المعنوية الكامنة للدول الامبريالية ينبغى استخدام اسلوب تاريخى ملموس للغاية . فعندما يتكون فى هذه الدول وضع ثورى تدخل على اثره فى مرحلة الهزات الاجتماعية نجد حالها يختلف تماما عن الحال فى دولة استخدمت برجوازيتها الارهاب المباشر فاستطاعت ان تقمع القوى الديمقراطية ، بينما جماهير السكان الواسعة مخدوعة بالدعاية الديماغوجية الزائفة . وفى هذه الظروف تستطيع البرجوازية «حفز» الطاقة المعنوية الكامنة لبلادها ودفع جماهير الشغيلة الى حروب القرصنة الجائرة . وهذا ما حدث مثلا فى المانيا الفاشية عام ١٩٣٩ عندما اشعلت نيران الحرب العالمية الثانية وفى عام ١٩٤١ عندما بدأت هجومها الغادر على الاتحاد السوفييتى .

تعكس الحالة السياسية-المعنوية لسكان الدول البرجوازية وجيوشها التناقضات التناحرية ، وهى عرضة لتذبذب كبير تبعا للانتصارات والهزائم . الا ان الضربات الشديدة المسددة الى المعتدين وقواتهم هى وحدها القادرة على قهر ارادتهم الحربية ومن ثم القضاء عليها كليا . ولذلك فان الدولة السوفييتية وقواتها المسلحة عازمة كل العزم ، فى تحضيرها لردع العدوان الامبريالى المحتمل ، على توجيه الضربة القاضية الى المعتدى بقوة سلاحها وبمعنوياتها العالية .

ان التعارض المبدئي لاسس معنويات الشعب والجيش بين المجتمعين الاشتراكي والبرجوازي قد انعكس كذلك على السيماء الروحية للمؤاطنين . فالتحولات الاقتصادية والسياسية العميقة التي جرت في روسيا بعد ثورة اكتوبر العظمى سببت تغيرات عميقة في الوعي الاجتماعي، كما ترسخت الوحدة الفكرية للمجتمع السوفييتي . وترعرعت في البلاد اجيال تربت بروح الاخلاص المتفاني للافكار الشيوعية ، وهي مؤمنة بعدالة قضيتها . ولقد تبلور طبع المواطن السوفييتي ــ المناضل الثوري والكادح الواعي . ويتكون في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى انسان جديد ، كما تتكون « مادة بشرية » جديدة تعتمد عليها لدرجة كبيرة متانة الروح المعنوية للشعب .

واصبح الشغف بالمعارف سمة ساطعة جديدة في ملامح المواطن السوفييتي . وتحول هذا الشغف الى واحد من مبادئ الاخلاق لدى اغلبية المواطنين السوفييت . ان الطموح الى التطوير المتناسق الشامل لشخصية الفرد يخلق امكانيات واسعة للتربية الذاتية . وتلاحظ طفرة شديدة في توسيع حلقة الاهتمامات والهوايات والمتطلبات الذهنية . ويجري نضوج روحي مبكر للمواطن السوفييتي . فهو يدرك ، على نحو اعمق ، المثل الشيوعية والمسؤولية الشخصية ازاء مصائر الوطن .

ان اناسا مختلفين يتربون في ظل الانظمة الاجتماعية ـ السياسية المختلفة . وهذا امر يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار لدى التقييم المقارن للعامل المعنوي في مختلف الدول وائتلافاتها .

والى جانب ذلك ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار لدى تقييم العوامل المعنوية عند الاعداء المحتملين او الاطراف المتحاربة ان النظام الاجتماعي ـ السياسي يتجلى عمليا في السياسة التي تنتهجها دول

معينة ، وبالتالى فى الاهداف التى تتوخاها كل دولة عندما تستعد للحرب او تخوضها .

ويؤثر الهدف السياسى للحرب تأثيرا حاسما على الحالـــة المعنوية للشعب والجيش ابان الحرب .

ان الناس يخلقون التاريخ عن وعى وادراك ، ولكن دورهم فى الاحداث التاريخية يحدده مدى صواب ادراكهم للاسباب الحقيقية للاحداث وقواها المحركة والمصالح الطبقية التى يستجيب لها مآل الاحداث على هذا النحو او ذاك .

ولقد اشار لينين ذات مرة بهذا الخصوص الى «ان ملـــك بروسيا فى القرن الثامن عشر ادلى بالعبارة الحكيمة التالية : « لو ان جنودنا ادركوا من اجل ماذا نحارب لاستحال خوض ايـــة حرب» * .

ولذلك فعندما تدرك الجماهير جور الاهداف السياسية للحرب تتقلص لدرجة كبيرة الامكانيات المعنوية للدولة التى تشن هذه الحرب . اما اذا كان مستوى الوعى الطبقى للجماهير واطئا ، واذا كانت هذه الجماهير غير منظمة فتزداد الامكانيات المعنوية للدول الامبريالية فى اعداد وشن الحروب التى لا تستجيب اهدافها لمصالح الشغيلة . وبالتالى فان مسألة الامكانيات المعنوية للدول الامبريالية خلال الحرب ينبغى ان تقرر ليس فقط بمراعاة النظام الاقتصادى والاجتماعى-السياسى ، بل وبمراعاة المضمون السياسى للحروب التى تخوضها .

ان الاهداف التقدمية العادلة للحرب تزيد للغاية من القدرة المعنوية للشعب والجيش وترفع معنوياتهما . ولذلك فعندمـــا يستنهض الحزب الشيوعى الشعب للحرب دفاعـــا عن الوطـــن

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٥٠ .

الاشتراكى يوضح على نطاق واسع اسباب الحرب القائمة واهدافها . وقال لينين : «. . . ان ادراك الجماهير لاهداف الحرب واسبابها يتسم بأهمية هائلة ويؤمن النصر» * . وقد اثبت التاريخ ذلك . فقد كان الامر على هذه الحال فى بلاد السوفييت خلال سنوات الحرب الاهلية والحرب الوطنية العظمى . ونرى ذلك فى الفيتنام حيث عجزت الآلة الحربية الاميركية الهائلة عن قهر قوة وارادة الشعب الذى حارب دفاعا عن استقلال وطنه .

وينتج مما ذكرنا **ان النظام الاقتصادى والاجتماعى-السياسى للاشتراكية ينطوى على الظروف الموضوعية لترسيخ الامكانيات المعنوية للدول الاشتراكية وتطويرها الى اقصى حد** . وبديهى ان تطور القوى المعنوية لشعوب البلدان الاشتراكية لا يجرى عفويا ، وان المزايا الاجتماعية لا تتحقق بصورة تلقائية ، بل بفضل العمل الايديولوجى الهائل للاحزاب الشيوعية والعمالية والنضال بلا هوادة ضد الايديولوجية البرجوازية ومخلفاتها فى اذهان الناس . ونتيجة لهذا النضال تترسخ الطاقة المعنوية وتتطور وتستخدم على نحو مثمر الطاقة الروحية للشعب وارادته التى لا تقهر فى الانتصار على المعتدين .

مضمون العامل المعنوى وبنيته

تتسم معرفة اسس ومصادر القوى المعنوية للشعب والجيش بأهمية كبيرة للانتصار فى الحرب . فهى تساعد على تكوين الروح المعنوية والحفاظ عليها وتقويتها بفاعلية افضل فى مختلف الظروف . ولكنه بغية تحقيق ذلك بمزيد من الحكمة الهادفة ينبغى ادراك بنية العامل المعنوى واهم عناصره بالاضافة الى الظروف الاخرى . ولقد حاول علماء الاجتماع والنظريون العسكريون فى

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ١٢١ .

الماضى مرارا ان يحددوا جوهر العامل المعنوى وبنيته . الا ان الفهم المثالى ، والانثروبولوجى السافر احيانا ، للقوى الاخلاقية لم يساعدهم فى حل هذه المسألة . ولم يستطع ان يحلها كذلك الفكر العسكرى البرجوازى المعاصر .

فما هى بنية العامل المعنوى للدولة الاشتراكية ؟

يمكن تصور بنية العامل المعنوى بشكل مجموعتين كبيرتين من العناصر المترابطة المتشابكة بوثوق .

تضم المجموعة الاولى العناصر الاجتماعية-الايديولوجية . وتتجلى فيها باوضح شكل المصالح والاهداف والمهمات الطبقية المدركة والتى تحل فى الحرب . ان العناصر الاجتماعية-الايديولوجية للعامل المعنوى هى عبارة عن نظام الاراء والنظريات الخاصة بالحرب واهدافها وعواقبها . وفى مقدمة هذه الاراء والنظريات الافكار والاراء الخاصة بجوهر الحروب ومضمونها وطابعها وكذلك مفاهيم الوطن والدفاع المسلح عنه ودور الجماهير الشعبية فى الحرب وغير ذلك من المفاهيم الايديولوجية الهامة . وتحمل عناصر هذه المجموعة على الاغلب طابعا عقلانيا .

وتتميز مجموعة العناصر الاجتماعية-الايديولوجية للعامل المعنوى بثبات كبير وباكتمال منطقى . ويجرى تكوين هذه العناصر ليس بصورة عفوية ، بل بفضل النشاط الهادف للقادة العسكريين والمسؤولين السياسيين والمنظمات الحزبية . وينعكس فى هذا النوع من العناصر كامل نظام العلاقات القائمة فى المجتمع . وهذه العناصر علمية مشبعة بروح التفاؤل التاريخى ، وهى تقدم ايمانا عميقا بانتصار افكار الشيوعية وبقهر المعتدى ايا كان .

وتتجلى هذه العناصر بمختلف اشكال الوعى الاجتماعى ، التى يشغل مكانة خاصة بينها الشكل السياسى-المعنوى . وليس من قبيل الصدفة ان يطلق اسم «العامل المعنوى» على استعداد

المواطنين والمحاربين السوفييت وقدرتهم على تأدية واجبهم العسكرى الوطنى ، وذلك لان موقف الناس من الحرب يتجلى قبل كل شيء من خلال الصيغ الاخلاقية : الخير والشر ، العدالة والجور وهلمجرا . وان صيغ آداب السلوك العسكرى ، مثل الواجب العسكرى والمسؤولية المعنوية والشرف العسكرى والكرامة والبسالة والبطولة والتفانى وغيرها ، تميز اهم جوانب وسمات تجلى القوى الاخلاقية للمحاربين السوفييت .

وتضم **المجموعة الثانية من عناصر العامل المعنوى العناصر الاجتماعية-السيكولوجية** . خلافاً لعناصر المجموعة الاولى تتكون هذه العناصر لدرجة كبيرة بتأثير مباشر من الوسط والبيئة . ويشمل مضمونها تشكيلة معقدة من التصورات والانطباعات والمشاعر الحياتية لدى السكان والمحاربين تتكون فى مجرى الحياة اليومية . وينبغى بالدرجة الاولى ان نخصص من بينها التقاليد والعادات الكفاحية والمشاعر الوطنية والميول الثورية والخبرة العملية المرتبطة بالدفاع عن الوطن ، وكذلك بعض الاوهام والتصورات الخاطئة عن الحرب . وعن طريق التكوينات الاجتماعية-السيكولوجية يعبر الناس كذلك عن موقفهم من الحرب ومن اهدافها وطابعها . ولكن هذا الموقف ، بدون العناصر الايديولوجية ، لا يمكن ان يكون عميقا شاملا . وتتميز عناصر هذه المجموعة بطابع ثابت نسبياً . واكثر هذه العناصر حركة هى المشاعر والامزجة ، واقلها حركة التقاليد والعادات . ويتغير ببطء اكبر الطراز الاجتماعى والسيكولوجى و«الخصائص الاخلاقية» للامة والشعب التى نعتها ماركس وانجلس بمصطلحى «ضمير الامة» و«حياء الشعب» وهلمجرا . ان بعض العناصر الاجتماعية-السيكولوجية محافظ ، بينما يستجيب بعضها الآخر للتأثير الخارجى فورا . ولذلك فالشخص الذى تسيطر على ذهنه العناصر السيكولوجية

السلبية يمكن ، فى اللحظات الحرجة ، ان ينصاع لسيل مباشر من المشاعر السلبية ــ الرعب والذعر وما ينتج عنهما من عواقب .

وفى ظروف الخدمة العسكرية تحمل عناصر السيكولوجيا الاجتماعية طابعا جماعيا بارزا . ففي الجماعة العسكرية يتجلى بصورة اسرع الرأى العام والارادة الجماعية والحقد الجماعى والميول الجماعية . ويتجلى هنا باقوى ما يمكن الايحاء والاندفاع وهلمجرا .

ان العناصر الاجتماعية-السيكولوجية فى العامل المعنوى تكون هى الغالبة احيانا من الناحية الكمية ، ولكن الدور الحاسم من حيث الاهمية والاتجاه يعود الى العناصر الاجتماعية-الايديولوجية التى تشكل المضمون الاساسى للعامل المعنوى واتجاهه .

بديهى ان تقسيم عناصر العامل المعنوى الى مجموعتين امر نسبى متغير . فبينهما يوجد التداخل بالاضافة الى التأثير المتبادل . فالعناصر الايديولوجية «حاضرة» فى العناصر الاجتماعية-السيكولوجية (المشاعر السياسية : حب الوطن والحقد على الاعداء والخ .) ، وبالعكس «تصبغ» العناصر الاجتماعية-السيكولوجية العناصر الايديولوجية : التعبير الشعورى الحماسى عن الافكار والاراء والحفاظ على اساليب التفكير المعتادة . وتؤثر الاراء الفكرية-السياسية تأثيرا حاسما على متانة القوى الخلقية المعنوية . فان افكار الدفاع عن الوطن وافكار الشيوعية المغروسة فى ذهن الفرد تدخل فى علاقات مع التقاليد والعادات ومع مجمل التشكيلة المعقدة للسمات الخلقية والمشاعر والميول والامزجة . فالعناصر الاخلاقية والسيكولوجية كأنما «تتشبع» بالافكار السياسية التى تكتسب هى نفسها ، آنذاك ، صبغة شعورية ، ولكنها اذ تؤثر فى الوقت ذاته على جميع جوانب سيكولوجية الناس باتجاه معين تركز الارادة والفكر والمشاعر على تنفيذ مهمة معينة ، وتجمع الطاقة الروحية كلها للاعمال الحاسمة والتصرف المتفانى .

ان انعدام او ضعف عنصر ايجابى ما من عناصر العامل المعنوى لا بد وان يترك اثره السلبى على مستوى الصمود المعنوى للشعب والقوات . فحتى الايمان الفكرى العالى الذى يشكل اساس القوى المعنوية يقتضي وجود الخصال المعنوية-السيكولوجية اللازمة . وان الارادة القوية غير المستنيرة بالمثل السامية يمكن ان تصبح خطرا ليس فقط على العدو ، وذلك لان الارادة غير المؤمنة بالافكار متعصبة عمياء . ولا نرى اناسا يتحلون بطباع شديدة ومعنويات لا تقهر الا ونجدهم يجمعون بين الايمان الفكرى المتحمس وبين الصمود والحزم والارادة الصلدة والخصال المعنوية-السيكولوجية الاخرى .

ان العامل المعنوى الذى يتمتع بأستقلال نسبى يمتص تقاليد الماضى الثورية والكفاحية والوطنية . ومن هذه الناحية تعتمد متانة القوى المعنوية للمحاربين على مستوى الغنى الروحى لماضى شعبهم . ويحرس الجيل الحالى التقاليد التقدمية التى ولدت فى الحروب الماضية باعتبارها كنزا قيما . وان الخبرة المعنوية الغنية للمعارك الثورية والاشتباكات المظفرة فى الحرب الوطنية العظمى هى مكسب قيم للشعب السوفييتى .

وفى الوقت ذاته ينبغى تذليل الاراء والعادات التى عفى عليها الزمن فلم تعد تستجيب للظروف المتغيرة .

واذا انعدم الشعور بوتيرة الحياة السريعة وانعدم امعان الفكر فى الوقت اللازم فى المتطلبات الجديدة التى يبديها عصرنا المتغير ازاء قوى الانسان الاخلاقية فان الاستقلال النسبى للعامل المعنوى يمكن ان يتجلى فى تخلف تطور بعض عناصره . وينطوى ذلك على مخاطر جدية . فقد كتب ماركس وانجلس : «ان تقاليد جميع الاجيال البائدة تخيم كالكابوس على اذهان الاحياء . فعندما يبدو الناس مشغولين بتحويل انفسهم وما يحيط بهم وبخلق شىء ما لم يسبقه

مثيل ، فى هذه العهود بالذات ، عهود الازمات الثورية ، يلجأون خائفين الى التعاويذ مستنجدين بارواح الماضى ، فيستعيرون منها الاسماء والشعارات الكفاحية والازياء ، لكى يمثلوا ، بهذه البزة المستنيرة بالقِدم وبهذه اللغة المستعارة ، مشهدا جديدا من التاريخ العالمى» * .

والى جانب ذلك تميل العناصر الايديولوجية للعامل المعنوى فى الوقت ذاته الى سبق الواقع الفعلى من الناحية النظرية . فكأنما يحدث تنبؤ بالجوانب الاساسية للحرب المحتملة ولدور القوى المعنوية فيها .

وهكذا ، فالعامل المعنوى هو عبارة عن مظهر خاص للوعى الاجتماعى ، حيث تشغل اشكاله ، مثل الاراء السياسية والاخلاق ، مكان الصدارة وتلعب الدور الحاسم فى قابلية الناس الروحية على الاستعداد لمحن الحرب الحديثة القاسية للغاية . علما بانه يجب ان لا يغيب عن البال ان تكوين المعنويات العالية لدى السكان والقوات يرتبط بضرورة التأثير الهادف على وعى الجماهير . وهذا الامر لا يمكن تحقيقه الا على اساس الاستناد الجدى الشامل الى منجزات العلم الحديث .

تزايد دور قوى الشعب المعنوية فى الحرب الحديثة

يعزى الدور الهائل للعامل المعنوى فى سير الحربين العالميتين الماضيتين الى ان الجماهير الشعبية كان يجب ان تتحمل اقسى المحن . فقد وقع عليها عبء العمل المرهق المتوتر بل والذى لا يطاق احيانا بغية تطمين حاجات الجبهة . وعانت الجماهير من

* ماركس وانجلس . المؤلفات المختارة ، المجلد ١ ، ص ٢١٢ .

الحرمانات المادية العسيرة . وخلال الحرب اضطرت مئات الآلاف من المواطنين الى النزوح عن المناطق المتاخمة لخط الجبهة تاركة ديارها وممتلكاتها . وفى الاراضى المحتلة تحمل السكان نكبات ومصائب افدح . ولاول مرة فى تاريخ الحروب تعرضت مناطق المؤخرة العميقة لقصف سلاح جو العدو . وحمل مقتل ملايين عديدة من المحاربين فى الجبهة آلاما نفسية مريرة لاهلهم وذويهم .

الا ان كل هذه الآلام والنكبات والحرمانات لا تقدم الا فكرة غير كاملة عما ستحمله الحرب النووية اذا اندلعت نيرانها .

وستتسم بأهمية استثنائية فى حالة نشوب الحرب المذكورة متانة القوى المعنوية للسكان الذين سيضطرون الى تحمل هزات لم يسبقها مثيل . وفى هذه الظروف يعتمد كامل نظام الاجراءات الحكومية العامة التى يتكون منها الدفاع المدنى لدرجة حاسمة على الصمود المعنوى ورباطة الجاش والبسالة لدى ملايين الناس الذين لا يرتدون البزة العسكرية . وتقع على كاهلهم مهمة فائقة التعقيد ، الا وهى تأمين النشاط الحيوى للمؤخرة واهم مراكز انتاج الطاقة وانظمة ادارة الاقتصاد الوطنى فى ظروف الاستخدام الواسع لسلاح الاصابة الجماعية . ولا يمكن اتخاذ جملة من الاجراءات الخاصة التى ينبغى البدء بها فى مستهل العمليات الحربية (اشعار السكان والجلاء واعمال الانقاذ والترميم العاجلة ومكافحة المخربين وتقديم الاسعاف الطبى الواسع للسكان والتموين) الا فى حالة ما اذا ابدى السكان فى كل مكان حزما لا حدود له واستعدادا للتضحية بالنفس . وسيتسم بأهمية فائقة الانتظام والانضباط الراسخان لدى كل شخص والمشددان بايمانه الفكرى المتحمس وطموحه الى تأدية واجبه حتى النهاية .

وتجدر الاشارة الى ان دور القوى المعنوية للشعب فى حرب الائتلافات ، اذا كانت تخاض بدون سلاح نووى ، سيزداد ايضا دون شك ، وذلك بسبب كون الاهداف حازمة جدا للاطراف المتحاربة والقدرة المتزايدة لجميع وسائل القتال .

وتتسم بأهمية خاصة فى الحرب الحديثة متانة الروح المعنوية لافراد القوات المسلحة . وسوف نتحدث عن ذلـــك باسهاب فى الفصل القادم .

وتتميز بصعوبة فائقة بالنسبة للقيادة العسكرية-السياسية مهمة الحفاظ على معنويات السكان فى البلدان الامبريالية ، حيـــث تنعدم الوحدة الاجتماعية ولا توجد الافكار القادرة على حث الجماهير على تحمل اقسى محن الحرب الحديثة .

ان الشخصيات السياسية والعسكرية الرجعية الامبريالية التى تعـــد الحرب ضد البلدان الاشتراكية تواجـــه ، على حـــد اعترافها ، صعوبات جمة فى محاولات تعزيز البنية السياسية للنظام القائم الذى تنهشه التناقضات والخلافات الاجتماعية . وتتميز فئات كثيرة من سكان البلدان الرأسمالية بالخمول السياسى والانسحاق والمستوى الواطىء للمشاعر الوطنية .

ان شعوب جميع البلدان تكره الحرب وتمارس النضـــال باتساع متزايد ضد خطر استخدام سلاح الاصابة الجماعية مـــن قبل الامبرياليين . وينسف ادراك هذا الخطر الطاقات المعنويـــة لدول المعتدين .

وهكذا ، فان سياسة الدول الامبريالية المنضمة الى الاحلاف العسكريـــة تؤدى فى زمن السلم الى ظهور المقدمات التى تنسف الامكانيات المعنوية للمعتدين .

وتواجه تحالف الامبرياليين الاسرة الاشتراكية المعززة . وان تنامى الامكانيات المعنوية للبلدان الاشتراكية مبعثه قوانين التطور

الموضوعية . ومن هذه القوانين الترسخ المتزايد للوحدة الفكرية والمعنوية-السياسية للشعوب فى اطار كل بلد ، كما على نطاق الاسرة الاشتراكية جمعاء . والى جانب ذلك تزداد بلا انقطاع اهمية الدوافع المعنوية المحفزة فى مجمل نشاط المواطنين .

ان التقدم المعنوى للمجتمع الاشتراكى يتسم بأهمية عسكرية-سياسية غير عابرة ، حيث يساعد على متابعة زيادة القدرة الحربية للجيش السوفييتى وجيوش البلدان الاخرى الاعضاء فى معاهدة وارشو . ان التفوق المعنوى النابع من كامل طراز الحياة الاشتراكية سيقدم جملة مزايا ملموسة فى سياق القتال ، مثلا :

سيتيح لقادة البلاد والقوات المسلحة طرح اصعب المهمات امام الشعب والجيش بثقة تامة فى تنفيذها ؛

بفضل التفوق المعنوى سيتعرض السكان والقوات المسلحة بدرجة اقل الى تأثير «الحرب السيكولوجية» والتخريب الايديولوجى فى زمن السلم وزمن الحرب على السواء ؛

وسيمكن التفوق المعنوى سكان البلدان الاشتراكية وقواتها المسلحة من «عدم الكلل» من تحمل الاعباء المعنوية-السيكولوجية الناجمة عن الحرب خلال امد اطول من امد تحملها لسكان البلدان الامبريالية وجيوشها .

* * *

تلك هى اسس القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) ، وتلك هى فى الوقت ذاته اهم عناصرها التى تكون بمجموعها الامكانيات المادية والروحية للدولة (الائتلاف) وتحدد طاقتها العسكرية الكامنة .

*

الفصل السابع

الطاقة العسكرية الكامنة

ان تأثير كل من الطاقة الاقتصاديـــة والعلمية والمعنوية-السياسية الكامنة على سير الحرب والعمليات الحربية متباين غير متساو . وهو يتحدد بطبيعة هذه الطاقات وطابع ارتباطها بمختلف جوانب الحرب ، وبالدرجة الاولى بالقتال المسلح . وتلعب الطاقة العسكرية الكامنة دورا خاصا فى آلية هذا الارتبـــاط . **ان الطاقة العسكرية الكامنة ، لكونها ناتجة عن الظروف الاقتصادية وعن الطاقة العلمية والطاقة المعنوية-السياسية الكامنتين ، تحدد بدورها القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) وتضطلع بدور اهم جانب فيها . وهى تعبر عن مدى قابلية الدولة على تموين وتمويل وتحسين القوات المسلحة وزيادة قدرتها الحربية وتزويدها بالكوادر المدربـــة وبالآليات الحربية العصرية وبكافة انواع الحاجيات فى ظروف السلم وفى زمن الحرب على الخصوص .**

تتلخص خاصية الطاقة العسكرية الكامنة فى انها تمثل العنصر المباشر والاساسى للقدرة العسكرية . وتؤثر التغيرات الجذرية فى تطور المجتمع على الطاقة العسكرية عن طريق الطاقات الاقتصادية

والعلمية والمعنوية-السياسية ، وكذلك بصورة مباشرة . وبتغير مضمون الطاقة العسكرية تكتسب هذه الطاقة مظهرا جديدا وتغير دورها .

وتتميز الطاقة العسكرية الكامنة بخاصية تتلخص فى كون هذه الطاقة تتجسد مباشرة فى القوات المسلحة وفى قدرتها الحربية . وتعنى القدرة الحربية معيار قابلية القوات على تسديد الضربات الى العدو وعلى صد ضرباته ودرجة الاستعداد الحربى لهذه القوات . وفى الظروف الراهنة اكتسبت القدرة الحربية والاستعداد الحربى للقوات المسلحة اهمية كبيرة خاصة ، وذلك لان العمليات الحربية للقوات ، وبالدرجة الاولى القوات الصاروخيــة الستراتيجيــة المهمات ، قد تلعب الدور الحاسم منذ بداية الحرب ، لان نتائجها ستحدد كامل سير الحرب اللاحق . الا ان ذلك لا يعنى ، خلافا لما يقول بعض الاخصائيين العسكريين البرجوازيين ، ان دور تعبئة وتوسيــع القوات المسلحــة ابان الحرب يعادل صفرا فى هذه الظروف . ولذلك **تضم الطاقة العسكرية الكامنة القدرة الحربيــة للقوات المسلحة المتوفرة وكذلك الامكانيات العسكرية-التعبويــة للدول (الائتلافات) .**

ان القدرة الحربية هى عبارة عن وحدة عضوية متكاملــة لجملة عوامل وعناصر او جوانب فى حيــاة القوات المسلحــة ونشاطها . وهذه العوامل والعناصر والجوانب جميعا لا تؤدى دورها الا بالترابط الحى فيما بينها ، وهى فى آخر المطاف ناتجــة عن الظروف الاقتصاديــة والعلميــة والاجتماعيــة-السياسيــة والايديولوجية .

والى جانب ذلك فان عناصر القدرة الحربية للقوات المسلحة تتميز باستقلال نسبى . انها عناصر ماديــة وروحيــة-التجهيز التكنيكى (الآليات الحربية والاسلحة) والقدرة النارية وسرعة حركة

القوات وتعدادها وتنظيمها وتدريبها والكوادر القياديـــة والعلم العسكرى ومعنويات الجيوش .

وتلعب الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية دورا خاصا بين الظروف المؤثرة على القدرة العسكرية عموما والطاقة العسكريـــة الكامنة خصوصا ، وعلى القدرة الحربية للقوات المسلحة وعناصرها . فهذه الثورة تضفى على الطاقة العسكرية الكامنة وعناصر القدرة الحربية للقوات المسلحة والعلم العسكرى والفن العسكرى مضمونا جديدا من حيث النوع .

١ ـ الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية وأثرها على الطاقة العسكرية الكامنة

اسباب الثورة فى الشؤون العسكرية وجوهرها

تتطور الشؤون العسكرية على نحو متفاوت للغايـــة . فقد مرت فترات تغير بطيئ نسبيا فى الآليات الحربية والاسلحـــة واساليب واشكال خوض العمليات الحربية والحرب عموما . وكانت هذه الفترات طويلة جدا من حيث الزمن ، فقد استغرقت عشرات بل مئات السنين . وعلى سبيل المثال نذكر ان مرحلـــة التطور البطيئ والتدريجى نسبيا للشؤون العسكرية بدأت على اســاس السلاح الابيض منــذ ظهور الحروب واستمرت حتى القرن الخامس عشر . واستخدم السلاح الابيض كوسيلــة للتأثير على العـــدو حتى فى حروب القرن العشرين . واستمرت مرحلـــة التطـــور التدريجى للشؤون العسكرية على اساس الاسلحة النارية عـــدة قرون ايضا .

والى جانب ذلك شهدت الشؤون العسكرية فترات التطور السريع ، فترات التغيرات النوعية الجذرية . ومن الناحية التاريخية مرت الشؤون العسكرية بعدة ثورات كبرى . وكان مبعث احدى هذه الثورات اختراع البارود واستخدام السلاح النارى . واستمرت هذه الثورة لامد طويل نسبيا ، حيث شملت عدة مراحل مرتبطة بالتغير النوعى للاسلحة النارية والآليات الحربية .

اما الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية . وقد تحققت من حيث الاساس فى غضون عدة سنوات ، وهى الآن مستمرة فى تطورها بعدا وعمقا . **ان الثورة فى الشؤون العسكرية قد مهد لها على نحو حتمى كامل سير التطور الاجتماعى المعاصر . وان اساسها هو التطور الجبار للقوى المنتجة فى اكثر الدول تطورا من الناحية الاقتصادية ، وكذلك التقدم العلمى-التكنيكى . واضطلعت سياسة الدول بدور الدافع المحرك للثورة فى الشؤون العسكرية .**

فان سياسة الدولة بالذات توجه الاقتصاد والتقدم العلمى-التكنيكى فى مجرى محدد . فالسياسة التى تعبر عن المصالح الجذرية ، وفى مقدمتها المصالح الاقتصادية ، للطبقات يمكن ان توجه تطور الاقتصاد والعلم لزيادة رفاه الناس ومضاعفة ثروة المجتمع ، ولكنها تستطيع ان توجهه كذلك نحو ما يلحق الضرر بالبشرية .

ولقد اقتضت سياسة الدول الامبريالية تحقيق الثورة فى الشؤون العسكرية بغية تعزيز كيان الرأسمالية المتزعزع ، بما فى ذلك تعزيزه عن طريق الحرب .

اما سياسة البلدان الاشتراكية فقد اضطلعت ، على العكس ، بدور الوسيلة الحاسمة للثورة فى الشؤون العسكرية من اجل الدفاع عن السلام والديمقراطية والاشتراكية . وقد اوجدت ترسا

متينا في وجه العدوان الامبريالي . ويستجيب تعزيز دفاع الاتحاد السوفييتي الى اقصى حد ليس فقط لمصالح المواطنين السوفييت ، بل ولمصالح جميع الشعوب المحبة للسلام ، لمصالح البشرية قاطبة .

وتكمن اعمق اسباب او منابع الثورة الحديثة في الشؤون العسكرية واكثرها تعميما في الاقتصاد والتقدم العلمي-التكنيكي والسياسة . وتتجلى هذه الثورة في التغيرات الجذرية في اهم عناصر القدرة الحربية للقوات المسلحة ــ الآليات الحربية ، وفي المستوى الثقافي-التكنيكي للقوى البشرية ، وفي اساليب واشكال القتال . ان اساليب واشكال القتال وجميع الجوانب الاخرى للشؤون العسكرية تتكون دوما تبعا لكمية ونوعية الآليات الحربية والقوى البشرية .

بديهي ان الآليات الحربية والاسلحة هي اكثر العناصر حركة واسرعها تغيرا . فالتغيرات في الآليات الحربية وفي الاسلحة تولد تغييرا في مختلف جوانب الشؤون العسكرية . وكتب انجلس يقول ان النجاحات في تطور الآليات الحربية «قد ولدت بالعنف تقريبا وضد ارادة القيادة العسكرية على الاغلب تغيرات بل وحتى انقلابات في اسلوب خوض القتال ...» * . ومن امثلة ذلك في الماضي التغيرات التي طرأت على الفن العسكري بسبب الاستبدال الواسع للاسلحة ذات الماسورات الملساء بالاسلحة المحززة واستخدام الرشاشات والاسلحة الاوتوماتيكية الاخرى واستخدام الدبابات وسلاح الجو والخ ..

الا ان الشؤون العسكرية تغيرت كذلك بسبب تطور المادة البشرية والظروف الاجتماعية-السياسية . وحدثت اهم التغيرات ابان الثورة الفرنسية البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ١٧٦ .

وبتأثيرها ، اما في القرن العشرين فحدثت هذه التغيرات نتيجة لانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . ففي سنوات الحرب الاهلية في روسيا خاض الجيش الاحمر ، بتجهيزه التكنيكي المعادل تقريبا لتجهيز العدو ، عمليات حربية حازمة نشيطة وسريعة المناورة . وقدمت امورا جديدة غير ضئيلة الى ممارسة خوض العمليات الحربية حروب التحرر الوطني للجماهير الشعبية في الصين وكوريا والفيتنام وكوبا وبلدان اخرى .

ان الثورة الحديثة في الشؤون العسكرية في اكثر الدول تطورا واقواها من الناحية العسكرية ـ الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفييتي ـ مرتبطة ايضا ارتباطا مباشرا بالتغيرات الجذرية في الاسلحة والآليات الحربية . وكانت هذه الثورة نابعة من المنطق الداخلي لتطور التكنيك الحربي قبل كل شيء . وبديهي انه لا يجوز تجاهل التغيرات النوعية التي حدثت لدى القوى البشرية عند تدشين الاتحاد السوفييتي مرحلة جديدة في تطوره . ومع ذلك فالامر الحاسم هو الانقلاب والتحول في التكنيك الحربي نتيجة للتقدم العلمي ـ التكنيكي السريع عموما .

وكلما كانت الآليات الحربية ، وفي المقام الاول منها الاسلحة ، متقنة مكتملة ، يصبح تأثيرها على العدو اكثر فاعلية ويغدو الطريق الى الانتصار عليه اكثر قصرا .

وترتبط عملية استكمال الآليات الحربية والاسلحة تاريخيا بجعلها تضطلع بدور اهم الوظائف التي يؤديها الناس في القتال ـ وظائف مصدر الطاقة والمحرك (محول الطاقة) والتأثير المباشر على العدو والادارة وبعض الوظائف الاخرى . ولذلك **فالآليات الحربية والاسلحة تضم : وسائل الاصابة ووسائل الايصال ووسائل الادارة** . ويجري تغير التكنيك الحربي على نحو متفاوت وليس في وقت واحد .

ان صنع وسائل الاصابة ووسائل الايصال يعتمد على درجة معرفة الطبيعة وعلى المعارف العلمية ومستوى تطور الانتاج . فكلما كانت معرفة الطبيعة اعمق كلما كان السلاح اكثر كمالا ، وبقدر ما يكون مستوى الانتاج اعلى وامكانياته اغنى يصبح السلاح اكثر انتشارا وشمولا . ويتجلى ذلك بكل وضوح فى تطور الاسلحة .

فالسلاح الابيض ـ السيف والرمح والقوس وهلمجرا ـ كان يصنع على الاغلب بصورة تجريبية وبدون معارف علمية . وقد ضاعف هذا السلاح القوة البدنية للانسان وساعد على توسيع مفعول هذه القوة مكانيا . اما السلاح النارى الذى استخدمت فيه الطاقة الميكانيكية والفيزيائية والكيمياوية فقد ساعد كثيرا على زيادة مدى التأثير على العدو . وكانت اصابة العدو تتحقق عن طريق انفجار المواد الكيمياوية . وكانت وسائل ايصال هذا السلاح هى البشر والدواب والسيارات والدبابات والطائرات والسفن .

ولقد ساعدت معرفة القوانين الاساسية للطبيعة على تكريس المصادر النووية الداخلية الهائلة للطاقة لخدمة الشؤون العسكرية ، وساعدت بذلك على زيادة التأثير على العدو الى درجة لم يسبقها مثيل . وتكفى الاشارة الى ان انفجار قنبلة هيدروجينية واحدة من عيار ١٠ ميغاطن يفرز طاقة تفوق طاقة المتفجرات التى تم انتاجها فى العالم بأسره طوال سنوات الحرب العالمية الثانية جميعا .

ان استخدام القوى الطبيعية الجبارة (طاقة التفجير الكيمياوية والكهرباء والطاقة النووية الداخلية) واستخدام محركات الاحتراق الداخلى .ومختلف المكائن والراديو والاجهزة الاوتوماتيكية وكثير من الوسائل التكنيكية الاخرى قد سهل عمل الانسان لدرجة كبيرة

وغير التناسب بين الانسان والتكنيك فى سير القتال المسلح . وتهيأت للانسان امكانية استخدام قوى الطبيعة الهائلـــة فى الحرب . وفى مكافحة العدو تسهل الآليات الحربية الممتازة الجبارة واسلحـــة ذات القوة التدميرية الهائلة العمليات الحربية للقوات (وتعقدها فى الوقت ذاته) وتجعلها اكثر مردودا من اجل النصر .

ان تطور الشؤون العسكرية ، كما هو واضح ، يتميز بالتغير الكمي والنوعى المستمر لقاعدتها المادية-التكنيكيـــة . وتتغير فى المقام الاول وسائل الاصابة . فقد نمت قدرة الاصابة لدى الاسلحة بصورة رئيسية عن طريق زيادة قوة الشحنة . فان اطلاق الطاقة النووية الداخلية قدم للقوات سلاحا نوويا لا يمكن ان يقارن بمـا يسمى بالسلاح العادى . زد على ذلك ان قدرة الاصابة لدى الاسلحة ازدادت بفضل زيادة سرعة الرمى . وقد ازداد البعد من بضعة امتار الى ما لا نهاية له فى الواقع (الصواريخ) . ولقد خلقت القوة الهائلة للشحنة النووية كوسيلة للاصابة ، باقترانها مع الصاروخ كوسيلة للايصال ، نظاما للسلاح جديدا من حيث المبدأ . وكان ذلك اهم عامل للتحويلات الجذرية فى الشؤون العسكرية ، وللثورة فيها . اما بخصوص وسائل ادارة القوات والاسلحة فقد تغيرت هى ايضا بلا انقطاع . الا ان وتائر وطابع تغير وسائل الادارة كانت ، عادة ، متخلفة عن وتائر تغير وسائل الاصابة ووسائل الايصال .

ان السلاح النووى الصاروخى قادر على اصابة اى هدف للعدو وهو يتيح امكانية توجيه الضربات الى اية نقطة على الكرة الارضية فى اقصر وقت ممكن . ويمكن دحر العدو ليس فقط عن طريـــق ضربات متعددة متلاحقة من قبل القوات ، بل ، وبالدرجة الاولى ، بصورة مباشرة عن طريق انزال الضربات النووية الصاروخية . ولقد حصلت القيادة السياسية والعسكرية على وسائل جبارة للتأثير

المباشر وغير المباشر على العدو ، وتحقيق الاهداف المقررة بصورة فعالة . وهذا بالذات ما يميز الانقلاب فى مجمل الشؤون العسكرية ، ذلك الانقلاب الذى يعبر عن ظهور اسلوب جديد من حيث المبدأ لحل المهمات الاساسية للعمليات الحربية ذات النطاقات المختلفة ولحل مهمات الحرب ككل .

ولذلك بالذات **يتلخص جوهر الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية فى الانتقال الحاد على شكل طفرة من السلاح العادى الى السلاح النووى الصاروخى باعتباره الوسيلة الاساسية لخوض الحرب والى ما يناسب هذا السلاح من اساليب جديدة لتحقيق الاهداف الرئيسية للحرب .**

الخصائص الاساسية للثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية

ان الثورة فى الشؤون العسكرية هى من حيث مضمونها وخصائصها ظاهرة معقدة ومتعددة الجوانب للغاية .

ان سرعة التقدم العلمى والتكنيكى والمنطق الداخلى لتطور الآليات الحربية قد اسفرا عن صنع السلاح النووى الصاروخى بسرعة نسبيا ، وعن تحويل الشؤون العسكرية بكاملها على اساس هذا السلاح . واحتاج الامر الى بضع سنوات لكى يتجسد اكتشاف التفاعل المتسلسل لانشطار نوى اليورانيوم فى صنع السلاح النووى واجهزة انتاج الطاقة وفى الميادين التكنيكية الخاصة . وظهرت فى الوقت ذاته اتجاهات جديدة مثل التمايز المتزايد للآليات الحربية وتعقدها وبلاها المعنوى السريع جدا .

ان سرعة التحولات فى الشؤون العسكرية اقترنت باتساع نطاقها . ولذلك فقد حدثت هذه التحولات ليس فى نوع معين من

القوات المسلحة او فى صنف من القوات ، بل فيها جميعا وبلا استثناء . لقد تغير التكنيك فى جميع انواع القوات المسلحة وفى جميع اصناف القوات . وما ان ادخلت وسيلة الاصابة الجديدة مبدئيا – تعنى السلاح النووى – حتى تعرضت وسائل الايصال لتغيرات جذرية على اثرها : ظهرت الطائرات ذات السرعة فوق الصوتية والحمولة الكبيرة ، ولا سيما الصواريخ ذات القدرات المختلفة وابعاد التحليق المتباينة . وتجرى التحويلات الثورية فى وسائل ادارة القوات . وازداد كثيرا فى الوقت ذاته تجهيز القوات بالطاقة . وبالمقارنة مع بداية الحرب العالمية الثانية ازداد هذا التجهيز بعدة مرات . واصبحت القوات المسلحة آلية ، حيث استلمت كميات كبيرة من الآليات الميكانيكية والاوتوماتيكية ، كما استلمت اسلحة اوتوماتيكية اكثر امانا وسرعة ، وآليات جديدة للهندسة والاتصال والادارة وهلمجرا .

وقد استدعى السلاح النووى الصاروخى تغيرات جذرية فى بنية القوات المسلحة . فقد انشئ فى الاتحاد السوفييتى مثلا نوع جديد تماما من القوات المسلحة هو القوات الصاروخية الستراتيجية والتى هى على اهبة الاستعداد الحربى دوما . كما استدعى السلاح النووى الصاروخى تغييرا نوعيا فى الدفاع الجوى وفى القوات الجوية والاسطول البحرى . وتغيرت نوعيا جميع اصناف القوات . واستدعى السلاح النووى الصاروخى تغيرات فى الاسلحة العادية ايضا . واثر هذا السلاح كذلك على تطور وسائل التنقل والآليات الهندسية وتكنيك الاتصال والادارة . ويتغير نظام تدريب وتربية افراد القوات المسلحة ، وتتطور النظرية العسكرية وهلمجرا .

وطبقا للتغيرات الجذرية فى العناصر الاساسية للاليات الحربية والاسلحة يمكن ان نشير فى الثورة فى الشؤون العسكرية الى عدة مراحل مستقلة نسبيا . وترتبط المرحلة الاولى بصنع

الذخيرة الذرية التى دشنت جملة من التغيرات الجوهرية فى الشؤون العسكرية . وترتبط المرحلة الثانية بظهور الصاروخ الحامل المضاهى للشحنة الذرية وصنع الاسلحة النووية الصاروخية . وفى نفس وقت صنع الحامل الجديد تقريبا صنعت الشحنات النووية الحرارية التى تتميز بقوة هائلة . وفى المرحلة الثانية من هذه الثورة جرت اعمق التغيرات ليس فقط فى الاساس المادى التكنيكى للشؤون العسكرية ، بل وفى ميادينها الاخرى : النظرية العسكرية وتنظيم القوات وبنيتها وتدريب افرادها وتربيتهم والخ ..

لقد جرت هاتان المرحلتان فى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية على نحو غير متماثل . ففى الاتحاد السوفييتى صنعت الذخيرة الذرية والصواريخ فى اوقات تكاد تكون متقاربة . اما فى الولايات المتحدة الاميركية فان الوسيلة الاساسية الحاملة للذخيرة النووية هى الطائرات فى بادئ الامر . وبعد فترة معينة وجه الاهتمام خصوصا الى الصواريخ باعتبارها الوسيلة الاساسية لايصال السلاح النووى الحرارى .

وفى وقت واحد تقريبا بدأت فى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفييتى المرحلة الجديدة الثالثة للثورة فى الشؤون العسكرية . وتتميز هذه المرحلة بالاتمتة المجموعية الشاملة للآليات الحربية واتمتة ادارتها وادارة العمليات الحربية وادخال المعارف العلمية على نحو مكثف الى كافة جوانب الشؤون العسكرية، وفى المقام الاول منها ادارة القوات وقيادتها .

ومما لا شك فيه ان تطور اتمتة ادارة القوات عمقا وعرضا سيترك تأثيرا ثورويا محفزا على جميع جوانب الشؤون العسكرية ، وسيساعد على حل الكثير من مهمات الفن العسكرى بشكل جديد .

ويتميز التطور اللاحق للثورة فى الشؤون العسكرية باقصى حد من استخدام منجزات التقدم العلمى-التكنيكى وادخال المعارف العلمية الى نشاط القوات المسلحة والى تدريب القوات وتربيتها واعدادها للعمليات الحربية المحتملة . ان المرحلة الراهنة من هذه الثورة هى مرحلة رفع المستوى العلمى لقيادة القوات ولمجمل الشؤون العسكرية .

لقد تحققت الثورة الحالية فى الشؤون العسكرية ليس بطريقة عادية تماما ، لان التغيرات الجذرية فى الشؤون العسكرية جرت فى زمن السلم وبدون عمليات حربية . فالقنبلتان الذريتان االلتان فجرهما الاميركان فى هيروشيما وناجازاكى فى اواخر الحرب العالمية الثانية لم تقدما شيئا يذكر للفن العسكرى . وليس الا فى السنوات التالية ، حيث تم تنظيم انتاج السلاح النووى الصاروخى بالجملة وجرت اعادة تسليح الجيش والاسطول واعادة تدريب افرادهما ، حدث الانعطاف فى النظرية العسكرية . علما بان الاحكام النظرية العسكرية الجديدة لم تتعرض الا لامتحان تجريبى «سلمى» .

وتتلخص اصالة الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية كذلك فى انها بدأت ، فى الواقع ، فى الميدان الستراتيجى وغيرت فى الوقت ذاته الميدان السوقى-التاكتيكى ، وذلك خلافا للتغيرات الثورية التى تطلبها السلاح النارى والتى مست ، بصورة رئيسية ، الميدان التاكتيكى ولم تمس الميدان الستراتيجى الا فى وقت متأخر كثيرا . وبذلك تفسر ، فيما تفسر ، اسباب السرعة التى جرت فيها التحولات فى الشؤون العسكرية .

لقد بدأت الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية ولا تزال مستمرة على اساسين اجتماعيين-سياسيين متعارضين كليا وتحت تأثير ايديولوجى متباين . وترك ذلك اثره على وتائر التحويلات فى الشؤون العسكرية وعلى اتجاهها ، كما على شكل التحويلات ، وهذا هو الاهم .

لقد جاءت الثورة فى الشؤون العسكرية فى الولايات المتحدة الاميركية انعكاسا لتناقضات الرأسمالية المتفاقمة وصراع المزاحمة الحاد بين اكبر الاحتكارات . وتجلى ذلك ، مثلا ، فى الهوة الواضحة بين المرحلتين الاولى والثانية للتحويلات التكنيكية-العسكرية فى الولايات المتحدة الاميركية : فقد صنعت الذخيرة النووية بوقت ابكر بكثير قبل صنع وسائل نقلها وهى الصواريخ . فان اكبر احتكارات الطائرات والاحتكارات المرتبطة بها ابدت خلال امد طويل مقاومة لصنع التكنيك الصاروخى ، ولم تذهب هذه المقاومة سدى . ويلعب السعى الى قمع حركة التحرر الوطنى عن طريق ما يسمى بالحروب « المحدودة » دورا غير ثانوى فى تطوير واستكمال السلاح النووى ذى القدرة الصغيرة . واضطلع الركض وراء الارباح فى صنع الاجهزة الراديوالكترونية وغيرها من التجهيزات التكنيكية بدور العامل الحفاز الذى عجل بحلول المرحلة الجديدة للثورة فى الشؤون العسكرية .

وتحت ضغط الاحتكارات والمسؤولين العسكريين اقرت ونفذت فى السنوات الاخيرة خطة التطوير العاجل لوسائل القتال .

اما فى الاتحاد السوفييتى فقد قامت الثورة فى الشؤون العسكرية منذ البداية بدعم تام من قبل الشعب وتحت قيادة الحزب الشيوعى ولجنته المركزية . ونرى نتيجة ذلك متجلية فى التناسق الهادف فى اجراء التحويلات العسكرية وانفاق الوسائل المادية والمصادر البشرية بتوفير وبفاعلية اكبر .

لقد تم بقيادة الحزب الشيوعى ليس فقط تجهيز الجيش والاسطول بالاسلحة والآليات الحربية الحديثة . فبالاعتماد على العمليات الموضوعية التى ولدتها النجاحات فى بناء الشيوعية

ومتابعة تعزيز الدولة الاشتراكية وتقوية دورها على الصعيد العالمى استطاع الحزب ان يؤمن نمو الوعى السياسى لدى افراد القوات وترسيخ الايمان والصمود لدى المحاربين السوفييت واخلاصهم للوطن ولقضية الشيوعية . وارتفع كثيرا مستوى الثقافة العامة والثقافة التكنيكية-العسكرية للجنود والعرفاء والضباط . وتساعد التغيرات النوعية التى حدثت فى قوام القوات المسلحة على جعل هذه القوات تتناسب مع المستوى الضرورى للقدرة الكفاحية والاستعداد الحربى .

ان اهم خاصية للثورة المعاصرة فى الشؤون العسكرية هى تأثيرها الهائل على الحياة الاجتماعية وعلى جميع جوانب او عناصر القدرة العسكرية للدولة .

فقد اتضح فى الماضى ان التحويلات فى الشؤون العسكرية تؤثر تأثيرا نشيطا على العلاقات الاجتماعية وتغير شكلها . ولقد اشار انجلس الى «ان ادخال السلاح النارى اثر تأثيرا ثوريا ليس فقط على خوض الحرب نفسه ، بل وعلى العلاقات السياسية للسيطرة والاستعباد» * . وساعد على دحر الاقطاعية وانتصار الرأسمالية .

اما تأثير الثورة الراهنة فى الشؤون العسكرية على العلاقات الاجتماعية فهو اكبر بكثير من ذلك . فلئن شملت التغيرات فى الشؤون العسكرية فى الماضى بعض البلدان ، وهى بالذات البلدان التى حدثت فيها تلك التغيرات ، فان التحويلات فى الشؤون العسكرية حاليا تمس مصائر شعوب كاملة ، بل والبشرية جمعاء .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ١٧١ .

تأثير الثورة فى الشؤون العسكرية
على القدرة العسكرية للدول
وعلى طاقتها الكامنة العسكرية الصرف

لقد ادت الثورة فى الشؤون العسكرية بالتفاعل مع الطاقات الاقتصادية والعلمية والمعنوية-السياسية الكامنة الى تغيير الطاقة العسكرية الكامنة التى اصبحت ذات نوعية اخرى فاضفت على القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) شكلا جديدا وسببت تغييرات فى بنيتها . اذن ، فقد اثرت الثورة فى الشؤون العسكرية تأثيرا حاسما على اسس القدرة العسكرية للدول (الائتلافات) وعلى الطاقة الكامنة العسكرية الصرف ، وذلك ، طبعا ، بمراعاة طبيعتهما والظروف الملموسة .

وعلى خلفية قضايا العصر الاجتماعية-السياسية الاساسية بينت الثورة فى الشؤون العسكرية التفوق الاقتصادى والعسكرى للاشتراكية على الرأسمالية وجعلت تناسب القوى على الصعيد العالمى ديناميكيا .

فمن جهة عرت الثورة فى الشؤون العسكرية حتى النهاية جوهر الرأسمالية اللاانسانى وعجزها عن استخدام منجزات التقدم العلمى-التكنيكى استخداما حكيما وعن ترويض القوى المنتجة الحديثة . وشددت الثورة لدرجة اكبر اتجاه الرأسمالية نحو الهلاك تحت ثقل النزعة العسكرية . وتتكشف فى هذه الثورة فى البلدان الرأسمالية القوانين الداخلية للحركة ، وهى القوانين التى تبين ، على حد تعبير انجلس ، ان النزعة العسكرية ، شأنها شأن اية ظاهرة تاريخية مماثلة ، ستهلك نتيجة لتطورها ذاته . وتدل على ذلك ابلغ الدلالة العلائم الملموسة لتطور البلدان الرأسمالية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية . ويعترف الكثيرون من الاقتصاديين والساسة البرجوازيين ان الاوساط الامبريالية حولت

النفقات العسكرية الى وسيلة هامة لضبط الطلب بغية اشاعـــة الاستقرار فى الوضع الاقتصادى والحيلولة دون وقوع الازمات . فالاقتصادى الاميركى المعروف ج . غالبرايت يشير الى ان تعاظم دور الحكومة الاميركية فى الاقتصاد يرتبط بصورة رئيسية بسباق التسلح . فطوال الثلاثينات ، كما يقول غالبرايت ، «بلغت نفقات الدفاع الوطنى (ما عدا المدفوعات للمحاربين القدامى والفائـــدة المئوية لديون الدولة) ١٠ــ١٥٪ من الميزانية . اما فى النصف الاول من الستينات فقد بلغت هذه النفقات ٥٥ ــ ٦٠٪ منها ... واذا كان قطاع الدولة الهائل فى الاقتصاد ، مدعوما بضرائب الدخل المفروضة على الاشخاص والشركات ، هو اساس ضبط الطلب ، فان النفقات العسكرية ، كما هو واضح ، تعتبر حجر الزاوية فى هذا الاساس» * .

ولئن كانت النفقات العسكريـــة فى عام ١٩٣٧ تعادل ٢٥ دولارا بالنسبة للفرد الواحد من السكان فى البلدان الرأسماليـــة الكبرى معا ، ففى عام ١٩٦٨ بلغت هذه النفقـــات فى الولايات المتحدة الاميركية ٣٩٦ دولارا وفى فرنسا ١٢١ وفى بريطانيا ٩٨ وفى المانيا الغربية ٨٧ وهلمجرا ** .

ومن جهة اخرى بينت الثورة فى الشؤون العسكرية للعالم بأسره الطبيعة التقدمية والنزعة الانسانية الحقة للنظام الاشتراكى وحالته التى لا تعرف الازمات وطابعه المنهاجى الهادف . وبالرغم من كون الثورة فى الشؤون العسكرية تطلبت من الدولـــة جهودا لابأس بها لتحقيقها ، فقد بينت ان النظام الاشتراكى يمتلك موارد

---

* ج . غالبرايت . المجتمع الصناعى الجديد . موسكو ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٨ــ٢٧٩ .

** The Military Balance 1969-1970, p. 57.

تتيح تطوير الاقتصاد الوطني والمحافظة على المستوى المطلوب للقدرة الدفاعية في الوقت ذاته .

واذا كان توسيع القدرة النووية الصاروخية للبلدان الامبريالية يشدد حدة التوتر الدولي ويجعل العالم على شفا الحرب ، فان القدرة العسكرية المتعاظمة للاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى هي عامل للسلام ، عامل للتقدم التاريخي .

ان الثورة في الشؤون العسكرية لم تقتصر على تبيان التفوق الاقتصادي والعسكري للاشتراكية على الرأسمالية . فقد عجلت في تغير تناسب القوى على الصعيد العالمي من الناحية المعنوية-السياسية . فان وجود خطر الحرب يستدعي تغيرات في وعي شعوب العالم بأسره ويرص صفوفها في النضال من اجل درء الحرب .

ان الدور البارز الذي تلعبه البلدان الاشتراكية في التحويلات الاجتماعية وفي النضال من اجل العدالة الاجتماعية والسلام العالمي يتسم بأهمية عظيمة . فهو عامل يلتزم جانب جيوش البلدان الاشتراكية في الكفاح ضد جيوش الدول الامبريالية .

وتطرح الثورة في الشؤون العسكرية قضية التغير الشديد المباغت في تناسب القوى في الحرب . وذلك جانب جديد تماما لم ير التاريخ له مثيلا . وهو يستلزم اسلوبا جديدا في تقييم وتأمين القدرة العسكرية للدول والقدرة الحربية للقوات المسلحة . واذا كان التفوق الكمي الكبير في القوات (بما لا يقل عن ثلاثة اضعاف) على العدو في حروب الماضي غالبا ما يحدد مآل القتال ، فان الحال قد تغير في الآونة الراهنة . **فالى جانب التفوق الكمي ازداد كثيرا دور التفوق النوعي على العدو** . والمقصود على وجه الخصوص التفوق في الآليات الحربية ، وفي السلاح الجديد ،

وفى تنظيم القوات وفى دربة افراد القوات المسلحة وسجاياهم السياسية والكفاحية-المعنوية وهلمجرا .

ان الثورة فى الشؤون العسكرية لم تغير من حيث المبدأ التناسب بين **الانسان والتكنيك** فى المجال العسكرى . فلا يزال الانسان والتكنيك يشكلان كالسابق وحدة ديالكتيكية للاضداد . انهما متحدان لان الانسان (المحارب) لا يمكن ان يستغنى عن الآليات الحربية والاسلحة .

الا ان تغيرا معينا حدث فى التفاعل بين الانسان والتكنيك . وبديهى ان هذا التغير لا يعنى ان التكنيك اصبح مستقلا عن الانسان وان الانسان اصبح اداة طيعة و«انسانا آليا» بيد التكنيك ، كما يزعم كثير من علماء الاجتماع والنظريين العسكريين فى الغرب . ان هذا التغير يتلخص فى كون قدرة السلاح النووى الصاروخى قد ضاعفت قوة الانسان الى درجة هائلة ، ولكنها لم تحل محله طبعا . ان مختلف الاجهزة السيبيرنيتيكية والآلات الالكترونية الحاسبة تقوى القدرة الذهنية للانسان ، ولكنها لا تحل محل قابلياته الابداعية . لقد ولد التعاظم الهائل فى الامكانيات التكنيكية تزايد دور الاستعداد الايديولوجى والمعنوى-السيكولوجى لدى الانسان للعمل فى ظروف استخدام السلاح النووى الصاروخى . ان التأثير السيكولوجى لهذا السلاح يزيد من دور العنصر المعنوى للقدرة الحربية لدى القوات المسلحة. وقد زادت امكانيات التكنيك الجديد المتنامية على نحو لم يسبقه مثيل من المتطلبات ازاء المستوى التكنيكى-العسكرى للمحاربين .

وقد عرت الثورة فى الشؤون العسكرية لدرجة اكبر تعارض الاسس الاجتماعية-السياسية والايديولوجية لوحدة الانسان والتكنيك الحربى . وبينت هذه الثورة ان التغيرات الجذرية فى القاعدة المادية-التكنيكية للشؤون العسكرية فى الظروف الاجتماعية

السوفييتية لا تتناقض مع تكوين الملامح الروحيـــة الجديـــدة للمحارب وتطوره من كافة الوجوه . وبعبارة اخرى ، فقد تحقق فى الاتحاد السوفييتى التطور المتناسق لكلا جانبى العملية الثوريين: السلاح الجديد والانسان الذى يمتلك ناصيته . اما الحال فى البلدان البرجوازية فعلى غير ذلك . فالتغيرات التى جرت هناك فى التكنيك والسلاح لم تقترن وما كان بمستطاعهـــا ان تقترن بالنمو الروحى لافراد القوات وتقوية معنوياتهم . وذلك يعنى ان واحدا من اهم عناصر القدرة الحربية للقوات المسلحة فى الدول الامبريالية دخل فى تناقض اكبر حدة مع عناصرها الاخرى . ويجب ان لا يغيب ذلك عن البال لدى التقييم المقارن للقدرة العسكرية الحالية للدول .

ان الثورة فى الشؤون العسكرية تحفز القوات المسلحة فى الدول المتماثلة على توحيد جهودها ، وتهيئ الظروف لجعل الشؤون العسكرية اممية . وفى معسكر الامبريالية يجرى حفز هذا الاتجـــاه بايديولوجية وسياسة معاداة الشيوعية . اما البلدان الاشتراكيـــة فهى ، بسبب من اخلاصها للاممية البروليتارية ، تواجه قـــوى الامبريالية بجبهة موحدة للاسرة الاشتراكية . وتنسق هذه البلدان جهودها العسكرية من كل الوجوه مع مراعاة امكانيات العـــدو المحتمل .

ذلك هو بعض من أهم نتائج الثورة فى الشؤون العسكرية . الا ان هذه الثورة ، كما اشرنا سابقا ،لم تنجز بعد ، فهـى مستمرة ولا تزال تتعمق . وهـى تبدى متطلبـــات جديدة متزايـــدة ازاء الاقتصاد والعلم وازاء الامكانيات المعنوية للدول (الائتلافـــات) وازاء القوات المسلحة . وقد استدعت الثورة فى الشؤون العسكريـة مزيدا من الاستقلال النسبى لبعض عناصر القدرة الحربية للقوات المسلحة ، كما استدعت فى الوقت ذاته تفاعلها والترابط فيمـــا بينها .

٢ ــ العناصر المادية ـ التكنيكية
للقدرة الحربية للقوات المسلحة

اكتسبت القدرة الحربية للقوات المسلحة ، وبالتالى الطاقة العسكرية الكامنة للدول (الائتلافات) شكلا جديدا ، وذلك قبل كل شيء لان تغيرات جذرية قد حدثت فى الاســـاس المادى ـ التكنيكى للشؤون العسكرية . وهذا الاساس يعكس مباشرة مستوى وطابع تطور القوى المنتجة والعلم والتكنيك ويحدد بطبيعته درجة نضوج الشؤون العسكرية باجمعها .

تطور التجهيز التكنيكى للجيوش

يبين التاريخ ان قابلية القوات على خوض القتال بنجـــاح وتسديد الضربات وصدها بغية ارغام العدو على الاستسلام او دحره تعتمد قبل كل شيء على الآليات الحربية ، على الاسلحة . فكلما كانت هذه الآليات والاسلحة اكثر كمالا ، وكلما استخدمت بفاعلية اكبر ، كلما امكن بلوغ هدف العمليات الحربية على جناح السرعة وعلى اكمل وجه .

كانت قوة الاصابة الضئيلة لدى السلاح الابيض والاجهزة البدائية التى استخدمت فى القتال فى فجر التاريخ البشرى تناسبها اساليب واشكال غير معقدة للقتال المسلح .

الا ان التحسن الجوهرى للاسلحة النارية (زيادة دقة التهديف وبعد الاصابة وسرعة الاطلاق الى درجة يستطيع معها رام جيد التدريب ان يصيب باحتمال كبير احدا من محاربى العدو الموجودين على بعد كبير عنه) قد اثر تأثيرا جديا على تغير اساليب خوض القتال الذى اخذ يكتسب بصورة متزايدة طابع المباراة فى الرماية النارية .

وتجلى بكل وضوح ابان الحرب العالمية الثانية اتجاه نحو زيادة القدرة الحربية للوسائل الاساسية للاصابة : زيادة عيارات المدفعية وزيادة سرعة الاطلاق ، وبعد الاصابة ودقة تصويب نيران المدافع وقوة القذائف والالغام والقنابل الجوية . والى جانب ذلك انخفضت نسبة الخسائر بنيران وسائل الاصابة الفردية ، وخصوصا فى المسافات البعيدة ، مع ان الاسلحة الخفيفة اصبحت اوتوماتيكية على الاغلب .

الا ان اتجاها آخر ساد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وهو اتجاه صنع السلاح النووى الحرارى وما يناسبه من وسائل الايصال والادارة .

واكتمل المضمون المعروف للقتال المسلح ـ اشتباك القوات المسلحة للطرفين المتحاربين ـ بالمفعول المباشر والمؤثر للغاية على مؤخرات العدو . وذلك هو واقع موضوعى لا يعتمد على هذه الاراء النظرية والرغبات او تلك .

ان وسائل القتال الحديثة تتميز بقوة تدميرية هائلة ، وتتسم ، بفضل الصواريخ ، ببعد اصابة لم يسبقه مثيل ودقة تهديف فائقة . فلا يوجد الآن على المعمورة مكان لا تستطيع الصواريخ الباليستيكية ان تصل اليه .

لقد غير التطور العاصف للتكنيك الصاروخى الاهمية السابقة لوسائل القتال مثل الطائرات المقادة والمدافع ذات الماسورات والسفن الحربية الكبرى . ولذلك تغير تناسب انواع القوات المسلحة ونسبة مختلف اصناف القوات ودورها فى المعركة والعملية والحرب ككل .

ويمكن ان تصبح الكرة الارضية بأسرها واجواؤها ساحة للمعركة فى الحرب العالمية النووية الحرارية . وستجرى العمليات الحربية ليس فقط على الجبهة ، بل ستشمل فى وقت واحد مساحات

برية وبحرية هائلة ، مما يجرد مفهومى «الجبهة» و«المؤخرة» من معناهما القديم .

الرماية النارية وسرعة الحركة هما العنصران الأساسيان للقدرة الحربية للقوات من الناحية التكنيكية

لقد ادى تطور وسائل الرماية النارية بصورة حتمية الى زيادة دور هذه الرماية فى القتال وفى تطور الفن العسكرى . وازداد دور الرماية النارية خصوصا فى الظروف الراهنة .

ففى الماضى كانت قوة الرماية تتحقق فى العمليـــات ذات النطاق التاكتيكى والسوقى . وحتى فى الحرب العالمية الثانية كانت النيران الكثيفة من جميع انواع الاسلحة بصورة رئيسية بمثابة الصـــدم النارى فى الهجوم والغطاء الواقى فى الدفاع . وبواسطة النار كانت تجرى بتعاقب وفى منطقة ضيقة نسبيا ابادة القوى البشرية ووسائل القتال لدى العدو . وكانت منطقة الاصابة النارية المحدودة بالبعد غير الكبير للاطلاق كانما تنتقل الى اعماق مواقع العدو بقدر زحف وحدات المشـاة المهاجمة . وبالنـار كان يجرى التمهيد للهجوم كالسابق ، وبالنار ايضا يجرى تدعيم وتغطية الهجوم الذى تشنه قوات المشاة والدبابات . واكتمل هذا التمهيد والمرافقة بالضربات النارية من المدفعية البعيدة المدى وخصوصا من الطائرات . الا ان عمق الضربات المسددة الى مناطق المؤخرة ظل محدودا بنصف قطر غير كبير نسبيا لبعد تحليقات قاذفات القنابل .

ان الرماية النارية فى الحرب الحديثة هى المضمون الرئيسى للضربة الموجهـــة الى العدو . وتحولت النار بشكل الانفجارات النووية الى عامل ستراتيجى يؤثر تأثيرا جوهريا على سير ومآل

الحرب ككل ، بله العمليات والمعارك على حدة . ان الشحنات النووية قادرة على تحطيم قوات العدو الامامية واحتياطياته القريبة والبعيدة والمراكز والمشروعات العسكرية فى المؤخرة على مساحات شاسعة . ويمكن لبضع شحنات من هذا النوع تعادل ملايين الاطنان من مادة ت ن ت ، كما ذكرنا سابقا ، ان تصيب حتى بلدا بكامله فتخرجه من الحرب . ولذلك تحولت الامكانيات النارية لدى القوات الى اساس قدرتها الحربية عندما توفر السلاح النووى ووسائل ايصاله الفورى تقريبا الى هدفه .

واصبح بلوغ الاهداف السوقية الكبرى واحراز النتائج الستراتيجية امرا يتحقق حاليا قبل كل شيء بالضربات النووية التى تسدد فى وقت واحد الى مجمل العمق اللازم لاماكن مرابطة قوات العدو وجميع مواقعه الاكثر أهمية فى المؤخرة .

لقد كانت العمليات الحربية سابقا تجرى بالتدريج « من الاسفل الى الاعلى » ان صح القول . اما الآن فهذه العمليات يمكن ان تجرى فى وقت واحد وتعتمد على النتائج « من الاعلى الى الاسفل » (المقصود « بالاعلى » الضربات النارية المباشرة ذات الاهمية الستراتيجية) .

ان النار ، ابتداء من الستراتيجية وانتهاء بالتاكتيك ، تشكل كقاعدة عامة المضمون الاساسى للعمليات الحربية ، وهى الاسلوب الاكثر فعالية لحل المهمات الرئيسية لهذه العمليات . والى جانب النار **ازدادت** كثيرا جدا فى العمليات الحربية الحديثة **اهمية سرعة حركة القوات** . وسرعة الحركة على ثلاثة انواع : تاكتيكية وسوقية وستراتيجية .

لقد زاد ظهور وتطور وسائط النقل الميكانيكية (بالسكك الحديدية قبل كل شيء ، وبالسيارات فيما بعد) من سرعة الحركة

الستراتيجية للجيوش . ودخلت سرعة الحركة الستراتيجيـــة ، في باديء الامر ، في تناقض شديد مع سرعة الحركة السوقية-التاكتيكية التي ظلت على مستواها السابق . وتدل على ذلك بكل وضوح خبرة الحرب العالمية الاولى . فالعمليات التي جرت ببطء ، على طريقة «القضم» المتلاحق لدفاع العـــدو ، كان لا بد وان تتعثر بسبب استنزاف قوى المهاجم والتنامي السريع لقوات المدافـــع عن نفسه والذي يتلقى احتياطياتـــه منقولة بالسكك الحديديـــة وبالسيـــارات جزئيا .

ولم يتغير الوضع الا باشاعة الآليات المتحركة والمكننة في القوات المسلحة . فقد اضفى المحرك على القوات سرعة استثنائية في الحركة . وظهرت لدى القوات عشرات الآلاف من الدبابـــات والسيارات . واصبحت من اهم عوامل سرعة الحركة كذلك القوات الجوية التي استدعى استخدامها على نطاق واســع اعادة النظر في التصورات السابقـــة عن الزمان والمكان لدى خوض العمليـــات الحربية .

وبما انه اصبح بالامكان الآن اصابة العدو بالنار على اعماق كبيرة في وقت واحد ، اكتسبت سرعة حركة القوات اهمية اكبر . ويساعـــد على ذلك الاستخدام الواسع النطاق لوسائـــل التنقل مثل الطائرات والهليكوبترات والدبابـــات والناقلات المدرعـــة والسيارات المجنزرة وهلمجرا .

كان تفوق القوات من حيث سرعة الحركة يتجلى سابقـــا في مجرد قابليتها على التحشد السريع في ساحة المعركة وتشكيـــل مجموعة اكثر قوة وتراصا وتأمين دعمها بكمية كافية من المدافع . ومن ثم اخذت سرعة الحركة تحدد سرعة مواصلة الانتصار وفاعلية ملاحقة العدو المنسحب وسبقه في الوصول الى حدود معينة . وان

دور السرعة عظيم ايضا لدى نقل الاحتياطيات من المؤخرة ، وكذلك ابان اعادة توزيع القوات .

ان السرعة العالية للحركة التى ولدتها الثورة فى الشؤون العسكرية لدى القوات التى تضم بالنسب اللازمة مختلف اصناف القوات ووسائل القتال الجبارة تستدعى امكانية خوض العمليات الحربية بوتائر سريعة فى اتجاهات منفصلة وتحقيق نثر القوات سريعا عند توقع تلقى ضربات العدو النووية ومن ثم تحشيدها بنفس السرعة لمواصلة العمليات . وتعتمد على سرعة الحركة لدرجة كبيرة امكانية تسديد الضربات المباغتة الى ابعاد كبيرة وتدمير العدو جزءا جزءا واحباط محاولاته وهو يتراجع للتشبث بمواقع ملائمة والصمود فيها وهلمجرا .

وهكذا فالقدرة النووية المقترنة مع سرعة حركة القوات هى الآن العامل التكنيكى الاساسى الذى يميز العمليات الحربية ، والذى يحدد طابع المناورة للعمليات الحربية والحرب ككل .

وتعتمد سرعة حركة القوات كذلك على وسائل واساليب الادارة ، اى على سرعة استلام المعلومات وسرعة اتخاذ القرار وعلى سرعة ايصاله الى القوات .

فيما مضى كان القائد العسكرى يستطيع مراقبة المعركة شخصيا وتوجيه عمليات قواته «بايماءة من يده» ، ولم يكن آنذاك يصرف وقتا طويلا للحصول على المعلومات واتخاذ القرار وايصاله الى القوات . وفى تلك الازمان ، حيث لم يكن القائد يمتلك اية وسائط للاتصال والادارة غير المرافقين والمراسلين الخيالة ، كانت سرعة الحركة السوقية-التاكتيكية للقوات محدودة للغاية ايضا .

ان ظهور التلغراف والتلفون ثم الراديو (اللاسلكى) قد غير كثيرا امكانيات الادارة السريعة لمجموعات القوات الكبيرة على مساحة شاسعة فى مسرح العمليات الحربية ، بل وحتى على مسارح

عديدة . وتتراءى امكانيات اكبر بهذا الخصوص نتيجة لمتابعة تطور الراديوالكترونيك واستخدام الآلات الالكترونية الحاسبة والمقاييس والاجهزة الاكثر كمالا .

تعداد القوات

كان التفوق النارى على العدو فى الحرب العالمية الثانية يتحقق ، بسبب عدم كفاية قدرة السلاح ، عن طريق تحشيد كمية كبيرة من وسائل الاصابة (البنادق والرشاشات والهاونات والمدافع والدبابات والطائرات) فى اهم قسم من الجبهة . وكان كل من الطرفين المتحاربين يسعى الى تحقيق التفوق عن طريق زيادة تعداد القوات ، ولا سيما وسائل الرماية النارية ، باتجاه الضربة المقررة . وغالبا ما فضل المسؤولون العسكريون التفوق الكمى البسيط على سرعة المناورة . والحال فان تحشيد كميات كبيرة من الاسلحة فى اقسام ضيقة نسبيا من الجبهة يتطلب صرف وقت كبير . وبالنتيجة كان يتلاشى عنصر المباغتة فى العمليات وتخرق مرونة التشكيلات القتالية وتتعقد الادارة وتزداد نقاط ضعف المجموعة المتحشدة وسهولة اصابتها بنيران مختلف انواع اسلحة العدو .

ويمكن الافتراض بان مجموعات القوات السوقية ـ التاكتيكية الحديثة التى تمارس مباشرة الاعمال والعمليات الحربية فى اتجاهات معينة ستكون اصغر كثيرا مما كانت عليه فى الحرب العالمية المنصرمة . ولكن ذلك لا يعنى ان تعداد القوات المسلحة الاجمالى لن يزداد فى فترة الحرب ازديادا مطلقا .

لقد كان تعداد القوات فى عصور مختلفة يحدد بعدد السكان ومستوى تطور الانتاج المادى وبالنظام الاجتماعى والامكانيات المالية للدولة .

وحققت البلدان التى شاركت فى الحرب العالمية الثانية تعدادا كبيرا فى قواتها المسلحة . وفى الظروف الراهنة ، حيث يحتمل استخدام السلاح النووى ووسائل الاصابة الاخرى ، تظل ضرورة وجود الجيوش النظامية الكبرى قائمة كمطلب محتم . ويعزى ذلك الى طابع الحرب الحديثة : الحزم فى اهدافها ؛ والنطاق المكانى للعمليات الذى اتسع على نحو لم يسبقه مثيل ؛ والآليات الحربية والاسلحة المعقدة الكثيرة ؛ وارتفاع نسبة الخسائر المحتملة ؛ واهمية الدفاع عن كامل اراضى البلاد فى ظروف الاستخدام الواسع لوسائل الاصابة من الجو والانزال الجوى ؛ وتزايد اهمية خطوط المواصلات وامتدادها وضرورة حمايتها .

والى جانب ذلك توجد اتجاهات مغايرة تحدد كثيرا من تعداد القوات المسلحة . وسوف يحتاج الانتاج الحربى ، بقدر اكبر من السابق ، الى الايدى العاملة المؤهلة التى يمكن ان تتكبد ، شأنها شأن السكان جميعا ، خسائر هائلة بسبب مفعول السلاح النووى . وسوف ينشغل قسم اكبر من الناس فى تنظيم عمل النقليات بلا انقطاع وفى بعث وترميم المواقع المدمرة وهلمجرا .

ان البلدان الاشتراكية قادرة على استخدام مواردها البشرية ابان الحرب بفاعلية وتنسيق هادف اكثر مما باستطاعة البلدان الرأسمالية .

تنظيم القوات

ان تنظيم القوات هو شكل معلل علميا وتجريبيا للتوفيق بين الناس والاسلحة بغية استخدامهم فى القتال على اكمل وجه .

تتكون القوات المسلحة الحديثة للدولة الكبرى من مختلف انواع واصناف القوات . ان انواع القوات المسلحة ــ القوات

الصاروخية والقوات البرية وقوات الدفاع الجوى والاسطول البحرى والقوات الجويـــة ، وكذلك اصناف القوات المكونة لها ـ المشاة والمدفعية وقوات الدبابات ، والغواصات والسفن الحربية والسلاح الجوى البحرى فى الاسطول وهلمجرا ، وكذلك القوات الخاصـــة (قوات الهندسة والاتصال والدفاع الكيمياوى وقوات السكـــك الحديدية والخ .) ـ تكونت تاريخيا وهى تمر بتطـور مستمر فى تجهيزها وتنظيمها . فالقوات البرية ، مثلا ، كانت حتى وقت غير بعيد تتكون من المشاة والخيالة والمدفعيـــة وعدد من القوات الخاصة . وفى الحرب العالمية الاولى ظهرت فى قوامهـــا قوات الدبابات . وخلال الحـــرب العالميـــة الثانيـــة فقدت الخيالة فى الواقع اهميتها العملية ، بينما اصبحت المشاة آلية متحركـــة لدرجة كبيرة ، شانها فى ذلك شأن جميع القوات الاخرى . وفى قوات المدفعية صارت تزداد باطراد نسبة الوسائل الصاروخية ، بينما حدث تمايز شديد فى المدفعيـــة الماسوريـــة التى تغيرت نوعيا .

وحدثت تغيرات اعمق فى قوام القوات المسلحة بعد الحرب العالمية الثانيـــة . فالصواريخ اصبحت وسيلة هامة للاصابـــة فى القوات البرية ايضا ، بينما لم يعد لقوات المشاة حق فى ان تسمى بهذا الاسم لانها صارت تنتقـــل ، بل وتحارب على متن وسائل النقل الخاصة بها . وازدادت اهمية الدبابات ووسائـــل التنقل الميكانيكية . وتغيرت المدفعية نوعيا ، كما تغير فى سلاح الجو دور قاذفات القنابل التى تنازلت عن اهم وظائفها للصواريخ المختلفة الاغراض . وتقلصت اهمية اسطول السفن الحربيـــة (وخصوصا السفن الثقيلة) ، بينما ازداد دور الغواصات . ويتعين على قوات الدفاع الجوى ان تلعب دورا خاصا ، فبالاضافة الى تحطيم سلاح جو العدو تصبح مكافحة صواريخه اكبر مهمة لهذه القوات .

وتغيرت تغيرا جوهريا بنية القوات المسلحة وتنظيمها . فهى مدعوة الى تأمين الحل الناجح للمهمات الحربية من قبل جميع القوات دون ان تفقد قابليتها على الانصياع للقيادة والتفاعل فيما بينها .

ان تنظيم الوحدات والقطعات العسكرية عرضة فى الظروف الراهنة ، كما هو شأنها دوما ، الى تأثير مختلف المتطلبات المتناقضة احيانا . فمن جهة يتعين على كل وحدة او قطعة ان تتحلى باقصى ما يمكن من القدرة الحربية والاستقلال والقابلية على ممارسة العمليات الحربية المتوترة الطويلة الامد . علما بان الشرط اللازم لذلك هو اقصى السرعة فى الحركة ذات الاهمية الفائقة . الا ان مطلب سرعة الحركة ، الذى يتعين على القوات بغية تحقيقه ان تكون خفيفة الى اقصى حد وان تتميز بمرونة التنظيم ، يدخل فى تناقض مع المتطلبات التى ذكرناها سابقا ، وذلك لان الوسائل الاكثر فعالية غالبا ما تكون اقل ملاءمة للتنقل وتحتاج الى جهاز اكثر ثقلا للتموين والتجهيز والخ ..

ان التناسب الكمى والنوعى المعين بين مختلف انواع الآليات الحربية يكون نظام التسليح . فان عدد المدافع بالنسبة لعدد محاربى المشاة ، وعدد الدبابات بالنسبة لجميع الوسائل الاخرى لخوض المعركة ، والتناسب بين عدد مدافع الميدان من مختلف العيارات والخ .ـ كل ذلك يتحدد ليس اعتباطا . فهذه التناسبات مشروطة بعضها بالبعض الآخر ويمكن ان تتغير تغيرا جوهريا اما فى حالة التغير الشديد لنوعية الطراز المعنى من الاسلحة وزيادة فاعليته ، واما بنتيجة التغير الملحوظ فى الظروف الاخرى للقتال .

وبالنتيجة يتكون تنظيم للقوات المسلحة يستدعيه مستوى تطور الانتاج ويعتمد على نظام الافكار والاراء السائد فى الدولة المعنية بشأن طابع الحرب وأساليب خوضها .

لا يمكن حتى لافضل القوات تجهيزا من الناحية التكنيكية ان تعتبر نفسها قوية اذا كانت سيئة التدريب ولم تحـــرز مستوى عاليا للاستعداد الحربى ، اى اذا لم تكن قادرة على الشروع بتنفيذ مهماتها الحربية بسرعة وبمهارة عسكريـــــة كبيرة . **ان القدرة القتالية للقوات تتكون من الجمع بين التجهيز التكنيكى العـــالى والدربة العسكرية الجيدة والاستعداد الحربى . ولا يمكن اعتبار القوات قادرة على القتال الا اذا كانت مجهزة بصورة ممتازة واذا كانت تتمتع بالاستعداد الحربى العالى للعمل فى الظروف المعقدة . وهكذا فان مفهومى القدرة القتالية والاستعداد الحربى مترابطان على نحو لا ينفصم .**

ان مضمون التدريب العسكـرى يتغير بصورة جوهريـــــة ويصبح اكثر تعقيدا على الدوام بتأثير جملـــــة من العوامـــل الاجتماعية ، وتبعا للاسلحة ولاساليب خوض العمليات الحربية التى يتعين على القوات امتلاك ناصيتها . ففى عصر السلاح النووى والصواريخ والالكترونيك يتسم بأهميـــة حاسمة المستوى العالى للمعارف الهندسية-التكنيكية لدى جميع العسكريين .

ان المحارب الذى يتقن بالتمام والكمال آلياته الحربيـــــة وسلاحه يتعين عليه ان يعرف تكنيك العدو ايضا .

ومن الواضح تماما ان التفوق الكمى الذى لا يجوز استصغار اهميته يلعب ، مع ذلك ، دورا اقل بالمقارنة مع دربـــة القوات وخبرتها الكفاحية ومهارتها فى خوض العمليـــــات الحربيـــــة فى اى فصل من فصول السنة ، فى الليل والنهـــار ، وفى ايـــة ظروف مناخية . وتاريخ الحروب غنى بالامثلة والشواهـــد على ذلك .

ان دربة القوات تتكون من اعداد المحارب الفرد والوحدات الفرعية والوحدات والقطعات .

وفى عصر التكنيك الحربى الحديث لا يجوز التسامح مع المستوى الواطئ للتحضير الفردى ومع عدم تنسيق العمل بين الوحدات والوحدات الفرعية على حد سواء . وينبغى للدرجة العالية من دربة افراد القوات ان تستجيب للمبدأ الهام جدا ، وهو الاستجابة الصارمة لمتطلبات الحرب الحديثة ولمستوى واتجاهات تطور التكنيك الحربى .

الكوادر القيادية

ان دربة القوات وقدرتها الحربية العالية واستعدادها الحربى الدائم وارادة الكفاح وحالتها السياسية-المعنوية الممتازة — كل ذلك يعتمد لدرجة كبيرة على السجايا الشخصية للقادة والرؤساء .

ان الكوادر القيادية فى جميع الازمان وفى جميع الجيوش هى النواة المنظمة للجيش وحاملة العلم العسكرى والتقاليد العسكرية . ولذلك فان اعداد الضباط والجنرالات والاميرالات ومعارفهم الخاصة ودربتهم المنهجية ومهارتهم فى قيادة العمليات الحربية — كل ذلك يلعب دورا جوهريا فى احراز النصر ابان الحرب . ويتعين على القائد من اية رتبة كانت ان لا يكتفى بان يكون منفذا دقيقا ومضبوطا لارادة رئيسه ، بل وان يكون رئيسا ماهرا ومبتكرا ومربيا جيدا لمرؤوسيه . وعليه ان يحثهم على تحقيق المآثر بحزمه وقابليته على تقييم الوضع وقدرته على ان يجد بسرعة افضل الطرق المؤدية الى النصر .

وتتسم بأهمية خاصة خصال الضباط فى الحروب الحديثة التى تتطلب منهم حزما متناهيا ورباطة جأش ومبادرات وابداعا وبطولة بالاضافة الى الوعى السياسى والاعداد العالى العام والخاص . ان الخصال الشخصية للقـــادة العسكريين من مختلف الرتب تغرس وتربى فى المؤسسات التعليمية العسكرية الخاصة ونتيجة للنشاط العملى طبعا .

ان القوات المسلحة الحديثة هى عبارة عن تنظيم هائـــل للاخصائيين ذوى التأهيل الممتاز . وان التجهيز التكنيكى للجيوش الحديثة يغير لدرجة كبيرة طابع النشاط العسكرى . ولا يمكن ، ولا يجب ان توجد الحالة التى كانت سائدة فى الماضى حيث كان يقوم حاجز بين القادة ، اساطين الفن العسكرى ، وبين التكنيكيين والمهندسين العسكريين الذين كانوا ، كقاعدة عامة ، يضطلعون بدور المستشارين والفنيين ومنفذى المهمات المعينة ، التاكتيكية-التكنيكية على الاغلب . ففى الحال الحاضر يتجلى بوحدة متناسقة فى المهنة العسكرية ، وفى نشاط القـــادة العسكريين من مختلف الرتب ، جانبان احدهما عسكرى قيادى والآخر هندسى تكنيكى . والى جانب ذلك كان القائد ولا يزال الشخصية الاساسية فى التنظيم العسكرى . والقائد العسكرى فى ايامنا هذه هو اخصائى عسكرى مؤهل ومرب لمرؤوسيه .

وبما ان نجاح الكفاح المسلح يعتمد على المهارة فى استخدام الآليات الحربية ، فان فن استخدامها فى المعركة وفى الدراسة خلال زمن السلم امر لا يمكن تحقيقه الا على اساس المعرفة العميقة للتكنيك ، وكذلك العلوم الطبيعية والرياضيات ، مصحوبة بمعرفة اسس العلم العسكرى ومواده الخاصة . ويتسم بأهمية هائلـــة بالنسبة للكوادر القياديـــة التفكير السوقى-التاكتيكى الصائب والقابلية على التكهن بسير الاحداث الحربية والقدرة على اتخاذ

القرارات بسرعة وتطبيقها باصرار ، مع مراقبة تنفيذها بانتظام .

وتلزم خصائص العمليات الحربية فى الظروف الراهنة الضباط والجنرالات والاميرالات ليس فقط بابداء المبادرة الشخصية ، بل وبتطوير مبادرة المرؤوسين وتشجيعهـــا بكل الوسائل وغرس الخصال السياسية والكفاحية-المعنوية السامية لديهم على الدوام .

وخلافا للنظريات العنصرية المنافيـــة للعلم بصـــدد «السوبرمان» تعتمد خصال الكوادر القيادية على البيئة الاجتماعية والخبرة التاريخية والتربية السياسية والخلقية . ويسهم فى تكوين ملامح القائد المعنوية كامل نظام التأثير الايديولوجى وتنظيم الحياة الاجتماعية والمعيشة والمدرسة والفن والادب والتدريب والتربية فى المؤسسات التعليمية العسكرية وفى القوات .

ان الخصال العملية والمهنيـــة والسياسية-المعنوية لضباط الجيش السوفييتى (وكذلك جيوش البلدان الاشتراكيـــة الاخرى) تحددها فى المقـــام الاول نظرتهم الماركسية-اللينينية الى العالم والادراك العميق لواجبهم ازاء الدولة والحزب . ويصـــوغ هذه النظرة الحزب الشيوعى السوفييتى الذى انشأ القوات المسلحة لاول بلد اشتراكى فى العالم وابدى منتهى العنايـــة والاهتمام بتكوين وتربية الكوادر القيادية لهذه القوات . ان هذه الكوادر مخلصة بلا حدود للحزب الشيوعى والوطن ، وهى تتحلى بالاعداد العسكرى والتكنيكى الجيد ، وهى قادرة على تأمين الاستعداد الحربى العالى للقوات المسلحة السوفييتية .

٣ ــ العناصر المعنوية للقدرة الحربية للقوات

بغية التقييم الصائب لقدرة الجيش الحربية ينبغى ان تكون فكرة ليس فقط عن تسليحه ، بل وعن درجة انضباطه وصموده

فى القتال وقابليته واستعداده لتحمل اعباء الحرب ، و«خصوصا عن **حالته المعنوية** ، اى عما يمكن تطلبه منه دون المجازفة باضعاف معنوياته» * .

ونقصد بحالة العامل المعنوى المظهر الخاص لهذه الافكار والمشاعر والاراء السياسية والاخلاقية او تلك ، عندما يسيطر البعض منها على اذهان الناس ويضفى هذه الخاصية النوعية او تلك على القوى المعنوية للمحاربين . ويمكن ان يتميز العامل المعنوى عموما بحالة الركود او النهوض ، والثقة بالنفس او الحيرة والاضطراب ، والحماس او الخمول وهلمجرا .

وقد اكد لينين فى عدد من رسائله وبرقياته فى سنوات الحرب الاهلية انه سيطرت على قوات المتدخلين بسبب ضربات الجيش الاحمر حالة الانسحاق والرعب والاضطراب والخمول . واستخدم لينين على نطاق واسع ، فى معرض تحليله فى الوقت ذاته للحالة المعنوية للجماهير الثورية المحاربة ، مصطلحات : «الاندفاع» و«الحماس» و«الحقد» و«الغضب» و«هياج الجماهير» وغير ذلك من المصطلحات التى تؤكد بكل دقة مختلف تلاوين ودقائق حالة العامل المعنوى . وبخصوص حالة الانسحاب الاضطرارى قال لينين «ان الصمود من الناحية المعنوية يعنى عدم السماح بانهيار المعنويات والاضطراب التنظيمى ، ويعنى الحفاظ على التقييم الواعى للوضع وعلى النشاط وشدة البأس ، والانسحاب ولو بعيدا ولكن بالقدر اللازم ، والانسحاب على نحو يساعد على وقف الانسحاب فى الوقت اللازم والانتقال مجددا الى الهجوم» ** .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣١ ، ص ٣٦٠ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٢٢٩ .

فما السبب فى كون معنويات الجيوش المحاربة تضطلع بهذا الدور الهام الحاسم فى الحرب ؟ ان ذلك يعزى فى المقام الاول الى ان الخطر كامن فى جو الحرب . فاذا كان هدف الميادين الاخرى من النشاط البشرى يتلخص فى احراز النجاح الكبير او الصغير ، وان وفيات الناس بسبب الكوارث او بالصدفة فى الظروف العادية امر احادى ونادر نسبيا ، فان مقتل الناس فى الحرب ظاهرة عادية . وان تنفيذ اية مهمة حربية ، وكل خطوة فى الهجوم ، وقضاء كل يوم فى الدفاع يكلف اراقة الدماء ويتطلب التضحية بحياة البشر . ولذلك فكلما كان السلاح فتاكا ، كلما كان كبيرا الدور الذى تلعبه معنويات الناس المساهمين فى العمليات الحربية .

ولقد صاغ لينين موضوعة يمكن اعتبارها واحدا من اهم القوانين العامة للحرب : «**ان النصر فى كل حرب مشروط فى آخر المطاف بالحالة المعنوية للجماهير التى تريق دماءها فى ساحة الوغى**» * . يسرى مفعول هذا القانون بشدة خاصة فى الحروب التى يتوخى فيها احد الطرفين المتحاربين اهدافا عادلة ، بينما يسعى الطرف الآخر الى اهداف قرصنية . وسوف يتجلى مفعول هذا القانون بقوة جديدة فى الحرب العالمية النووية اذا اندلعت نيرانها .

ان معنويات الجيش تلعب دورا حاسما فى الحرب لانها ، اذ تتجسد فى قوة مادية ، يمكن ان ترفع او تخفض القدرة الحربية للقوات . ولا يمكن تحمل اعباء القتال المسلح الحديث واستخدام الآليات الحربية على افضل وجه الا بتوفر المعنويات العالية . فالمعنويات الواطئة تحول الخصال القتالية للقوات الى عدم . وبفضل المعنويات العالية للقوات تتحول قابليتها المهنية الى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ١٢١ .

مهارة حقة لا يمكن توفرها الا بوجود الموقف الابداعى الخلاق من واجبات الخدمة العسكرية ، ولا يمكن بلوغها اذا كانت هذه الواجبات تؤدى شكليا . **ان المعنويات العاليـــــة ترسخ اساس العناصر الاخرى للقدرة الحربية للقوات وتزيد قوتها .**

وتزيد المعنويات العالية مرونة تنظيم القوات ووحدة ارادتها وتقوى الانضباط الذى تزداد ضرورته باطراد نتيجة لتزايد تنوع وسائل القتال التكنيكية واساليب واشكال النشاط الحربى مـــع توفر الاهداف السياسية الحازمة للحرب .

خاصية معنويات الجيش

ان معنويات القوات مرتبطة من حيث طبيعتها ارتباطا وثيقا بالحالة المعنوية-السياسية للسكان جميعا ، وهى جزء من الاجزاء المكونة لمعنويات سكان الدول (الائتلافات) ، وهى فى الوقت ذاته تعبر عن خصائص الجيش كتنظيم مهمتُه الرئيسية هى مكافحـــة العدو .

ومن الخطأ تصور معنويات الجيش على انها صفة عسكرية مهنية متقوقعة واقتصارها على شعار كرامة السلاح ، كما يفعل الكثيرون من النظريين العسكريين البرجوازيين .

ومن الخطأ كذلك اعتبـــار المعنويات مظهرا للخصـــال والمعتقدات الاخلاقية فقط . فهذه الظاهرة اكثر تعقيدا وتنوعا . ان المضمون الاساسى الحاسم لمعنويات الجيش يتكون من مجمل الافكار والميول والمشاعر السياسية والاخلاقية التى تشبعت بهـــا اذهان الجنود والضباط والتى تعبر عن موقفهم من المصالح الحقيقية للوطن والشعب ومن النظام الاجتماعى-السياسى ومن سياســـة

الدولة ، وكذلك من اهداف الحرب عندما تندلع . ومن الجوانب الهامة لمعنويات الجيش الموقف من العدو وعمق الحقد عليه ودرجة الطموح الى مكافحته وتوتير جميع القوى من اجل النصر ، وكذلك عمق ادراك الواجب العسكرى والثقة بالنفس . ان جميع مكونات معنويات القوات مترابطة فيما بينها ترابطا وثيقا وهى اجزاء فى وحدة ديالكتيكية . اذن ، **فان الروح المعنوية من حيث جوهرها هى قابلية المحاربين على تأدية واجبهم العسكرى حتى النهاية** . وتتجلى بصورة ملموسة فى الخصال الكفاحية-المعنوية للمحاربين .

ان مستوى ومتانة معنويات القوات تحددهما جملة من الشروط التى تحدثنا فى الفصل السابق عن اهمها واكثرها تعميما .

وهناك مجموعة خاصة تتكون من الشروط المؤثرة على المعنويات والكامنة فى الجيش نفسه وفى طبيعة العمليات الحربية . ويمكن لهذه الشروط ان تترك اثرا ايجابيا او سلبيا ، قبل كل شىء ، على المكونات السيكولوجية لمعنويات القوات ومزاجها ، وعلى حالتها السياسية-المعنوية عموما ، فى ملابسات معينة .

ويؤثر تأثيرا شديدا على معنويات القوات خصوصا تجهيزها بالآليات الحربية التى تفوق آليات العدو نوعيا وكميا ، وكذلك دربة الوحدات وامتلاكها لناصية الاسلحة الحديثة على افضل وجه وخبرتها القتالية . وان ثقة افراد القوات بتفوق وسائلهم لخوض العمليات الحربية تمنحهم قوى اضافية .

وتتسم بأهمية كبيرة للغاية بالنسبة للحفاظ على المعنويات العالية لدى القوات حكمة وجدوى القرارات التى يتخذها الضباط والجنرالات ، وكذلك كمال نشاطهم التنظيمى ، وخصوصا فى ادارة

القوات وتدبير التفاعل بين انواع القوات المسلحة واصناف القوات ، وتأمين الاتصال الثابت المستمر وتزويد الوحدات بلا انقطاع بالذخيرة وبكل ما تحتاج اليه . ان استجابة الكوادر القيادية لمتطلبات الحرب عامل هام فى تقوية معنويات القوات .

ان الحالة السيكولوجية ، بل والسياسية-المعنوية للقوات فى ملابسات معينة ، تتعرض للتذبذب تبعا لسير ونتائج العمليات الحربية . فعندما تحرز القوات النصر تلو النصر يسهل كثيرا الحفاظ على المعنويات العالية ، بخلاف الوضع فى حالة الاخفاقات والهزائم والانسحاب الاضطرارى . وتسهم العمليات الهجومية فى رفع معنويات القوات ، وخصوصا عندما يجرى الانتقال من الدفاع الطويل الامد الى الهجوم او الهجوم المضاد الجبارين . فالهجوم يؤثر دوما على نفسية العدو بكونه يكشف بذاته عن الارادة الاقوى . وتتعرض معنويات القوات لمحنة شديدة عندما يستخدم العدو عنصر المباغتة ، حيث ينتقل الى الهجوم على حين غرة ويستخدم سلاحا جديدا غير معروف سابقا او اساليب جديدة فى خوض العمليات ويستخدم الاحابيل العسكرية وهلمجرا .

ويمكن ان يؤثر تأثيرا لا بأس به على معنويات القوات ، ويؤثر فعلا ، ما يسمى «بالحرب السيكولوجية» والتخريب الايديولوجى الذى يمارسه العدو بغية نسف الاسس السياسية-المعنوية للقدرة الحربية للجيش وتحطيم معنوياته ونسف الثقة بالقيادة السياسية والعسكرية .

ان الشروط المذكورة اعلاه مترابطة متفاعلة فيما بينها ، علما بان اساس حالة الجيش السياسية-المعنوية هو النظام الاجتماعى-السياسى للدولة ، والايديولوجية السائدة فى المجتمع

واهداف الحرب والنوعية المعنوية « للمادة البشرية » . ثم ان الاخفاقـــات فى المعارك تضعف ارادة النصر لدى القوات ذات المعنويات الواطئة . اما فى القوات المتميزة بارتفاع معنوياتها فان الهزيمة تولد مشاعر الخجل والالم والمرارة ، ولكنها لا تنسف المعنويات ، بل تقويها .

ان القوات ذات المعنويات الواطئة حساســـة جدا ازاء الخسائر الى درجة تجعلها احيانا تفقد قدرتها القتالية عندما تتكبد حتى خسائر طفيفة . وعلى العكس منهـــا ، تبدى القوات ذات المعنويات العالية اعظم آيات البطولة ، وهى قادرة على الصمود حتى الموت وتتميز بحماس هجومى عال وانضباط متين . ان القوات التى تدرك واجباتها ، باعتبارها واجبا اجتماعيا وباعتبارها قضية ضمير ، قادرة على تحمل التوتر البدنى والسيكولوجى باكثر مـــن القوات التى تقف من واجبها العسكرى موقفا شكليـــا . ففى هذه القوات الاخيرة يستند الانضباط ، قبل كل شىء ، على الاكراه وعلى الخوف وشراء الذمم ، ومما يساعـــد على ذلك تكييف الجنود ايديولوجيا . وبالنتيجة تتضاءل مبادراتهم وتضعف ارادة النصر لديهم ، وتستخدم قواهم المعنوية والمادية على نحو بعيد عن الكمال .

ولا يمكن للبسالة والشجاعة والبطولة ان تنتشر على نطاق واسع بين المحاربين وتصبح من قواعد سلوكهم فى الحرب الا فى حالة ما اذا ارتبطت بالمثل العليا والثقة بان رسالـــة الجيش واهدافه ابان الحرب تستجيب لمصالح الشعب ولمصالح الوطن الحقيقية .

ان العوامل المذكورة اعلاه تحدد جميعا مستوى معنويات الجيش ليس بصورة عفوية تلقائية . فهى لا تفعل غير ان تهيىء الامكانيات الملائمة او غير الملائمة للحفاظ على هذه المعنويـــات

بالمستوى المطلوب . وان مدى نجاح الاستفادة من الامكانيات الملائمة ومدى تدليل تأثير الامكانيات غير الملائمة فى جيوش البلدان الاشتراكية يعتمدان على نشاط الكوادر القيادية والهيئات السياسية والمنظمات الحزبية ومنظمات اتحاد الشبيبة الشيوعى . وانه لعظيم جدا فى هذا المجال دور العمل الحزبى-السياسى .

خصائص تأثير الوضع الحربى على القوى المعنوية للمحاربين

ان تأمين المعنويات العالية للجيش فى الحرب الحديثة ، اذا اشعل الامبرياليون لهيبها ، يتطلب كذلك مراعاة الملابسات الجديدة التى تزيد لدرجة كبيرة جدا من المتطلبات ازاء الروح المعنوية للقوات . وتنبع هذه الملابسات من طبيعة الحرب النووية المحتملة ومن الطابع الجديد نوعيا للعمليات الحربية ، مع مراعاة جانبيها العسكرى-التكنيكى والسياسى .

ولا بد من ان تكون القوات معدة كليا من الناحية المعنوية قبل بداية الحرب . فمن المعروف جيدا ان المعتدين يعلقون الآمال على المباغتة فى الهجوم على الاتحاد السوفييتى وعلى الضربات النووية «الوقائية» الموجهة الى المراكز السياسية والمناطق الصناعية وعقد المواصلات واهم المواقع العسكرية . وما دام الامر كذلك ، فيجب ابداء اقصى الاهتمام بالتحضير المعنوى-السيكولوجى للمحاربين فى زمن السلم خلال تأمين الاستعداد الحربى الدائم للقوات . فعندما تبدأ الحرب لن يتبقى متسع من الوقت للتحضير التدريجى للانتقال من ظروف السلم الى ظروف الحرب . ان منطق الحرب الحديثة يتطلب بان يكون المحارب مستعدا للمحن مسبقا ،

اى اليوم والآن بالذات . ففى حروب الماضى كان المراس النهائى يتحقق فى سير المعارك . اما الآن فلا يجوز الاعتماد على ذلك حتى فى حالة ما اذا بدأت الحرب فى ظروف استخدام السلاح العادى . ففى تلك الحالة ايضا سيخوض المحاربون عمليـــات المناورات الشديـــدة التوتر ، ويجب ان يكونوا مستعدين فى كل لحظـــة لاستخدام السلاح النووى وللوقاية منه . ان الانتقال من احد انواع العمليات الحربية الى نوع آخر ، والانتقال من العمليات غير النووية الى العمليات النووية يتطلب صلابة معنوية هائلة .

وسوف تترك لوحة المعركة نفسها فى الحرب النوويـة اثرا معنويا-سيكولوجيا هائلا على المتحاربين الذين سيصبحون شهود عيان للخسائر الفادحة بين السكان والقوات وللتدميرات الهائلة ، وسيتعرضون للتأثير الضوئى والصوتى الفتـــاك وتحولات الضغط الشديدة ، ويمكن ان يجدوا انفسهم فى مناطق الفيضانات الواسعة نتيجة لتدمير السدود والنواظم وهلمجرا . وكل ذلك يؤدى حتما الى هزة معنوية لدى افراد القوات ، وهى هزة قاسية مرعبـــة خصوصا فى اللحظات والساعـــات الاولى للحرب . ولا يستبعد ان تسيطر موقتا على بعض المحاربين غريزة البقاء بسبب من مشاعر الخوف من الموت . والخوف لدى غير المتمرسين معنويـــا يعنى الخور النفسى والذعر والاضطراب . ان ظهور العجز النفسى لدى بعض الاشخاص يشكل خطرا كالخطر الناجم عن الفوضى . فحتى الحالات الفردية لفقدان ضبط النفس لدى المحاربين لا يجـــوز السماح بها ، لان الظواهر السيكولوجية السلبية معدية ، كما هو معروف . واثبتت التجارب ان الانسان الذى لا يستطيـــع ضبط اعصابه بالشكل اللازم يكون عمله رديئا على الاجهزة والآليات ، وهو يدير التكنيـــك بشكل سيئ . وهو يقترف الاخطـــاء فى هذا المجال ، علما بان خطر الخطأ فى الحرب الحديثة يفوق التقدير .

ان المتطلبات العاليـــــة ازاء السجايا المعنوية للمحاربين تستدعيها القساوة الخارقة للقتال المسلح وسرعة سير العمليـــات الحربية وتحركها الشديد وانعدام خطوط الجبهات غير المنقطعة وضرورة اجتياز مناطق هائلة من التلوث بالاشعاع الذرى ومـــن الدمار والحرائق والفيضانات والخ ..

ان التزايد الشديد فى احتمال وقوع مختلف الصــــدف فى العمليات الحربية التى ستجرى ليلا او فى اماكن ضعيفة الانارة وفى جو من الدخان والغبار لا بد وان يولد الشعور بالمجهول . وهذا الشعور يؤثر دائما تأثيرا سلبيا مرهقا على نفسية الناس وينسف معنوياتهم .

ويمكن للشعور بالقلق والمجهول ان يشتد كذلك بسبـــب التهديد المستمر بخطر فتاك غير مرئى ، هو خطر التلوث الاشعاعى والاصابة الجرثومية والكيمياوية . وينبغى كذلك الاستعداد لاحتمال استخدام العدو انواع الاسلحـــــة الجديدة من حيث المبدأ . ففى الحروب الماضية لوحظ ان التأثير المباغت للسلاح الجديد يمكن ان يكون فتاكا للغاية بالنسبة للقوات غير المستعدة له . ان مدى الضرر السيكولوجى الناجم عن المباغتة لا يمكن تقديره ، وهو ، فى ظروف معينة ، يمكن ان يتجاوز بمرات عديدة الضرر المـــادى الناجم عن استخـــدام السلاح الجديد . وفى ظروف التقدم العلمى-التكنيكى يمكن لظهور السلاح الجديد ان يكون مباغتا لدرجة ان العواقب المحتملة لاستخدامه يصعب توقعها كليا .

وتبدى متطلبات عالية ازاء المعنويات كذلك خاصية الحرب الحديثة التى تتجلى فى كون قسم كبير من افراد القوات لن يواجه العدو امامه مباشرة ولن يستطيع «رؤية» العدو . وسوف يكون الاحساس بالعدو «تجريديا» بالنسبة لكثير من المحاربين . ولكنه

بالرغم من ابتعاد العدو الى الاف الكيلومترات فان انفاسه الفتاكة ستكون محسوسة فى كل منطقة وكل صقع . ان هذه الحالة تزيد كثيرا من التوتر المعنوى . ولذلك ينبغى العثور على امكانية تؤمن «الانفراج السيكولوجى» للمحاربين . ويمكن ان تتلخص هذه الامكانية فى الصرف عن الافكار المقلقة المؤذية والتوجه الى التحضير النشيط للمعركة وفحص الآليات الحربية والاسلحة وهلمجرا .

ان السعي الى تقوية حماية القوات وزيادة سرعة تحركها ينعكس فى الميل الى صيانة افراد القوات وراء جدران المدرعات ونقلهم الى المنشآت العميقة تحت الارض وهلمجرا . وينبغى الانتباه الى ان ذلك لا يمكنه الا ان يولد لدى المحاربين الشعور بالعزلة الجزئية ، لا سيما وانه ستصبح من الامور المعتادة فى الحرب الحديثة عمليات وحدات وفصائل منفردة بعيدا عن الاركانات ومجموعات القوات الرئيسية وبدون اعلام كاف .

ويمكن ان تنجز النصر فى المعركة الحديثة فصائل غير كبيرة احيانا ولكن باسلة جسورة . وهكذا ، يتعين على المحاربين ان يكونوا قادرين على تنفيذ اية مهمة حربية ، والقيام بتحركات واسعة الى الامام وخوض القتال بدون ان تكون لهم صلة مباشرة بالمحاربين المجاورين ، وان لا يتحيروا مهما كانت الظروف معقدة ، وان يبدوا المبادرات الجسورة وان يخاطروا ببسالة فيسددوا للعدو ضربات متلاحقة احداها اشد واقوى من الاخرى . وبديهى انه لا تستطيع العمل على هذه الشاكلة الا قوات تتحلى بارادة لا تقهر .

ان الخسائر الجسيمة والتى لا تعوض هى احدى السمات المميزة للحرب النووية الصاروخية . وسوف يعتمد مآل المعارك

والمناوشات بالدرجة الاولى على كمية الخسائر التى تحافظ القوات بالرغم منها على قدرتها فى الصمود دون ان تنهار معنوياتها ودون ان تفقد بسالتها وارادة القتال والنصر .

والى جانب الاجراءات الرامية الى التقليل من تعرض القوات لتأثير سلاح الاصابة الجماعية ، يتسم بأهمية غير ضئيلة التكهن بالعواقب السيكولوجية المعنوية التى يمكن ان تنجم عن تأثير هذا السلاح .

وسوف يتسم الانضباط العسكرى واسسه المعنوية بأهمية استثنائية فى الحرب النووية . فبدون الانضباط المتين يستحيل وجود الجيش عموما ، بينما تتطلب ظروف استخدام وسائل القتال الحديثة مستوى للانضباط لم ير له التاريخ مثيلا من حيث الارتفاع .

ان الحفاظ على المعنويات العالية بعد الضربات النووية الاولى وفى سير العمليات الحربية اللاحق هو قضية فى غاية الصعوبة . ولا بد من الاستعداد للزحف السريع الى الامام ، وتحطيم مقاومة العدو الذى تكبد خسائر هائلة ايضا ، دون الالتفات الى مدى خسائرنا الناجمة عن ضربات العدو النووية ، بل وحتى عندما لا يبقى من الوحدات الفرعية والوحدات والقطعات غير بعض المجموعات المختلطة او المفارز الضئيلة .

وبغية الصمود « للضربة المعنوية » التى لم يسبق لقوتها مثيل يتعين على كل محارب فى اى موقع او مركز ان يوجه كل قواه وافكاره وارادته ومشاعره نحو امر واحد : عدم الكف عن تنفيذ واجباته وتأدية واجبه ولو للحظة واحدة . وعندما تتجمع الارادة فى قبضة واحدة وتوجه نحو العمل الصائب مع التكنيك والاسلحة ومختلف الاجهزة والآلات فان مشاعر الخوف تتلاشى وتتحول الى حماس حربى ونهوض للمعنويات واندفاع هجومى .

وفى اعقد اللحظات يتسم بأهمية بالغة الحافز الخارجى الشديد : القدوة الشخصية والامر الصارم من القائد ، والكلمة الواثقـــة من المسؤول السياسى او الشيوعى . وسيكون دور القادة والمسؤولين السياسيين من مختلف المراتب حاسما فى الحفاظ على معنويات القوات وتقويتها .

ونتيجة للنشـــاط الهادف لدى كل محارب والمستند على الصمود الفكرى الشيوعى والمهارة العسكرية العالية ، وكذلك التأثير النشيط على اذهان المحاربين ونفسيتهم من قبل القادة والمسؤولين السياسيين يمكن الحفاظ على الصمود المعنوى والقدرة على القتال واحراز النصر .

اعداد القوات معنويا وسيكولوجيا على اساس علمى

ان التفوق المعنـــوى للجيوش الاشتراكيـــة على الجيوش الامبريالية واضح للعيان . ومبعث هذا التفوق طبيعة المصـــادر الاجتماعية-الاقتصادية والفكرية . الا ان متانة القوى المعنويـــة يحددها كذلك نشاط القيادة العسكرية وحالة الاعداد القتـــالى والسياسى وتربية المحاربين وكامل طراز حياة الجيش .

ان وجود بنية معينة للروح المعنويـــة يفترض التأثير على جميع عناصرها مع مراعاة خصائصها وترابطها . فلا يمكن وجود اعداد للقـــوات «معنوى» او «سيكولوجى» على حدة . فهذا الاعداد يجب ان يكون اعدادا «معنويا-سيكولوجيا» يصوغ ، على اساس تكوين النظرة الشيوعية الى العالم وعلى اساس اعادة بناء نفسية الانسان ، الخصال المعنوية الكفاحية اللازمة ، ويربى النزعة الوطنيـــة والامميـــة ويحضر المحارب-المواطن لتحمل المحن المحتملة الناتجة عن الحرب الحديثة .

يتلخص جوهر الاعداد المعنوى-السيكولوجي في التكوين الهادف للثبات المعنوى - السيكولوجي لافراد القوات ، والاستعداد الدائم لتحمل اقسى محن الحرب الحديثة واحراز الانتصار على العدو . ويتحقق هذا الاعداد عن طريق مجمل نظام التعليم السياسي والكفاحي والتربية الخلقية والعسكرية .

ان الاحكام والآراء اللينينية بصدد قضية اعداد الانسان للحرب يمكن ان تصاغ ويعبر عنها بشكل مبادئ معينة للاعداد المعنوى-السياسي والسيكولوجي للقوات في الظروف الراهنة .

واول هذه المبادئ العمل المنتظم في تربية الوعي والايمان الشيوعي لدى المحاربين السوفييت . وتؤثر على هذه العملية مجموعة كاملة من العوامل ، وفي مقدمتها تأثير البيئة الاجتماعية وملابسات الحياة والمعيشة والظروف الحياتية الفعلية التي تتكون فيها شخصية الفرد . ويمكن ان يسمى ذلك ، باوسع معنى الكلمة ، بتأثير طراز الحياة السوفييتي المتميز بعدة سمات خاصة بالنسبة للجيش . ويعود دور جوهرى كذلك الى وضع نظام متناسق للتدريب والتربية . والعامل الهام الاخير هو قابلية الانسان نفسه على التربية الذاتية والتثقيف الذاتي وقدرته على الموقف الانتقائي من التأثيرات التي يتعرض لها . وعندما تفعل هذه العوامل جميعا فعلها في اتجاه واحد وبصورة منسقة تبدو ظاهرة للعيان النجاحات في التكوين الشيوعي لشخصية المحارب .

ويعبر المبدأ الهام الثاني لاعداد القوات معنويا وسياسيا وسيكولوجيا عن وحدة التأثير الايديولوجي والسيكولوجي على وعي الانسان في مجرى التعليم والنشاط الكفاحي .

ان تقوية التأثير الايديولوجي والنفوذ الحزبي في صفوف الجيش يمكن ان تحقق «تقدما سيكولوجيا» كبيرا في الاتجاه

المطلوب . وينبغي ان تدرس الحالة الروحية للجماهير والجيش بكامل غنى تلاوينها الايديولوجية والسيكولوجية .

وبالاستناد الى التراث اللينيني بخصوص قضية الاعداد المعنوى-السياسى والسيكولوجي للقوات يمكن صياغة مبدأ آخر يعبر عن الضرورة الموضوعية لاستخدام منجزات العلم الى اقصى حد فى عملية اعداد «المادة البشرية» للحرب .

فالمستوى الحالى للعلم والتكنيك يساعد على تقديم فكرة عما هو ممكن فى الحرب الحديثة بدرجة كبيرة من الدقة . ويمكن تحقيق ذلك خصوصا بواسطة التشكيلات الخاصة من الموديلات الفيزيائية لمعركة فى ظروف الحرب النووية الصاروخية . وباستطاعة هذه الموديلات ان تصور الاجهزة التكنيكية بشكل غرف ومنشآت للتدريب ومناطق مجسمة وهلمجرا . ويستطيع كل من هذه المنشآت ان يخلق صورة تقريبية الى اقصى حد عن المعركة الحقيقية ومدى الخطر وتبدل المواقف السريع واسرار المجهول ، كما يهيئ امكانية الاحساس (بالقدر المعقول) فى التشكيلة بالحرارة العالية والضجيج والانفجارات الضوئية وهلمجرا . ويمكن بواسطة هذه المنشآت التثبت من الاستعداد المعنوى-السيكولوجى لدى المحاربين للمعركة ، وبعد التكرار لعدة مرات يمكن مساعدة المحاربين على خلق هذا الاستعداد وترسيخه . ومن المفيد توفر موديلات ذات تعقد متزايد واقتراب تدريجى من الموضوع . ويمكن ان توجد فى اكثر الموديلات تعقدا سلسلة من البرامج المختلفة . وتتحدد درجة التشابه بين الموديل وموضوعه الفعلى بخطة صنع الموديل وبالامكانيات التكنيكية لتحقيق التصاميم التى يشارك فى وضعها المهندسون وعلماء النفس والاطباء والاخصائيون العسكريون وغيرهم . وينبغى اعتبار هذه الموديلات شكلا خاصا للتطبيق ومعيارا معينا لحقيقة وصواب الاحكام

النظرية التى كان التثبت منهـــــا يجرى سابقا عن طريق الحرب فقط .

من المهم تعويد المحاربين على توجيـه سلوكهـــم ، وخلق الاستعداد الداخلى الدائم لديهم للعمليات الحربية النشيطة وابداء البطولة على نطاق واسع .

ولا يمكن الموافقة على الرأى القائل بانه لن يكون هنـاك مجال للبطولة فى حرب «الآلات والاوتوماتيك» . فان البعض مـن علماء الاجتماع الاميركان يزعمون «بان التكنيك الحديث ابتلع مفهوم البطولة» . وليس الامر كذلك طبعا . فالمفهومان الاخلاقيان «البطولة» و«المأثرة» يكتسبـان مضمونـا جديدا فى الظروف الراهنة . اذ ان البطولة والمأثرة ليستا مجرد انفجار ساطع لافضل الخصال والنوايا لدى شخص بارز . فالبطولة فى الحرب الحديثة ستتجلى على اكمل وجه فى وحدة الفرد والمجموع . انها ، كقاعدة عامة ، بطولة الطواقم والمجموعات والمفارز والفصائل . وستبدو ظاهريا فى بعض الاحيان بشكل عمل مستمر لا خطأ فيـه للآلات والاجهزة والمكائن فى اعقد ظروف المعركة التى غالبا ما تتطلـب التضحية بالنفس ثمنا لتنفيذ مهمة ما . ونرى عناصر هذه البطولة حاليا فى ممارسة النوبات العسكرية والحفاظ على الاستعداد الحربى الدائم ، الامر الذى يتطلب توترا تاما لجميع القوى الذهنيـــة والبدنية والمعنوية .

ان الحرب الحديثة تتطلب حدة الذكاء ومرونة التفكير واتساع نطاقه لدى الجندى والضابط والجنرال ، والقابليـــة على ادراك وتفسير المعلومات المختلفة على الفور . ان طراز التفكير الابداعى هو عامل ذو اهمية معنوية كبيرة . فهو يساعد المحارب على تقييم الاحداث باقصى السرعة والتكهن بما يمكن ان يحدث واتخاذ القرار الافضل . اما الذهن المحافظ والذى لا يعرف الابداع فهـــو ،

كقاعدة عامة ، يشل سريعـــا بالاعباء المعنوية ـ السيكولوجية الثقيلة .

ان الحرب الحديثة تتطلب بصورة الزامية **تربية المحارب المستعد للاعمال الحازمة الى حد المخاطرة** . ويتجلى مستوى تصميم الفرد باوضح شكل فى المواقف الحرجة المعقدة التى يحافظ الفرد فيها على قابليته على التفكير الجلى ورباطـة الجأش والشعـور بالمسؤولية ازاء اعماله .

ويتسم بأهمية من الدرجة الاولى خلق الصمود المعنـوى ـ السيكولوجى والتحمل المعنوى ، اى قابلية الانسان على تحمـل صعوبات وهزات بدنية وسيكولوجية تفوق التصور دون ان يفقد ارادة الكفاح وارادة النصر . ويعتمد التحمل البدنى اعتمادا مباشرا على التحمل المعنوى .

ان الآليات الحربية والاسلحة الحديثـة وطابـع الحرب المحتملة ـ كل ذلك يتطلب الجمـع بين الانضباط والانضباط الذاتى ، وذلك لان الانسان يجب ان يسيطر على اعصابـه ليس بأسوأ ممـا يسيطر على الاجهزة والآلات ، بل وافضل من ذلك بكثير . وتتطلب المعركة الحديثة مجموعا من المحاربين رائـع الترتيب ودقيق العمل ، ويضم عددا كبيرا من الضباط والجنود من مختلف الاختصاصات . ولذلك فان القوى المعنوية التى ترص صفوف الضباط والجنود فى مجموع عسكرى موحد متلاحم تكتسـب فى الظروف الراهنة اهميـة فائقة ، دون ان تقلل من شأن دور الفرد «كخلية» فى هذا الكيان المتكامل ، بل وترفع هذا الدور الى درجة أعلى .

ان مستوى الانضباط العسكرى ومظهره الاعلى ـ الانضبـاط الذاتى هو من اهم علائم متانة القوى المعنوية للقوات . وتؤدى تقوية الايمان الفكرى لدى المحارب الى جعله ينفذ واجباته ليس فقط انصياعا للاكراه والاوامر ، بل وبدافع من عقله وفؤاده ،

اى بسبب الانضباط الذاتى . وكلمـــا كان ادراك المحـــارب لضرورة الانضباط الذاتى عميقا ، كلما كان هذا المحارب طليقا فى تنفيذ متطلبات الخدمة العسكريـــة . ويهيئ الانضبـــاط الذاتى للمحارب امكانية ضبط مشاعره كليا والسيطرة عليها وكبـــت سورات الضعف الموقتة لديه .

ومن الامور الضروريـــة كل الضرورة للمحاربين فى الحرب الحديثة رباطة الجاش والاستقلالية والاصرار . فان انعدام اى من هذه الامور يجعل المحارب بعيدا عن الكمال من الناحية المعنوية ـ الكفاحية .

ان افضل مدرسة لخلق القوى المعنوية المتينة هي التدريبات العسكرية المتوترة والرحلات البحرية الطويلة الامد والتحليقات فى ظروف معقدة والمسيرات الشاقة واطلاق الصواريخ . فالتدريبات والدروس تساعد فى حل مهمة مزدوجة لا تقتصر على خلق السجايا اللازمة وترسيخها ، بل وتتناول اظهار نقاط الضعف لدى كل فرد : التماهل والوجل والحساسية ، والحنق وغيرها ، كما تساعد الافراد فى التخلص من هذه العيوب عن طريق الدروس والتمارين الفردية المنتقاة بتمحص . واذا «تكشفت» هذه الخصائص فى معمعـــان المعركة فان التخلص منها سيكون اصعب بما لا يقاس .

ومن المجدى فى عملية التمرس المعنوى تدبير مواقف يتوفر فيها عنصر المخاطرة (على شرط ان تخضع هذه المخاطرة لرقابـة وضبط من قبل القـــائد) . وقد كان المربى السوفييتى الرائـــع ماكارينكو على صواب عندما أكد قائلا : «لا يمكن تربية انسان باسل دون وضعـــه فى مواقف لا بد له فيهـــا ان يبـــدى بسالته ...» * .

* ماكارينكو . المؤلفات بسبعة مجلدات ، موسكو ، ١٩٥٨ ، المجلد الخامس ، ص ٤٢٤ .

واذا كانت المواقف الخطرة تظهر غالبا ، فان سيكولوجية المحارب تخلق ردود فعل ثابتة ، فيستجيب المحارب بهدوء متزايد للاوضاع المعقدة المباغتة ويذللها برباطة جأش ، ويتعود على الشعور بالخطر كعنصر ضرورى لا بد منه للنشاط الحربى .

ولا يجوز ، طبعا ، الاكتفاء ببرامج التعليم العسكرى الموجودة حاليا فى الاعداد المعنوى-السيكولوجى . فمن الضرورى ممارسة تمارين ذات طابع خاص ترمى الى تدريب الارادة ورباطة الجأش والصمود السيكولوجى لدى افراد جميع اصناف القوات مع مراعاة خاصية نشاطهم . فان التدريبات المنتظمة فى ميادين التدريب الخاصة وايجاد القابلية على «التعبئة الذاتية» وخلق «جو معنوى» سليم للغاية فى المجموع والجماعة والوحدة الفرعية — كل ذلك يساعد على تكوين السجايا المعنوية-الكفاحية اللازمة .

بديهى ان الاتجاهات المذكورة اعلاه لا تستنفد كامل تنوع العمل فى تقوية التمرس المعنوى-السيكولوجى لافراد الجيش . ان قضية الاستعداد الحربى الدائم ، باعتبارها المسألة الاساسية فى نشاط القوات المسلحة للبلدان الاشتراكية ، تتطلب فى زمن السلم اقصى حد من تناسق تطور جانبيها التكنيكى والمعنوى .

وهكذا ، فالمعنويات التى تتحول فى سير العمليات الحربية الى قوة مادية هى عامل حاسم . ولكنه لا يجوز فهم هذا الحكم على نحو مبسط وحيد الجانب. فان معنويات الجيش ، مهما كانت عالية ، ليست هى العامل الوحيد الذى يؤمن النصر . فالعوامل المادية-التكنيكية تلعب كذلك دورا هاما .

اذن ، فالنصر فى الحرب الحديثة رهن بتوفر كافة عناصر القدرة الحربية مأخوذة معا ، وبقابلية القيادة السياسية والعسكرية على استخدام هذه العناصر على افضل وجه ، وهذا الامر هام خصوصا .

٤ ـ تطور وتغير اساليب خوض القتال

ان اساليب خوض القتال والحرب عموما هى دليل هام على قابلية القيادة السياسية والعسكرية على استخدام القدرة الحربية للقوات المسلحة بغية احراز الانتصار على العدو . ومع ان اساليب خوض العمليات الحربية تعتمد فى آخر المطاف على مستوى القدرة العسكرية للدول وعلى القدرة الحربية للقوات المسلحة ، فهى مشروطة بجملة ملابسات جوهرية اخرى . وقد عرضنا سابقا احدى هذه الملابسات ، نعنى الثورة فى الشؤون العسكرية . اما الآن فيتعين الكشف عن آلية تغير اساليب خوض القتال واهم الاسباب والظروف التى تحدد طابع اساليب الصراع المسلح السائدة فى فترة معينة .

ظروف تطور وتغير اساليب القتال

كان انجلس قد قدم لاول مرة فى نظرية الفن العسكرى صيغته الشهيرة التى تعبر عن اهم قانون يحدد تغير وتطور اساليب القتال : «ان الاسلحة والقوام والتنظيم والتاكتيك والستراتيجية تعتمد فى المقام الاول على درجة الانتاج التى تم بلوغها فى اللحظة المعينة وعلى وسائل المواصلات . فليس «الابداع الحر لذهن» القادة العسكريين العباقرة هو الذى فعل فعله هنا على نحو ثوروى ، بل اختراع سلاح افضل وتغير مادة الجندية ؛ فان تاثير القادة العسكريين العباقرة ينحصر ، فى افضل الاحوال ، فى انهم يكيفون اسلوب خوض المعركة لنوعية السلاح الجديد والمحاربين الجدد» * .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ١٧١ .

تعبر صيغة انجلس هذه عن اعتماد اساليب القتال على الظروف التى تحدد مباشرة القتال المسلح بالذات . فاساليب القتال ، حسب رأى انجلس ، مشروطة ، اولا ، بالسلاح المتوفر لدى القوات ، وثانيا ، بطابع وخصائص الجماهير البشرية المنجرة الى الحرب . والى جانب ذلك اشار انجلس الى ان الخصائص النوعية للجنود وخصائصهم القومية وبعض الخصائص الاجتماعية-السكانية تؤثر كذلك على تغير اساليب خوض العمليات الحربية * .

وعن طريق هذين العاملين الهامين جدا — السلاح والناس — تحدد القوى المنتجة وعلاقات الانتاج اساليب القتال . وليست هناك تبعية واعتماد مباشر لاساليب القتال على طابع القوى المنتجة وعلاقات الانتاج .

ولذلك تتسم بأهمية ملحة مسألة امكان ملاءمة عدة اساليب فى خوض القتال لاسلوب انتاجى واحد بعينه . وهذا الامر مهم ليس فقط بالنسبة للفهم الافضل لسير تطور الفن العسكرى فى الماضى ، بل ولحل مسألة آفاق تطور الفن العسكرى فى الحال الحاضر ، فى عصر السلاح النووى الصاروخى .

وبالفعل ، فان السؤال يطرح على النحو التالى : هل الدولة البرجوازية قادرة على وضع اسلوب جديد كليا لخوض القتال يناسب السلاح الجديد ، ام انها ستضطر الى استخدام نفس اساليب القتال التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية ؟ ويطرح هذا السؤال على الدولة الاشتراكية ايضا .

فما هى المهمة التى تواجهها ؟ هل هى تطوير واستكمال اساليب القتال القديمة التى استخدمت فى الحرب الوطنية العظمى ، ام هى وضع اساليب جديدة تستجيب كليا للظروف المتغيرة ؟

---

* راجع المصدر ذاته ، ص ١٧٤ .

يبين تاريخ الحروب ان تغيرات عديدة فى اساليب القتال جرت فى اطار اسلوب انتاجى واحد ، كالاسلوب الراسمالى مثلا ، حيث اضمحلت بعض اساليب القتال وتحول بعضها الآخر وتكون البعض الثالث مجددا . وهذا امر طبيعى ، لان اساليب الانتاج تشمل عصورا تاريخية كاملة ، بينما تتغير بسرعة نسبيا اساليب القتال المرتبطة باساليب الانتاج عن طريق عدة حلقات وسطية . فاساليب القتال التى استخدمت ابان الحرب الفرنسية- البروسية كانت تختلف اختلافا جوهريا عن اساليب خوض الحروب النابوليونية .

وتضم اساليب القتال المسلح اساليب خوض المعارك (النطاق التاكتيكى) والعمليات (النطاق السوقى العملياتى) واساليب خوض الحملات والقتال فى الحرب بأسرها (النطاق الستراتيجى) . واكثر الاساليب تغيرا واسرعها هى عادة اساليب خوض المعارك ، وعلى اثرها اساليب اجراء العمليات . فهى يمكن ان تتغير مرارا ليس فقط على امتداد تاريخ اسلوب انتاج ما ، بل وحتى فى غضون حرب كبيرة واحدة .

ففى الحرب العالمية الثانية استخدمت دول مختلفة اساليب متباينة لخوض القتال : استخدمت المانيا الفاشية اساليب القتال المناسبة لستراتيجية «الحرب الخاطفة» ، واستخدمت بريطانيا والولايات المتحدة الاساليب الملائمة لستراتيجية المماطلة فى الحرب ، فى حين كان قائما فى هذه البلدان جميعا ، كما هو معروف ، اسلوب للانتاج بذاته ، هو اسلوب الانتاج الرأسمالى .

تأثير الثورات الاجتماعية على اساليب القتال

ان الثورات الاجتماعية تولد اعمق التغيرات فى اساليب القتال واشكاله . ويعزى ذلك الى ان الثورات الاجتماعية تغير بصورة جذرية اهداف الحرب وقوام الجيش ومعنوياته ، وتولد

بذلك تغيرات عميقة فى الشؤون العسكرية وفى مجمل النظـــام العسكـــرى . فهذه الثورات امـــا ان تولد اساليب جديـــدة لخوض القتال ، وامـــا ان تترك اثرا جـــوهريا على الاساليب القديمة .

فقد اشرنا اعلاه الى التغير الجذرى الذى حدث فى الشؤون العسكرية والفن العسكرى بنتيجة الثورة الفرنسية البرجوازية فى اواخر القرن الثامن عشر . وكتب لينين يقول : «وكما ابدى الشعب الفرنسى الثائر داخل البلاد لاول مرة آنذاك اقصى حد من الطاقة الثورية التى لم تر القرون لها مثيلا ، ابدى هذا الشعب فى حرب اواخر القرن الثامن عشر نفس هذا الابداع الثورى الهائل ، حيث اعاد بناء مجمل نظام الستراتيجية ونسف جميع القوانين والعادات القديمة للحرب وشكّل ، بدلا من القوات القديمـــة ، قوات شعبية ثورية جديدة ونمطا جديدا لخوض الحرب» * . الا ان التاريخ يعرف حالات خاضت فيها الجيوش التى ولدتها الثورة القتال ضد جيوش الثورة المعاكسة وذلك باستخـــدام الاساليب القديمة لخوض العمليات الحربية .

وكتب انجلس فى مقالته «امكانيات وآفاق حـــرب الحلف المقدس ضد فرنسا فى ١٨٥٢» ان الثورة البروليتارية ستضـــع طريقة عسكرية خاصة واسلوبا جديدا لخوض الحرب . ودعـــا لينين فى المؤتمر الثامن للحزب ليس فقط الى امتلاك ناصيـــة الآليات الحربية العصرية ، بل وكذلك الاسلوب العصرى لخوض الحرب .

ولكنـــه ينبغى التاكيد بان **الجيش الثورى حتى اذا كان يستخدم الاساليب القائمة لخوض القتال فانه يستخدمها بشكل**

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٧٩ـ٨٠ .

مغاير وبفعالية اكبر ، وذلك لانه يقاتل فى سبيل اهداف عادلة ويتحلى بمعنويات اعلى بما لا يقاس .

ولدى دراسة اساليب خوض القتال التى تستخدمها جيوش الدول الاشتراكية ينبغى ان تدرس بصورة ملموسة ـ على اساس الوقائع التاريخية وليس التأملات النظرية ـ اية جوانب من اساليب خوض العمليات الحربية التى تستخدمها جيوش البلدان الاشتراكية تعتبر جديدة كليا بالمقارنة مع الفن العسكرى للدول الامبريالية واية منها تعتبر عامة مشتركة ، ولكن الجيوش الاشتراكية تجرى تغييرات فيها وتستخدمها بفاعلية أكبر ؟

وفى سياق الحرب العالمية الثانية كانت اساليب عديـــدة لخوض العمليات الحربية على النطاقين التاكتيكى والسوقى مشتركة بصورة رئيسية للجيش السوفييتى وجيشى بريطانيا والولايـــات المتحدة الاميركية ، بل وحتى لجيش المانيا الفاشية . فان اساليب اختراق خط الدفاع ودس قطعات الدبابات والقطعات المتحركـــة بالسيارات من خلال الثغرة فى خط الدفاع وتوسيع نطاق النجاح المحرز كانت بخطوطها العريضة واحدة بالنسبة لجميع هـــذه الجيوش ، وكان السبب فى ذلك هو تسليحها المتشابه كليا تقريبا . الا ان العمليات الحربية للجيش السوفييتى حتى عندما استخـــدم اساليب القتال المماثلة لاساليب جيوش الدول الامبريالية كانت تتميز ببعض السمات الجوهرية . وهذه السمـــــات فى العمليات الحربية للجيش السوفييتى وفى اعداده الحربى تعبر عن طابعـــه الاشتراكى .

فما هى هذه السمات المميزة ؟ لقد حددها لينين بكل دقة ووضوح فى الصيغة التالية : «ان الماركسية تتميز عن سائـــر النظريات الاشتراكية بالجمع الرائع بين الواقعية العلمية التامة فى تحليل واقع الامور الموضوعى وسير التطـــور الموضوعى وبين

الاعتراف الاكثر حزما باهمية الطاقة الثورية والابداع الثــورى والمبادرة الثورية لدى الجماهير ــ وبالطبع لدى بعض الافــراد والجماعات والمنظمات والاحزاب القادرة على ان تجس وتحقق الارتباط مع هذه الطبقات او تلك» * .

واذا ترجمنا موضوعة لينين هذه الى اللغة العسكرية فيمكن تحديـــد أصالة الفن العسكرى السوفييتى الرئيسية (اصالـــة الستراتيجية والفن السوقى والتاكتيك) . وتتجلى هذه الاصالة فى **الجمع العضوى بين الروح الهجومية العالية وبين التقييم الشامل للوضع وتناسب القوى وكذلك تأمين الوسائل اللازمة للعمليـــات الحربية للقوات على اكمل وجه . ان مبدأ تسديد الضربة القاضية الى العدو لا يستبعد ، بل يتطلب ضرورة المخاطرة بـــلا وجل ، وحتى المخاطرة الكبرى عندما تقتضى الظروف ذلك .**

ان الفن العسكرى السوفييتى ينطلق من ان مطابقة اهداف وخطط العمليـــات الحربية للامكانيات الموضوعية ، وتكويـــن الاحتياطيات ومناورتها بمهارة ، وكذلك التموين المادى-التكنيكى الجيد التنظيم للمعارك والعمليات ــ ذلك وحده ما يشكل الاساس الفعلى للعمليات الهجومية الحازمة ولاحراز النصر التام على العدو .

ان خاصية الفن العسكرى السوفييتى هذه تستجيب كليـــا لمجمل نظرة الحزب الشيوعى المادية-الديالكتيكية الى العالم . وهى مشروطة بعظمة الاهداف التى تواجه الشعب السوفييتى فى الحروب ضد المعتدين ، وبمعنوياته التى لا تقهر وايمانه الذى لا يتزعزع بالنصر ، وبمزايا النظام الاشتراكى فى تعبئة جميع الموارد المادية لتطمين حاجات الحرب . ويطرح الحزب الشيوعى دوما ويطبق كليا الخطط الواسعة والجسورة للغاية والمستندة على التحليل العلمى الصارم للظروف التاريخية الملموسة للتطور الاجتماعى فى كل عصر .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٦ ، ص ٢٣ .

وتجدر الاشارة الى انه ليس نادرا ان يظهر اسلوبان مختلفان فى سياسة الاحزاب والحكومات البرجوازية ، وبالتالى فى قيادتها للقتال المسلح : وهما السعى المغامر الى بلوغ اهداف تفوق كثيرا الامكانيات الفعلية ، ولذلك فهى مستحيلة التحقيق ، او التخلى الانتهازى عن الاعمال الحازمة ، واستخدام تاكتيك «الانشغال بصغائر الامور» والمماطلة والتماهل . وتجلى هذان الاسلوبان المختلفان بكل وضوح فى سياسة وستراتيجية المانيا الفاشية والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا ابان الحرب العالمية الثانية .

التغيرات والتحولات فى اساليب القتال بنتيجة تقدم التكنيك الحربى

يلعب التكنيك الحربى وخصوصا الاسلحة ، دورا خاصا فى التغيرات والتحولات الكبرى الجارية فى اساليب القتال .

ان اختراع السلاح الجديد او اجراء تحسين جوهرى على السلاح القديم يؤديان ليس فقط الى التغير التدريجى للفن العسكرى ، بل هما قادران ـ فى ظروف معينة ـ على خلق تحول عميق فى التاكتيك ، وحتى فى الستراتيجية ، وايجاد اساليب جديدة تماما لخوض القتال .

فما هى هذه الظروف ؟ وكيف يستدعى التكنيك الحربى والسلاح اجراء تحولات جذرية فى اساليب القتال ؟

ان ظهور التكنيك الحربى الجديد وحده لا يكفى لتسبب تغيرات فى اساليب القتال . ولا يمكن ان يخلق الثورة فى الفن العسكرى الا صنع السلاح الجديد بالجملة واستخدامه بشكل مكثف فى القتال . ويتجلى بذلك قانون ديالكتيكى معروف ، هو قانون تحول التغير الكمى الى تغير كيفى . وتجدر الاشارة هنا الى ان ما

يستطيع تغيير اساليب القتال تغييرا جذريا ليس هو اى تكديس للسلاح ، بل هو فقط تكديس سلاح معين ومكتمل لدرجة كافية .

ولكى يحقق الاقتصاد الوطنى فى دولة مـــا الانتاج بالجملة للسلاح القادر على دفع الفن العسكرى الى الامـــام ، ينبغى بلوغ مستوى عال من تطور الصناعة وسرعة حركتها . ولكن ذلك وحده غير كاف . فمن الضرورى ان تتسلم الصناعة من الجيش مسبقـــا طلبيات انتاج نماذج السلاح الجديد ، وهذا يتطلب من الزعمـــاء السياسيين والعسكريين ان يدركوا فى الوقت اللازم قيمة السلاح المذكور وفاعلية استخدامه فى الحرب .

ان تاريخ الحرب يجسد القانون التالى الواســـع المفعول والملازم لتطور الفن العسكرى ويكشف عن جهـــاز تغير اساليب القتال :

اولا ، لا يزيح السلاح الجديد السلاح القديـــم فورا ، بل يتعايش معه فى غضون فترة معينة ؛

ثانيا ، يستخدم السلاح الجديد فى بادئ الامر عادة حسب اصول السلاح القديم والتاكتيك المطابق له ؛

ثالثا ، لا يكتسب السلاح الجديد أهمية جوهرية مستقلة الا بعد ان يتحسن ويزداد انتاجه لدرجة كافية ؛ واخيرا ياخذ السلاح القديم بالانصياع على نحو متزايد الى الخصائص التاكتيكية-التكنيكية للسلاح الجديد واساليب القتال الجديدة المناسبة له .

ان تاريخ الفن العسكرى ، وخصوصا فى القرن العشرين حيث يتطور التكنيك الحربى بسرعة فائقة ، يدل على أن السلاح الجديد الذى يظهر فى سياق حرب ما لا يستخدم لدرجة كاملة ابان هذه الحرب . فهو لا يستخدم على وجه التمام والكمال ولا يغير اساليب خوض القتال الا فى الحرب التالية . ويعزى ذلك الى ان الحرب تستغرق عادة وقتا اقصر مما يتطلبه تحقيق انتاج السلاح الجديد

بالجملة واستخدام الخصائص التاكتيكية-التكنيكيـة لهذا السلاح أستخداما تاما فى عمليات القتال ، وتعديل التاكتيك والستراتيجية ، وكذلك تنظيم القوات طبقا للسلاح الجديد . وهكذا كان الحـال فيمـا يتعلق بالرشاش الذى لم يؤثر تأثيرا هائلا على طابع الفن العسكرى الا خلال الحرب العالمية الاولى .

ولقد استخدمت الدبابات والطائرات فى الحرب العالميـة الاولى ، ولكنها لم تجر تحولا تاما فى اساليب خوض القتال الا خلال الحرب العالمية الثانيـة . واستخدمت ابان هذه الحرب نمـاذج جديدة من الآليات الحربية مثل الطائرات النفاثة والطائرات-القذائف غير المقادة وكذلك القنابل الذرية . الا ان هذه الآليات الجديدة لم تجر تغيرات جوهرية فى اساليب القتال (ما عدا الآليات الرادارية).

ان تسليح الجيش والاسطول على نطاق واسع فى الظروف الراهنة بالسلاح الجديد والآليات الحربية الجديدة نوعيا قد ولد تغيرات جذرية فى اشكال واساليب خوض الحرب . ومن الامور المنطقية الافتراض بان الآليات الحربيـة والاسلحـة الجديدة ستستدعى بالضرورة فى المستقبل ايضا اشكالا واساليب جديدة ملائمة لها فى خوض العمليات الحربية .

وعندما نتكلم عن جهاز تغير اساليب القتال واشكاله لا يسعنا الا ان نشير الى بعض الملابسات الاخرى . فان اختيـار اسلوب خوض العمليات الحربية وشكل القتال يعتمد لدرجة جوهرية على تناسب قوى الاطراف المتحاربة الذى يتكون قبيل العمليات الحربية وخلالها . وتبين الخبرة ان التفوق الكبير فى القوى على العدو يساعد على اختيار وتطبيق اساليب معينة ، هجومية عادة ، بينما يجرى لدى نقص القوى اختيار اساليب اخرى ، دفاعية عادة . ويستدعى تغير تناسب القوى فى سياق القتال تغير اساليب خوض العمليات الحربية واشكال خوض القتال نفسها . وتعتمد اساليب استخدام

القوات والسلاح فى سيـــاق العمليات الحربية كذلك على **البيئـــة الجغرافية** فى مسارح العمليات الحربية . فالبيئة الجغرافية (الطقس والتضاريس والمناخ وحالـــــة البحر والاحوال الجويـــــــة وحالة الفضاء الكونى وفصول السنة واوقات الليل والنهار وهلمجرا) الملموسة دومـــا تؤثر على طابع العمليات السوقية-التاكتيكيـــة والستراتيجية للقوات .

لقد تهيـــأت فى المستوى الراهن من تطور السلاح والآليات الحربية ظروف تتحول فيها البيئة الجغرافية بحالاتها المعينة الى اسلوب لخوض العمليات الحربيـــة بنشاط . فان السلاح النووى والانواع الاخرى لسلاح الاصابة الجماعية قادرة على تكوين تلويث اشعاعى وكيميـــاوى وجرثومى لمساحات كبيرة من البر والبحر والجو ؛ وباستخدام السلاح النووى الصاروخى اصبح بالامكان تغيير سير العمليات الحربية وظروف مرور الموجات الكهرمغناطيسية فى الجو والايونوسفير والفضاء الكونى ، مما يؤثر على وسائل الاتصال وعلى ادارة العمليات الحربية .

دور النظرية العسكرية فى وضع اشكال واساليب خوض العمليات الحربية

ان وضع الاساليب الجديدة لخوض القتال او تغيير الاساليب القديمة تغييرا جوهريا لا يجريان بصورة عفوية . وفى ذلك تكمن واحدة من السمآت المميزة للمرحلـــة الراهنـة من تطور الشؤون العسكرية . ففى الحروب الحديثة لا يمكن التكيف العفوى لاساليب خوض العمليات الحربية طبقـــا للتكنيك المعقد والمتنوع الاشكال الا فى ميدان تاكتيك الوحدات الفرعية الدنيا ، وحتى ذلك لا يجرى الا فى حالات نادرة . **ولا يمكن حل مهمـــة وضع اساليب جديدة**

للقتال الا من قبل الفكر العلمى النظرى-العسكرى المستند الى الخبرة العملية الشاملة للقوات والمعمم لهذه الخبرة . ويخص هذا الامر اساليب الاستخدام القتالى لمجمل الآليات الحربية وكافة الانواع الحديثة للقوات المسلحة وجميع اصناف القوات .

ان دور النظرية العسكرية عظيم بسبب العلاقة الفريدة بينها وبين التطبيق العسكرى الذى هو مصدر تطورها ومعيار صوابها . ولا يمكن التثبت حقـا من النظريات التى تطرح وتصاغ فى العلـم العسكرى الا فى سياق حرب كبيرة مع عدو شديد البأس . الا ان هذه الحروب نادرة الحدوث ، بينما يتطور التكنيك الحربى فى الفترات بينها على نحو سريع جدا . ولذلك يتسم تطبيق التدريبات والتمارين فى زمن السلم بأهمية كبيرة بالنسبة لتطوير النظرية العسكرية .

ان استخدام التكنيك الجديد فى الحروب الصغيرة يكوّن فكرة وحيدة الجانب وغير كافية ، بل ومشوهة احيانا ، عن اهمية هذا التكنيك فى الحرب الكبيرة المحتملة . ومع ذلك تشكل الاستهانة بخبرة الحروب الصغيرة خطرا على الشؤون العسكرية . وبديهى ان العلم العسكرى يراعى هذه الخبرة ويهضمها ويستفيد منها فى مجال الحرب الكبيرة . ولذلك فان التكهن بطابع الحرب الجديدة ، ذلك التكهن المستند الى المعرفـة النظرية لاتجاهـات تغير الظروف الاجتماعية والتكنيك الحربى يشكل صعوبات خاصة ، ويتميز فى الوقت ذاته بأهمية حيوية كبيرة .

وفى غضون فترة طويلـة من تاريخ المجتمع البشرى كانت النظرية العسكرية مقتصرة على تعميم الخبرة القتالية الماضية . ولم يكن تطلعها الضعيف الى المستقبل ينعكس بوضوح كاف على وظيفتها الاجتماعية ووظيفتها العسكرية الصرف ، وذلك لان تطور الشؤون العسكرية جرى ببطء . وكانت القاعدة التكنيكية والظروف المادية الاخرى للقتال تتغير بالتدريج ، مما جعل خبرة الحروب الماضية

المعممة صالحة للاستخدام في غضون فترة طويلة .

واذا كانت الاخطاء الكبيرة للفكر العسكرى فى تقييم الحروب المحتملة تصحح فى الماضى خلال هذه الحروب عادة ، فان الحال قد تبدل تماما فى الآونة الراهنة . فان الوقت ابان الحرب السريعة الحركة والتدميرية على نحو لم يسبقه مثيل يمكن ان لا يتسع لتصحيح الاخطاء المقترفة قبل الحرب . ولذلك يضع العلم العسكرى فى زمن السلم اكثر الاساليب فعالية لاستخدام السلاح الفائق القوة والفائق المدى ، وكذلك وسائل القتال العادية .

ان العلم العسكرى اذ يدرس ويعمم خبرة خوض الحروب المحلية والاتجاهات الاساسية فى تطور الآليات الحربية والسلاح ، واذ يراعى التطورات الاجتماعية-السياسية الجوهرية ،يخمن طابع العمليات الحربية فى حرب المستقبل وخصائص اشكال واساليب القتال بدون استخدام السلاح النووى الصاروخى وباستخدامه على حد سواء . ولذلك فان مستوى علمية تغيرات اشكال واساليب خوض العمليات الحربية والحرب عموما هو دليل هام على مستوى القدرة العسكرية للدولة (الائتلاف) .

* * *

وهكذا ، فان تحليل القدرة العسكرية للدول واسسها المادية والروحية ، وكذلك الطاقة العسكرية الكامنة ، يبين الوحدة الديالكتيكية لجميع العناصر المكونة لهذه القدرة وهذه الطاقة ، ويملى ضرورة مراعاة هذه العناصر من كافة الوجوه واستخدامها فى حماية الوطن الاشتراكى من العدوان الامبريالى .

*

الفصل الثامن

التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والقضايا المنهجية للنظرية العسكرية السوفييتية

ان المستـــوى العالى للقدرة الدفاعية والقدرة الحربيـــة والاستعداد الحربى للقوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى هـــو نتيجة لمعرفة قوانين التطور الاجتماعى والشؤون العسكريـــة وتطبيقها بمهارة . وما يؤمن هذا المستوى هو الاستخدام الخلاق للماركسية-اللينينية والعلوم الطبيعية والعلم العسكرى .

ان الحاجات الجذرية للدفاع عن الوطن الاشتراكى وتطويـــر الشؤون العسكرية والحفاظ على الاستعداد الحربى العالى الدائـــم للجيش والاسطول تملى ضرورة رفع المستوى العلمى لقيادة تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد وتدريب افراد القوات المسلحة وتربيتهم . ويعتمد هذا المستوى على عمق ادراك القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى بوجه عام والشؤون العسكرية بوجه خاص ، وعلى قابلية وضع اشكال اكثر حكمة للاستفادة من هذه القوانين .

ان الشرط اللازم لتنفيذ هذه المهمة هو تطبيق الفلسفـــة الماركسية-اللينينية على نظرية وممارسة الشؤون العسكرية وحـــل قضايا العلم العسكرى على اساس منهج المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية .

١ ـ المادية الديالكتيكية هى المنهج الشامل للمعرفة والعمل الثورى . تطبيق المادية الديالكتيكية فى النظرية العسكرية السوفييتية

تعتبر المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية واحدا من الاقسام الثلاثة المكونة للماركسية ، واساسا فلسفيا لها . وتمتزج فى هذا الاساس بوحدة متكاملة المادية الفلسفية والديالكتيك المادى (المادية الديالكتيكية) وكذلك المادية التاريخية . ولهذا المذهب الفلسفى الموحد حدود وجوانب ووجوه معينة . فالمادية الديالكتيكية هى علم يتناول مسألة العلاقة بين التفكير والوجود والمادة ، كما يتناول القوانين العامة لتطور الطبيعة والمجتمع البشرى والتفكير . وهى بالتالى تعتبر مذهبا فلسفيا وتؤدى وظيفة نظرية المعرفة ، كما تعتبر منهجا شاملا للمعرفة والنشاط العملى . ولذلك تتسم الفلسفة الماركسية ـ اللينينية بأهمية هائلة فى تعليل سياسة الحزب الشيوعى السوفييتى والاحزاب الماركسية ـ اللينينية الاخرى . وهى الاساس الفلسفى والمنهجى لتطور العلوم ، بما فيها العلم العسكرى .

موقف الفلسفة الماركسية من العلم والتطبيق

ان **القدرة على التطور الابداعى والاكتمال اللانهائيين** هى اهم خاصية تميز الفلسفة الماركسية ـ اللينينية عن جميع النظم الفلسفية السابقة والحالية . وكما ان التطبيق البشرى متنوع بلا نهاية ، كذلك هى امكانيات تطور النظرية الماركسية ـ اللينينية واساسها الفلسفى . فالفلسفة الماركسية ـ اللينينية تتطور بالارتباط الوثيق مع التطبيق ، فى النضال من اجل التحويل الثورى للعالم ، ومن اجل النقاوة الفكرية للنظرية الثورية .

وعندما وضع ماركس اسس النظرة الجديدة الى العالم كتب يقول : «اكتفى الفلاسفة **بتفسير** العالم بمختلف الاشكال ، ولكن الامر يتلخص فى **تغيير** العالم» * . وبذلك طرحت مهمة جديدة كل الجدة ، وهى مهمة ربط الفلسفة بالتطبيق ، ربط الشيوعية العلمية بالنشاط العملى لجماهير الشغيلة ، بنضالها فى سبيل تحقيق النظرية الثورية .

وبانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اكتسب ارتباط النظرية بالتطبيق سمات جديدة نوعيا . فعندما استولت البروليتاريا على السلطة السياسية وظهرت امكانية تطبيق افكار الماركسية عمليا على نطاق الدولة كتب لينين يقول : « . . . **لقد حلت تلك اللحظة التاريخية التى تتحول فيها النظرية الى تطبيق فتنتعش بالممارسة وتتقوم بالممارسة وتتأكد بالممارسة** ...» ** .

وفى المرحلة الراهنة من بناء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى اصبح ارتباط النظرية بالتطبيق اكثر عمقا وتنوعا .

الا ان الارتباط الذى لا ينفصم بين النظرية والتطبيق لا يعنى محو الحدود بينهما . فالنظرية والتطبيق ليسا شيئا واحدا . ولا يخفى على احد ان كثيرا من مسائل تطورنا المختمرة يمكن ان يحل بسهولة وعلى نحو جيد من الناحية النظرية ، الا ان حل هذه المسائل عمليا لا يندر ان يكون صعبا للغاية ، بل ومستحيلا فى بعض الاحيان .

ان وحدة النظرية والتطبيق فى الظروف الراهنة تتلخص فى ان الحزب الشيوعى السوفييتى والشعب ككل يجمعان فى نشاطهما بين العمل النظرى والتطبيقى ، وان المبادىء النظرية ترتبط بالتطبيق مباشرة وتنطلق من التطبيق المعمم وتطبق بالفعل . وان الفاصل بين

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣ ، ص ٤ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٢٠٢ .

الحلول النظرية والعملية للقضايا المختمرة يتقلص كثيرا لانه لم تعد هناك قوى اجتماعية متناحرة . الا ان هذا الفاصل لا يمكن ان يتلاشى نهائيا .

ان الماركسية-اللينينية تقدم تحليلا نظريا للمهمات الملموسة الراهنة ، كما للاهداف النهائية لنضال الشغيلة . وتتجلى هذه الوحدة فى سياسة الحزب .

ان استخدام الفلسفة الماركسية-اللينينية لحل هذه المهام او تلك ليس امرا بسيطا . فالخبرة التاريخية تبين ان دراسة هذه او تلك من احكام الفلسفة الماركسية-اللينينية وصيغها ومبادئها أسهل من استخدامها الخلاق فى حل المهمات النظرية والعملية فى كل ميدان من ميادين المعرفة والنشاط البشرى .

فان معرفة هذه الاحكام والصيغ او تلك من احكام وصيغ الفلسفة الماركسية-اللينينية شىء ، اما تطبيقها فى العلم والعمل فشىء آخر . ولا يجوز استخدام الفلسفة الماركسية-اللينينية فى الحياة والعلم والتطبيق بدون مهارة . علما بان هذه المهارة تتطلب **الحزبية** الثابتة الصارمة والتمسك بوجهة النظر الطبقية .

ويرتبط بالفلسفة الماركسية-اللينينية ارتباطا عضويا وضع المذهب العسكرى السوفييتى الذى عمم خبرة عصرنا العسكرية ، كما يرتبط بها نشوء وتطور العلم العسكرى السوفييتى .

استخدام الفلسفة فى العلم العسكرى .
القضايا الفلسفية للعلم العسكرى

ليس من الصواب ان نطالب الفلسفة بحل المسائل التى ينبغى على العلم العسكرى ان يحلها . ومن الخطأ كذلك محاولة حل المسائل الفلسفية الصرف الخاصة بالعلم العسكرى بدون مساهمة الفلسفة . ويتجلى ذلك باوضح شكل ، كما بينا اعلاه ، فى دراسة مسألة جوهر ومضمون الحرب عموما ، والحرب النووية

خصوصا . وبالرغم من اقرار بعض الباحثين بالتعريف المادى۔ الديالكتيكى لجوهر الحرب باعتبارها استمرارا للسياسة بوسائل العنف ، فانهم يحصرون الحرب فى مسألة القتال وحده ويتجاهلون مضمونها السياسى ويستصغرون شأن اشكال النضال الاخرى ابان الحرب . وفى سورة الجدل يشرع البعض بالزعم ان الموضوعة اللينينية عن الحرب باعتبارها استمرارا للسياسة بوسائل العنف قد شاخت . بينما يعالج البعض الآخر ، على العكس ، هذه المسألة معالجة جامدة ولا يريدون رؤية التغيرات الممكنة الحدوث فى جوهر الحرب النووية الصاروخية وفى مضمونها .

ان مثل هذه النظرة تدل على الاسلوب الوحيد الجانب فى حل المسائل الفلسفية المتعلقة بالحرب الحديثة والتى تتسم بأهمية هائلة بالنسبة للعلم العسكرى السوفييتى . ان اسباب هذه النظرة الوحيدة الجانب ليست جديدة . فجذورها متغلغلة فى تاريخ تطور الفلسفة وبعض العلوم الخاصة .

ولا تكتفى الفلسفة الماركسية۔اللينينية بتبيان الطابع العام للترابط بين الفلسفة والعلوم الخاصة ، بل تحدد ما فى هذه العلوم من جوانب ذات مضمون فلسفى ، وما ينبغى ان يكون عليه الموقف ازاء العلم من وجهة نظر الفلسفة .

ففى العلم العسكرى السوفييتى تتسم بأهمية فلسفية القضايا التى تحمل طابعا منهجيا وتربطها صلة بالنظرة الى العالم . ويعنى الاسلوب الفلسفى فى معالجة المسائل العلمية تبيان الصلة التى لا تنفصم والتى تربط بعض ظواهر وعمليات الشؤون العسكرية بالحياة الاجتماعية وبالعمليات الديالكتيكية العامة لعالم موحد ومتنوع بما لا نهاية له . ويتجلى هذا الاسلوب فى تحليل جوانب للشؤون العسكرية تتسم بأهمية عامة فى المعرفة العلمية . ومن القضايا الفلسفية ، مثلا ، مسألة المظهر الخاص لاكثر قوانين تطور

الطبيعة والمجتمع والتفكير تعميمـــــا وشمولا ، وكذلك الصيغ والمقولات الفلسفية فى الشؤون العسكرية . وتتصل بهذه القضية الفلسفية قضايا سنن الحرب واساليب خوضها والتناسب بين ما هو ذاتى وموضوعى فى القتال والترابط بين النظرية العسكريـــة والتطبيق . وتتسم بأهمية فلسفيـــة من حيث النظرة الى العالم المسائل الخاصة بالاسس والاسباب الموضوعيـــة لتغير اساليب واشكال القتال والحرب عموما ، وتغير التناسب بين الانســـان والتكنيك فى الشؤون العسكرية والترابط بين الجماعة العسكريـــة والفرد وهلمجرا . وينطوى على مضمون فلسفى مجمل القضايـــا المتعلقة بالبحث عن الحقيقة الموضوعية فى العلم العسكرى .

ان العلم العسكرى السوفييتى ، الذى يلتزم بالموقف الواعى ازاء القضايا الفلسفية الخاصة به ويراعى الشروط الضروريـــة لتطبيق الفلسفة الماركسية-اللينينية فى الشؤون العسكريـــة ، يمارس حل جميع مهماته النظرية والعملية وهو قادر على حلهـــا بنجاح .

فما هى هذه الشروط ؟

ان الشرط اللازم لتطبيق الفلسفة الماركسية-اللينينية على نحو خلاق فى الشؤون العسكرية هو هضم هذه الفلسفة ومعرفـــة جوهرها ومراعاة جميع متطلباتها ومبادئها .

ان الفلسفة الماركسية-اللينينية هى المرشد فى المعرفـــة والعمل ، وهى روح لكل علم .

والى جانب معرفة ما تستطيع الفلسفة العلمية ان تقدمه وما تقدمه فعلا الى العلم العسكرى ، تعتبر المعرفة العميقة للعلم العسكرى نفسه ولقوانينه ومبادئه شرطا الزاميا آخر .

ولدى تحليل اهم قضايا الشؤون العسكرية تستخدم الفلسفة الماركسية-اللينينية بكامل حجمها وبجميع جوانبها . فلا يجوز

اقتطاع هذه الصيـــــغ والاحكام والقوانين والمقولات او تلــك بصورة عشوائية وبدون الارتباط بالاحكام والصيـــغ والمقولات الاخرى .

ان المفاهيم العلمية يجب ان تكون صقيلـــة ، مرنـــة ، متحركة ، معللة ، مترابطة ، موحدة الاضداد بحيث تشمل العالم بأسره . ولن تصبح المفاهيم قادرة على تجسيد الحياة الفوارة الا اذا كانت غير جامدة لا تعرف الركود ابدا ، بل ويتحول بعضها الى البعض الآخر . ان المرونة المستخدمة ذاتيا تضاهى النزعـــة الانتقائية والسفسطة ، اما المرونة المستخدمة موضوعيا ، اى التى تعكس جوانب التطور المادى ووحدته ، فهى الديالكتيك ، وهى التجسيد الصائب لتطور العالم الابدى . ولقد اتسم هذا المطلب الماركسى باهمية كبيرة دائما وابدا . وقد ادى عدم مراعاة هذا المطلب الى عواقب وخيمة دوما .

اما الآن حيث قامت الثورة فى الشؤون العسكرية ولا تزال تتطور ، وحيث تغيرت اساليب القتال تغيرا جذريا يتعين على الكوادر العسكرية خصوصــا ان تتحلى بتفكير يستخدم المفاهيم المرنة الحية . والى جانب الحركة والمرونة يجب ان تتميز المفاهيم بالثبات . الا ان ثبات المفاهيم ينبغى ان لا يتجاوز ثبات المواد والظواهر والعمليات المتجسدة فى هذه المفاهيم . فان جملـــة من مفاهيم العلم العسكرى ، مثلا ، اخذت الآن تمتلئ بمضمون جديد ، وهذا امر يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار . ومن بين هذه المفاهيم التفاعل والمعركة الصدامية والمناورة والخ .. والى جانب ذلك ظهرت مفاهيم جديدة كليا مثل الضربة النووية الصاروخية والترس النووى الصاروخى وهلمجرا .

ويتطلب الاسلوب المادى الديالكتيكى فى معرفة الحرب وبعض عملياتها مراعاة مبدأ وحدة المعرفة التجريبية والتفكير المنطقى .

وهما مستويان مختلفان للمعرفة ـ مستوى ادنى ومستوى اعلى . ويتيح لنا الاول معرفة الظواهر ، بينما يتيح الثانى معرفة الجواهر والقوانين التى تدير ظواهر العالم الموضـــوعى . وان مراعاة هذا المبدأ تعود الكوادر العسكرية على استخدام مختلف مناهج دراسة المادة التجريبية ومعالجتها النظرية وكذلك اساليب التثبت من صواب احكام النظرية العسكرية . وهى تتطلب كذلك التفهم الصحيح للعلاقة بين الموضوعى والذاتى . ان النظرية العسكرية السوفييتية المستندة الى المفهوم المادى لموضوعية قوانين الحرب لا تعتبر هذه القوانين اصناما تعبد ، بل تعلم الكوادر العسكرية استخدامها استخداما نشيطا لصالح الانتصار على العدو . وعلى اساس هذه الموضوعة تتوفر لدى النظرية العسكرية السوفييتية امكانيـــة التطور الابداعى والاكتمال مع مراعاة الظروف المتغيرة .

منهج المعرفة الشامل واستخدامه فى الشؤون العسكرية

ان مفهوم المنهج متعدد المعانى للغاية . فالمنهج بالمعنى العام هو الطريق الى بلوغ هدف ما ، واسلوب او جملة اساليب لحل مهمة معينة ما . ولقد تغير عدد وطابع المناهج العلميـــة تاريخيا حسب تطور المعارف البشرية والتطبيق الاجتماعى .

وتعود للمادية الديالكتيكية كمنهج شامل للمعرفة مكانـــة خاصة بين المناهج المتنوعة . فهذا المنهج شامل لانه امتزج فيه بوحدة متكاملة منهجا المعرفة والفعل الثورى ، باعتبارهما تعبيرا عن وحدة النظرية والتطبيق ، وعن الموضوعية والحزبية . وهو يستخدم فى جميع العلوم ويشكل اساسا وهدى لجميع المناهج العلمية العامة والخاصة ، وهو يتحدد ويطبق عن طريق هذه المناهج جميعا .

ان منهج المعرفة الديالكتيكى هو طريق بلوغ الحقيقة ، واسلوب حركة الفكر الذى يستجيب لاكثر قوانين تطور العـــالم المادى شمولا ولطبيعة المواد والظواهر والعمليات المدروسة . ويزداد باطراد دور هذا المنهج فى تطوير جميع العلوم ، بما فيها العلم العسكرى السوفييتى . وتكمن اهمية المنهج الشامل للمعرفة والنشاط العملى قبل كل شىء فى حاجات العلم نفسه الذى يتطور بصورة حثيثة فى عملية التمايز والتكامل المزدوجة . ثم ان الاهمية المتزايدة للمنهج العام الشامل مبعثها تعقد التطبيق الاجتماعى فى ظروف العصر بحركيته وتناقضاته المتناهية . ويعزى ذلك ايضا الى السنن الداخلية لتطور الفلسفة نفسها . فبدون الاعتماد على المادية الديالكتيكية يستحيل النضال الموفق ضد الايديولوجية البرجوازية وايديولوجية التحريفية اليمينيـــة و«اليساريـــة» والقومية الضيقة . وبالاضافة الى الاسباب المذكورة اعلاه تعتبر الثورة فى الشؤون العسكرية سببا لتزايد دور المنهج الشامل فى الميدان العسكرى . فالاستبدال السريع لبعض مفاهيم ومقولات العلم العسكرى وتغير مضمون البعض الآخر منها ، والطابع الجديد للترابط بين مختلف عناصر العلم العسكرى وضيق التطبيق العسكرى كمصدر لتطوير العلم العسكرى وكمعيار لصواب احكامه ــ كل ذلك يطرح على العلم العسكرى مسائل ليس بمستطاعه حلها بدون منهج فلسفى شامل .

ان الهدف المباشر للعلم هو **الحقيقة** ، وهدفـــه النهائى هو **التطبيق** . وان كل حقيقة علمية فعلا هى حقيقة بسيطة للغاية ، ولكن الطريق اليها معقد . اما المادية الديالكتيكية فتساعد على بلوغ الحقيقـــة باقصر طريق ، وتســـاعد فى تحاشى الكثير من التعرجات والانحرافات عن الحقيقة الموضوعية . ان الماديـــة

الديالكتيكيـــة تقدم مثيلا للواقع . وما ذلك الا **التطبيق الواعى لاكثر قوانين تطور الاشياء والظواهر والعمليات شمولا على المعرفة.**

ان متطلبات منهج المعرفة الديالكتيكى هى تعبير عن القوانين والمبادئ الاساسية للفلسفة الماركسية-اللينينيـــة مطبقـــة على المعرفة العلمية للعالم المادى . وفى هذا المجال تضطلع القوانين والمبادئ الفلسفية تارة بدور ممهدات التفكير وتارة بدور اصوله وقواعده الالزامية . فلنتناول ما هو اساسى من بين هذه القوانين والمبادئ بالنسبة للشؤون العسكرية .

ان مبدأ **الموضوعية** هو المنطلق الالزامى لكل معرفة علمية ، وهو مشروط بالاقرار بموضوعية الحقيقة . وبالنسبة للشؤون العسكرية يعنى هذا المبدأ ضرورة الجمع العضوى بين المعنويات الهجومية الحازمة الباسلة وبين التقييم الموضوعى الشامل للموقف والتأمين التام لما تحتاج اليه عمليات القوات من وسائل ضرورية . وبذلك يتلخص الاسلوب الحزبى الواقعى المتعارض تماما مـــع النزعة المغامرة التى تلازم سياسة وستراتيجية الدول الامبريالية الحالية . **ان الانعكاس العلمى للواقع وتحليل الاوضاع الموضوعية والتقييم الواعى للموقف ـ ذلك هو اساس العلم العسكرى السوفييتى وتطبيقه.**

ومن المبدأ الجذرى للفلسفة الماركسية-اللينينية بصدد وحدة العالم والارتباط الشامل والتبعية المتبادلة لمواد وظواهر الطبيعة والمجتمع ينبع مطلب **البحث الشامل** ، اى دراسة مجمل الارتباطات والعلاقات بين كل شيء وكل ظاهرة وكل عملية وبين الاشيـــاء والظواهر والعمليات الاخرى . ولكى تمكن معرفة الشيء فعلا ينبغى تناول كافة جوانبه وصلاته وارتباطاته ودراستها . ومع ان ذلك امر لا يمكن تحقيقه على وجه الكمال ابدا ، فان مطلب الشمول يعصمنا من الخطأ . ويتجلى هذا المطلب بصورة ملموســة فى

الاسلوب الماركسي-اللينيني لمعالجة موضوع الحرب التى تدرس على نحو شامل ، من كافة الوجوه ، بالارتباط مع مصادرهـا واسبابها الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية ، وفى وحدة القتال والاشكال الاقتصادى والايديولوجى والدبلوماسى لخوض الحرب . ويتجسد هذا المطلب فى المواثيق والتوجيهات التى تتوخى التقييم الشامل للموقف مع التخطيط للعمليات والمعارك والمناوشات .
ان قوة العلم العسكرى السوفييتى وتفوقـه على العلم العسكرى البرجوازى يكمنان بالذات فى كون الاول يسعى الى البحث الشامل لجميع الاسس والظروف المؤمنة للانتصار على المعتدين مسترشدا بالمنهج الديالكتيكى الماركسي-اللينيني .

وتنبع جملة متطلبات منهجية من **مبدأ التطور** . فالمفهوم المادى الديالكتيكى للتطور والقوانين العامة للحركة هى الاساس المنهجى الشامل المتين لحل القضايا الجذرية فى العلم العسكرى السوفييتى وتطبيقه . وتعتبر هذه القوانين ، مطبقة على عمليـة المعرفة ، من اهم المتطلبات المنهجية .

ان قانون التحول المتبادل للتغيرات الكمية والكيفية يلزمنا بدراسة تطور الشؤون العسكرية فى وحدة التغيرات الكمية والكيفية وفى تحول بعضها الى البعض الآخر . وهو يساعد على فهم طابع الطفرات فى تطور الشؤون العسكريـة ، ذلك الطابع الذى تعتبر الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية اعمق تجسيد له . لقد كشف العلم العسكرى السوفييتى ، على نحو صائب وبالاعتماد على المادية الديالكتيكية ، عن التغيرات الجذرية فى الشؤون العسكريـة ، واستخلص ولا يزال يستخلص منها الاستنتاجات الخاصة ببناء القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى وبتدريب وتربية افرادها . وهو يقدم التعليل النظرى لاساليب واشكال القتال طبقا للتغيرات التى جرت فى الشؤون العسكرية .

ومن قانون وحدة وصراع الاضداد الذى يكشف عن مصدر اى تطور ، ينبع المطلب المنهجى الشامل الذى صاغه لينين على النحو التالى : «ينبغى فهم **انعكاس** الطبيعة فى فكر الانسان ليس بصورة «تجريدية» و«جامدة» ، ليس **بدون حركة ولا تناقضات** ، بل فى **المجرى** الابدى للحركة ولظهور التناقضات وحلها» * .

ان الحروب والشؤون العسكرية تتميز بالتناقضات خصوصا . ولا يمكن فهم المضمون الاجتماعى-السياسى لكل حرب معنية بدون الكشف عن التناقضات التى تنجم عنها هذه الحرب . ويعتبر تناقضا حادا القتال المسلح باعتباره منازلة بين قوتين متعارضتين . ويظهر التناقض دوما بين السلاح والآليات الحربية من جهة وبين وسائل القتال واشكاله واساليبه من جهة اخرى . وانها لمشبعة بالتناقضات ايضا العلاقة بين الدفاع والهجوم ، بين وسائل الهجوم ووسائل الدفاع ، بين النار والحركة وهلمجرا .

وتكمن قوة العلم العسكرى السوفييتى فى كونه يكشف بوعى وفى الوقت المناسب عن التناقضات فى تطور الشؤون العسكرية ويحدد طرق ووسائل تذليلها .

وبالنسبة للعلم العسكرى تتلخص الاهمية المنهجية **لقانون نفى النفى** الذى يكشف عن الاتجاه العام للتطور والعلاقة بين الجديد والقديم خلال التطور والطابع الحلزونى الصاعد لهذا التطور ، فى انه يتطلب موقفا انتقاديا وليس تهلستيا سلبيا من خبرة الماضى ، وموقفا انتقاديا وليس نهلستيا من العلم والتكنيك العسكريين البرجوازيين . وهو يعصمنا من جمود وتحجر الفكر العسكرى ، اذ يعتبر كل درجة من تطور الشؤون العسكرية مرحلة فى الطريق الى درجة جديدة ارقى .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ١٧٧ .

ولدى دراسة ظواهر الشؤون العسكرية ينبغى استخدام كافة مقولات المادية الديالكتيكية . ويتحدد اختيار وطابع استخدامها بطبيعة الظواهر الحربية المدروسة وبمهمات واتجاه البحوث العلمية العسكرية .

ان البحث عن الحقيقة ، ذلك المطلب الالزامى حتما لكل علم حقيقى ، هو المبدأ الاعلى لنظرية المعرفة الماركسية-اللينينية . فالحقيقة الموضوعية التى تتنافى مع ادنى تشويه بسبب اية اعتبارات مهما كانت ــ هى الامر الضرورى كل الضرورة فى جميع ميادين النشاط ، وفى النشاط العسكرى خصوصا . ان المراعاة الموضوعية الدقيقة لتناسب القوى هى شرط حتمى لاى تعليل علمى للسياسة . وينبغى مواجهة الحقيقة مهما كانت مرة . فالسياسة التى لا تلبى هذا المطلب هى سياسة فانية .

تلك هى الشروط والمتطلبات الاكثر تعميما للمادية الديالكتيكية باعتبارها المنهج الشامل للمعرفة العلمية . وهى فى الوقت ذاته مبادئ وقوانين التفكير الديالكتيكى . فهذه المبادئ والقوانين ، لكونها مشروطة بالطبيعة الموضوعية للمواد والظواهر ، تتحول الى مرشد لا غنى عنه فى اى ميدان من ميادين المعرفة العلمية . ان المادية الديالكتيكية كمنهج شامل للمعرفة تمنح العلم العسكرى الماركسى مزايا هائلة بالمقارنة مع العلم العسكرى البرجوازى .

٢ ــ الوظائف المنهجية للتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش

ان التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش التى هى جزء من المادية التاريخية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب العسكرى والعلم العسكرى . وهى حلقة وصل بين المادية الديالكتيكية

والمادية التاريخية وبين النظرية العسكرية السوفييتية . وتضطلع التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش بدور النظرية الفلسفية-العلماجتماعية (السوسيولوجية) للحرب والجيش ، وهى تؤدى وظائف منهجية هامة بالنسبة للمذهب العسكرى والعلم العسكرى السوفييتيين .

اهمية الاحكام الاساسية للتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش

ان الوظائف المنهجية للتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش متعددة الجوانب ، وهى تتجلى فيما يلى :

اولا ، ترتبط التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش ارتباطا مباشرا بالصراع الطبقى على الصعيد الدولى وتعكس التناقضات التناحرية للعصر الحاضر . وهى تبين اتجاه افعال قوى اجتماعية معينة ومطامحها فى اكثر فترات التطور صعوبة وحراجة بالنسبة للشعوب . فالمفاهيم التى تعبر عن افكار واهداف الحرب العادلة تتحول فى ظروف معينة ، وبعد ان تعيها الجماهير الشعبية الواسعة ، الى قوة مادية عسكرية . وقد لعبت فكرة الدفاع عن الوطن الاشتراكى فى الحربين الاهلية والوطنية العظمى دور عامل جبار للانتصار على العدو . وهذا امر لا يمكن ان لا يراعيه العلم العسكرى والزعماء السياسيون والعسكريون اثناء القتال .

ثانيا ، ان اهم مفاهيم التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش التى تعكس جوهر الحرب ومضمونها هى اداة فى النضال الايديولوجى . وهى تساعد فى مكافحة النظرة المثالية الى العالم والموقف الميتافيزيقى من ظواهر الحرب ، وهى وسيلة لفضح

الجوهر والاتجاه الرجعيين للنظريات والمذاهب العسكرية لدى الامبريالية المعاصرة . وتضفى التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش على العلم العسكرى السوفييتى اتجاها فكريا جليا وترفعه الى درجات اعلى من العلم العسكرى للدول البرجوازية . ان المفهوم البرجوازى لحتمية الحرب السرمدية يعيق النظريين العسكريين الغربيين عن التفهم الصائب لقوانين الحرب .

ثالثا ، ان مفاهيم التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش هى الاساس النظرى العام للعلم العسكرى السوفييتى والمذهب العسكرى السوفييتى ولمجمل المعارف فى ميدان الشؤون العسكرية . ويستطيع العلم العسكرى والمذهب العسكرى السوفييتيان ان يحلا بنجاح وهما يحلان مهامهما فعلا بالاعتماد على الفهم الصائب لجوهر الحرب ومصادرها وسننها التى هى مبعث نشوبها ، وكذلك الدوافع السياسية و«الآلية» لشنها وهلمجرا . وتساعد الاحكام الاساسية للتعاليم عن الحرب والجيش فى دراسة مسألة ترابط النظريات العسكرية وفى حل قضايا الفن العسكرى السوفييتى . ولدى التخطيط لهذه العملية او تلك ينبغى الزاما مراعاة ليس فقط النتائج العسكرية لهذه العملية ، بل ونتائجها السياسية والاقتصادية المحتملة . ان النجاح ووتائر الهجوم العالية فى العملية الحربية الحديثة تحددها لدرجة كبيرة القابلية على المراعاة والاستخدام الصائبين للتناقضات السياسية والطبقية والقومية وغيرها فى معسكر العدو . واذا تحقق فى سياق العملية ، مثلا ، دحر المجموعة الرئيسية لقوات العدو ، فيمكن ان يتغير ليس الموقف الستراتيجى فقط ، بل والوضع السياسى على مسرح العمليات الحربية . ويمكن ان يظهر لدى اطراف الحلف

العدوانى تصدع يسهل دون شك عمليات قواتنا ويعجل فى دحر العدو .

ويرتبط ارتباطا مباشرا بالاحكام الماركسية عن الحرب حل المسائل الهامة فى الستراتيجية الحربية ، مثل اختيار اتجاه الضربة الرئيسية واهداف تسديد الضربات النووية الصاروخية الى العدو وهلمجرا . ويتحدد اختيار هذه الاهداف لدرجـــة كبيرة ليس بالاعتبارات العسكرية-التكنيكية بقدر ما بالاعتبارات السياسية .

رابعا ، تتسم مفاهيم التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش بأهمية كبيرة للقوات فى نشاطها العملى الرامى الى التحضير للحرب المحتملة . ان الفكرة العلمية عن الحرب وجوهر الجيش ورسالته ضرورية لاستكمال مبادئ بناء القوات المسلحـــة فى البلدان الاشتراكيـــة وللحفاظ على قدرتها الحربيـــة واستعدادها الحربـــى العاليين . ان تفهـــم جـــوهر الثورة فى الشــــؤون العسكرية هو واحد من شروط الوضع الصائب للسياسة العسكرية-التكنيكية وتنظيم البحوث والدراســـات فى الميـــدان العسكرى وهلمجرا .

ان التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش توضح من جميع الوجوه الظروف الموضوعية والذاتيـــة لتحضير البلاد والاسرة الاشتراكية جمعاء للدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكي ، وطابع الزيادة المطردة للقدرة الدفاعية للدولـــة (الائتلاف) . ويساعد على ذلك تحليل القدرة العسكرية للدول وبنيتها وآلية تعزيزها بمراعاة اتجاهات تغير القدرة العسكرية للعدو المحتمل والظروف التاريخية الملموســـة للعصر الحـــاضر . ان التعاليم الماركسية-اللينينية اذ تكشف عن الاتجاهات الاساسيـــة لتغير تناسب القدرات العسكرية للدول تلفت انظار القيادة السياسية والعسكرية الى حل المهمات الرئيسية فى الوضـــع القائم وتقدم

التعليل النظرى للسياسة العسكرية فى مجال استخدام القوى المادية والروحية بغية تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد .

ولان التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش من حيث طبيعتها جزء من المادية التاريخية فهى تسلح المواطنين السوفييت وشغيلة بلدان الاسرة الاشتراكية وكافة المناضلين ضد العدوان والحروب بتفهم طرق تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد وزيادة قدرتها العسكرية ، كما تسلحهم بالتفاؤل ازاء التفوق التاريخى للتنظيم العسكرى الاشتراكى الذى لا يقهر . وهى تخلق الثقة بالقوات المسلحة الاشتراكية التى لا تقهر وبقدرة الجيش والاسطول على تأدية رسالتهما التاريخية حتى النهاية .

ان دور التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش عظيم من الناحية المنهجية فى عملية تربية افراد الجيش والاسطول وجميع سكان بلدان الاسرة الاشتراكية على حد سواء . وتساعد هذه التعاليم فى ربط تربية بناة المجتمع الشيوعى بتربية حماة هذا البناء ، وتبين ضرورة الترابط العضوى بين التدريب والتربية . اذن ، فان احكام التعاليم الماركسية عن الحرب والجيش يجب ان تأخذها بعين الاعتبار العلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم التربية والتاريخ والخ ..

ان التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش هى حلقة هامة فى القاعدة المنهجية للنظرية العسكرية السوفييتية . وهى تساعد فى الوقت ذاته على الادراك الافضل لبطلان الاسس المنهجية للعلم العسكرى البرجوازى ، وبذلك تضطلع بدور السلاح البتار فى مكافحته . ان الطابع المنافى للعلم فى حل قضايا علم الاجتماع المتعلقة بالحرب والجيش من قبل النظريين والايديولوجيين العسكريين البرجوازيين لا يعزز العلم العسكرى البرجوازى ، بل ،

على العكس ، يضعفه ويضفى عليـــه ملامح التذبذب والنزعـــة الاصطفائية ، وحتى النزعة المغامرة والجمود العقائدى فى ملابسات معينة . وبذلك يصبح العلم العسكرى البرجوازى عاجزا عن حل القضايا الجذرية للحرب الحديثـــة بالاسلوب العلمى والمنطقى الثابت .

ويعود سبب الاهمية الكبيرة التى تتسم بها الوظائف المنهجية للتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش بالنسبة للنظرية العسكرية السوفييتية الى ان هذه النظرية هى حلقـــة من مجمل الطاقة العلمية الكامنة للبلاد ، ودليل هام عليها . وتبين التعاليم الماركسية عن الحرب من جميع الوجوه العلاقات المتبادلـــة بين المذهب العسكرى والعلم العسكرى ودورهما الخاص فى اعداد الجيش والبلاد للحرب وفى سير القتال ومآله .

ان المذهب العسكرى والعلم العسكرى السوفييتيين مترابطان فيما بينهما باساس واحد . فهما يستندان الى اسلـــوب الانتاج الاشتراكى والى النظام الاجتماعى والحكومـــى السوفييتى ويخدمان تأمين القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى وللاسرة الاشتراكية جمعاء وزيادة الاستعداد الحربى للقوات المسلحة . ولديهما اساس فلسفى-منهجى واحد هو المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش . وبذلك يختلفان جذريا عن مذاهب الدول الرأسمالية والعلم العسكرى البرجوازى .

ان المذهب العسكرى والعلم العسكـــرى السوفييتيين اللذيـن يستندان الى الاساس ذاته مترابطان ومتفاعلان فيما بينهما . ويتكون المذهب العسكرى السوفييتى بمساعدة العلم العسكرى ويستند الى استنتاجاته . ولذلك فالعلم العسكرى يتجســـد فى الممارســـة والتطبيق ليس بصورة مبـــاشرة فقط ، بل وعن طريق المذهب

العسكرى . ويطرح المذهب العسكرى بدوره على العلم العسكرى مهمات معينة بشكل متطلبات الدولة ، ويركز جهوده على الحل النظرى لاهم مسائل البناء العسكرى وتطور الشؤون العسكرية .

ان العلم العسكرى والمذهب العسكرى السوفييتيين اللذين يتمتعان باستقلال نسبى يؤديان وظائفهما طبقا لطبيعتهما وتبعا للظروف التاريخية الملموسة ولمتطلبات سياسة الدولة وامكانياتها .

المذهب العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش

يرتبط المذهب العسكرى للدولة السوفييتية ارتباطا وثيقا بالتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش . **وهذا المذهب هو عبارة عن نظام منسق ومعلل علميا للافكار والتوجيهات التى تحدد المهمات الاساسية فى ميدان تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد والبناء العسكرى** . وهو يستند الى التحليل الماركسي-اللينيني للعصر الحاضر ولتناسب القوى الدولية ، والى التكهن بطابع الحرب المحتملة التى يمكن ان يشعل الامبرياليون لهيبها . والمذهب العسكرى السوفييتى مدعو الى تأمين وحدة الفكر والارادة لدى المحاربين السوفييت ليس فقط بوحدة الايديولوجية السياسية ، بل وبوحدة الاراء بشأن طابع المهمات العسكرية التى تواجههم واساليب حلها وطرق الاعداد الحربى للقوات . وهذا المذهب هو الاساس المتين لاعداد البلاد للدفاع . ويتجلى المذهب العسكرى بصورة ملموسة فى السياسة العسكرية وفى مواثيق وتوجيهات القوات المسلحة .

ينطلق المذهب العسكرى السوفييتى من ان الامبرياليين قد يدبرون هجوما نوويا مباغتا على الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى . والى جانب ذلك يأخذ هذا المذهب بعين الاعتبار امكانية خوض العمليات الحربية بالسلاح العادى وامكانية تحول هذه

العمليات الى عمليات حربية يستخدم فيها السلاح النووى الصاروخى . ولذلك فالمهمة الرئيسية للقوات المسلحة تتلخص فى ان تكون مستعدة على الدوام لصد هجوم العدو المباغت بأى شكل ، واحباط خططه الاجرامية مهما كانت الوسائل التى يلجأ اليها .

وهكذا ، فالاحكام الاساسية للمذهب العسكرى تلعب دورا هاما فى تطوير الشؤون العسكرية . وهى بمثابة افكار موجِّهة فى وضع مبادئ اعداد القوات المسلحة والدولة عموما لخوض الحرب الحديثة .

ان المذهب العسكرى معرض الى تغيرات معينة يمكن ان تتجلى فى كون الدولة قادرة تبعا للظروف المتغيرة اما على استكمال المذهب القائم واما استبداله بمذهب آخر نتيجة لعتقه . فبعد الحرب الوطنية العظمى جرى فى الاتحاد السوفييتى فى بادئ الامر استكمال المذهب القائم وتحسينه مع مراعاة خبرة الحرب . ومن ثم وضع مذهب حديث جديد اقر فى مستهل الستينات . وهو مذهب يختلف نوعيا عن سابقه . الا ان تغيرات تحدث كذلك فى المذهب القائم حاليا ، ولكنها لا تؤثر على جوهره .

ان المذهب العسكرى من حيث طابعه هو حلقة وصل بين العلم العسكرى وبين التطبيق السياسى ، وهو حلقة وصل ، عن طريق التطبيق ، بين الشؤون العسكرية وبين الفن العسكرى ، وبالدرجة الاولى الستراتيجية الحربية .

العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش

ان العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش يرتبطان فيما بينهما ارتباطا لا ينفصم . فلديهما نفس موضوع البحث والدراسة : الحرب والجيش . الا ان هذه الوحدة

تنطوى على اختلاف . وهذا الاختلاف يكمن فى ان مادتى البحث لديهما ليستا على مستوى متماثل .

فالتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش تدرس جوهر الحرب والجيش واصلهما والقوانين التى تشترط نشوب الحروب وسنن تطور القدرة العسكرية والقوات المسلحة لمختلف الدول وهلمجرا . اما العلم العسكرى السوفييتى فهو يدرس قوانين القتال المسلح فى تفاعلها مع القوانين التى تحدد سير ومآل الحرب . ثم ان الامر المشترك بين العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش يكمن فى ان هذه وتلك تستند على نفس الاساس الاجتماعى-السياسى ، نعنى النظام الاجتماعى والحكومى السوفييتى . ولكن هذا الامر ايضا يتضمن فرقا . فالتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش تكونت قبل ظهور النظام الاشتراكى واستمر تطورها فى ظروف المجتمع الاشتراكى . اما وضع العلم العسكرى السوفييتى فى الماضى فلم يكن متوفرا له الا بعض الممهدات ، بينما تكون هذا العلم وهو يتطور فى ظروف النظام الاجتماعى والحكومى السوفييتى .

وتتلخص وحدة العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش كذلك فى ان لهذه وتلك هدفا نهائيا مشتركا ، هو اعداد البلاد والجيش لخوض الحروب المظفرة دفاعا عن الوطن الاشتراكى . الا اننا نجد فرقا هنا ايضا . فالتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش تتسم بأهمية كبيرة قبل كل شيء كوسيلة للاعداد السياسى-المعنوى للبلاد والقوات المسلحة لخوض الحرب دفاعا عن الوطن الاشتراكى . وهى تسلح الشعب السوفييتى بتفهم مغزى جميع الحروب ، وبالدرجة الاولى ، الحروب العادلة ، وتقدم تقييما علميا للدور التاريخى لهذه الحروب ، وتحدد الموقف الصائب منها وتؤمن النصر معنويا وسياسيا على المعتدين ابان

الحروب العادلة . اما العلم العسكرى السوفييتى فهو اذ يكشف عن طابع الحرب وقوانين القتال يحدد اشكال تنظيم جيش الدولة الاشتراكية واسطولها ، واساليب العمليات الحربية ، ويسلح الناس بمعرفة مبادئ وقواعد خوض النضال المسلح المظفر دفاعا عن الاشتراكية .

وتجدر الاشارة كذلك الى ان للعلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش مستقبلا مشتركا واحدا . فخلافا لجميع العلوم والاجزاء الاخرى المكونة للماركسية-اللينينية والتى ستتطور على الدوام سيضمحل العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش كميدانين خاصين للمعرفة فى المستقبل عندما تنتفى الحروب . وسوف يدخل هذا العلم وتلك التعاليم ضمن علم التاريخ ، وسوف تدرس لنفس الغرض الذى ندرس من اجله الآن تاريخ مجتمع العبودية والمجتمع الاقطاعى . ولكنه ما دامت الحروب موجودة فان هذا العلم وتلك التعاليم تظل متسمة بأهمية عملية حيوية كبرى .

ويمثل العلم العسكرى السوفييتى والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب ، كنظريتين مستقلتين نسبيا فى تطورهما ، ميدانين متفاعلين يغنى بعضهما بعضا . فالتعاليم الماركسية-اللينينية ، كنظرية علماجتماعية للحرب ، قد ساعدت على التحديد الصائب لمادة العلم العسكرى ولجملة القضايا التى ينبغى لهذا العلم ان يدرسها . وبمساعدة التعاليم عن الحرب والجيش امكن تذليل الاطناب فى تفسير العلم العسكرى بشكل توسعى وكذلك اقتصار دوره على حل القضايا العسكرية-التكنيكية الصرفة .

ان العلم العسكرى السوفييتى يدرس ظروف اعداد وخوض الحرب تبعا للسياسة والعوامل الاجتماعية-الاقتصادية وغيرها

وقوانين القتال ويضع اساليب واشكال خوض العمليات الحربية واشكال تنظيم القوات . ان العلم العسكرى هو نظرية الشــؤون العسكرية ونظام المعارف الذى يضم القضايا النظرية العامة للحرب ككل ، وكذلك قضايا العمليات والمعارك والتنظيم والاعداد الحربى والتربية العسكرية لافراد الجيش . وان جميع المواد العسكريــة الاخرى خاضعة للمهمة الاساسية ، وهى حل القضايــا المعاصرة لخوض الحرب دفاعا عن الوطن الاشتراكى .

ان العلم العسكرى من حيث طابعه يشغل مكانة خاصة فى منظومة العلوم وفى الطاقة العلمية الكامنة ، كما اكدنا سابقــا . وهذه المكانة خاصة لان هذا العلم مرتبط على نحو معين بجميع العلوم الاخرى ، وهو فى الوقت ذاته بمثابة عتلة فريدة تحرك اهم عناصر الطاقة العسكرية الكامنة ـ الآليات الحربيــة والاسلحــة وهلمجرا . ويضطلع العلم العسكرى بدور العامل الهام جدا لتعزيز القدرة الدفاعية لبلدان الاسرة الاشتراكية . وتواجه هذا العلم مهمات هائلة ، وتقع عليه مسؤولية عظمى .

ان مجال اهتمام العلم العسكرى واسع جدا . فهو لا يقتصر على القضايا الضرورية لتنفيذ المهمات العملية لبنــــاء القوات المسلحة للدولة فى فترة ما . وهو يتنـــاول كذلك قضايا مثل الوسائل والظروف المحتملة لخوض القتال والناجمـــة عن تطور المجتمع ، ويدرس مختلف انواع واساليب العمليات ويوصى بها طبقا لاهداف السياسة وللظروف التى تتحقق فيها هذه الاهداف ، وطبقا للامكانيـــات المتوفرة لدى البلاد . ويأخذ هذا العلم بعين الاعتبار تطور الشؤون العسكرية فى بلدان كثيرة وظروف خوض القتال فى مختلف مسارح العمليات الحربية وهلمجرا . ويدرس العلم العسكرى سنن تطور الشؤون العسكرية من جميع الجوانب

معتمـــدا فى ذلك على العلوم الاخـــرى وعلى المذهب العسكرى والممارسة العسكرية وعلى نشاط افراد القوات المسلحة وقادتها فى المقام الاول .

الطابع الخلاق للعلم العسكرى السوفييتى

يعود دور هام بين القضايـــا الملحـــة فى العلم العسكرى السوفييتى الى قضية متابعة تطوير الفن العسكرى على اســـاس التغيرات الجذرية لوسائل القتال فيما بعد الحرب العالمية الثانية وآفاق التقدم العلمى-التكنيكى مع مراعاة خبرة الحرب الوطنيـــة العظمى . ويتسم بأهمية غير ضئيلة بالنسبة لحل هذه القضيـــة المنهج الصائب فى الابداع العلمى ، ذلك المنهج الذى يقدمه الى العلم العسكـــرى السوفييتى الديالكتيك المادى وما فى التعاليـــم الماركسية-اللينينية من احكام عامـــة بصدد الحـــرب . ان الديالكتيك المادى ، الثورى والانتقادى بطبيعته ، هو عدو لدود للروتين والخمول والجمود العقائدى . وهو يربى روح التجديد والابداع الجسور . والى جانب ذلك فهو يعصم العلم من الاوهام الخيالية المتكابرة التى لا اساس لها من الواقع ، كما يعصمه من الموقف النهلستى ازاء منجزات المـــاضى . وهذا ما يجعل العلم العسكرى السوفييتى علما خلاقا فعالا .

لقد غيرت الثورة فى الشؤون العسكرية طابع العلم العسكرى وطابع تطوره . فقبل وقت غير بعيد كان العلم العسكرى يعتمد فى دراساته على الماضى قبل كل شىء ، وكان يستخلص الاستنتاجات من هذا الماضى ويكشف عن السنن ويتابع مفعولها فى الحـــاضر والمستقبل القريب . اما الآن فالحروب الماضية لم تعد المصدر الرئيسى لتطوير العلم العسكرى . فهذا العلم الذى يستخدم طرائق البحث الحديثة ويعتمد على ممارســـة القوات والتدريبـــات

والمناورات يسعى الى التحليل المتعمق لاتجاهات تطور الشؤون العسكرية وينظر الى الامام على مدى ابعد ويتكهن بالمستقبل على نحو اكثر دقة .

فالتوقف فى العلم العسكرى يعنى حتمـا التخلف والتعرض للهزيمة . فالمطلب الذى تتوخاه الماركسية-اللينينية من الضباط والجنرالات السوفييت هو ان لا يكونوا عبيدا للماضى وان يروا جدة الموقف ويتحلوا بالبسالـة والقدرة على الابداع الخلاق فعلا . ان الظروف الاجتماعية الاشتراكية والتغيرات فى الشؤون العسكرية تفتح امام العلم العسكرى ارحابا شاسعة للنشـاط الخلاق اللازم لجعل الفن العسكرى يستجيب كليا لمتطلبات الواقع الجديد .

وعلى ضوء ذلك ينطوى على اعظم الخطر بالنسبـة للعلم العسكرى نوعان من الاراء الخاطئة : الاراء الخيالية التى تبالغ بدور هذه او تلك من النماذج الجديدة للآليات الحربية والطرق الجديدة غير المجربة بعد لحل المهمات العسكرية وبدور خبرة الحروب الصغيرة ، والاراء الروتينية التى تجمّد الخبرة العمليـة الماضية والتى يعوزها الاحسـاس اللازم بالجديد وروح البحث الخلاق . ان هذه الاراء وتلك مرتبطة بعيوب المنهج والاسـاس الفكرى النظرى .

وتنطوى على ضرر كبير عادة النظريات المشبعـة بالروح المحافظة . فاذا تمسك بها اشخاص يتمتعون بسلطـة كبيرة فى القوات المسلحة فان ضرر هذه النظريات المحافظـة يصبح اكثر خطرا .

فبعد ان يحرز هؤلاء القادة انتصارات فى معارك ماضيـة يظلون اسرى الخبرة القديمـة ، ويحولونها الى صنم يعبـد ، ويتجاهلون الظروف الجديدة والتكنيك الجديد ولا يدرسونه بجد ولا يستشفون الامكانيات الكامنة فيه . ولذلك يفقدون القدرة على

رؤية المستقبل ، ويستخدمون الشهرة التى كسبوهـــا سابقـــا ومناصبهم العالية فى المجال العسكرى فيعارضون معارضة جدية انتصار الجديد على القديم .

ويبين تاريخ الحروب والفن العسكرى ان الفكر النظرى فى الشؤون العسكرية غالبا ما يتخلف عن الظروف الجديدة . وقد اشار لويد جورج بحصافة ذات مرة الى ان القـــادة العسكريين يستعدون عادة للحرب الماضية ، وليس للحرب القادمـــة . ان الافكار المتخلفة تنطوى احيانا على خطر افدح من خطر الاسلحة الشائخة .

ويبين تاريخ الحروب بكل اقناع ان القوات تمنى بالهزيمة عندما تنطلق فى اعمالها من تصورات زائفة وكأنما ستكون الحرب الجديدة ، من حيث اساليب خوضهـــا ، تكرارا بسيطا للحرب الماضية .

كان الجنرالات الالمان الفاشيون واثقين من ان الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ستكون تكرارا للحرب ضد فرنسا ، فاندفعوا فى مغامرتهم مطبقين طرق «الحرب الخاطفة» .

ان من نقاط الضعف الجدية فى العلم العسكرى البرجوازى والتى لازمت حتى اكثر مدارسها ونظرياتها تقدمية تجاهل الاهمية الفعلية للعوامل الاقتصادية والمعنوية-السياسية والمبالغة فى دور الفن العسكرى وخطط خوض العمليات .

ولا يجدر بالمرء الظن بان هذا التجاهل كان مطلقا . كلا . فقد اشار انجلس الى ان كل ضابط صف مجتهد كان يدرك جيدا كيف تؤثر الظروف والموارد الاقتصادية على احراز النصر . ومع ذلك كشفت الشخصيات العسكرية الالمانية ، كما بينت الحربان العالميتان ، عن عجزها عن تقييم تأثير هذه العوامل بصـــورة صائبة . فالامر يتلخص ، اذن ، ليس فى الاستهانة بهذه العوامل ،

بل فى التقييم الخاطئ لاهميتها وفى العجز عن تقدير الامكانيات الذاتية وامكانيات العدو تقديرا علميا . وكانت مدهشة خصوصا اخطاء الامبرياليين فى تقييم امكانيات خصمهم الاتحاد السوفييتى . فان النظريين والساسة والجنرالات البرجوازيين عجزوا عن تفهم امكانيات الاشتراكية .

ان الطابع الخلاق الملازم لكل علم حقيقى امر مبعثه الصلة التى لا تنفصم بين هذا العلم وبين النشاط العملى للناس . فالتطبيق بالذات هو الذى يهيئ امكانية تحديد ما اذا كانت المفاهيم والنظريات العلمية صائبة ام لا .

غير ان الفلسفة الماركسية-اللينينية تعارض تأليه التطبيق نفسه . فالتطبيق فى حركة وتغير وتطور لا يكل . اذن ، فالعلم ملزم بان يلاحظ فى الوقت المناسب ويعمم نظريا كل جديد يظهر فى مجرى تطور التطبيق . ولن يستطيع العلم ان يمهد الطريق للتطبيق الى الامام الا بهذا الشرط .

ان الديالكتيك المادى يدعو الناس الى النظر الى الامام وليس الى الوراء . وهو يتطلب الرؤية الواضحة لجدة الموقف الذى يتكون فى كل مرحلة من التاريخ ؛ ويتطلب فهم اتجاه التطور والقدرة على التكهن بالمستقبل مع ادراك كون هذا المستقبل ينطوى على كثير من المفاجآت والامور غير المعتادة . ويتطلب الديالكتيك المادى تقييم ما تم احرازه من وجهة نظر المستقبل والمهمات الجديدة .

وتتسم احكام الديالكتيك المادى هذه بأهمية ملحة خاصة فى وقتنا الحاضر .

ويدعو الحزب الشيوعى السوفييتى كوادر الضباط الى الدراسة المتعمقة المستمرة لقضايا النظرية العسكرية والفن العسكرى بروح متطلبات الحرب الحديثة والى الاستخدام الفعال

للنظرية فى النشاط العملى . علما بانـــه ينبغى تطبيق الاسلوب الانتقادى فى دراسة وتحليل ومراعاة النظرية العسكرية والخبرة الحربية للجيوش الامبريالية ، ومعرفة الآليات الحربية للعدو المحتمل وجوانب الضعف والقوة فى علمه وفنه العسكريين .

٣ ـ قضية قوانين العلم العسكرى ومبادئ الفن العسكرى

يتجلى الدور الهائل للتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش فى حل واحدة من اهم القضايا النظريـــة العامـــة للعلم العسكرى السوفييتى ، نعنى قضية القوانين والمبادئ ، والتناسب بين القوانين الموضوعية ونشاط الناس الواعى . ان الحل العلمى لهذه المسألة شرط هام للحل الصائب لكثير من القضايا ، وهو شرط لازم لزيادة القدرة الحربية للقوات المسلحة وعامل لتطور المعارف العسكرية التطبيقية .

ولاول مرة فى تاريخ الفكر الاجتمـــاعى اثبتت التعاليـــم الماركسية-اللينينية ان الحروب ، شأنها شـــأن كافـــة الظواهر الاجتماعية الاخرى ، ليست من نتاج فوضى المصادفات ، بل هى عمليات خاضعة لقوانين معينة .

وان التعاليم الماركسية-اللينينيـــة عن الحرب والجيش اذ تكشف اصل وجوهر الحروب تساعد على الفهم الصـــائب لطابع قوانين الحرب والعمليات الحربية وعلى رؤيـــة آليـــة فعلهـــا واستخدامها لصالح تعزيز الدفاع عن الوطن ، ولصالح الانتصار على العدو فى حالة الحرب .

ان التحليل الشامل للحرب ، باعتبارها ظاهرة اجتماعيـــة-سياسية معقدة ، هو فى الوقت ذاته تحليل للقوانين التى تعبر عن

اعتماد نشوب الحروب واهدافهـــــا على الظروف الاقتصاديـــــة والسياسية . وهذه مجموعة خاصة من القوانين التى تشكل اساس التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش ، بالرغم من انها تتكشف ليس فقط عن طريق هذه التعاليم ، بل وعن طريق العلوم الاجتماعية الاخرى والماركسية-اللينينية عموما . وقد تناولنـــا هذه القوانين فى الفصول الاولى من الكتاب .

وتلازم الحرب ، كحالة خاصة للمجتمع ، قوانينها الخاصة التى تعبر عن اعتماد سير الحروب ومآلهـــا على تناســب القوى (الاقتصادية والعلمية والتكنيكية والمعنوية والعسكرية البحتـــة) للدول المتحاربة وائتلافاتها ، وعلى طابع الاهداف السياسيـــة للاطراف المتحاربة . وهذه المجموعة من القوانين تدرسها التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب وكذلك العلم العسكرى السوفييتى الذى تعتبر هذه القوانين بالنسبة له منطلقا واساسا نظريا عاما .

وتتاخم هذه المجموعة قوانين تطور اســاليب القتـــال والشؤون العسكرية ، تلك القوانين المشروطـــة بمستوى تطور القوى المنتجة والتقدم العلمى-التكنيكى وحالة القوى المعنويـــة للمجتمع . وهى تعبر عن الارتباطات الجوهرية بين تطور وتغير اساليب خوض العمليات الحربية والحرب ككل . وتتغير اساليب واشكال العمليات الحربية اثناء سير الحرب ، كما فى سيـــاق استكمال القوات المسلحة وتحسين الشؤون العسكرية فى ظروف السلم .

ويسرى ، اخيرا ، فى سياق الحرب مفعول القوانين التى تعبر عن جوهر القتال باعتباره خاصية للحرب . وتشكل هذه القوانين النواة المباشرة للعلم العسكرى والعنصر الاساسى لمضمونه . ويعتبر تحليل هذه القوانين من صلاحيات العلم العسكرى نفسه .

الطابع الموضوعي والاستقلال النسبي
لقوانين القتال

ان القتال او العمليات الحربية ، والامر سيان من حيث الاساس ، تخضع لقوانينها الخاصة فى اطار القوانين الاكثر شمولا لتطور المجتمع والحرب على العموم . وقد اشار مؤسسو الماركسية-اللينينية الى هذا الامر مرارا . فقد اكد انجلس ان التحركات الحربية فى البر والبحر تخضع ، بعد صدور الامر ، ليس الى رغبات وخطط الدبلوماسيين ، بل للقوانين الخاصة بها والتى لا يجوز خرقها دون تعريض الحملة بأسرها للخطر . وعلى اثر ماركس وانجلس ابدى لينين اهتماما كبيرا بالقوانين الخاصة للانتفاضة المسلحة التى هى نوع من القتال عموما . وكتب لينين يقول : «ان الانتفاضة المسلحة هى نوع **خاص** من النضال السياسى خاضع لقوانينه الخاصة» * .

ان لقوانين القتال ، كما لاية قوانين اخرى ، طابعا موضوعيا ، اى انها توجد وتفعل فعلها بغض النظر عن وعى الناس وارادتهم .

ولا تستطيع القوات ان تعمل بحرية مطلقة ، فعملها محدود دائما بظروف موضوعية معينة . فهذه القوات مضطرة ، اولا ، الى استخدام ذلك القدر من التكنيك والقوى البشرية والتموين المادى الذى تقدمه لها البلاد تبعا لامكانياتها وطاقتها الاقتصادية . ثانيا ، تعمل القوات من اجل بلوغ اهداف سياسية وعسكرية معينة ، وهذه الاهداف مرتبطة بالاقتصاد والعلاقات الاجتماعية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ، ص ٣٨٢ .

والوضع العسكرى ارتباط المعلول بالعلة . ثالثا ، ان عمليات القوات محدودة من الناحيتين المادية والمعنوية بعمليات العدو . فالعمليات الحربية ذات جانبين . رابعا ، ان القوات مضطرة الى مراعاة الظروف الخارجية مثل الظروف المكانية-الزمانية والاحوال الجوية والخ .. وعلى اساس هذه الظروف الموضوعية والنشاط الهادف لقوات الاطراف المتحاربة تتكون سلسلة معينة ضرورية من العلاقات الجوهرية ، اى قوانين القتال غير المعتمدة على رغبة وارادة المشاركين فيه .

ان الطابع الموضوعى لقوانين القتال لا يعتمد على مدى عمق وصواب ادراك العلم لها ولا على ما اذا كان الناس قد ادركوها وفسروها بشكل صائب ام لا . ولا يمكن لقوانين القتال ان تلغى او تزال بصورة اعتباطية . ولذلك فان مراعاة هذه القوانين فى قيادة العمليات الحربية هى شرط جوهرى لاحراز النصر . وعلى العكس ، يؤدى خرقها حتما الى الهزيمة فى القتال ضد العدو القوى الماهر . ان الطابع الموضوعى لقوانين القتال ، شأنها شأن جميع القوانين الاخرى ، يتجلى بوضوح خاص عندما يعمل الناس على الضد منها ، مما يؤدى بالنتيجة الى عجزهم عن بلوغ اهدافهم والى هزيمتهم .

وتتميز قوانين القتال بسمات مماثلة لجميع قوانين الطبيعة والمجتمع الاخرى . ولكن هذه القوانين مع ذلك تختلف عن تلك . ويتلخص الفرق فى خاصية الحرب كظاهرة اجتماعية-سياسية . ويتحدد هذا الفرق مباشرة بعاملين هامين للغاية ، وهما الاهداف العسكرية-السياسية التى تتوخاها الاطراف المتحاربة من جهة ، وتناسب القوى المادية والمعنوية للاطراف المتحاربة فى كل لحظة من جهة اخرى . وتتميز قوانين القتال بوجود العملية المتناقضة التى تجرى فيها منازلة غير منقطعة فى تدمير قوى العدو والحفاظ

على القوى الذاتية ، تلك العملية التى تتغير كميا ونوعيا بلا انقطاع فى مختلف الاتجاهات . وكل ذلك يجرى من اجل اهداف عسكرية-سياسية على طرفى نقيض .

وهكذا ، يتلخص جوهر قوانين القتال فى كونهـا تعبر عن الطبيعة المعقدة المتناقضة لظاهرة اجتماعية-سياسية خاصة ، هى عملية التفاعل بالعنف بين طرفين متحاربين بغية بلوغ كل طرف لاهدافه العسكرية-السياسية المعينـة . وان القوى والوسـائل الخاصة والاهداف التى تستخدم هذه الوسائل والقوى من اجلها هى التى تعبر بمجملها عن طبيعة قوانين العمليات الحربية .

بصدد نوع قوانين القتال

لا يجوز تصور قوانين القتال على انها بسيطة مثل قوانين الميكانيك . فهى ، شأنها شأن كافة القوانين الاجتماعيـة ، تفعل فعلها بمثابة قوانين وسطية واسعة النطاق ، بمثابـة قوانين-اتجاهات .

ولقد كتب ماركس فى مقدمة «رأس المال» انه يتوخى اكتشاف القوانين الطبيعية للانتاج الرأسمالى ، وان هذه القوانين تمثل اتجاهات فاعلة تتحقق بضرورة حديدية . واشار انجلس الى ان القوانين الاقتصادية ، بالرغم من انها تتحقق «بضرورة حديدية» ، ليست «حديديـة» ابدا ، بل هى ، على العكس ، «مرنة» للغاية . فان سعر كل بضاعة ، مثلا ، لا يعادل قيمتها مباشرة . ونتيجة لتذبذب العرض والطلب والملابسـات الاخرى تتراوح اسعار البضائع حول قيمتها دون ان تتوافق معها عادة . فان قانون القيمة لا يحدد اسعار البضائع الا بصورة وسطيـة وبالخطوط العامة .

ومثل هذه الحال تقريبا تجدها عند قوانين القتال . فهى لا يمكن اعتبارها من نوع القوانين الحركية التى تعبر عن طبيعـة

العمليات المرتبة المنتظمة وتتحقق بتحديد وحيد المعنى . والمثال على هذه العمليات هو حركة كواكب المنظومة الشمسية التى تتميز باستقلال ذاتى جلى . ولا يمكن اعتبار قوانين القتال من القوانين الجامدة التى تعبر عن العمليات العشوائية غير المرتبة . والمثال على هذه العمليات حركات الجزيئات الحرارية غير المنتظمة والتى تتميز بوجود حالات الصدف العديدة . ولذلك فان قوانين الحركة الحرارية تحدد حركة الجزيئات اجمالا ، وليس كل جزيئة على حدة ، وهى تتميز بطابع احتمالى .

ان العمليات المنتظمة والعشوائية هى نوعان متعارضان من العمليات ، ولكنه توجد بينهما تشكيلة من العمليات البينية من حيث طابعها . وفضلا عن ذلك غالبا ما تنتظم العمليات العشوائية تلقائيا ، بينما تصبح العمليات المنتظمة عشوائية اكثر فاكثر .

فالى اى نوع من العمليات يمكن ان ننسب القتال ؟ هل هو من العمليات المنتظمة ام العشوائية ؟ انه ينتسب الى هذه وتلك . ان القتال عبارة عن عمليات تنظمها دوما القوانين الاكثر شمولا وشبكة التنظيم العسكرى ، كما تنظم عن طريق النشاط القيادى والتنظيمى للكوادر القيادية ابتداء من ضباط الصف حتى القائد العام الاعلى . وبالفعل ، فالقتال هو عملية يحاول فيها كل من الطرفين المتحاربين ان يبذل قصارى جهده للمحافظة على وحدة الارادة والافعال وعلى الانتظام والترتيب فى صفوفه واعاقة العدو عن تحقيق ذلك . ونتيجة للضربات المتبادلة والمناورة وعدد آخر من الملابسات يظهر فى قوات كل من الطرفين المتحاربين اتجاهان يعبر احدهما عن الطموح الى الحد الاقصى من التنظيم والتنسيق الهادف للاعمال ، بينما يعكس الآخر ، بنتيجة تأثير العدو والاسباب الاخرى ، واقع الاخلال بالنظام والتنسيق والانتظام . ويعود عدم

الانتظام ، بقدر معين ، الى التناقض والتعقد للتشكيلات العسكرية وترتيبات الوحدات القتالية والبنيانات السوقية والخ . ، والى تعقد رد الفعل السيكولوجى لدى الجنود والضباط فى الموقف المتغير والى غير ذلك من العوامل . ولذلك يمكن القول ان اتجاه تنظيم عمليات القوات يواجهه دوما اتجاه مناقض ــ هو الاخلال بهذا التنظيم .

ويسرى فى مجرى القتال مفعول اتجاهات متعارضة متصالبة اخرى . وهذه الاتجاهات المتفاعلة فيما بينها تشكل اتجاها اجماليا واحدا يأخذ بالسيطرة عليها ويحدد بصورة رئيسية الوجهة العامة لتطور الاحداث .

وفى ظروف معينة تكتسب بعض هذه الاتجاهات الاهمية الكبرى فتسيطر على الاتجاهات المناقضة لها ، وفيما بعد ، لدى تغير الظروف ، يمكن لهذه ان تحل محل تلك . ولكن الاتجاهات المتعارضة تتشابك دوما ويكمل بعضها البعض الآخر . ويتلخص فن القادة العسكريين فى التوفيق الاكثر حكمة بين هذه الاتجاهات حسب ظروف الموقف بغية دحر العدو . وتنطبق على ممارسة خوض العمليات الحربية ملاحظة لينين الذى اشار الى انه يمكن وينبغى فى ظروف معينة التوفيق بين الاضداد بحيث يحصل المرء على سيمفونية وليس على انغام متنافرة .

وتفعل فى القتال مصادفات كثيرة ، وذلك بحكم تعقده الشديد وتناقضه التناحرى والتذبذب المستمر فى تناسب قوى الطرفين المتحاربين وتغير ظروفهما ، وكذلك تبعا لمهارة القوات وقابليتها فى الاستفادة من هذا التناسب لصالحها .

ان المصادفات بمجملها هى شكل لمظهر الضرورة ، وبها تكتمل هذه الضرورة . فان الاتجاه العام لتطور القتال ووجهته الاساسية يصبحان اكثر تحررا من تأثير الظواهر والعمليات الصدفية .

وهكذا ، تعبر قوانين القتال عن طبيعته المعقدة المتناقضة

وتبين ان تطور العمليات الحربية هو نتيجة عامة لعوامل كثيرة . وان تفاعل وتشابك الشواذ المتعددة والصدف المختلفة يخلقان فى آخر المطاف نظاما وشكلا يستجيبان لتناسب القوى والظروف الملموسة القائمة .

الطابع التاريخى لمفعول قوانين القتال ومعرفتها

يزعم الكثير من النظريين العسكريين البرجوازيين ان قوانين العلم العسكرى خالدة لا تتغير . الا ان التاريخ العسكرى يبين ان هذه القوانين تحمل طابعا تاريخيا جليا يتجسد قبل كل شىء فى ان بعض هذه القوانين ينبثق ، فى حين يتوقف مفعول البعض الآخر . فطوال العديد من القرون كان سائدا ، مثلا ، قانون يبين ان مآل المعارك يقرر بضربة السلاح الابيض . وظل هذا القانون سارى المفعول ، بشكل آخر وبقدر آخر ، حتى عندما اقترنت ضربة الحربة بالرماية النارية التى كان دورها يزداد بلا انقطاع . ولم يغادر هذا القانون حلبة القتال الا فى فترة الحرب العالمية الثانية ، حيث تخلى عن مكانه لقانون الدور الحاسم للضربة النارية .

ثم ان الطابع التاريخى لقوانين القتال يتلخص فى ان اتجاهات معينة تصبح هى السائدة فى زمن معين وحروب معينة ، بينما تنحسر هذه الاتجاهات الى المرتبة الثانية فى زمن آخر وحروب اخرى . وتؤكد الثورة الحديثة فى الشؤون العسكرية هذا الامر خصوصا . فهذه الثورة لا تلغى ، بل تقوى مفعول القوانين الجذرية للعمليات الحربية ، ولكنها فى الوقت ذاته تضعف مفعول بعض القوانين وتقوى مفعول بعضها الآخر وتبعث البعض الثالث من جديد . وعلى سبيل المثال يمكن ان تحدث تغيرات جوهرية خصوصا على قانون اعتماد العمليات الحربية على التفوق الجزئى

الخاص فى القدرة الحربية للاطراف المتحاربة فى ظروف الحرب النووية . ويكتسب تفاعل الاتجاهين المتعارضين للتحشيد والتفريق فى هذه الحرب مضمونا جديدا من حيث النوعية . فالتفريق يصبح ضروريا خصوصا للتقليل من خسائر القوات بسبب ضربات العدو النووية . ومع ذلك يظل مفعول اتجاه تحشيد القوات ساريا ، بل ويكتسب طابعا خاصـــــا . ولذلك يصبح من اهم مبادئ خوض العمليات الحربية فى ظروف استخدام السلاح النووى مبدأ او ، على حد تعبير لينين ، «قانون» الانتصارات العسكرية والانتقـــال السريع من تحشيد وتركيز القوات والوسائـل الى تفريقهـــا ، وبالعكس ، مبدأ تحشيد القوى المتفوقة فى الاتجاهات الحاسمة وفى اللحظات الحاسمة .

كان تحشيد القوات سابقا يتجلى فى تركيز اعداد هائلة من المحاربين وكميات كبيرة من الآليات الحربية فى قسم من الجبهة محدود جدا فى بعض الاحايين . وتجلى ذلك بشدة خاصة ابان الحرب العالمية الثانية . وسوف يتجلى التحشيد فى الحرب النووية ، قبل كل شىء ، فى تركيز الضربات النووية على الاتجاهات الرئيسية التى ستجرى ، على ما يبدو ، ليس عن طريق تحشيد اجهزة اطلاق الصواريخ فى رقع ضيقة ، بل عن طريق المناورة بالمســـارات الصاروخية من الاعماق ومن الجناحين .

وينطوى الطابع التاريخى ذاته لمفعول القوانين على احـــد شروط طابع معرفتها . غير ان ذلك ما هو الا شرط لا اكثر ، ناهيك بانه غير حاسم . فان تطور المعارف العسكرية يجرى على نحو يجعلها تكشف عن الطريق العريضة المعقدة المتناقضة لانعكاس قوانين العمليات الحربية . ان طريق معرفة قوانين الحرب ، قوانين العمليات الحربية ، يبدو ، باختصار ، على النحو التالى : من الوصف والتفسير التجريبى البسيط لاسباب الانتصارات والهزائم التى كان

يجرى فيها مجرد تخمين القوانين الموضوعية بل وحتى تشويهها احيانا ، عبر انعكاسها على ضوء مبادئ العلم العسكرى البرجوازى ، الى قوانين العلم العسكرى السوفييتى .

ان قوانين العلم العسكرى السوفييتى هى انعكاس دقيق بهذه الدرجة او تلك للقوانين الموضوعية الموجودة فعلا فى القتال . وان قوانين القتال التى ادركها العلم هى اساس النشاط العملى للناس وهى اساس القيادة الستراتيجية والسوقية والتاكتيكية . وهـــى القوانين التى يلتزم بها القادة العسكريون عندما يتخذون القرارات ويضعون خطط المعارك والعمليات القادمـــــة وينظمون القوات لتطبيق هذه الخطط بغية تحقيق النصر .

ان قوانين العلم العسكرى مترابطة فيما بينها على نحو معين وليس كيفما اتفق . وهى بمجملها تشكل نظاما يعكس باقصى حد من الدقة الصلات والعلاقات الفعلية للعمليات الحربية والقتـــال عموما . وقد احرزت نجاحات معينة فى وضع نظام شامل وكامل لدرجة كافية لقوانين العلم العسكرى . الا ان هذا العمل لم ينجز بعد .

وبغض النظر عن الاسس التى يمكن طبقا لها تصنيف قوانين العلم العسكرى السوفييتى ، فان الدور الحاسم يعود الى قانونين هما قانون اعتماد الحرب على السياسة وقانون مطابقة سير الحرب ومآلها لتناسب قوى الاطراف المتحاربة . ويشمل مفعول هذين القانونين كافة عمليات وجوانب الحرب فى جميـــــع مستوياتها ونطاقاتها .

واذا كان سير ومآل الحرب بين الدول يعتمد قبل كل شىء على تناسب قدراتها العسكرية وعلى قابلية القيادة السياسيـــــة والعسكرية لكل طرف فى تكوين تفوق القوات والاستفادة من هذا التناسب ، فان كل عمل حربى ملموس ــ الاشتباك ، والمعركة ، والعملية ــ مشروط كذلك بتناسب القـــــوى الملموس والاهداف المحددة الخاصة به .

الا انه يمكن النظر فى قانون تناسب القوى على نحو مغاير لذلك بعض الشيء . فبسبب من شموله نراه يتناول عدة اتجاهات وعدة علاقات جوهرية مستقلة نسبيا تتمتع بقوة القانون . وتسمى هذه الاتجاهات والعلاقات فى المؤلفات السوفييتية بقوانين سير الحرب ومآلها . وهى قوانين اعتماد سير الحرب ومآلها على تناسب القوى العسكرية الصرفة وكذلك القوى الاقتصادية والعلمية والمعنوية-السياسية للاطراف المتحاربة .

وتشغل مكانة خاصة فى نظام قوانين العلم العسكرى القوانين التى تحدد فاعلية العمليات الحربية . فهذه القوانين ترتبط ارتباطا عضويا بالقوانين التى درسناها اعلاه ، بل هى مشروطة بها لدرجة كبيرة . ويعتبر القانون الذى صاغه انجلس اهم قانون للقتال حيث يحدد ليس فقط ظهور الاساليب الجديدة لخوض العمليات الحربية ، بل وانتصارات القوات وهزائمها . وينص هذا القانون على ان الانتصارات والهزائم تعتمد على كمية ونوعية السكان وعلى التكنيك . فالناس والاسلحة - ذلك ما يؤمن فى آخر المطاف تفوق القوى الضرورى للانتصار على العدو .

ويتجلى مفعول هذا القانون بجلاء تام فى ايامنا هذه . فان ظهور السلاح النووى الصاروخى وتسلح عدة جيوش به قد تطلبا اعادة النظر فى اساليب خوض العمليات الحربية وجعلا الانتصار فيها معتمدا اعتمادا مباشرا على ما اذا كانت القوات المسلحة تمتلك السلاح الحديث ، وفى المقام الاول السلاح النووى الصاروخى ، وتجيد استخدامه وعلى ما اذا كانت على استعداد ، من الناحيتين المادية والمعنوية-السيكولوجية لصد استخدامه من قبل العدو .

ومن بين القوانين التى تحدد فاعلية عمليات القوات فى سوح المعارك عدة اتجاهات يؤمن مفعولها انماء القوات وتوسيعها

ويهيئ افضل الظروف الملائمة للانتصار في القتال . فان فاعلية النشاط الحربي للقوات تعتمد ، مثلا ، على استجابة الاساليب والاشكال المستخدمة للاهداف (المهمات) المطروحة وللموقف القائم . ومن الواضح ان هذه الاستجابة ستكون ضرورية اقصى الضرورة للانتصار في العمليات الحربية ابان الحرب الحديثة التي ستصبح فيها تغيرات الموقف السريعة بل والمفاجئة قاعدة عامة وليس حالات شاذة .

ويرتبط بهذا القانون ارتباطا وثيقا قانون آخر ينص على ان نجاح خوض العمليات الحربية يتطلب تناسبا متعادلا بين الاهداف (المهمات الحربية) وبين القوى والوسائل المستخدمة طبقا لقوى ووسائل العدو ، وبمراعاة عاملي الزمان والمكان . ان هذا التناسب او التطابق امر هام للغاية عند استخدام سلاح الاصابة الجماعية . فان خرق متطلبات هذا القانون يؤدي الى عواقب وخيمة ، بينما تؤدي المهارة في تطبيقه الى النصر .

ثم ان فاعلية عمليات القوات تعتمد على طابع وشدة واتجاه الضربات الحربية التي توجهها . من خلال الضربات الحربية يجري التعبير بشكل مركز عن مدى القدرة المادية والروحية للقوات واعدادها وخبرة القادة العسكريين وفنهم . ان دربة القوات وتفاعلها والمناورة بالقوى والوسائل والبنيان السوقي والترتيب القتالي ـ كل ذلك يؤمن ، في آخر المطاف ، اكبر قوة للضربات الشديدة الموجهة الى العدو والدفاع عن القوات دون ضربات العدو .

ويضم العلم العسكري كذلك عدة قوانين تعبر عن الترابطات والعلاقات الجوهرية الضرورية داخل كل صنف وكل نوع من القوات المسلحة ، ولدى استخدام الآليات الحربية والاسلحة وهلمجرا . وهذه قوانين خاصة يعود تدارسها الى المناهج العسكرية ـ التكنيكية المحددة .

وبديهى ان القوانين التى تناولناها اعلاه لا تستنفد مضمون كامل منظومة قوانين العلم العسكرى . فهذه المنظومة اوسع واغنى كثيرا مما يمكن عرضه هنا .

آلية مفعول قوانين القتال وتطبيقها

ان وجود قوانين القتال الموضوعية لا يقلل من شأن الدور النشيط الذى تلعبه القيادة الواعية للعمليات الحربية من قبل الضباط ، بل ، على العكس ، يستدعى امكان هذه القيادة وفاعليتها . فان معرفة قوانين القتال ودراستها من قبل الكوادر العسكرية السوفييتية والتمسك بها لدى وضع خطط العمليات الحربية – كل ذلك يؤمن تسديد الضربة القاضية الى العدو .

ان معرفة هذه القوانين تعصم المرء من الاخطاء والاعمال الاعتباطية ومن النزعة المغامرة ، وتتيح امكانية تخمين سير الاحداث الحربية مسبقا واعداد اجراءات تستبق عمليات العدو ، وتحول دون التكيف للمواقف التى تتكون عفويا ودون عبادة الصدف ، وتساعد فى اتخاذ قرارات وحلول جسورة وفى طرح اهداف جلية كبرى وفى توجيه سير القتال وفرض الارادة الذاتية على العدو .

ان القوانين الموضوعية للقتال لا تعنى ابدا قوانين جبرية تخيم على الناس وتحكم عليهم بالخمول السلبى . وهى لا تفعل ولا تتحقق تلقائيا بدون الناس وبدون مشاركتهم الفعالة . فهى بالذات **قوانين النشاط الحربى لقوات الطرفين المتحاربين .**

فعلى قادة وزعماء الجيش والاسطول ان يدركوا قوانين القتال الموضوعية وان يتعلموا استخدامها وتطبيقها عن وعى .

ويتطلب التطبيق الواعى لقوانين القتال ، بغية احراز الانتصار

على العدو ، الاستفادة من القوانين المكتشفة والبحث عن القوانين الاخرى غير المعروفة بعد . وتعتمد فاعلية استخدام وتطبيق هذه القوانين على صواب وعمق : أ) معرفة جوهر القوانين ؛ ب) معرفة آلية مفعول القوانين وج) معرفة آلية تطبيق القوانين . علما بان آلية مفعول القوانين موضوعية لا تعتمد على ارادة الناس ووعيهم ، بينما ترتبط آلية تطبيق القوانين بالنشاط الذاتي لافراد القوات ، وخصوصا الضباط . فهي عبارة عن النشاط الهادف الواعي للكوادر العسكرية .

تعبر آلية مفعول القوانين عن جوهر العلاقات الملموسة التي تتكون في سياق القتال ، كما تعبر عن طبيعــة القتال . وبذلك تشمل هذه الآلية نشاط جماهير واسعة من الناس الموحدين في التشكيلات العسكرية والمقادين من قبل القيادة العسكرية . وان اجزاء هذه الآلية هي الاساليب والاشكال المعينة التي تحقق القوات بواسطتها الاهداف المنشودة باستخدام القوى المادية والمعنوية . ويمكن ان تكون لهذه الاجزاء طبيعة اجتماعية-سياسية واحدة عند الطرفين المتحاربين ، كما يمكن ان تكون على طرفي نقيض ، كما هو ، مثلا ، حال العمليات الحربية في حروب الدفاع عن الوطــن الاشتراكي . وتستدعي الطبيعة الطبقية المتباينة للقوات المسلحة وجود هذه الدرجة او تلك من العفوية في هذه الآلية لدى تجلي قوانين القتال . وذلك كله يدل على ان آلية مفعـــول القوانين تنطوي على اتجاهات متناقضة ، صراع العوامل الفاعلة والعوامل المضادة التي تعود اهمية كبيرة بينها الى نشاط القادة العسكريين .

وعلى اساس القوانين السارية المفعول موضوعيا يتحقـــق نشاط القوات ايضا . علما بان مفعول القوانين متعدد الجوانب والوجوه . وعلى اساس هذه القوانين يتحقق الابداع الواســع للقوات والقيادة العسكرية وحل المهمات الحربية الاكثر شمولا في

مختلف الظروف وتبعا للملابسات والخ .. ولذلك يتجلى تطبيق القوانين كذلك من خلال النشاط الذاتى للناس ، وهو نشاط يتميز بجانبين كمى ونوعى يظهران على نطـاق واسع فى مجرى تقييم الوضع ودراسة قوات العدو والقوات المواجهة لها والمهمات التى تطرحها القيادة العليا وهلمجرا .

ان اجزاء آلية تطبيق القوانين هنا هى التالية : وضع الخطط والقرارات لاجل المناوشة والمعركة والعملية السوقيـــة واجراء مختلف انواع الحسابات اللازمة لتنفيذ ذلك ، وتحديـــد طرق تحقيق الانتصار على العدو ، واختيار اشكال واساليب العمليات الحربية ، واعداد القوات من الناحية المعنوية-السياسية للقتال ، وتأمين تفهم كل محارب لواجباته وطرق تأديتها ، وشبكة الاتصال والادارة الجيدة التنظيم ، وتدبير التفاعل بين القوات ، وجملـــة عناصر أخرى .

مبادئ الفن العسكرى

تلعب مبادئ الفن العسكرى دورا خاصا فى معرفة القوانين وآلية الاستفادة منها . ولا يجوز اضفاء طابع مطلق على الفرق بين قوانين العلم العسكرى ومبادئ الفن العسكرى ، بالرغم مـــن ضرورة مراعاته . فالقانون يؤكد وجود الصلـــة الموضوعيـــة الجوهرية المعينة دون ان يحدد اية مهمات لنشاط القوات العملى . **اما المبادئ فتحدد اتجاه نشاط القوات والقيـادة السياسيـــة والعسكريـــة وتبين كيف ينبغى العمل لاحراز النصر** . ولذلـــك فالمبادئ هى الحلقة الضرورية فى آلية معرفة القوانين والاستفادة منها . وهى تساعد على ترجمة الصيغ العلمية ومضمون القوانين الى لغة النشاط العملى والتطبيق العسكرى . فالقانون الذى ينص على ان النصر يحرزه من يحشد قوات ووسائل متفوقة فى المكان الحاسم

واللحظة الحاسمة ينعكس ، مثلا ، بشكل مبدأ التكثيف : لاحراز الانتصار فى المعارك والعمليات يجب تحشيد قوات ووسائل متفوقة على قوات ووسائل العدو فى اهم الاتجاهـــــات وفى الوقت اللازم . ولذلك لا يمكن وجود اية هوة سحيقة بين قوانين العلم العسكرى ومبادئ الفن العسكرى .

ويمكن لمبادئ الفن العسكرى ان تكون صائبة ، كما يمكن ان تكون خاطئة او مغلوطة جزئيا . وتلعب دورا كبيرا فى وضعها الظروف الاجتماعية وطابع المنهج ومستوى اعداد الكوادر وغير ذلك من العوامل . ولذلك فان عدد مبادئ الفن العسكرى ومضمونها لم يكونا متعادلين فى اوقات مختلفة وفى بلدان مختلفة .

وتكون مبادئ الفن العسكرى بمجملهـــا منظومـــة تحدد بالخطوط العريضة الجوانب الاساسية لنشاط الكوادر العسكرية فى اعداد القوات وخوض العمليات الحربية . وان منظومة مبادئ الفن العسكرى هى جزء من الاجزاء المكونة للعلم العسكرى .

ان مبادئ خوض العمليات الحربية عامة من حيث الاساس بالنسبة للعمليات الحربية ذات النطاقات الستراتيجى والسوقى والتاكتيكى ، وذلك لان فيها تتجلى طرق التطبيق العملى لقـــوانين بعينها . وفى الوقت ذاته تختلف مبادئ الستراتيجية والفن السوقى والتاكتيك من حيث نطاق العمليات ومن حيث الاهداف ، وبالتالى من حيث مضمونها الملموس وتعبيرها المحدد عن المتطلبات العامة .

وتتجلى منظومة مبادئ الفن العسكرى السوفييتى وتتكشف بالتفصيل فى المواثيق والتوجيهات اللازمة . وهى تعكس متطلبات قوانين العلم العسكرى من ناحية المهمات التى تحلهـــا القوات فى الظروف الراهنة . فمن المبادئ الهامة ، مثلا ، مبدأ التفاعل ومبدأ المباغتة وغيرهما .

وتجدر الاشارة الى ان هذه المبادئ ما هى الا مرشد للعمل . فان تطبيقها يتطلب من كل قائد عسكرى مهارة كبيرة وموقفا ابداعيا حيا فى ادائه لوظائفه وتفهما لكون مبادئ الفن العسكرى تتجسد فى الخطط والقرارات وفى عمليات القوات .

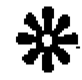
ان وضع الخطط هو عملية ابداعية ينبغى ان يتم من خلالها تقديم شيء جديد واصيل مما لا وجود له فى الواقع بشكل جاهز ناجز ، وتوفير حل اصيل للمسائل المختمرة فى الحياة نفسها ، وايجاد الاساليب الاكثر جدوى لاستخدام القوى والوسائل المتوفرة . علما بان العمليات العسكرية ، كقاعدة عامة ، لا تجرى بالدقة الواردة فى الخطط الاولية . وتجرى على هذه الخطط التعديلات والاضافات اللازمة ، بل وتتعرض احيانا الى تنقيح جوهرى ، او تستبدل بغيرها ، اذا تغير الموقف بصورة جذرية . وحتى اذا لم تتغير خطة المعركة او العملية المعنية ينبغى للكوادر القيادية المشرفة على القوات ان تتخذ قرارات خلاقة وان تبدى المبادرة والابداع فى اطار المهمة المطروحة .

اذن ، **فان سنن القتال الموضوعية وتنسيق خوضه جانبان لعملية واحدة مترابطان ترابطا لا ينفصم** . وبفضل التنسيق والدأب الهادفين تؤمن وحدة الارادة والاعمال لدى القوات وتعاقب هذه الاعمال زمنيا والصلابة المتناهية والحزم فى النضال من اجل بلوغ الاهداف المرسومة واستخدام مختلف اشكال القتال واستبدالها السريع اذا اقتضى الامر . ويؤمن التنسيق والدأب الهادفان اجراء العمليات الهجومية بنشاط بالغ . ويؤثر طرح الاهداف الكبرى فى الهجوم تأثيرا محفزا على القوات . ولا يمكن بلوغ هذه النتائج ، طبعا ، الا عندما لا تتنافى الاهداف والخطط مع متطلبات قوانين القتال الموضوعية ، وانما تستجيب لها كليا .

ان تفسير قوانين ومبادئ العلم العسكرى من مواقف المادية

الديالكتيكية والتعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش يتسم بأهمية عظيمة بالنسبة لنشاط الكوادر العسكرية . ويعزى ذلك ، اولا ، الى ان الحاجة تستدعى فى الظروف الراهنة وبسبب الثورة فى الشؤون العسكرية هضم مبادئ لخوض العمليات الحربية مدروسة نظريا فقط ولكنها لم تستند بعد الى خبرة عسكرية عملية كافية . وان قوة التكهن العلمى مطالبة بان تعوض عن انعدام ممارسة خوض العمليات الحربية التى تستخدم فيها وسائل القتال الحديثة . ثانيا ، يستحيل تحسين قيادة القوات ورفع مستواها العلمى على نحو فعال بدون المعالجة النظرية المعمقة لقوانين العلم العسكرى ومبادئ الفن العسكرى . ان القوانين هى اساس نشاط الناس المجدى واساس الادارة الفعالة لجميع العمليات ، بما فيها القتال . ثالثا ، لا يمكن متابعة تطوير واستكمال القوانين والمبادئ الا باتخاذ الموقف الخلاق من النظرية العسكرية عموما ومن نواتها المتمثلة بهذه القوانين والمبادئ خصوصا . رابعا ، يتطلب الموقف الخلاق من معرفة وتطبيق قوانين النظرية العسكرية ومبادئ الفن العسكرى زيادة نشاط جميع المحاربين فى تطوير الشؤون العسكرية والنظرية العسكرية ، والدراسة العميقة للمواثيق والتوجيهات العسكرية التى تتجسد فيها الاحكام الاساسية للنظرية العسكرية والتى تتضمن التوصيات العملية.

ان التطوير اللاحق للنظرية العسكرية والتطبيق العسكرى والادراك العميق لكل ما ولدته الثورة فى الشؤون العسكرية ولكل ما اسفر عنه التقدم الاجتماعى-السياسى على الصعيد العالمى هما اهم واجب للكوادر العسكرية فى البلدان الاشتراكية .



خاتمة

خرجت التعاليم الماركسية-اللينينيـــة عن الحرب والجيش مرفوعة الرأس من الامتحان التاريخى طوال اكثر من نصف قرن من بناء الاشتراكية والشيوعية فى الاتحـاد السوفييتى ، ومن الحروب المظفرة دفاعا عن اول دولة اشتراكية فى العالم ، واكدتهـا خبرة تطور المنظومة الاشتراكية العالمية وتعزز التعاون العسكرى بين البلدان الشقيقة . وقد رفع الحزب الشيوعى السوفييتى هذه التعاليم فى الظروف الراهنـــة الى درجة جديدة اعلى . وعالج الحزب اكبر قضايا الحرب والجيش التى تتسم بأهمية هائلة فى تحديد وتنفيـذ السياسة العسكرية والبناء العسكرى انطلاقـا من خصائص العصر الحاضر والحرب العالمية المحتملة .

ان تحليل القضايا الجذرية للتعاليم الماركسية-اللينينيـــة عـــن الحــــرب والجيش يســـاعدنا فى استخلاص بعض الاستنتاجات :

١ ــ تلعب دراسة طبيعة الحروب الحديثة وخصائصهـــا ومصادرها دورا حاسما بالنسبـــة للفهم العميق الصائب لموقف

الاحزاب الماركسية-اللينينيــــة من الحرب . وتقدم الماركسية-اللينينية باعتبارها نظاما متناسقــا متكاملا للآراء الفلسفيــة والاقتصادية والاجتماعية-السياسيــة الحل العلمى الوحيد لهذه المسائل . فهى تحدد موقف الاحزاب الشيوعية والعماليــة ازاء مختلف انواع الحروب الحديثة انطلاقــا من مواقع الامميــة البروليتارية . وان الحزب الشيوعى السوفييتى والشعب السوفييتى بأسره ، اذ يناضلان بحزم ضد الحروب الامبريالية الاغتصابية ، بما فيها الحروب بين الدول الرأسمالية ، وضد الحروب المحلية الرامية الى خنق الحركات التحررية الشعبية ، يعتبران ان من واجبهما دعم النضال المقدس للشعوب المضطهدة وحروب التحرر العادلة ضد الامبريالية .

٢ ـ يرتبط تعزيز القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى والاسرة الاشتراكية جمعاء بالتفهم الصائب لمضمون العصر الحاضر ولقوانين واتجاهات تطوره . واشــار المؤتمر الرابــع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى الى ان تناسب القوى على الصعيد العالمى لا يزال يتغير لصالح الاشتراكية والحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى . ويتسم استنتاج الحزب الشيوعى هذا بأهمية نظريــة وعملية كبيرة . فهو يتيح رؤية الامكانية الواقعية لدرء الحرب العالمية النووية ، الامر الذى تجلى فى الاتفاقية السوفييتية-الاميركية.

٣ ـ تعتبر الاحكام الجذرية فى التعاليم الماركسية-اللينينيــة عن الحرب والجيش التى يطورها الحزب الشيوعى على الدوام اساسا علميا-نظريا لحل المسائل الملموســة لزيادة الجبروت العسكرى للاتحاد السوفييتى والمعسكر الاشتراكى بأسره ، ومرشدا للعمل فى نضالهما ضد خطر الحرب ومن اجل السلام العالمى .

٤ ـ يهتم الحزب الشيوعى السوفييتى بالحفاظ على القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتى والاستعداد الحربى لقواته المسلحة على

مستوى يؤمن الحاق الهزيمة الماحقة باى عدو يتجرأ على التطاول على الوطن السوفييتى .

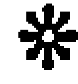
فالقوات المسلحة السوفييتية المجهزة بالآليات الحربية والاسلحة الممتازة هى عامل جبار للحفاظ على السلم العالمى . وهى قادرة فى حالة نشوب الحرب على توجيه الضربة القاضية الى العدو وعلى دحره كليا .

ان القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى تحل مهمات اممية كبرى . وتعمل جميع جيوش البلدان الاشتراكية على زيادة قدرتها الحربية باطراد . ويعزز افراد هذه الجيوش يوميا التعاون الكفاحى فيما بينهم ، ويتربون بروح الاخلاص الاممى وعدم التسامح مع مظاهر العداء القومى والعنصرى ، وعدم التساهل مع اعداء الشيوعية وقضية السلام وحرية الشعوب . ان الوحدة الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والعسكرية للاسرة الاشتراكية هى اساس قوتها التى لا تقهر .

٥ ــ تعتبر التعاليم الماركسية-اللينينية عن الحرب والجيش الاساس الفلسفى-العلماجتماعى للمذهب العسكرى السوفييتى الحديث والعلم العسكرى السوفييتى . فهى تساعد على الالتزام بالموقف الحزبى العلمى من حل جميع القضايا العسكرية على ضوء التغيرات الثورية فى الشؤون العسكرية . وان معالجة المسائل الخاصة بالقتال وبالتحضير له هى المضمون الاساسى للعلم والتطبيق العسكريين . ولكنه ينبغى ان لا يغيب عن البال ابدا ان الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل العنف ، بينما تعتمد الشؤون العسكرية دوما على تطور الاقتصاد والعلم وعلى النظام الاجتماعى-السياسى والايديولوجية والروح المعنوية والمستوى الثقافى للسكان . وينطلق العلم العسكرى السوفييتى لدى حل جميع مهماته من التحليل

العميق الشامل والتقييم الموضوعي للامكانيات الاقتصادية والعلمية- التكنيكية والمعنوية-السياسية لبلدان الاسرة الاشتراكية والمعسكر الامبريالي ، ويأخذ بعين الاعتبار واقع ان اهمية السياسة في الحرب الحديثة تزداد لدرجة اكبر .

ولم تبق اية مسألة في حل قضايا العلم العسكري وقضايا الحرب دون ان تتعرض حاليا للتشويه على يد البرجوازية والتحريفيين اليمينيين و«اليساريين» . وان الروح الحزبية والعلمية التي تميز النظرية العسكرية السوفييتية هي سلاح امين بتار في النضال الايديولوجي المعاصر وفي النضال من اجل السلام .



تواريخ الحروب والانتفاضات المسلحة
والصدامات الحربية

(منذ اواخر القرن التاسع عشر)

٢١ ابريل ــ ١٢ اغسطس ١٨٩٨	ــ الحرب الاسبانية الاميركية ، اول حرب امبريالية من اجل اقتسام العالم . استيلاء الولايات المتحدة الاميركية على المستعمرات الاسبانية .
١٨٩٨	ــ قمع القوات البريطانية للانتفاضة الشعبية الكبرى التى اندلعت فى السودان عام ١٨٨١.
فبراير ١٨٩٩ ــ ابريل ١٩٠١	ــ الحرب الامبريالية التى شنتها الولايات المتحدة الاميركية على جمهورية الفليبين .
١٨٩٩ــ١٩٠١	ــ الحرب الاستعمارية التى شنتها فرنسا على قبائل شمال غربى الصحراء الكبرى واحتلال الصحراء بأسرها نهائيا .
١٨٩٩ــ١٩٠١	ــ انتفاضة ايختوان المعادية للامبريالية فى الصين وقمعها من قبل قوات المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وفرنسا واليابان وروسيا القيصرية والنمسا-المجر وايطاليا .
١٨٩٩ــ١٩٠٢	ــ احتلال القوات الاميركية لكوبا .
١٢ اكتوبر ١٨٩٩ ــ	ــ الحرب الانجليزية-البورية . تحويل دولة

٣١ مايو ١٩٠٢	اورنج الحرة وجمهورية ترانسفال الى مستعمرتين بريطانيتين .
١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣	ــ التدخلات المسلحة الاميركية فى كولومبيا .
١٩٠٣	ــ استيلاء الولايات المتحدة الاميركية على منطقة قناة بناما .
١٩٠٤ـ١٩٠٧	ــ انتفاضة قبائل هيرورو وهوتينتوت ضد المستعمرين الالمان فى جنوب غربى افريقيا .
١٩٠٤	ــ التدخل المسلح البريطانى فى التبت .
٢٦ يناير ١٩٠٤ـ ٢٣ اغسطس ١٩٠٥	ــ الحرب الروسية ـ اليابانية .
١٩٠٥ـ١٩٠٧	ــ الثورة الروسية الاولى (١٤ـ٢٤ يونيو ١٩٠٥ ــ انتفاضة طاقم الدارعة « بوتيومكين » ؛ ٢٢ـ٢٤ يونيو ــ انتفاضة العمال فى لودز ؛ ٢٦ـ٢٨ اكتوبر ــ الانتفاضة فى كرونشتادت ؛ ١١ـ١٦ نوفمبر ــ الانتفاضة فى سيباستبول ؛ ديسمبر ١٩٠٥ ــ انتفاضة العمال فى موسكو وعدد من المدن الاخرى ؛ ١٧ـ ٢٠ يوليو ١٩٠٦ ــ انتفاضة البحارة فى سفيابورغ وكرونشتادت) .
١٩٠٥ـ١٩١١	ــ الثورة البرجوازية فى ايران (بلغت اوجها فى الانتفاضة فى تبريز) . تدخل قوات بريطانيا وروسيا القيصرية .
١٩٠٥	ــ التدخل المسلح الاميركى فى هندوراس .
١٩٠٦ـ١٩٠٩	ــ الانتفاضة فى كوبا واحتلالها من قبل القوات الاميركية .
١٩٠٦ـ١٩١١	ــ الانتفاضات الشعبية فى الصين .

١٩٠٧	ـ الانتفاضة الفلاحية فى رومانيا .
١ يونيو ١٩٠٧	ـ الانتفاضة الفلاحية فى البنجاب (الهند) .
١٩٠٧	ـ التدخل المسلح الاميركى فى هندوراس .
١٩٠٧	ـ الانتفاضة المعادية لليابان فى كوريا .
يوليو ١٩٠٨	ـ الانتفاضة فى مقدونيا وانتصار الثورة البرجوازية فى تركيا (ثورة تركيا الفتاة) .
١٩٠٨	ـ الانتفاضة الشعبية فى غينيا ضد المستعمرين الفرنسيين .
٢٦ـ٣١ يوليو ١٩٠٩	ـ انتفاضة العمال فى برشلونه (اسبانيا) .
١٩٠٩	ـ التدخل المسلح الاميركى فى نيكاراغوا .
١٩٠٩ـ١٩١١	ـ الحرب الاستعمارية الفرنسية ضد شعب المغرب .
١٩١٠ـ١٩١٢	ـ انتفاضة بحارة الاسطول الحربى البرازيلى .
١٩١٠ـ١٩١٢	ـ الانتفاضات الشعبية فى البانيا ضد النير التركى .
١٩١٠ـ١٩١٧	ـ الثورة البرجوازية ـ الديمقراطية والحرب الاهلية فى المكسيك . فشل التدخلات المسلحة الاميركية فى ١٩١٤ و١٩١٦ـ ١٩١٧ .
٤ـ٥ اكتوبر ١٩١٠	ـ الانتفاضة والاطاحة بالنظام الملكى فى البرتغال .
٢٩ سبتمبر ١٩١١ـ ١٨ اكتوبر ١٩١٢	ـ الحرب الايطالية ـ التركية واستيلاء ايطاليا على منطقة طرابلس الغرب وبرقة وبنغازى .
١٠ اكتوبر ١٩١١	ـ انتفاضة اوشان ، بداية ثورة سينخاى البرجوازية فى الصين .
١٩١٢	ـ انتفاضة جنود الهندسة قرب طشقند .
١٩١٢	ـ التدخل المسلح الاميركى فى هندوراس .

٩ اكتوبر ١٩١٢ـ ٣٠ مايو ١٩١٣	ـ الحرب البلقانية الاولى بين تركيا والحلف البلقانى (بلغاريـــا ، الصرب ، اليونان ، الجبل الاسود) .
١٩١٢ـ١٩١٥	ـ الكفاح المسلـــح للفلاحين والعمـــال الزراعيين من اجل الارض فى البرازيل .
٢٩ يونيو ـ ١٠ اغسطس ١٩١٣	ـ الحرب البلقانية الثانية (بلغاريا ضد الصرب والجبل الاسود واليونان ورومانيا وتركيا) .
١ اغسطس ١٩١٤ ـ ١١ نوفمبر ١٩١٨	ـ الحرب العالمية الاولى .
١٩١٥	ـ التدخل المسلح الاميركى فى هايتى .
١٩١٥	ـ التدخل المسلح الاميركى فى ليبيريا .
٢٤ـ٣٠ ابريل ١٩١٦	ـ انتفاضة دبلن (ايرلندة) ضد السيطرة الانجليزية .
ابريل ١٩١٦	ـ الانتفاضة فى جمهورية الدومينيـــك وقمعها من قبل القوات الاميركية واحتلال اراضى الجمهورية (حتى عام ١٩٢٤) .
يوليو ١٩١٦ ـ فبراير ١٩١٧	ـ الانتفاضات الوطنية التحررية فى آسيا الوسطى وكازاخستان .
٢٧ فبراير ١٩١٧	ـ الانتفاضـــة المسلحـــة فى بتروغراد وانتصـــار ثورة فبرايـــر البرجوازية الديمقراطية فى روسيا .
٣ اغسطس ١٩١٧	. انتفاضة طواقم سفن الاسطول البحرى الالمانى .
٢٩ اغسطس ـ ٢ سبتمبر ١٩١٧	ـ انتفاضـــة العمـــال فى تورينـــو (ايطاليا) .
١٩١٧ـ١٩٢٠	ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . الحرب الاهلية والتدخـــل الاجنبى المسلح فى روسيا .
١٩١٧ـ١٩٢٢	ـ الانتفاضة فى كوبا والتدخل الاميركى .

٢٨ يناير ــ ٥ مايو ١٩١٨	ــ الثورة العمالية فى فنلندة التى قمعتها البرجوازية الفنلندية بمساعدة القوات الالمانية .
١ــ٢ فبراير ١٩١٨	ــ انتفاضة بحارة العمارة النمساوية ـ المجرية فى ميناء كاتارو (كوتور) .
مارس ١٩١٨	ــ الانتفاضة ضد الانجليز فى العراق .
اغسطس ــ سبتمبر ١٩١٨	ــ «تمردات الرز» فى اليابان .
سبتمبر ١٩١٨	ــ انتفاضة جنود فلاداى فى بلغاريا .
٣٠ــ٣١ اكتوبر ١٩١٨	ــ الانتفاضة فى بودابست وانتصار الثورة البرجوازية ـ الديمقراطية فى المجر .
١٩١٨ــ١٩٢٠	ــ الانتفاضة فى هايتى وقمعها من قبل القوات الاميركية .
نوفمبر ١٩١٨	ــ الاضراب العام ومعارك المتاريس فى ريوديجانيرو .
١٩١٨	ــ الثورة البرجوازية ـ الديمقراطية فى المانيا (٣ نوفمبر ــ الانتفاضة فى كيل ؛ ٥ نوفمبر ــ استيلاء العمال والبحارة على لوبيك وهامبورغ وبريمين ؛ ٩ نوفمبر ــ الثورة فى برلين) .
١٩١٩	ــ الانتفاضات الثورية للبروليتاريا فى المانيا (٥ــ١٣ يناير ــ انتفاضة العمال فى برلين ؛ ١٠ يناير ــ ٣ فبراير ــ جمهورية بريمين السوفييتية ؛ ٣ــ١٦ مارس ــ الانتفاضة فى برلين ؛ ١٣ ابريل ــ ١ مايو ــ جمهورية بافاريا السوفييتية) .
مارس ــ ابريل ١٩١٩	ــ الانتفاضة الشعبية فى مصر ضد الغزاة البريطانيين (ثورة ١٩١٩) .
مارس ــ ابريل ١٩١٩	ــ الانتفاضة الشعبية فى كوريا ضد الغزاة

	اليابانيين .
ابريل ١٩١٩	ـ اطلاق الرصـــاص من قبل القـــوات البريطانية على المظاهرة فى امريتســـار . الانتفاضة فى البنجاب (الهند) .
١٦ـ٢٧ ابريل ١٩١٩	ـ انتفاضة بحارة سفن العمارة الفرنسية فى البحر الاسود .
١٨ ابريل ـ ١ اغسطـــس ١٩١٩	ـ الكفـــاح المسلح لجمهوريـــة المجر السوفييتية ضد قوات دول الوفاق والثورة المعاكسة الداخلية .
١٩١٩ـ١٩٢١	ـ حرب الانصار فى ايرلندة ضد السيطرة الانجليزية .
٣ مايو ـ٣ يونيو ١٩١٩	ـ الحـــرب الانكلو-افغانيـــة واحـــراز افغانستان لاستقلالها .
مايو ١٩١٩ـ١٩٢٢	ـ حرب الشعب التركى التحررية ضـــد التدخل الانكلو-يونانى .
١٥ـ٢٣ مارس ١٩٢٠	ـ انتفاضة العمال فى الروهر .
ابريل ١٩٢٠	ـ الانتفاضة الوطنيـــة الديمقراطيـــة فى تبريز (ايران) .
يونيو ـ اغسطس ١٩٢٠	ـالانتفاضة الشعبية ضـــد الايطاليين فى فليورا (البانيا) .
يونيو ـ نوفمبر ١٩٢٠	ـ الانتفاضة ضد الانجليز فى العراق (ثورة العشرين) .
١٩٢٠ـ١٩٢١	ـ اخمـــاد الجيش الاحمر لتمرد الكولاك والاشتراكيين-الثـــوريين على السلطـــة السوفييتية فى محافظة تامبوف .
٢٨ فبرايـــر ـ١٨ مـــارس ١٩٢١	ـ تمرد الردة فى كرونشتادت واخمـــاده من قبل الجيش الاحمر .
مارس ـ يوليو ١٩٢١	ـ دحر العسكريين الصينيين وافراد الحرس الابيض الروس فى منغوليا من قبل الجيش

	الاحمر السوفييتى بالاشتراك مع وحدات القوات المنغولية .
٢٣ـ٣١ مارس ١٩٢١	ـ انتفاضة البروليتاريا فى المانيا الوسطى .
يوليو ١٩٢١	ـ دحر الريفيين للدخلاء الاسبانيين وتاسيس جمهورية الريف المستقلة فى المغرب .
اغسطس ١٩٢١	ـ الانتفاضة الفلاحية فى ساحل مالابار الهندى .
اكتوبر ١٩٢١ـ فبراير ١٩٢٢	ـ التدخل الفنلندى فى كاريليا السوفييتية .
نوفمبر ١٩٢١	ـ الاضراب العام ومعارك المتاريس فى بومباى (الهند) .
ديسمبر ١٩٢١	ـ الانتفاضة فى مصر ضد المستعمرين البريطانيين .
٤ فبراير ١٩٢٢	ـ الانتفاضة فى شاورى‌ـشاورا (الهند) ضد البريطانيين .
٢٨ يونيو ١٩٢٢ـ ٣٠ ابريل ١٩٢٣	ـ الحرب الاهلية فى ايرلندة .
٥ يوليو ١٩٢٢	ـ الانتفاضة فى حامية ريوديجانيرو .
اكتوبر ١٩٢٢	ـ طرد المتدخلين اليابانيين من منطقة بريموريه السوفييتية .
١٩٢٢ـ١٩٣٢	ـ الحرب الاستعمارية الايطالية ضد قبائل ليبيا .
٣١ اغسطس ـ٢٧ سبتمبر ١٩٢٣	ـ قصف الجزيرة اليونانية كورفو واحتلالها من قبل القوات الايطالية .
١٩ـ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣	ـ الانتفاضة الشعبية ضد الفاشية فى بلغاريا .
٢٣ـ٢٥ اكتوبر ١٩٢٣	ـ انتفاضة العمال فى هامبورغ .
٦ـ٨ نوفمبر ١٩٢٣	ـ انتفاضة العمال فى كراكوف (بولونيا).

يونيو ١٩٢٤	ـ الانتفاضة الشعبية والثورة البرجوازية ـ الديمقراطية فى البانيا .
١٩٢٤ـ١٩٢٧	ـ الانتفاضة فى حامية مدينة سان ـ باولو والمسيرة الثورية «طوابير بريستيس» (البرازيل) .
١٩٢٤ـ١٩٢٧	ـ الحرب الاهلية الثورية الاولى فى الصين .
١٩٢٥ـ١٩٢٦	ـ الحرب الاستعمارية للامبرياليين الفرنسيين والاسبانيين فى المغرب ضد جمهورية الريف .
١٩٢٥ـ١٩٢٧	ـ الانتفاضة الوطنية التحررية فى سورية ضد المستعمرين الفرنسيين .
١٩٢٦ـ١٩٢٧	ـ الانتفاضتان المعاديتان للامبريالية فى حاوه (١٩٢٦) وسومطرة (١٩٢٧) .
١٩٢٧ـ١٩٣٧	ـ الحرب الاهلية الثورية الثانية فى الصين .
١٩٢٧	ـ الحرب الوطنية التحررية فى نيكاراغوا .
١٩٢٨ و١٩٣٠	ـ انتفاضتا الفلاحين الهنود الحمر فى بوليفيا .
١ـ٣ مايو ١٩٢٩	ـ اطلاق الرصاص على مظاهرة اول مايو فى برلين ومعارك المتاريس لبروليتاريا برلين .
يوليو ـ نوفمبر ١٩٢٩	ـ الصدام على السكة الحديدية الصينية الشرقية الذى دبره الامبرياليون . دحر العسكريين الصينيين من قبل الجيش الاحمر السوفييتى .
١٩٢٩	ـ الانتفاضة فى هايتى وقمعها من قبل مشاة البحرية الاميركية .
فبراير ١٩٣٠	ـ الانتفاضة الشعبية فى الهند الصينية ضد المستعمرين الفرنسيين .

ابريل ـ مايو ١٩٣٠	ـ الانتفاضات ضد المستعمرين البريطانيين فى مدن تشيتاغولغ وبيشافار وشولابور (الهند) .
١٩٣٠ـ١٩٣٢	ـ الانتفاضة المعادية للامبريالية والاقطاع فى بورما .
١٩٣١ـ١٩٣٣	ـ الانتفاضات المعادية للاقطاعية فى امارات جامو وكشمير والفار ودير وبولرا (الهند) .
سبتمبر ١٩٣١ـ١٩٣٣	ـ احتلال الامبرياليين اليابانيين لمنشوريا.
١٩٣١ ، ١٩٣٢	ـ انتفاضة العمال والفلاحين فى بيرو ، النضالات الثورية فى الجيش والاسطول .
١٩٣٢ـ١٩٣٣	ـ الانتفاضات الفلاحية فى بولونيا .
١٩٣٢	ـ الانتفاضة فى سلفادور .
١٩٣٢ـ١٩٣٤	ـ الحرب بين كولومبيا وبيرو .
١٩٣٢ـ١٩٣٥	ـ الحرب بين بوليفيا وباراغواى .
١٩٣٣	ـ نضال الانصار فى كوبا .
فبراير ١٩٣٤	ـ الكفاح المسلح لبروليتاريا النمسا ضد قوات الحكومة .
مارس ـ مايو ١٩٣٤	ـ الحرب بين اليمن والعربية السعودية بتحريض من بريطانيا .
اكتوبر ١٩٣٤	ـ انتفاضات العمال ضد الفاشية فى استوريا وكاتالونيا ومدريد وغيرها من مناطق اسبانيا .
مايو ١٩٣٥	ـ الانتفاضة فى الفليبين .
١٤ اغسطس ١٩٣٥	ـ الانتفاضة فى فييرى (البانيا) ضد زمرة زوغو .
٣ اكتوبر ١٩٣٥ ـ مايو ١٩٣٦	ـ الحرب الايطالية ـ الاثيوبية ، تحويل اثيوبيا الى مستعمرة ايطالية .
نوفمبر ١٩٣٥	ـ الانتفاضات الشعبية فى ريوديجانيرو

	ونيتيروى ورسيف وناتال (البرازيل) .
يوليو ١٩٣٦ ـ مارس ١٩٣٩	ـ الحرب الوطنية الثورية للشعب الاسبانى ضد المتمردين الفاشيين والدخلاء الالمان والايطاليين .
٧ يوليو ١٩٣٧ ـ ٢ سبتمبر ١٩٤٥	ـ الحرب الوطنية التحررية للشعب الصينى ضد الغزاة اليابانيين .
١١ ـ ١٢ مارس ١٩٣٨	ـ استيلاء المانيا الهتلرية على النمسا .
٢٩ يوليو ـ ١١ اغسطس ١٩٣٨	ـ دحر الغزاة اليابانيين على يد الجيش الاحمر قرب بحيرة خاسان .
اكتوبر ١٩٣٨ ـ مارس ١٩٣٩	ـ احتلال المانيا الهتلرية لتشيكوسلوفاكيا .
ابريل ١٩٣٩	ـ احتلال ايطاليا الفاشية لألبانيا .
١١ مايو ـ ٣١ اغسطس ١٩٣٩	ـ اقتحام القوات اليابانية لاراضى جمهورية منغوليا الشعبية فى منطقة نهر خالخين-غول ، ودحر هذه القوات من قبل الجيش الاحمر بالاشتراك مع القوات المنغولية .
١ سبتمبر ١٩٣٩ ـ ٢ سبتمبر ١٩٤٥	ـ الحرب العالمية الثانية .
٣٠ نوفمبر ١٩٣٩ ـ ١٣ مارس ١٩٤٠	ـ الحرب السوفييتية-الفنلندية .
٢٢ يونيو ١٩٤١ ـ ٩ مايو ١٩٤٥	ـ حرب الاتحاد السوفييتى الوطنية العظمى .
٧ يوليو ١٩٤١	ـ بداية الانتفاضة الشعبية العامة فى يوغوسلافيا ضد الغزاة الفاشست .
١ اغسطس ـ ٢ اكتوبر ١٩٤٤	ـ الانتفاضة المعادية للهتلريين فى وارشو .
١٩ ـ ٢٥ اغسطس ١٩٤٤	ـ الانتفاضة الشعبية فى باريس وتحرير المدينة من الغزاة الالمان الفاشست .

٢٧ اغسطس ـ اكتوبر ١٩٤٤	ـ الانتفاضة الشعبية ضد الفاشية فى سلوفاكيا .
٢٣ اغسطس ١٩٤٤	ـ الانتفاضة الشعبية ضد الفاشية فى بوخارست .
٩ سبتمبر ١٩٤٤	ـ الانتفاضة الشعبية ضد الفاشية فى بلغاريا .
٢٠ اكتوبر ١٩٤٤	ـ الانتفاضة فى غواتيمالا .
٢٧ مارس ١٩٤٥	ـ الانتفاضة الشعبية فى بورما ضد المحتلين اليابانيين .
ابريل ١٩٤٥	ـ الانتفاضة الشعبية التحررية فى شمال ايطاليا .
٥ ـ ٩ مايو ١٩٤٥	ـ الانتفاضة الشعبية ضد الفاشية فى براغ .
١٩ اغسطس ١٩٤٥	ـ الانتفاضة الشاملة وانتصار ثورة اغسطس فى الفيتنام .
١٢ اكتوبر ١٩٤٥	ـ الانتفاضة الشعبية واعلان استقلال لاؤوس .
١٩٤٥ـ١٩٤٩	ـ الحرب التحررية لشعوب اندونيسيا ضد المستعمرين البريطانيين والهولنديين .
١٩٤٦ـ١٩٥٤	ـ حرب الفيتنام التحررية ضد المستعمرين الفرنسيين .
يناير ـ فبراير ١٩٤٦	ـ الانتفاضات ضد البريطانيين فى الاسطول الهندى المدعومة بالنضالات الجماهيرية للشغيلة .
١٩٤٦ـ١٩٤٩	ـ الحرب الاهلية الثورية الثالثة فى الصين .
يوليو ١٩٤٦ ـ اكتوبر ١٩٤٩	ـ الحرب الاهلية فى اليونان .
سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٤٦	ـ الانتفاضة فى كوريا الجنوبية ضد

	الامبريالية الاميركية .
ديسمبر ١٩٤٦	ـ قمع القوات الحكومية الايرانية للحركة الديمقراطية فى اذربيجان الايرانية وغيليان وكردستان .
٢٨ فبراير ١٩٤٧	ـ الانتفاضة الشعبية فى جزيرة تايوان ضد نظام الغومندان .
مارس ـ اكتوبر ١٩٤٧	ـ الانتفاضة فى باراغواى وقمعها بمساعدة الامبرياليين الاميركان .
مارس ١٩٤٧	ـ الانتفاضة الشعبية ضد المستعمرين الفرنسيين فى جزيرة مدغشقر .
اكتوبر ١٩٤٧ ـ ديسمبر ١٩٤٨	ـ الصدام الحربى بين الهند والباكستان بسبب كشمير .
١٩٤٨	ـ انتفاضة الفلاحين الهنود الحمر فى بوليفيا .
١٩٤٨ـ١٩٤٩	ـ الحرب بين العرب واسرائيل .
مارس ـ ديسمبر ١٩٤٨	ـ الحرب الاهلية وتدخل المرتزقة الاميركان فى كوستاريكا .
ابريل ١٩٤٨	ـ الانتفاضة الشعبية فى كولومبيا .
يونيو ١٩٤٨ ـ ديسمبر ١٩٥٥	ـ الحرب التحررية لشعب الملايو ضد المستعمرين البريطانيين .
١٩٤٩ـ١٩٥٠	ـ العدوان البريطانى على اليمن .
١٩٤٩ـ١٩٥٣	ـ الكفاح الوطنى التحررى المسلح فى الفليبين .
٢٥ يونيو ١٩٥٠ـ ٢٧ يوليو ١٩٥٣	ـ الحرب التحررية للشعب الكورى ضد المتدخلين الاميركان والرجعيين الكوريين .
يونيو ١٩٥٠	ـ احتلال القوات الاميركية لجزيرة تايوان .
اكتوبر ١٩٥٠	ـ الانتفاضة فى بورتوريكو واخمادها من قبل القوات الاميركية .

١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣	ــ الانتفاضات فى بيرو .
يناير ١٩٥٢ ــ يونيو ١٩٥٨	ــ الكفاح المسلح للشعب التونسى ضد المستعمرين الفرنسيين .
مارس ١٩٥٢	ــ الانقلاب العسكرى فى كوبا المدبر بدعم من الولايات المتحدة الاميركية واقامة نظام باتيستا الدكتاتورى .
٩ــ١٢ ابريل ١٩٥٢	ــ الانتفاضة فى بوليفيا ضد نظام الدكتاتورية العسكرية .
٢٣ يوليو ١٩٥٢	ــ الانقلاب الثورى والاطاحة بالنظام الملكى فى مصر (ثورة يوليو) .
٢٦ يوليو ١٩٥٢	ــ الانتفاضة الثورية فى كوبا ضد نظام باتيستا الدكتاتورى .
١٩٥٢ــ١٩٥٦	ــ الحرب الاستعمارية البريطانية ضد حركة التحرر الوطنى لشعب كينيا .
سبتمبر ــ ديسمبر ١٩٥٢	ــ عملية القوات البورمية ضد قوات الغومنيدان فى بورما .
اكتوبر ١٩٥٣	ــ عدوان القوات البريطانية على الكويت .
يونيو ١٩٥٤	ــ التدخل المسلح للمرتزقة الاميركان فى غواتيمالا .
١ نوفمبر ١٩٥٤ ــ ١٩ مارس ١٩٦٢	ــ الحرب التحررية للشعب الجزائرى ضد المستعمرين الفرنسيين .
١٩٥٤ــ١٩٥٦	ــ الانتفاضات فى المغرب ضد المستعمرين الفرنسيين .
يناير ١٩٥٥	ــ عدوان المرتزقة الاميركان على كوستاريكا .
يناير ١٩٥٥	ــ الانتفاضة فى غواتيمالا .
مارس ــ يونيو ١٩٥٥	ــ الكفاح المسلح فى الفيتنام الجنوبية .
مايو ١٩٥٥	ــ الانتفاضة الفلاحية فى كولومبيا .
مايو ١٩٥٥	ــ عدوان القوات البريطانية على العربية

	السعودية .
يونيو ١٩٥٥	ـ بداية الحرب التحررية لشعب عمان ضد المستعمرين البريطانيين .
١٩٥٥ـ١٩٥٨	ـ الكفاح المسلح لسكان جزيرة قبرص ضد المستعمرين البريطانيين .
فبراير ١٩٥٦	ـ الانتفاضة فى بيرو ضد النظام الدكتاتورى .
اغسطس ١٩٥٦	ـ الانتفاضة فى هندوراس ضد النظام الدكتاتورى .
اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦	ـ التمرد المعادى للثورة فى المجر .
١٩٥٦	ـ الكفاح المسلح لشعب الكاميرون ضد المستعمرين الفرنسيين .
٢٩ اكتوبر ـ ٨ نوفمبر ١٩٥٦	ـ العدوان الثلاثى على مصر .
نوفمبر ١٩٥٦	ـ الانتفاضة الشعبية فى العراق .
نوفمبر ١٩٥٦	ـ الانتفاضة فى الكويت ضد السيطرة البريطانية .
ديسمبر ١٩٥٦ ـ يناير ١٩٥٩	ـ الحرب الاهلية فى كوبا وانتصار ثورة التحرر الوطنى .
ديسمبر ١٩٥٦	ـ العدوان البريطانى على اليمن .
مايو ١٩٥٧	ـ الاطاحة بالنظام الدكتاتورى فى كولومبيا .
يناير ١٩٥٨	ـ الانتفاضة فى فنزويلا .
١٩٥٨	ـ قمع القوات الحكومية الاندونيسية للتمردات المسلحة التى نظمها الامبرياليون الاجانب والرجعية الداخلية .
مايو ١٩٥٨	ـ الانتفاضة العامة المعادية للامبريالية فى لبنان .
مارس ١٩٥٨	ـ الانتفاضة الشعبية فى نياسالاند

	وقمعها من قبل القوات البريطانية .
١٤ يوليو ١٩٥٨	ــ الثورة الوطنية فى العراق (ثورة ١٤ تموز) .
يوليو ١٩٥٨	ــ التدخل المسلح الاميركى فى لبنان والتدخل المسلح البريطانى فى الاردن .
يناير ١٩٥٩	ــ الانتفاضة الشعبية فى الكونغو وقمعها من قبل القوات البلجيكية .
مايو ١٩٥٩ ــ مايو ١٩٦٢	ــ الحرب الاهلية فى لاؤوس .
اغسطس ١٩٥٩	ــ الانتفاضة فى نيكاراغوا ضد النظام الدكتاتورى .
نوفمبر ١٩٥٩ ــ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢	ــ اشتباكات الحدود والصدامات الحربية (١٩٦٢) بين الهند والصين .
ديسمبر ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠	ــ الانتفاضة والكفاح المسلح فى باراغواى ضد النظام الدكتاتورى .
سبتمبر ١٩٦٠ ــ يوليو ١٩٦١	ــ الانقلاب العسكرى الرجعى والحرب الاهلية فى الكونغو (ليوبولدفيل) .
١٣ نوفمبر ١٩٦٠	ــ الانتفاضة فى غواتيمالا .
فبراير ١٩٦١	ــ بداية الكفاح المسلح لثوار انغولا ضد المستعمرين البرتغاليين .
١٧ ــ ١٩ ابريل ١٩٦١	ــ عدوان المرتزقة الاميركان على كوبا ودحرهم فى بلايا ـ خيرون .
١٩ ــ ٢٢ يوليو ١٩٦١	ــ عدوان القوات الفرنسية على بنزرت (تونس) .
١٨ ــ ٢٠ ديسمبر ١٩٦١	ــ تحرير غوا ودامان وديو من المستعمرين البرتغاليين على يد القوات الهندية .
١٩٦١	ــ بداية كفاح الانصار فى الفيتنام الجنوبية ضد النظام الرجعى والدخلاء الاميركان .
مايو ــ يونيو ١٩٦٢	ــ انتفاضة الحاميتين فى ميناء كاراديابو

	والقاعدة العسكرية في بورتو-كابيلو (فنزويلا) .
مايو – اغسطس ١٩٦٢	– العمليات الحربية في ايريان الغربية ضد المستعمرين الهولنديين في سبيل توحيدها مع اندونيسيا .
١٨–٢٣ سبتمبر ١٩٦٢	– الصدام المسلح بين مجموعتين عسكريتين في الارجنتين .
٢٦–٢٧ سبتمبر ١٩٦٢	– الانقلاب العسكرى والاطاحة بالنظام الملكى في اليمن .
اكتوبر ١٩٦٢ – سبتمبر ١٩٦٣	– العمليات الحربية للجمهورية العربية اليمنية ضد هجوم قوات العربية السعودية والاردن والدخلاء البريطانيين .
ديسمبر ١٩٦٢	– الاشتباكات المسلحة بين قوات حكومة الكونغو (ليوبولدفيل) وبين جندرمة تشومبى .
١٣ يناير ١٩٦٣	– الانقلاب العسكرى في جمهورية توغو .
٨ فبراير ١٩٦٣	– الانقلاب العسكرى المعادى للديمقراطية في العراق .
٢١ يوليو ١٩٦٣	– المعارك الطاحنة بين القوات الحكومية ومناوئى النظام الدكتاتورى في هايتى .
١٥ اكتوبر – ١ نوفمبر ١٩٦٣	– الصدام على الحدود بين الجزائر والمغرب .
ديسمبر ١٩٦٣ – اغسطس ١٩٦٤	– الاشتباكات المسلحة بين المتطرفين الاتراك ووحدات البوليس اليونانية في قبرص .
٨ فبراير – ٣٠ مارس ١٩٦٤	– الاشتباكات المسلحة على الحدود بين اثيوبيا وجمهورية الصومال .
٢٨ مارس ١٩٦٤	– هجوم الطائرات الحربية البريطانية على

	قلعة يمنية .
١ـ٢ ابريل ١٩٦٤	ـ الانقلاب العسكرى المعادى للديمقراطية فى البرازيل .
٥ اغسطس ١٩٦٤	ـ توسيع التدخل المسلح الاميركى ضد حركة التحرر الوطنى فى الفيتنام الجنوبية ، وبداية العمليات العدوانية للقوات البحرية والجوية الاميركية ضد جمهورية الفيتنام الديمقراطية .
٥ـ١٠ اغسطس ١٩٦٤	ـ عدوان القوات الجوية التركية على قبرص .
٢٨ ابريل ١٩٦٥	ـ التدخل المسلح الاميركى ضد جمهورية الدومينيك .
ابريل ـ يونيو ١٩٦٥	ـ الصدام المسلح على الحدود بين الهند والباكستان .
٥ اغسطس ١٩٦٥ـ ١٠ يناير ١٩٦٦	ـ الحرب بين الهند والباكستان . عقد اتفاقية وقف اطلاق النار نتيجة لتوقيع بيان طشقند .
٢٤ فبراير ١٩٦٦	ـ الانقلاب العسكرى فى غانا .
٢٨ يونيو ١٩٦٦	ـ الانقلاب العسكرى فى الارجنتين .
٢١ ابريل ١٩٦٧	ـ الانقلاب العسكرى الرجعى فى اليونان .
٥ يونيو ١٩٦٧	ـ عدوان اسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة وسورية والاردن بعد اعداده من قبل الامبرياليين وعلى رأسهم الولايات المتحدة الاميركية .
٣ اكتوبر ١٩٦٨	ـ الانقلاب العسكرى فى بيرو .
١٢ اكتوبر ١٩٦٨	ـ الانقلاب العسكرى فى بناما . استيلاء الزمرة العسكرية على السلطة .
١٩ نوفمبر ١٩٦٨	ـ الانقلاب العسكرى فى جمهورية مالى .
١٤ يوليو ١٩٦٩	ـ الصدام المسلح بين سلفادور

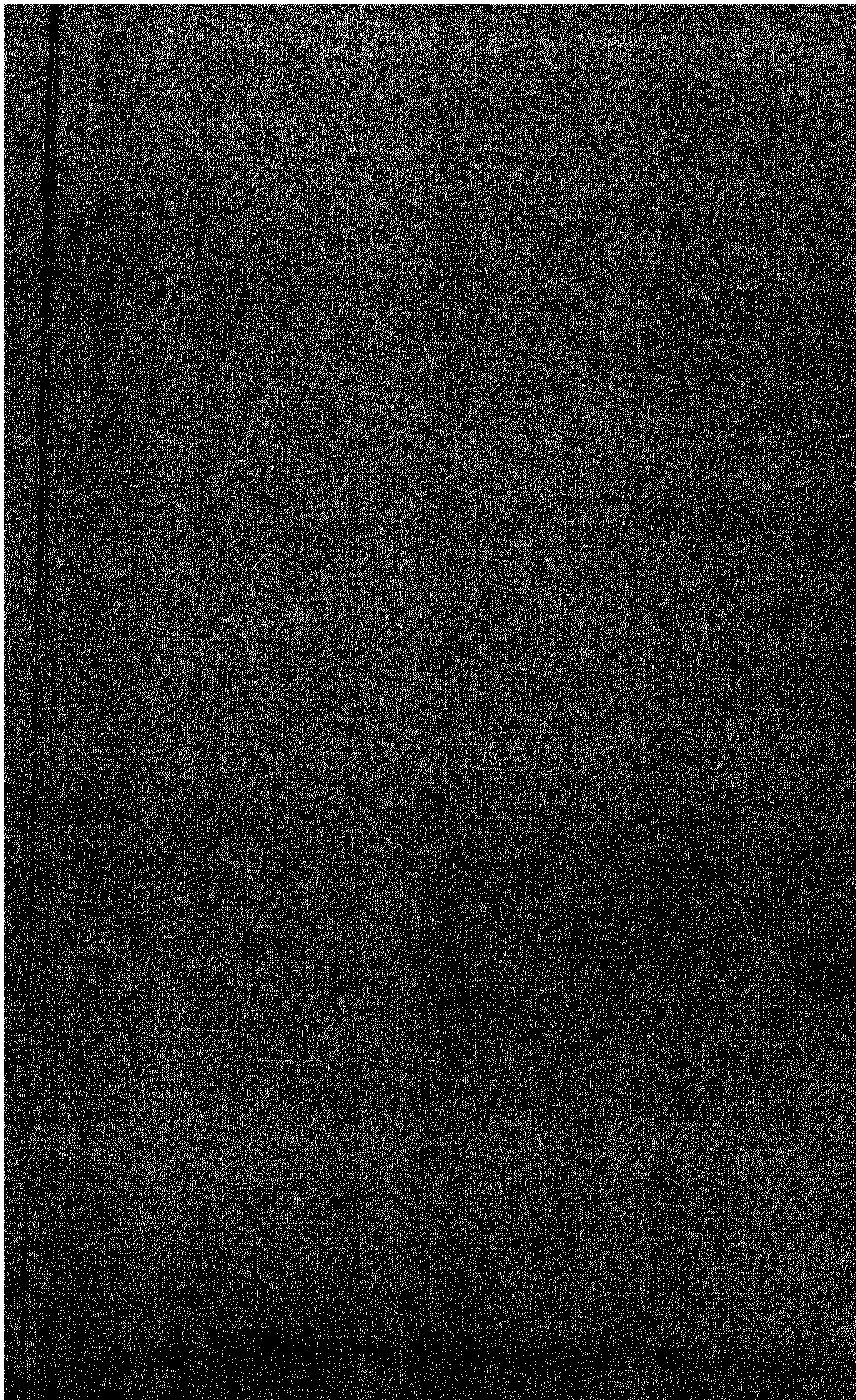
	وهندوراس .
١ سبتمبر ١٩٦٩	ـ الانقلاب الحكومى فى ليبيا . الاطاحة بالملكية على يد الجيش واعلان الجمهورية العربية الليبية .
٢٦ سبتمبر ١٩٦٩	ـ الانقلاب العسكرى فى بوليفيا .
ـ ١٥ يناير ١٩٧٠	ـ الحرب فى نيجيريا . ١٥ يناير وقع الانفصاليون شروط استسلام « بيافرا » دون قيد او شرط ، مما وضع حدا للحرب الطويلة الامد فى نيجيريا .
مارس ١٩٧٠	ـ التدخل المسلح للقوات الاميركية فى لاؤوس .
٨ ابريل ١٩٧٠	ـ الانقلاب العسكرى فى الارجنتين وانتقال السلطة الى ايدى الزمرة العسكرية .
ابريل ١٩٧٠	ـ تدخل القوات الاميركية فى اراضى كمبوديا وفتح جبهة جديدة للعدوان الاميركى فى الهند الصينية .
١٢ـ١٣ مايو ١٩٧٠	ـ العمليات العدوانية للقوات الاسرائيلية ضد لبنان .
٢٤ـ٢٦ يونيو ١٩٧٠	ـ العمليات الحربية الشديدة بين اسرائيل وسورية على طول خط وقف اطلاق النار .
سبتمبر ١٩٧٠	ـ الصدامات المسلحة بين وحدات الجيش الاردنى وفصائل الفدائيين الفلسطينيين .
٢٢ نوفمبر ١٩٧٠	ـ الهجوم المسلح للمرتزقة البرتغاليين على جمهورية غينيا .
فبراير ١٩٧١	ـ تدخل القوات الاميركية والسايغونية فى اراضى لاؤوس .
٤ ديسمبر ١٩٧١	ـ اعلان الباكستان للحرب على الهند .
١٦ ديسمبر ١٩٧١	ـ استسلام وحدات الجيش الباكستانى فى داكا ، وتاسيس جمهورية بنغلاديش الشعبية .
٢٧ يناير ١٩٧٣	ـ توقيع الاتفاق على وقف الحرب فى الفيتنام واعادة السلام فيها .

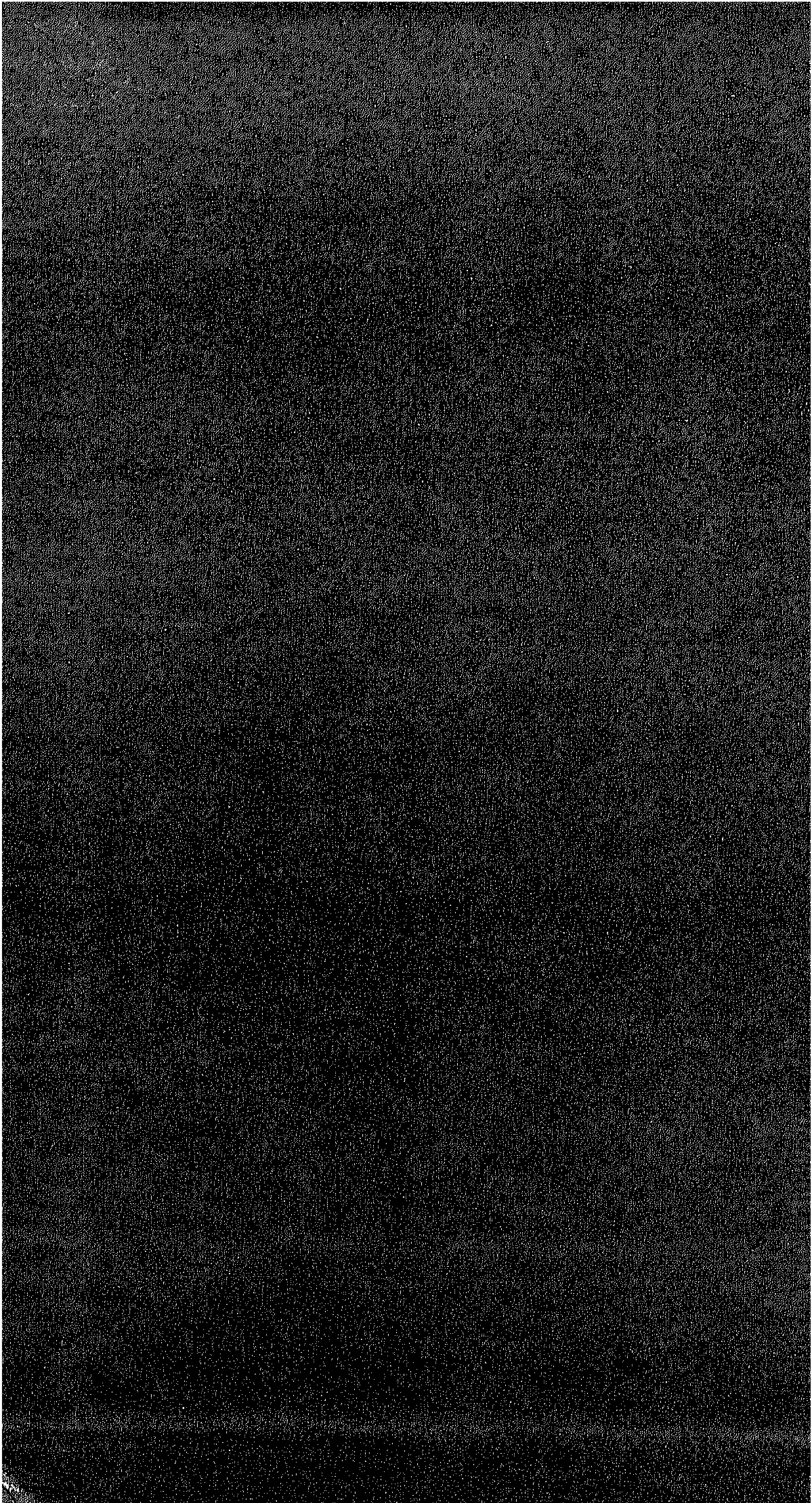
محتويات

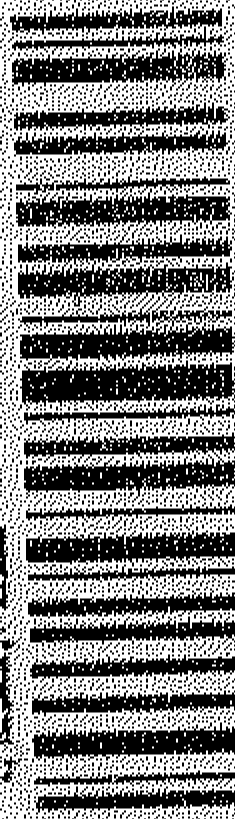
الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتـــاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عــــن رغباتكم . .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو ـ الاتحاد السوفييتي






Bibliotheca Alexandrina
0219160